مخطوط رقم	3930 م.ك	الموضوع	تصوف
العنوان	قوت القلوب ـ المجلد (1)		
المؤلف	المكي ; ابوطالب محمد بن علي ـ 386 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (6) هـ		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ ممتاز	عدد الأوراق	251
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS
0405 1979
5 cm

فانظر إن كنت طبيبا متكلما فإن كان كلامك شفاء وإن كنت طبيبا فالله الله لا تقتل مسلما

قال فكان أبو الدرداء

فقال له أعد علي فأعاد

الله عليه وسلم من

جابر بن زيد فلو نزل

إذا سئل عن شيء يقول

فإنه حفظ ونسينا

فأتينا الحسن فذكرنا

معنا قال نعم فاذهب

خرجنا حديثا قال و

أخبرنا بتفسيرها

قال فأبدا الحسن

وكيف والحديث

وأخبرنا بتفسيرها

قال فأبدا الصحابي

فهذا كما قيل إنما

يردون الأمور في

والمعرفة والإيمان

والمعرفة وهذا كما

بعضهم على بعض وقد كان

الخاملين المتواضعين ليشهد كلامهم ويرفع

في الأرض وتحملهم أمة الآية والنور إذا دخل في القلب انشرح الصدر بالعلم وانفتح باليقين فتنطق اللسان

بحقيقة البيان وهي الحكمة التي أودعها الله قلوب أوليائه كما جاء في التفسير في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل

وعلم اللسان

الخطاب قال الإصابة في القول كما قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال

وسلم في وصف العلماء عن الله عز وجل فمن يرد الله

لفهم هذا الشرح فقال إن الله إذا قذف في القلب

قال نعم انظر فيما عن هذا الشرح ورجوعه إلى أن

سبب الوقيعة الذي والقال في جوهرة المولى فمن

خص به من يشاء من عباده كما سئل أبو موسى

عنه أن هو قال في الجنة فقال ابن مسعود للسائل

قال ذلك يقول أبو موسى في الله فقال اعدد خير هذا قائم

قال أقول أن رجلا في سبيل الله فأصاب الحق في

أم هذا المجتهدين أظهركم والقول في تسليم أجاز

الحديث ألا إن معرفة معاني الأسماء والصفات

التمثيل بها والطمأنينة إلى المخصص بالمعرفة فقال

عز وجل تعالى بها وما شاء غيرها بلا إظهار غيرة بل هو كيف ظهر

عليه بسوء بلا إظهار غيرة بل هو كيف ظهر

نفس والجوهرية هو مقام المتوسمين من الشهداء

بعض من خصه هؤلاء وأيدهم فإذا رجع

ثم كان بعقله ونفس إخوته وليس بعلم

ذر بن الشرح قلبه للتقية أو خيل إلى المتقي

من الكلام بعقله لأن الكفار لا تفقه من

ما بين التكبر وخيل الله أعني إنما يعرف علم

بها على القلوب والنظر بعين اليقين طابت لب

الثوب وليس يريدون في مجالس

القصص بدعة ويقولون لم يقص أحد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر

جميع حقوق النشر و الطبع محفوظة

لامناء مكتبة تشستر بيتي، دبلن، ايرلندا

This microfilm is copyright. It shall not be published
or printed without the permission of the Trustees of
The Chester Beatty Library & Gallery of Oriental Art
20, Shrewsbury Rd., Dublin 4, Republic of Ireland.

3930

QŪT AL-QULŪB, by Abū Ṭālib AL-MAKKĪ (d. 386/996).

[The first volume of a celebrated treatise on Ṣūfism; see No. 3698.]

Foll. 251. 27·8 × 20·6 cm. Excellent scholar's naskh.

Undated, 6/12th century.

فصل التارک للکسب وما یفضل من ترکہ ۵ حکم المتوکل اذا کان ذا بیت ۵ بیان آخر من احوال المتوکل ۵ بیان آخر فی المتوکل
۲۳۲ ۲۳۴ ۲۳۷
بیان آخر فی وصف المتوکلین ۵ بیان آخر فی المتوکل وما لا ینقض التوکل ۵ مقام الرضی وصف اہلہ وشرح احوالہ فی ذلک
۲۳۸ ۲۳۹ ۲۴۰

فصل اذا کان المتوکل ذا بیت

فصل اذا کان المتوکل ممن علیہ نفقۃ

فصل

تملكه افقر الورى الى ربه عز وجل
الحاج مصطفى ابى المرحوم ابراهيم اغا
بمحمدية زاده غفر الله لهما
وللمسلمين اجمعين امين

كتاب قوت القلوب
في معاملة المحبوب
للشيخ الامام الفاضل
العالم العامل الكامل
ابي طالب
محمد بن علي بن عطية
الحارثي
المكي
رحمه
الله

للشيخ الاكبر ابن عربي في صلاة العصر عليه في الفتوحات

صلاة العصر ليس لها نظير ... لنظم الشمل فيها بالحبيب
هي الوسطى لامر فيه دور ... يحثه على امر عجيب
وما الدور من وسط بدا له ... ولا طرفين في علم اللبيب
فكيف الامر فيه فدتك نفسي ... فخص العصر بالعلم الغريب

له ايضا من الفتوحات المكية

اذا حلت بروحا علم ذا يقينا ... فذلك موت والجسم مقبور
وان علمت فالحشر فيها تحقق ... وكان لها من اجل ذلك نشور
فما العلم الا بين نور وظلمة ... وكل سوى ذلك زور

له ايضا من الفتوحات المكية

ما انا من اهل التهم ولا انا من انهم ... واني لاستحيا ان اقول من احدهم
ولا اقول عكس ذا فاني عمر خصم ... واني ابن حاتم بيت الكرم
فكم لي من مأثرة ... منصوبة مثل العلم ... ليهتدي بفيوضها في غيب
معلومة مشهورة ... مذكورة بكل فم ... مشكورة سائر

قوت القلوب
في معاملة المحبوب
للشيخ الامام الفاضل
العالم العامل ابي طالب
محمد بن علي بن عطية
الحارثي
المكي رحمه
الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الاول الازل قبل الكون والمكان عن غير اول ولا بداية والآخر الابد بعد فناء المكونات والازمان بغير آخر ولا غاية الظاهر في علوه بقهره من غير بعد والباطن في دنوه بقربه من غير مس الذي احسن لطفه كل شيء بدأه واتقن كل شيء صنعه وانشاه ودبر الاحكام حكمته وصرفت المحكومات مشيته واظهر في الغيب والشهادة لطيف قدرته وعمه في الآجل والعاجل خلقه بنعمه ونشر على من احب منهم فضله وبسط لجميعهم عدله وانعم عليهم بتعريفهم اياه واحسن اليهم باجتبايه اياهم وانعم عليهم بتفسير كلامه لهم ومن عليهم بتعريفهم ببعثه رسولا من انفسهم اليهم فسأله بفضله ان يوزعنا شكر نعمه ويعرفنا خفي صنعه بكرمه صلى الله عليه وسلم المفضل بالشفاعة والحوض المورود والمخصوص بالوسيلة والمقام المحمود على اخوانه السالفين في الازمان وانصارهم والمتابعين لهم باحسان

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا وقال الله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وقال جلت قدرته كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وقال الله تعالى عز وجل ولكل درجات مما عملوا وقال الله سبحانه وتعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وقال الله سبحانه وتعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال الله سبحانه وتعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال الله تعالى لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال الله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال الله سبحانه وتعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال الله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال الله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال الله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال الله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال الله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به وقال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون [illegible] من فرائض الاء وامر وفضايل النوادب من ذلك ما يستحب عند طلوع الفجر اذا طلع الفجر وهو البياض المنتشر من سواد الليل المعترض من قطر السماء الشرقي عند ادبار النجوم وادبارها افتراقها وذهابها بضوئها وهو الوقت الذي امر الله بذكره اذ يقول سبحانه ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فليصل العبد ركعتي الفجر يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا فيهما فان شاخافت وان شاجهر فقد روي حديثان احدهما يدل على الخافته وهو حديث عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف ركعتي الفجر حتى اني اقول قرا فيهما بفاتحة الكتاب ام لا والاخر على الجهر وهو حديث ابن عمر ومقت النبي صلى الله عليه وسلم عشرين يوما فسمعته يقرا في ركعتي الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في حديث ابي هريرة وابن عباس انه قرا صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى الاية التي في سورة البقرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى اخرها وفي الركعة الثانية ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين فليقرا كلها في الاحايين ثم يستغفر الله سبعين مرة ويقول في كل مرة استغفر الله الذي لا اله الا هو واسأله التوبة ثم يسبح الله تعالى في مثله مائة مرة بالكلمات الجامعة المختصرات التي هي في القرآن وليس بقرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله اكبر وتبارك الله هذه مرة وليدع بهذا الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يدعو به بعد ركعتي الفجر رواه ابي ليلى عن داود ابن علي عن اسد عن
ابن عباس قال بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتيته مساء وهو في بيت خالتي ميمونة فقام فصلى من الليل فلما صلى ركعتي الفجر
قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها
شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي
بها عملي وتبيض بها وجهي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا
ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك
في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضا ومنازل الشهداء
وعيش السعداء ومرافقة الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين والنصر
على الاعداء اللهم انزل بك حاجتي وان قصر رايي وضعف عنه عملي وافتقرت الى رحمتك
فاني اسالك يا قاضي الامور وباشافي الصدور كما تجيرني بين البحور ان تجيرني من عذاب
السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم
يبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خيرا انت معطيه احدا من خلقك فاني
ارغب اليك فيه واسالك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين
ولا مضلين حربا لاعدايك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس وتعادي بعداوتك من
خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان
ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود مع المقربين والركع السجود الموفين بالعهود انك رؤوف ودود
انت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي
التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء علمه اللهم
اجعل لي نورا وفي قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا ونورا في شعري وبشري ولحمي ودمي نورا وفي
عظامي نورا ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي
اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا لكن يقدم على دعاية المسئلة تبارك وتعالى بالصلاة على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيستجيب الله سبحانه وتعالى دعوته ولا يرده لقول رسول الله صلعم
اذا سالتم الله تعالى حاجة فابدوا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسئل حاجتين فيقضي احدهما ويرد
الاخرى هذه الانوار التي يسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جزء من اجزاء آيه انما هو النظر
من نور النور يشاهد القيوم من نور النور يكلوه في كل سكون وحركة منه يكلوه بنظره ويتولاه
بحفظه وينظر اليه بدوام نظره ويستقيم له بتولي حفظه في كل سكون وحركة فلا يزيغ قلبه ولا
يطغى ولا تستهويه النفس هوى ثم ليصل العبد صلوة الغداة في جماعة ليكون في ذمة الله تعالى
وجواره وفي الحديث صلوة الغداة في جماعة افضل من قيام ليلة وصلوة العشاء الاخرة في جماعة
افضل من قيام نصف ليلة وليكن قائما في صلاته بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل
وفهم وجمع همة وصحة يتقضي وحسن اقبال وتدبر للكلام في ترتيل وتفهم
بالتماس غرايب علم التنزيل فاذا سلم من صلاته قال

اللهم انت السلام ومنك واليك يعود السلام فحينا يا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم ليقل سبحان الله العظيم وبحمده ثلثا وليستغفر الله ثلثا ويقول
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم ليقل وهو ثان
رجله من قبل ان يتكلم هذه الكلمات عشر مرات لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم يقرا وهو ثان رجله قبل ان
يتكلم قل هو الله احد عشرا وليقل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين ثلث مرات ثم يقرا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الثلاث الايات
ثم سورة الحمد لله وخاتم البقرة وآية الكرسي وشهد الله ثم ليقل اللهم اني اسالك بكرم وجهك
الجنة واعوذ بك من النار سبع مرات وليقل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب
اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون والمداومة عليهن تجمع لك جميع ما في القرآن
من الادعية روينا ذلك عن سعيد عن كرز بن وبرة قال وكان ابن وبرة من الابدال قال

انا ياخ لي من الشام فقال ياكرز اقبل مني هذه الهدية وقال اعطنيها ابراهيم التيمي فقلت فهلا سالت
ابراهيم من اعطاه هذه الهدية قال سالته فقال كنت جالسا بفناء الكعبة واناني التهليل والتسبيح والتحميد
فجا رجل وسلم علي وجلس عن يميني فلم ار وجها احسن منه ولا احسن هيئة ولا اطيب ريحا وشارة فقلت ياعبد الله
من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني قال جئتك اسلم عليك وجئتك في الله تعالى
وعندي هدية اهديها لك وذكرها فيما بعد يا تي ان شاء الله تعالى ثم ليقل بعد السلام وهو ان
رجله قبل ان يتكلم يسبح الله تعالى ثلثا وثلثين مرة ويحمده ثلثا وثلثين ويكبره اربعا وثلثين فذلك
مائة مرة وان احب جعلها خمسا وعشرين وزاد فيها التهليل وان قال سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خمس وعشرين مرة ليستوعب ذلك مائة تسبيحة كان ايسر عليه من اجل المداومة
ثم يقرا قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الاية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية
ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وخمسا من اول
سورة الحديد وثلثا من اخر سورة الحشر وقد قال قيصه بن للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات
ينفعني الله بها واوجز فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال اما لدنياك فاذا صليت
الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن
امنت من العمى والجذام والبرص والفالج واما لاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علينا
من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه ان وافا
بهن يوم القيمة لم يدع عنه اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء واما المسبعات العشر التي
اهداها الخضر لابراهيم التيمي ووصى بها عدوة وعشية وقال له الخضر اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم
وذكر من فضائلها وعظم شانها ما يجل عن الوصف وانه لا يداوم عليها الا عبد سعيد قد سبقت له
من الله الحسنى حدثنا فضائلها فان قال ذلك فقد استكمل الفضل والمداومة عليهن يجمع له خير
الدنيا والاخرة فقلت وما هي يعني التميمي للخضر فقال هي ان تقرا قبل طلوع الشمس
وانبساطها على الارض وقبل ان تغرب الحمد لله سبع مرات وقل اعوذ برب الناس سبعا والفلق
سبعا والاخلاص سبعا وقل يا ايها الكافرون سبعا واية الكرسي سبع مرات ويقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات وتوفي الى الله

النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك
سبع مرات وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا ما انت له اهل في الدين والدنيا والاخرة
ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر الا
تدع ذلك غدوة وعشية فقلت اجل ان تخبرني من اعطاكه هذه العطية قال اعطانيها محمد صلى الله
عليه وسلم فقلت اخبرني بثوابها فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابها فانه
سيخبرك فذكر ابن هيم النبي الله راى ذات ليلة في منامه كان الملائكة جائته فاجتمعن
ادخلته الجنة فراى ما فيها ووصفهن ما راى من
كلها فقال للذي يعلن عليه
يليه وسلم ومنهم سبعون
سلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله الذي اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق
الخضر صدق الخضر كما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو يئيس الابدال
وهو من جنود ابليس في الارض قلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم يمت الى ان رايت في
منامي هل يعطى ما اعطيته قال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا ما لم ير
كل جمع الكبائر التي عفا الله عنه غضبه ومقته ويومن صاحب
الشهادتين لا يكتب عليه شيء الى سنة والذي يبعثني بالحق نبيا انه ما عمل بهذا الا من خلقه الله سعيد
ولا يترك الا خلق الله شقيا والله
الفضائل وكان ابراهيم التيمي ملك ربعة اشهر
هذا ان رزقنا الله عنه لا يمنعنا ان نستحب ان نقرا بعد
راه وله فضائل جمة ورد بها الاثار
صبح المسبحات اما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصبح وذهابها افتتحه بقوله سبحان الله الى
الاعلى الوهاب لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على لا يموت بيده
الملك والخير كله وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله

لا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ۝ وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة عليك بالجوامع
الكوامل قولي اللهم اني اسئلك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم واعوذ بك من الشر
كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم واسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل واسئلك من الخير ما سألك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
واستعيذك من النار وما استعاذ منه محمد عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم واسئلك ما
قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا لا اله الا الله وحده لا شريك له لا نعبد الا اياه مخلصين له
الدين ولو كره المشركون ۝ وروينا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما يمنعك
ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث فاغثني لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي
شاني كله ۝ وعلم صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق هذا الدعاء فقال قل اللهم اني اسئلك بحق
جبريل وابراهيم وميكائيل وموسى وعيسى وتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود
وقرآن محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ورسل ان تغفر لي ذنوبي وتعافيني في نفسي واهلي واعطني
افضل ما اعطيته او تعطيه احدا من خلقك او تغني غناي وفرج همي واغفر ذنبي
وصغيرته وكبيره واسلك باسمك الذي انزلته على موسى واسلك باسمك الذي
وضعته على السموات فاستقلت واسلك باسمك الذي وضعته على الجبال فاستقرت واسلك باسمك
استقام به عرشك واسلك باسمك الطهر الاحد الصمد الوتر المنزل من عندك من
النور المبين وبكلماتك التي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك
ونورك ان ترزقني الف الف [illegible] وتخلطه بلحمي ودمي وشعري وبشري واستعمله في جميع
بحولك وقوتك فانه لا يعمل به الا من رزقته يا هو يا هو يا هو يا ۝ وعن ابن عمر ان جبريل عليه السلام اتى
الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء يا منور السموات والارض يا جامع السموات والارض يا عماد السمو
والارض يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غو
المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين ومروح المغمومين ومجيب دعوة
المضطرين وكاشف السوء وارحم الراحمين واله العلمين منزل بيك كل حاجة ۝ وقال ابن عمر لم يكن
صلى الله عليه وسلم يترك هذه الكلمات اللهم اني اسئلك العافية في الدنيا والاخرة واسئلك
العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي

اللهم

اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي ۝
وقال بريدة الاسلمي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اذا دعا الله به
خيرا اعلمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقوني وضلت
فاهدني وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني وذليل
فاعزني وفقير فاغنني ۝ وروينا عن ابي ملك الاشجعي قال كنا نغدو الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجيء الرجل ويجيء الامراة فتقول كيف تقول يا رسول الله اذا اصبحنا قال تقول اللهم اغفر لنا
وارحمنا واهدنا وارزقنا وعافنا واعف عنا وقد جمع لك خير دنيا وآخرتك ۝ وروينا عن ابي زمعة
قال كتب الي ابو هريرة فيما كتب الي به يخبرني ويشفيني فيما القاه ان الشيطان لا
يطيف بانسان يقول حين يصبح ويمسي اللهم اني اعوذ بكلماتك وكلمتك لنا من شر ما نجد
والهامة واعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر ما يجيء به الليل ويخرج به النهار واعوذ باسمك وكلمتك
التامة من شر الشيطان الرجيم اللهم اني اسئلك باسمك كلمتك التامة من خير ما تعطي و
ما تسئل من خير ما بسندني اللهم ان اعوذ بك وباسمك وكلماتك التامة من شر ما
ما يجيء به الليل ان الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم يقول ذلك ثلثا وان
كان مسا يقول من شر ما جاءه الليل وعن عمر بن عبد العزيز قال اتى
ابو الدرداء فقيل له احترقت دارك فقال ما كان الله ليحرق دارك فقال ابو الدرداء
ان الله حين قضى قضاء من قضائه لطيف قال فما لطيفت قال قلت قيل وكيف
قال اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم انا
وقل فلهن اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا اله الا الله ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على
كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي
ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ۝ وعنه رضي عن ابي الدرداء
من قال في كل يوم سبع مرات فان توفي من يومه حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم كفاه الله ما اهمه من امر دنياه وآخرته وان كان عليه كان بهذا او كذا

المرأة

وخير ما نطق

صلى الله عليه وسلم ما أصاب أحدا هم وحزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك
ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو نزلته فى بعض
كتبك أو أعطيته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تصلى على محمد وآل محمد وأن تجعل
القرآن ربيع قلبى وشفاء صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى وحزنى الا أذهب الله حزنه وهمه وابدله
مكانه فرحا وروحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغى لمن سمعها ان يتعلمها ٥ وروينا فى الأجزاء
الثالثة ان ابراهيم عليه السلام كان يقول اذا أصبح اللهم هذا يوم جديد وخلق جديد
فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه جنة تقبلها منى وزكها
وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور ودود ٥ وقال صلى الله عليه وسلم
من دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه وكذلك اذا أمسى ٥ وروينا عنه صلى الله عليه
وسلم من قال اذا أصبح وأمسى ثلث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا كان حقا
على الله ان يرضيه يوم القيمة ٥ وروى عن مسعر عن جعفر قال ان عيسى بن مريم صلى
الله عليه وسلم كان يقول اذا أصبح اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو
وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى الى رحمتك فيا من
بى صديق ولا
وكان يقول الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى ٥ وروينا عن
عطاء عن ابن عباس قال يلقى الخضر ولباس كل موسم فيفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله
ما شاء
السوء الا الله بسم الله ما شاء الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله ما شاء الله
لا حول ولا قوة الا بالله من قالهن اذا أصبح ثلث مرات أمن من الحرق والغرق والسرقة ٥ ويقال انها
من استغفار الخضر اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم انى
استغفرك من كل عقد عقدته لك ثم أوف لك به اللهم انى استغفرك من كل نعمة أنعمتها على فقويت
بها على معصيتك اللهم انى استغفرك من كل علمته لوجهك خالصا فما يعلمك اللهم انى استغفرك
أن أعود فيها أستغفرك منه ٥ وحكى سعيد بن أبى الرجاء الهمال وكان من أهل الخير انه توجد ذات ليلة فى
أرض قفر فلم تستوحش وجزع فظهر له شخص فاشتد جزعه فسمعه يقرأ القرآن فسكن روعه ثم قال ألا أدلك
على شئ اذا أنت قلته أنست اذا استوحشت واهتديت اذا ضللت قلت بلى قال قل بسم الله

ذى الشان عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو فى شأن لا حول ولا قوة الا بالله، وجدتونا عن
يعقوب بن عبد الرحمن الدعاء قال سمعت محمد بن حسان يقول قال لى معروف الكرخى ألا أعلمك عشر كلمات
خمسا للدنيا وخمسا للآخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن فقلت اكتبهن قال لا ولكنى أردد هاعليك كما
رددها على بكر بن خنيس حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى حسبى الله لما أهمنى حسبى الله لمن بغا على
حسبى الله لمن عادانى بسوء حسبى الله عند الموت حسبى الله عند المسألة فى القبر حسبى الله عند
الحساب حسبى الله عند الميزان حسبى الله عند الصراط حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم وادع بهذه الكلمات اللهم يا هادى المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات
المذنبين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين
أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين ٥ ويقال ان عتبة الغلام رأى
فى المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات، وليقل بعد ذلك هذه الكلمات اللهم عالم الخفيات رفيع
الدرجات ذا العرش تلقى الروح من أمرك على من شئت من عبادك غافر الذنب وقابل التوب الأواب ٥ وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قيل له بأى شئ نجوت فقال بهذا الدعاء، وليقل هذا الدعاء يا من لا يشغله
ولا تشبه عليه
واث يا من لا يغلطه المسائلون ولا يختلف عليه اللغات يا من لا يتوهم
يا من هو
مغفرتك ٥ وروينا ان الخضر عليه السلام علم أبا طالب
اللهما
فقد روى فى
قال ابن قتل شهيد
ومن قال فرئى فى المنام
من الله عز وجل
عن سليمان
قال يا
فى النوم فقلت
فقال خيرا فلت ترجو الخاطى شيئا قال نعم
وهذه
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والحول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق
ملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمائه وأرضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه
ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى
سبح ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وأكثر من ذلك وسبحان

من الساعات وليلة من الليالي وسم ونفس من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة حتى لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه ٥ وليدع بهذا الدعاء كله فهو من دعا التوبة مرجو فيه الاجابة ٥ وروينا عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها قالت لما اراد الله عز وجل ان يتوب على آدم عليه السلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس له اركان انما هو ربوة حمراء ثم قام وصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولن ياتي احد من ذريتك يدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه ونجرت له من وراء كل تاجر بضاعته الدنيا وهي راغمة والله لا يريدها ٥ وليقل هذه الكلمات فانها تمام ما روي في الاسم الاعظم باخبار في ذلك ما ثوره اللهم اني اسئلك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام انت الاحد الصمد لم يلد ولم يكن له كفوا احد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي يا حي في ديمومة ملكه وبقايه يا حي محيي الموتى يا حي مميت الاحياء وارث اهل الارض والسماء اللهم اني اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم اللهم اني اسئلك باسمك العظيم الاعظم الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت يا نور النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء يا لطيف يا خبير يا رحيم يا كبير يا عظيم يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام الم الله لا اله الا هو الحي القيوم احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وعنت الوجوه للحي القيوم يا حي يا قيوم يا الهنا واله كل شيء واحد لا اله الا انت الهنا اني اسئلك باسمك الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم يا الهنا الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم انت الاول والاخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة وعلما كهيعص حم عسق الرحمن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا احد يا صمد يا ودود يا غفور هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني اسئلك باسمك المكنون المخزون المبارك السلام الطاهر الطاهر القدوس المقدس العزيز يا عزيز يا هزيز يا بهوز يا بهيا يا ازل يا من لم يزل ولا يزول هو يا هو لا اله الا هو يا من لا اله الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كان يا كيان يا ذو ان يا مكون قبل كل كون يا مكون لكل كون يا محيي ما اصابت يا

بك الامور فان توفني احيني ما علمت الحياة خيرا لي وان توفني فاقبضني اليك غير مضيعة ولا مفرطة امين وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع العليم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وارحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ٥ وليقل هذه الادعية فقد وردت بها الاثار اللهم اني اسئلك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسئلك شكر نعمتك واداء حقك وحسن عبادتك واسئلك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعمل واسئلك خير ما تعلم واعوذ بك واستغفرك لما لا اعلم وتعلم وانت علام الغيوب اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما [illegible] انت العزيز الحكيم [illegible] اللهم اني اسئلك ايمانا لا ارتداد له ونعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى درجة الخلد اللهم اني اسئلك الطيبات وفعل الخيرات [illegible] واسئلك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد [illegible] اللهم اني اسئلك ان تشرح صدري وان تضع عني وزري واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خير لي اسئلك خشيتك في الغيب والشهادة [illegible] واسئلك القصد في الغنى والفقر واسئلك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسئلك الرضا بعد القضاء واسئلك برد العيش بعد الموت واسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اسألك من كل خير [illegible] شر ما يحول بيني وبين [illegible] من طاعتك ما تدخلني به جنتك ومن اليقين ما تهون [illegible] اللهم ارزقنا من خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى يهون [illegible] اللهم انيس [illegible] ملا قلوبنا منك فرحا [illegible] من عظمتك [illegible] واجعلنا نخشاك [illegible] وشكرك وحسن عبادتك سلك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العصمة وادام الستر بحسن العبادة اللهم انا نعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر واعوذ بك من ضيق الصدر [illegible] عذاب القبر واعوذ بك من غلبة الدين وقهر العدو وشماتة الاعداء اللهم [illegible] الشكي والضنى والغنى اللهم [illegible] واعوذ [illegible] الله الذي [illegible]

وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار وبغتات
الأمور وخبث الأقدار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة
اجعل أول يومنا هذا إصلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه
نعمة وآخره كرمة اللهم إني أعوذ بك أن أذل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي عز
وجل ثناؤك لا إله غيرك وتبارك اسمك اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر
فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة أو سوءا فاقبضني إليك غير
ولا مفتون اللهم أحيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي
خير الحيوة وبركة الحيوة وأعوذ بك من شر الوفاة وأسألك خير ما بينهما وخير ما فيهما
أحيني حياة السعداء وأمتني ميتة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير المأمولين
ويا أحسن الخالقين ويا أحكم الحاكمين ويا رب العالمين أعوذ بك من شر ما يلج في الأرض وما
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء
وخضع كل شيء لهيبته وظهر كل شيء لكبريائه اللهم صل
محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وبارك على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته
العلمين إنك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي
وأعطه المقام المحمود يوم القيمة اللهم إني أعوذ بك من خيبة الحرص وشدة الطمع
وسيئ الخلق وقساوة القلب والكسل وأعوذ بك من مساوئ الأخلاق والأمر على الناس
وأن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وأن أقول في العلم بغير علم اللهم
أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم اللهم إني أعوذ بك من إتباع خطوات
الشيطان وشركه في المال والأهل والولد وقبول المسوء في الشؤ وانخناء اسألك حسن الخاتمة
وسعة الرزق وصدق الافتقار اللهم افتح بخير وأختم بخير وأنت الفتاح العليم اللهم
وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك رضى وحسن المنقلب إليك
ما خلقت وأغفر ما قدرت وطيب ما رزقت ونعم ما أنعمت وتقبل ما استعملت واجعل
أستحفظك ولا إله إلا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك
واجعل بغير خدمتك ومن كل

اللهم أجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا
لك عبادا وو[illegible] مستأصر فاحسن اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ
من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم احفظنا في أمرنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا
أعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين ويا شاكر الشاكرين يحفظك حفظوا
بذكرك ذكروا وبفضلك شكروا يا غوث يا مغيث يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكلني
إلى نفسي طرفة عين فأهلك ولا إلى خلقك فأضيع اكلأني كلأة الوليد وتولني تولي عبادك الصالحين
اللهم بقدرتك علي تب علي انك أنت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك أنت الغفار وبعلمك
ارفق بي أنت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك ومحمدك
لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي انك انت ربي وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم
اهدني لرشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيه
[illegible] أسألك الصحة والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدارين أعوذ بمعقول من عقوبتك
وبرضاك من سخطك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أبوء بنعمتك إليك وأبوء بذنوبي فاغفر
يكلوني ما كسبت عبدك وابن عبدك ناصيتي بيدك جار فيّ حكمك ناقد فيّ عدل قضاؤك
كل أناة وأني تعفو وترحم فأهل ذلك أنت فافعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله أنك أهل التقوى
وأهل المغفرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك
[illegible] وسنة العقلة وعاطي الكلفة وأعوذ بك من مساوئ الملكين والأمر على الناس
[illegible] وأسألك خير ما يعلم وأعوذ بك من شر ما يعلم اللهم
[illegible] وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة
[illegible] اللهم إني أعوذ بك من إتباع خطوات
واستافنا في أمرنا الأبد اللهم إني أسألك العون على الطاعة والعصمة من المعصية وارزقنا الصبر
[illegible] وحسن المعرفة بك ٥
[illegible] اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة
[illegible] اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة
[illegible] اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك
[illegible] اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل
[illegible] اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم
[illegible] اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك محمد وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك محمد
[illegible] اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل
[illegible] اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم
[illegible] اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك محمد وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك محمد

الأخرة حسنة ورضوانك والجنة وان يحمد الله بما يحمده به نفسه فقد ورد في ثواب ذلك ما
غاية الطالبين ٥ وروينا عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الله سبحانه يحمد نفسه كل يوم يقول اني انا الله لا اله الا انا رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي
اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور اني انا الله لا اله الا انا
كل شيء واليّ يعود اني انا الله لا اله الا انا الدوم اولد اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم اني انا
لا اله الا انا الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا اهل الثناء والمجد اني انا الله لا اله الا انا ملك يوم
اني انا الله لا اله الا انا الواحد الصمد الاحد اني انا الله لا اله الا انا الوتر الفرد اني انا الله لا اله الا انا
الغيب والشهادة اني انا الله الملك القدوس اني انا الله لا اله الا انا السلم المؤمن المهيمن اني انا
لا اله الا انا العزيز الجبار المتكبر اني انا الله لا اله الا انا الخالق البارئ اني انا الله لا اله الا
الاحد المصور اني انا الله لا اله الا انا المقدر القهار اني انا الله لا اله الا الحليم الكريم اني انا
لا اله الا انا القادر الرزاق اني انا الله لا اله الا انا خالق الخير والشر اني انا الله لا اله الا
خالق الجنة والنار اني انا الله لا اله الا انا العزيز الجبار اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال
اني انا الله لا اله الا انا عالم السر واخفى اني انا الله لا اله الا انا فوق الخلق والخلق تحت قدرتي
لا اله الا انا الجبار القهار اني انا الله لا اله الا انا فمن دعا بهذه الكلمات فليقل ان
كل هذا الثناء فكذا ومن دعا بهذه الكلمات كتب من الناجين المخلصين الذين يجاورون
وصلى الله على سيدنا محمد خير من سمع الملائكة الاطهر
رضي الله عنه واعطه يوسف والضحى الرفيع
والبهجة المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزها افضل ما جازيت نبيا عن
واعطه الشرف والشيء العظيم مع اخوانه النبيين صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وعلى الانبياء اجمعين ومن تبعهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصلح
بينهم يا ارحم الراحمين اللهم اغفر لي ذنوبي ولوالدي وارحمهما
كما ربياني صغيرا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات
[illegible] ما لم ار عن المنهي عنه

وسلم والصحابة والتابعين لهم الى هذا الوقت حذفنا اسانيدها للاختصار فمن قال هذا الدعاء بعد
صلاة الصبح وقبل غروب الشمس في كل يوم فقد استكمل الفضل والاجر في تلاوة القرآن
وانواع الذكر من التلاوة والتفكر والتذكر في عظمة الله في كل يوم والآية وتواتر احسانه
من حيث لا يحتسب العبد وحيث يحتسب ثم يتفكر ويعتذر من تقصيره كما قال عز وجل
لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة قيل في ادبار الدنيا واقبال الآخرة فتعملون لما يبقى وترغبون
فيما يدوم وتزهدون فيما يفنى وقال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ووصف اعداءه
بضد ذلك فقال تعالى كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا
وقالت ام الدرداء اكثر عبادة ابي الدرداء كانت في التفكر ويقول ما يسرني ان اتجر كل يوم
كذا وانفقها في سبيل الله ويشغلني ذلك عن التفكر ويحث على حسن الثياب وتعمل
الطويات فيما بينه وبين الخالق وفيما بينه وبين الخلق ويستغفر الله عز وجل ويجدد التوبة لما مضى من
عمره ولما يأتنف من مستقبله ومن ذلك قوله تعالى وذكرهم بايام الله قيل نعمه وقيل بعقوباته
ومنه واذكروا الله لعلكم تفلحون وقال فبأي آلاء ربكما تكذبان اي بأي نعمه تكذبان
[illegible] الانس وهما الثقلان والذكر يخرج الفكرة فيكون الفكر يدخل في الجوف كما قال تعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال بعض العلماء
[illegible] ساعة خير من عبادة سنة هو التفكر الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرض
الى الزهد والقناعة وقيل هو التفكر الذي يظهر مشاهدات الغيوب ويقوي عزائم الامور
[illegible] وجل ان يعصم من جميع ما نهاه عنه ويوفقه
الى الاعمال ويتفضل عليه بغاية الافضال وهو في ذلك فارغ القلب برد الهمة موقن بالاجابة راض
بالقسمة أو يتكلم بمعروف وخير ويدعو الى الله تعالى وينفع به اخاه المسلم او يعلم من هو دونه
في العلم فهذه كانت اذكار المتقدمين وافكار السالفين والذكر والفكر من افضل
عبادة العابدين وهو الطريق المختصر الى رب العالمين فقس اي هذه المعاني
[illegible] ولا بد من ذلك وهو في جميع ذلك مستقبل القبلة في صلوته لا يستحب له
غير ما ذكرناه من الاذكار وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من

طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومنهم من شدد في الكلام من الفجر الى صلوة الغداة بغير ذكر وهو
ظن بقلة تدبر ست فمن عمل بها فقد احياها وهذا هو الورد الاول من النهار

ذكر اوراد النهار

وفي النهار سبعة اوراد اولها من طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس وهو ما اوردناه وما ذكرناه
الذي افتتح الله تعالى به والتسبيح اذا تنفس فنفسه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو الظل الذي مدّ
الله عز وجل لعباده ثم قبضه اليه فبسط الشمس عليه واظهره من آياته وجعل الشمس كما قال
ودليلا عليه فقال سبحانه ألم تر الى ربك كيف مد الظل اي بسطه ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس له دليلا الآية يعني بسطه ولو شاء لجعله ساكنا يعني على حاله لا يتحول ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول كشفناه بها فبينه ان الدليل هو الذي يكشف الشيء
وهو يرفع الشبهة ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعني الظل من تحت الشمس اي خفيا لا يظهر
بزيغ فاندراج الشمس في الظل يقدر انه اندراج الظلمة في النور اذا دخل عليها بحكمته وهو
الاصباح والفلق الذي تعالى خلقه أمر بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق
فقال تعالى فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا الآية وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
اي تسبحوه بالصلوة في هذه الاوقات وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون
تعالى قل اعوذ برب الفلق الآيات يعني فلق الصبح فان امن العبد من الفتنة والشر
لا يعنيه والاستماع الى ما خرج من الافواه واذا كان كذلك شغل نفسه
بذكره الدنيا وامن دخول الآفات عليه من التزين والتصنع للناس وترك الشغل بهم
والاخلاص له بالاعراض عما سواه فعل وتمم ما ذكرناه من الذكر في مصلاه او في مسجد
فهو الافضل او في بيته فلذلك امر الله عز وجل برفع المساجد في البيوت فقال تعالى في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الآية وان لم يأمن الفتنة من لقيا من يكرهه او ما
الى الناس خاف الكلام فيما لا يعنيه او الاستماع الى ما لم يندب اليه انصرف اذا
صلى الغداة الى منزله او الى موضع خلوه بعد ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له

وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الملك والخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات قبل
ان يتكلم في مصلاه فهو اجمع لقلبه وهو في ذلك ثلاث خطب قبل ان يقوم ويقرأ بعدها قل هو الله احد
عشر مرات قبل ان يتكلم فقد اشترط ترك الكلام في هذين الوقتين وورد فيهما الاخبار ثم يتم
بقيته ورده في بيته او في خلوة وهو في ذلك مستقبل القبلة فهو افضل واجمع لقلبه ولا يقدم على
التسبيح والذكر بعد صلوة الفجر وقبل طلوع الشمس الا لامر معين معاونة على بر وتقوى فرض عليه
او ندب اليه مما يختص به لنفسه او يعود نفعه على غيره ويكون ذلك ايضا مما خافه فوته بفوت
وقته والمعنى الآخر يكون الى تعلم علم او استماعه مما يقرب به الى الله عز وجل ثم الفكر في الآخرة
والزهد في الدنيا فان انفق هذان غدا اليهما والغدو اليهما افضل من جلوسه في مصلاه لانهما
ذكر الله تعالى وعمل له وطريقه اليه على وصف مخصوص مندوب اليه او الى خير يزهد في
الدنيا والهوى او يعجب من العلماء الموثوق بعلمهم من علم الآخرة وأولي اليقين والمهذب
الزاهدون في فضول الدنيا ويكون في طريقه ذاكرا لله تعالى او متفكرا في افكار العقلاء عن
الله تعالى فان انفق له هذان فالغدو اليهما افضل وهو الطريق اليه فقال تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية وقال صلى الله عليه وسلم من غدا من بيته
في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وعن ابن مسعود اغد عالما او متعلما او مستمعا ولا
تكن الرابع فتهلك والغدو والقراءة يكونان قبل طلوع الشمس وفي حديث ابي ذر ركعتا
الضحى افضل من صلوة الف ركعة وافضل من شهود الف جنازة وعياده الف مريض قيل ومن
قراءة القرآن هل ينفع قراءة القرآن الا بعلم فان لم يتفق له احد هذين العينين فمعاونته على
البر والتقوى او فما فرض عليه او ندب اليه او مما يختص به لنفسه او يعود نفعه على غيره او يخاف
فوت شيء يقربه الى الله فاشتغاله بما يقرب الى الله تعالى افضل لانه نفعه ونفع غيره اشهر
فرصته قبل فوته فهذا افضل شيء يفعله بعد الاذكار والافكار من طلوع الشمس فاذا فرغ من
ذلك ولم يتفق له ما ذكرناه من القربات اخذ في الصلاة او تلاوة القرآن او صنف من الاذكار او
بما شبه النفس فيما سلف والمطالبة لها والاستراح فيما يأتي فان حصلت كفايته ليومه من
قوته في وقت من النهار ترك السوق ودخل بيته او قعد في المسجد واشتغل بخدمة مولاه متزودا

لعاقبته وكذلك فعل الصالحين ٥ ويقال لا ينبغي أن يوجد المؤمن الا في مواطن ثلثة بيت يستر
أو مسجد يعمر أو متاع تعين الجسم فان اتفق له احد هذه والا فيعوده في مصلاه او مسجد جماعة
في بيته وخلوة مفكرا في الآلاء ذاكرا لله تعالى بمشاهدة الأفكار لقوله صلى الله عليه وسلم
أن افضل العبادة بعد الذكر من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من أن اعتق اربع رقاب
من ولد اسمعيل ٥ وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى
تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين وقد ندب الى ذلك في غير خبر ٥ وجاء في فضل الجلوس
من بعد صلوة الصبح الى طلوع الشمس زيادة في الركعتين بعد ذلك ما يجل وصفه اختصارا اذكر
وزيادة في الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فيما يذكر عن ربه وتجمله أن قال
يا بن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة أكفك ما بينهما ٥ فاذا
ارتفعت الشمس وابيضت صل الضحى ثماني ركعات وهذا الوقت الذي ذكر سبحانه وتعالى
قوله يسبحن بالعشي والاشراق ثم ينظر فان علم مريضا عاده أو حضر جنازة شيعها او كانت معونة
على بر وتقوى سعى فيها او كانت حاجة لاخ من اخوانه قضاها وان كان فرض يلزم القيام به سارع الى
وان لاح له فضل فعله ويأنف المراقبة لربه في كل حال الى أن تنبسط الشمس وتمحض الفضائل
وهذا الورد الثاني وهو الضحى الأعلى الذي اقسم به سبحانه فقال والضحى وهو اذا اضحت الاقدام
حر الشمس فاذا كان بعد على ذلك فقد اتبع ما انزل عليه من ربه وقد سمع قوله ابتغوا ما انزل اليكم
من ربكم لانه قال انما امرت أن اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ثم قال وأن اتلو القرآن وقال
اتل ما اوحي اليك من الكتاب وأقم الصلوة الآية ٥ والضحى في هذا الوقت افضل وصيرته وقتها
لوجود اسمها وقال صلى الله عليه وسلم صلوة الضحى اذا رمضت الفصال وخرج عليه السلام
على اصحابه وهم يصلون الاشراق فرفع صوته الا انما صلوة الأوابين اذا رمضت الفصال يعني
التوابين الى الله تعالى في كل وقت ٥ ثم ياخذ العبد فيما ينبغي اليه أو ايح له من التصرف في معاشه
ان كان في جنان يصدق فيها او صنائع ينصح فيها ان لخروج الى ذلك وليكف ان كفي ومن الناس من
يكون احسن حاله النوم وليت انه يعد في بعضه كالنوم اذ في النوم سلامة الدين زايدا الى السلامة
والعدل بالاحسان وقد جاء بأني على الناس زمان يكون افضل عملهم الصمت والنوم وقال

الذين كان يعجبهم اذا تقرغوا ان ينام واطلب السلامة فان نام في هذا الوقت فهو نوم القايلة
وانتهى الى زوال الشمس ٥ وهذا الورد الثالث من النهار ثم يتوضأ قبل دخول وقتها
وهو من المحافظة عليها والاقامة لها فاذا زالت الشمس فتحت ابواب السماء للذاكرين والمصلين
وتستجاب فيه الدعوة وهذا اول الورد الرابع من النهار فليصل بعد الزوال اربع ركعات
يقرأ فيهن بمقدار سور البقرة ولا يفصل بينهن بتسليم هذه الصلوة وورد من بين صلوة النهار
أو سورتين من المائين أو أربعا من المثاني وبطيلهن ويحتسبهن وهذا الورد هو الاظهار الذي
ذكر الله تعالى الحمد فيه فقال تعالى وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون
وليتق العبد الصلوة عند استواء الشمس وهو قبل الزوال والأوقات المعروفة كراهيتها هي
عند تقلص الظل وقيام ظل كل شيء حتى وإذا زال الظل الى الشرق فقد زالت وتخفى استواء
في الشتاء لقصر وقت النهار وعدول الشمس في مسيرها عن وسط الفلك فتقطع عرضا فيكون
اقرب لغروبها فليقدر ذلك تقريبا ومقدار استوايها قبل الزوال بقدر اربع ركعات وشر
من القران وهو اخر الورد الثالث فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكر وهو اخر الأوقات الخمسة
التي نهي عن الصلاة فيها والاربعة الاخر عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمحين في عين الناظر وعند
تدليها للغروب حتى تحجب وبعد صلوة الصبح وبعد العصر واجب له الاحيايين الأذان والاقامة
بالركوع فانها ساعة تستجاب فيها الدعوة وتفتح ابواب السماء وتزكو فيها الأعمال وأفضل اوقات
النهار اوقات الفرايض ويقرأ ما بين الأذانين ما يستحب له أن يقرأ أخر البقرة واخر آل
عمران ومن تضاعيف السور الأيتين والثلث وقوارع السور مثل انا وليا فاغفر لنا وارحمنا
الآية وربنا عليك توكلنا واليك انبنا الآيات والآي التي فيها التسبيح والأسماء الحسنى مثل آية
الكرسي واول الحديد واخر الحشر والاخلاص ليكون بذلك جامعا بين التلاوة والدعاء والصلاة
والتعظيم والمدح ٥ ثم يصلي الظهر في جماعة ولا يدع أربعا قبله ولا بعدها أربعا بعد الركعتين
وهذا اخر الورد الرابع من النهار وهو اقصر الاوراد وافضلها ٥ فان كان قد زقد قبل
الزوال فلا يرقد في هذا الورد فانه يكره نومتان في يوم كما يكره اكلتان وكما يكره نوم النهار من غير
سهر الليل ٥ وروينا عن بعض علمائنا ثلث يمقت الله تعالى فاعلهن الصمت من غير عجب في الاكل

من غير خروج ونوم النهار من غير سهر الليل وان لم يكن رقد وأجبت ان نام بين الظهر والعصر ليلة
المستقبلة رقبل الظهر لليلة الماضية اذا دام سهره بالليل واتصلت اوراده بالنهار جبرا
عن الظهر او بعده لما سلف من ليلته وبعد الظهر لما عبر من الليلة الماضية لانه لا يستحب
يزيد في اليوم والليلة على اكثر من نوم ثماني ساعات ومن الناس من قال ان نقص من النوم عن هذا
المقدار في اليوم والليلة اضطرب جدته لان النوم قوت للجسم وراحته قال تعالى وجعلنا نومكم
سباتا اي راحة الا ان يكون الساهر عادته فان العادة تجعل كالطبع وتنقل عن الصرف ولا
يقاس عليها واجبا ما بين الظهر والعصر هو صلوة الغفلة وهو شبيه بقيام الليل ويستحب
العكوف في المسجد بين الاولى والعصر للصلوة والذكر ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلوة وقد كان
ذلك سنة للسلف قبل وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي
النحل من التلاوة الا ان يكون بيته اسلم لدينه واجمع لقلبه فالاسلم هو الافضل وكذلك
الورد الثالث الذي هو من الضحى الاعلى الى زوال الشمس فوق هذا في الفضل يدرك به المرء فوت قيام
الليل لان الناس في هذين الوقتين مشاغيل بطلب الدنيا وخدمة الهوى والقلب المستيقظ اليقظ
يفرغ في هذين الوردين ويسكن وبعد العامل للعمل راحة ولا قبال والتفريغ لذة يكون الفراغ
من الخلق وشغله بالخالق مزيد وبركة وهو احد الوجهين في قوله تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي جعلهما خلفتين يتعاقبان في الفضل فيخلف
احدهما الآخر فمن فاته شئ من الليل قضاه في هذين الوردين من النهار احدهما من الضحى الاعلى الى
الزوال والثاني ما بين الاولى والعصر والوجه الثاني ان النهار كله خلفة من الليل فمن
شئ من عمل الليل قضاه بالنهار فكان بدلا منه ومن فاته شئ من اوراد النهار كان لليل له
وردا اذ كل واحد منهما خلف لصاحبه ففيه درك ما فات وخلف مما سلف من الذكر والتلاوة
والذكر اسم جامع لاعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ومشاهدات العلوم من العبد
بقلوب العارفين والشكر ايضا يشتمل على جمل اعمال الجوارح من شرايع الاسلام
وهو ان جعله العبد وكنه خدمته وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما الكليم للخليل فقال
نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا الاية فانتظم التسبيح والذكر جميع تصرف الجسم وتصريف القلم

وهذا

وهذا الورد الخامس الذي هو ما بين العصرين من طول الاوراد وامتعها العباد وهو ايضا هي الورد
الثالث في الطول وهو اصيل النهار واحد الاصائل الذي ذكر الله تعالى فيه سجود كل شئ وقربه بالغدو
فقال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فما اقبح ان تكون
الاشياء الموات ساجدات ذاكرات والمؤمن الحي عن ربه معرض ذو غفلات ثم يصلي قبل العصر
اربعا ويختم الصلاة بين الاذان والاقامة كما ذكرنا انفا فانها ساعة مرجو فيها الاجابة فاذا
دخل وقت العصر دخل العبد في الورد السادس وقد اقسم تعالى في قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وهذا احد المعنيين في الاية وهو احد الوجهين في الاصائل
الذي ذكر تعالى وهو العشي الذي ذكره سبحانه للتسبيح والتنزيه فيه والجهر له فقال وعشيا
حين تظهرون وقال تعالى بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا ما كان بين الاذانين
ثم ينتقل من بعد صلوة العصر فيما شاء من الاذكار والافكار من اعمال القلوب والجوارح فيما فرض
عليه او ندب اليه وافضل ذلك قراءة القرآن بتدبر وترتل وتفهم وحسن التاويل فاذا ارتفعت
الشمس عاروه بين الحمرتين واصفرت وماتت حمرتها وكانت مثلها حين تطلع دخل في الورد التابع
وهو التسبيح والتكبير والتلاوة والاستغفار الى غروب الشمس ومن افضل ما قيل في هذا
الوقت وفي مثله من اول النهار ان يقال استغفر الله الحي القيوم وسبحان الله وبحمده وان قال
استغفر الله لذنبي وسبحان الله بكرة وعشيا فقد جاء بلفظ الامر من قوله سبحانه واستغفر لذنبك وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار واستحب الاستغفار على معاني القرآن فيما ذكر من القرآن ما فيه مثل قوله
استغفروا ربكم انه كان غفارا وان الله غفور رحيم واستغفروا ربكم واستغفروه انه كان توابا
وانه كان غفارا وربي اغفر وارحم وانت خير الراحمين وهذا الورد في الفضل مثل الورد الاول من
طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو الامساء الذي ذكر الله تعالى التنزيه فيها فقال تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الاية اي سبحوا الله فاقام الاسم مقام الفاعل وهو الطرف الثاني من
النهار الذي امر الله تعالى فيه بالتسبيح في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك
ان يقرأ قبل غروب الشمس وضحاها والليل والمعود بين حتى تغرب الشمس عليه وقبل
الاستغفار فذلك مما امر به في هذا الوقت من الاذكار وكلما استحب من التسبيح والحمد والثناء

والذكر في أول النهار قبل طلوع الشمس يستحب في هذا الورد قبل غروب الشمس لأن الله تعالى قد قرنهما
بالذكر فقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها الآية وقال تعالى وأطراف النهار لعلك
ترضى وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق إلى قوله إذا وقب أي من شر الليل إذا دخل وقال تعالى
بالعشي والأبكار فليعد العبد ما ذكرنا في الورد الأول من الأدعية والتسبيح وليقل عند إدبار
المغرب اللهم عند إقبال ليلك وإدبار نهارك وأرتفاع أصوات دعائك وحضور صلاتك وشهود
ملائكتك صل على محمد وآله وأعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ثم قل
رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ثلثا ففيه أثر وفضل وكذلك فليقل مثله إذا سمع أذان
الفجر لأنه يقول عند إدبار ليلك وإقبال نهارك والنص عند أذان المغرب وقال الحسن كانوا أشد تعظيما
للعشي منهم لأول النهار وقال بعض الناس كانه اجعلوا أول النهار للدنيا وآخره للآخرة
فإذا توارت بالحجاب انقضت أوزار النهار السبعة فانظروا أيها المسكين المبتلى ماذا انقضى لك منها وما
ذا انقضى فيك عندها وما ذا انقضى عليك فيها فقد قطعت من عمرك مرحلة ونقصت من أيامك يوما فإذا
ذا قطعت من سيرك بقطع مرحلتك وما ذا الذي ازددت من عمرك مما نقصت من يومك فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم الناس غاديان فغاد نفسه فمعتقها وزاهن فموبقها قال الله تعالى إن سعيكم
لشتى وقال في معناه كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وفي الخبر لا بورك لي في يوم
لا ازداد فيه خيرا وفي الخبر من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه
فهو محروم الى قوله فالموت خير له ثم دخلت أوزار الليل الخمسة فتذكر الآن فيما تستقبل من
الليل ما فات فيما مضى من النهار فقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
كل جنح ليلة مناد في الأسواق حيفة بالليل حار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة

ذكر أوزار الليل الخمسة

وفي الليل خمسة أوزار أولها أن تصلي بعد المغرب ست ركعات ويستحب ذلك قبل أن
تكلم أحدا أو تشتغل بشيء تقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد تسرع بهما بعد
صلاة المغرب فإنهما بمنزلة معاذتين مع صلوة المغرب فإن كان منزله قريبا من المسجد فلا يترك

وفي رواية الجوهري السبع
وقال الدين الخطيب الشافعي
الليل ما فات فيما مضى من النهار
المنتظم لابن الجوزي عنه

أن يركعهما في بيته وليطل الأربع الأخر وكان أحمد بن حنبل يستحب أن يصلي ما الرجل في بيته
وكذلك كان يفعل ويقول هي سنة لأنه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها في بيته ولكن
بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان في مؤخر المسجد وقد صلاها في المسجد ثم ليصل بين العشائين ما تيسر
الى أن يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وبعده غسق الليل وظلمته لأنه
آخر ما يبقى من شعاع الشمس في الفطر الغربي إذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف
صاعدة تطلب الأفق الأعلى في المشرق فهذا هو الوقت المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهو آخر الورد الأول
من أوزار الليل والصلوة فيه ناشئة الليل أي ساعاته لأنه أول نشوء ساعاته وهو آتي من آناء الليل التي ذكر
سبحانه ومن آناء الليل فسبح فالآناء جمع آني أي وقت منه فصل وقيل ناشئة الليل بنيام الليل وهو
في لسان الحبشة وأفق العربية يقولون نشا إذا قام وقد أقسم الله تعالى فقال فلا أقسم بالشفق الآية
والشفق ما بين العشائين وهي صلوة الأوابين أيضا وصلوة الغفلة قال الحسن نجافى جنوبهم عن
المضاجع قال الصلوة فيما بين العشائين حتى قال أنس وسئل عمن نام بين المغرب والعشاء قال لا يفعل فانها هي
الساعة التي وصف تعالى المؤمنين بالقيام فيها فقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيما بين المغرب والعشاء وقد أسنده ابن أبي الزناد الى النبي صلى الله عليه وسلم وسئل في هذه الآية فقال
الصلوة ما بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة فيما بين العشائين فانها تذهب ملاغات أول النهار وتذهب له
آخره ملاغات جمع ملغاة وهو من اللغو الذي تطرح المطرح عن العبد من الباطل واللهو وتندب له آخره
أي تصفيه وتجرده ويستحب العكوف في المسجد بين العشائين للصلوة وتلاوة القرآن والذكر فقد
روي في فضل ذلك الآثار يكون بيته أسلم لدينه ولدخول الأفة عليه فيما سلم فيه فهو فضل ثم ليصل
قبل العشاء الآخرة اربعا وبعدها ركعتين ثم أربعا ويقال ان الأربع بعد صلوة في بيته يعدل مثلهن
ممن قام ليله القدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهن في بيته إذا دخل وكان من مسعود يكره
أن يصلي بعد صلوة مثلها وكانوا يستحبون بعد المكتوبة ركعتين ثم أربعا وان قرأ في الأربع الأوائل
آية الكرسي والآيتين بعدها وفي الثانية آخر البقرة وفي الثالثة أول الحديد الى قوله بذات الصدور
وفي الرابعة آخر الحشر من قوله هو الله فقد أحسن وأطاب وان صلى بعد الأربع ثلث عشرة
ركعة آخرهن الوتر أن أحب فان هذا العدد أكثر ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى من

بقوله

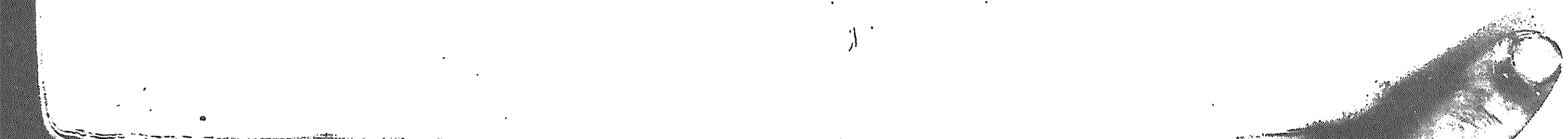

الليل الآية من مفطوع وهو سبع عشرة ركعة والمشهور انه كان يصلي احدى عشرة ركعة وتلك عشر
ركعة وتر حسبوا بها ركعتي الفجر ٥ وأستحب أن يقرأ في ركوعه هذا تلثمايه اية فصاعدا فاذا
ركع يكبر من الغافلين ويدخل في اجوال العابدين فان الاكياس يأخذون وزادهم من اول الليل
واما القوياء يأخذون زادهم من آخر الليل وان قرأ في صلاته هذه الفرقان والشعراء فيهما تلثمايه اية
فان لم يحسنهما قرأ خمسا من المفصل فيهن تلثمايه اية مثل الواقعة ون والحاقة وسأل سائل والمدثر فان
لم يحسنهن فمن الطارق الى خاتمة القرآن تلث مايه ٥ ولا يستحب للعبد ان ينام حتى يقرأ هذا
المقدار من الآي في هذا العدد من الركوع بعد العشاء الاخرة فان قرأ هذا الورد الثاني أعني بعد العشاء الاخرة
وقبل ان ينام الف اية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب من الفائزين وافضل
الآي اطولها لكثرة الحروف فان اقتصر على قصار الآي عند فتوره ادرك الفضل بحصول العدد من سورة
الملك الى خاتمة القرآن الف اية فان لم يحسن فقل هو الله احد مايتين وخمسين مرة في ثلث عشر ركعة فانها
فيها الف اية وهو فضل عظيم ٥ وفي الخبر من قرأها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ٥ ولا
يدع أن يقرأ هذه الاربع في كل ليلة يس وسجدة لقمن والدخان وتبارك الملك فان ضم اليهن الزمر والواقعة
فقد أكثر وطيب ٥ وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في السور التي لم يكن يدعها في كل ليلة
ثلثة احاديث اشهرها انه لم يكن ينام حتى يقرأ السجدة والملك والذي بعده انه كان يقرأ كل ليلة
بني اسرائيل والزمر والغريب منها انه كان يقرأ المسبحات كل ليلة ويقول فيها الزغايب وفيها اية
خير من الف اية وأفضل وكان العلماء يجعلونها ستا يزيدون سبح اسم ربك الأعلى ٥ وفي الخبر
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب سبح اسم ربك الأعلى فهذا يدل على انه كان يكثر قراءتها ٥ ولا
يدع أن يقرأ هذه الاربع في كل ليلة شون يس وسجدة لقمن والدخان وتبارك الملك فان ضم اليها الواقعة
والصف فقد أكثر وأحسن وان لم يكن من عادته القيام بالليل قدم الوتر بنية الخبر المروي عن ابي
هريرة أوصاني صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا للصلوة من الليل فلا
تاخير الوتر الى اخر صلوته من تهجده او الى السحر على حديث ابن عمر رحمه الله وفي حديث عايشة اوتر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اول الليل ومن اوسطه ومن اخره وانتهى وتره الى السحر فان نام على
وتر ورزق القيام لم يوتر بعده وكفاه وتره الاول على الخبر الذي جاء لا وتران في ليلة ٥ وقال

بعض العلماء يصلي ركعة واحدة يشفع بها وتره من اول الليل ٥ ثم يصلي صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته
وروي في ذلك اثر عن عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وان كان قد صلى ركعتين من جلوس
بعد وتره الاول ثم استيقظ للصلوة شفعنا وتره الركعة الواحدة لانها تمام له ركعة واحدة تشفع
له ركعة الوتر التي صلاها قبلها ثم ليصل من الليل مستانفا ما بدا له ثم يوتر بركعة واحدة في اخر صلاته
فيكون له في ذلك ثلثة اعمال فتحز الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وكذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين جالسا بعد وتره والله أعلم وكان يقرأ فيهما اذا زلزلت والتكاثر
وقل يا ايها الكافرون ولما في ذلك من التنزيه من عبادة سوى المعبود وتأخير الوتر ليكون من آخر
صلاته افضل لما فيهما من الوعيد والوعظ وتقديم الوتر مستحب لمن اخلفت عادته في قيام
الليل ولمن كان الاغلب عليه النوم وتأخيره ليكون من آخر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل ٥ وليقل
بعد التسليم من الوتر سبحان الله الملك القدوس رب الملايكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة
والجبروت وتفردت بالعظمة والملكوت وقهرت العباد بالموت تقول هذا ثلث مرات وهو الورد
الثاني من الليل اعني الصلوة بعد العشاء الأخرة الى حد نومة الثاني وقد اقسم به تعالى فقال والليل وما
وسق أي ما جمع من ظلمته وذكره تعالى في قوله الى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوثق
ظلمته ٥ ثم بنام ان أحب على طهارة وذكر وكان الصالحون لا ينامون الا عن غلبة ويكرهون النعسة
للنوم وهو التمهيد للعادة وقد كان منهم من مهد نفسه لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاته
بالليل في وسطه وآخره للفضل في ذلك ومن غلبه النوم حتى يشغله عن الصلوة والذكر فالسنة
ان ينام حتى يعقل ما يقول وينشط الى خدمته ٥ وكان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر
لا تكابروا الليل فانه يغلب ٥ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي من الليل فاذا
غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ليصل احدكم
من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا وقيل له ان فلانا يصلي الليل لا ينام ويصوم النهار لا يفطر فقال صلى الله عليه وسلم خير هذا
الدين اليسره لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال صلى الله
عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن شاده غلبه ولا تبغض نفسك عبادة الله ٥ والورد

التهجد بالنوم وهو النهج الذي ذكره الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولا يكون التهجد
الا بعد النوم ثم ذلك النوم هي الهجوع التي قللها تعالى من القائمين انا الليل فقال تعالى كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون والهجوع النومة والتهجد للقيام ويقال للجلوس ايضا وهذا يكون نصف الليل فهذا اوسط
الأوراد وهو يشبه الورد الأوسط من النهار وأفضل أوراده وهو افضل الأوراد وأمتعها لأهلها
وقد اقسم تعالى به فقال والليل اذا يسجى اذا سكن وسكونه هدوءه وسنة كل عين فيه وغفلتها اي
عين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الحي القيوم ٥ وقيل اذا يسجى امتد وطال ويقال اذا اظلم وسئل
صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل الغابر وروينا في اخبار داود الهي الى اجيء
اتعبدك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم أول الليل وآخره فانه من قام أوله نام آخره
ومن قام آخره لم ينم اوله ولكن وسط الليل حتى تخلو لي واخلو بك وارفع الي حوائجك ٥ والورد الذي
يكون بين الفجرين احدهما الفجر الأول وهو بدؤ سلطان شعاع الشمس اذا ظهرت من وراء الارض لها
سطع ضوؤها في وسط السماء حتى تقطعها بمقدار الفجر الأول ثم تغرق في الفلك الأسفل المتجانف
وتجمها الأرض السادس فيذهب الضوء ويعود سواد الليل كما كان لغيبة الشمس وهو الثلث
الأخير وفيه وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ونزول الجبار تبارك
سماء الدنيا وفيه الخبر الذي جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الليل افضل فقال نصف الليل
يعني الباقي وهو الورد الرابع من الليل الى السحر الأول ثم يدخل الورد الخامس وهو السحر الأخير وفيه
يستحب السحور فمن لم يتسحر في أوله بغتة الفجر وهو قبل طلوع الفجر الثاني بقدر صلوة ثمان ركعات
بمقدار قراءة جزء من القرآن ففي هذا الورد الاستغفار وقراءة القرآن وقد ذكره تعالى في قوله وقرآن الفجر
ان قرآن الفجر كان مشهودا قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار لتوسط هذا الورد بينهما
ولذلك ذهب اهل الحجاز الى ان الصلوة الوسطى التي نص الله على المحافظة عليها هي صلوة الفجر تعظيما
لهذا الوقت وتشريفا له لتوسطه بين آخر الليل وأول النهار وهذا الورد هو اقصر الأوراد وهو من
أفضلها من السحر الأول الى طلوع الفجر الثاني الا ما كان من صلوة نصف الليل وهو أفضل شيء من الليل وهو
اوسط الأوراد لأنه هو الورد الثالث وهو يشبه الورد الأوسط من النهار وهو وسطه وهذا
الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب ويصلح في هذا الورد الخامس من السحر الأخير القائم
لمن استيقظ ساعته أو لمن تمهر به صلاته والصلوة فيه لها شرف وفضل وهو اول نزول الرب تبارك
الليل بين العشاءين وأن معنى قوله تعالى وبالأسحار هم يستغفرون عند بعض المفسرين يصلون وذلك قوله
وقرآن الفجر يعني به الصلوة وكنى بذكر القرآن عن الصلوة لأنهما وصفان منها كما يقال
للصلوة التسبيح وسبحة لأن فيها التسبيح وكذلك للصلوة الاستغفار لأنه يطلب بها المغفرة وتكون
هذه الصلوة في السحر بدلا من السحور الى طلوع الفجر الثاني وقد امن بها سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زارة في
حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء يقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم
فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان
لأهلك عليك حقا وان لربك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط لكل ذي حق حقه وذلك ان
امرأة ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام بالليل فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال
صدق سلمان وهذا قبل الفجر الثاني والفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بدؤ بياضها الذي تحته
الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لأن شفقها الأول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة
البياض وهو الشفق الثاني من الليل وهو آخر سلطان الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم يتقلب
ذلك على الدوام فيكون بدؤ طلوعها الشفق الأول وهو البياض بعد الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول
سلطانها من آخر الليل وبعد طلوع قرص الشمس والفجر انبجار شعاع الشمس من الفلك الأسفل اذا ظهرت
على وجه الأرض الدنيا فتستر عينها الجبال والبحار والأقاليم المستديرة العالية ويظهر شعاعها
منتشرا الى وسط السماء عرضا مستطيرا فهذا آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر فاذا طلع الفجر
فقد انقضت اوراد الليل الخمسة ودخلت اوراد النهار فانظر هل دخلت في جملة دخوله عليك في جملة
الغابرين او خرج عنك وانت فيه من الغافلين وتفكر اي ساعة أنسك فانه تعالى جعل الليل لباسا هل
لبست فيه حلة الفوز بيقظتك فتنجو ام لبست ثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه
وهو حي بغفلته ثم يقوم العبد حينئذ ويصلي ركعتي الفجر وهما معنى قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار
السجود ركعتي الفجر ثم يقر اشهد الله الى آخرها ويقول وانا اشهد ما شهد به لنفسه وشهدت له به
ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي عند الله وديعة ان الدين عند
الله الاسلام أسألك يا رب حفظها حتى تتوفاني عليها اللهم احفظ بها عني وزرا واجعلها

بين يديك ذخرا حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا ٥ وأفضل ما عمل العبد في ورده من أوراد
الليل والنهار بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لأخيه المؤمن يعينه العلوة بتدبر الخطاب
وشاهد المحاسب فان ذلك يجمع العبادة كلها ثم بعد ذلك تلاوة القرآن بتيقظ نفس وفراغ قلب
وهم ثم أي عمل فتح له فيه من فكر او ذكر بزقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب فذلك افضل

ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه للاداء والقضاء وحكم الوتر

وفي الشهر ليلتان يعتبر بهما الانسان وقت الفجر احدهما مطلع القمر فيهما عند طلوع الفجر وهي ليلة
وعشرين والاخرى مغيب القمر فيهما عند طلوع الفجر وهي ليلة اثنتي عشرة من الشهر ومن طلوع الفجر الى
طلوع الشمس مقدار ثلثي سبع تلك الليلة وهذا يكون في الصيف وفي الشتا يكون اقل من ذلك بكثير
سدس تلك الليلة وهذا الورد الاول من النهار ووقت اداء الوتر من بعد صلاة العشا الاخرة الى
طلوع الفجر الثاني فاذا طلع الفجر الثاني ذهب وقت الاداء وبقي وقت القضا للوتر فليصل الوتر من لم يكن
الى وقت صلوة الصبح فاذا صلى الصبح ذهب وقت قضا الوتر ووقت الاداء لركعتي الفجر اذا طلع الفجر
فالمستحب له أن يصليهما في منزله وقبل صلوة الغداة والسنة ان يخففهما فاذا صلى الصبح ولم يكن صلاهما
فقد ذهب وقت الاداء وبقي وقت القضاء فليعجل حتى تطلع الشمس وتحل الصلاة فيقضيهما على
الضحى وهو وقت القضاء لركعتي الفجر الى صلوة الظهر فاذا صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب
قضاهما أيضا ٥ ومن فاته ورده من الاوراد مستحب له فعل مثله في وقته او قبله متى ذكره لا
سيما الليل والاثر ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة وان الساعة ثلثون شعيرة يأخذ كل واحد منهما
سبيل القضاء لانه لا يقضي الا الفرايض ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس ليأخذها بالعزايم
يعتاد التراخي والرخص ولاجل الخبر المأثور احب الاعمال الى الله عز وجل ادومها وان قل كقوله
حديث عايشة كالوعيد على ترك العباده من العباد فرون عن النبي صلى الله عليه وسلم من عبادته
يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم في كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلثين يوما فيزيد ساعة حتى يصير
عباده ثم تركها ملالة مقته الله قالت وكان اذا غلبه النوم او عاقه مرض فلم يقم في تلك الليلة
سبعة عشر يوما من كانون الاول فينتهي طول الليل وقصر النهار فكانت تلك الليلة اطول ليلة في السنة
من النهار اثنتي عشرة ركعة ومن دخل المسجد لصلوة الصبح ولم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله
وهي خمسة عشر ساعة وكان ذلك اليوم اقصر يوم في السنة وهي تسع ساعات ثم يأخذ الليل كل يوم شعيرة
صلاها واجزأته من تحية المسجد ومن كان صلاهما في بيته نظر فان كان دخوله المسجد بعد ما
حتى اذا مضت تسعة عشر ليلة من اذار استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنتي عشر ساعة ثم
طلوع الفجر واستبان النجوم صلى ركعتي تحية المسجد وان كان دخوله عند اتساق النجوم ومشيها
يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت تسعة عشر يوما من حزيران كان نهاية

كتاب ذكر معرفة الزوال وزيادته

الظل ونقصانه بالاقدام واختلاف ذلك في الصيف والشتا

قال الله سبحانه الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ٥
وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الآيتين وقال تعالى والشمس والقمر بحسبان ٥ وفي
حديث ابي الدرداء في صفة هذه الامة يراعون الظلال لاقامة الصلوة وقال احب عباد الله
الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقال بعض العلماء بالحسبان من اهل
الحديث والاثر ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة وان الساعة ثلثون شعيرة يأخذ كل واحد منهما
في كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة في الشهر وبين اول الشهر واخره ثلثون درجة الشمس
في كل يوم في درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من ايلول سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم
يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم في كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلثين يوما فيزيد ساعة حتى يصير
سبعة عشر يوما من كانون الاول فينتهي طول الليل وقصر النهار فكانت تلك الليلة اطول ليلة في السنة
وهي خمسة عشر ساعة وكان ذلك اليوم اقصر يوم في السنة وهي تسع ساعات ثم يأخذ الليل كل يوم شعيرة
حتى اذا مضت تسعة عشر ليلة من اذار استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنتي عشر ساعة ثم
يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت تسعة عشر يوما من حزيران كان نهاية

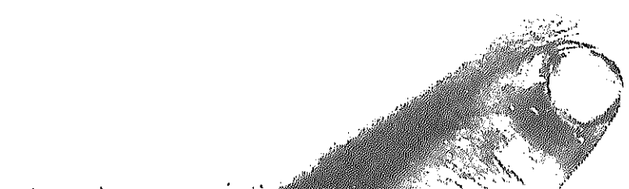

... وقصر الليل يكون النهار يومئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار
... يوم شعيرة حتى اذا مضت تسعة عشر من أيلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب
... ٥ قال فمواقيت الصلوة من ذلك ان الشمس اذا وقفت فهو قبل الزوال فاذا زالت ...
القليل فذلك اول وقت الظهر فاذا زادت على سبعة اقدام بعد الزوال فقد دخل وقت العصر
اخر وقت الظهر ٥ والذي جاء في الحديث ان الشمس اذا زالت بمقدار شراك فذلك وقت الظهر الى
ان يصير ظل كل شيء مثله فذلك اخر وقت الظهر واول وقت العصر هكذا صلى جبريل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اول يوم ثم صلى بالغد الظهر حين صار ظل كل شيء مثله فذلك اخر وقت الظهر
واول وقت العصر ثم صلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه وقال ما بين هذين وقت ٥ فاذا اردت
ان تقيس الظل حتى تعرف ذلك فانصب عودا او اقم قائما في موضع من الارض مستويا ثم اعرف موضع
منتهاه فخط على موضع الظل خطا ثم انظر اينقص الظل ام يزيد فان كان الظل ينقص فان الشمس
بعد ما دام الظل ينقص فاذا قام الظل فذلك نصف النهار وان كان يزيد فقد زالت الشمس ولا يصلح
الوقت صلاة فاذا زاد الظل فذلك زوال الشمس الى طلوع ذلك الشيء الذي قست به طول الظل
اخر وقت الظهر فاذا زاد الظل بعد ذلك قدما فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل ...
اخرى فذلك وقت العصر الثاني فاذا قمت فانما تريد ان تقيس الظل بطولك فان طولك ستة
سوى قدمك التي تقوم عليها فاذا قام الظل فاستقبل الشمس بوجهك ثم مر انسانا ان يعلم طرف ظلك بعلامة
ثم قس من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما اقل من سبعة اقدام سوى ما زالت عليه من الاقدام
في وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر حتى يزيد الظل على سبعة اقدام سوى ما تزول الشمس عليه من
فذلك وقت العصر ٥ والاقدام تختلف في الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص في الايام
فمعرفة ذلك ان في استواء الليل والنهار سبعة عشر يوما من اذار فان الشمس تزول يومئذ
الانسان ثلثة اقدام وكذلك ظل كل شيء تنصبه فان الشمس تزول يومئذ وظل ذلك الشيء ...
ثم ينقص الظل وكلما مضى ستة وثلثون يوما نقص الظل قدما حتى ينتهي النهار طوله وقصر الليل
ينتهي طول النهار من تسعة عشر يوما من حزيران فتزول الشمس يومئذ وظل الانسان نصف
اقل ما تزول عليه الشمس ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلثون يوما زاد الظل قدما حتى

الليل والنهار في تسعة عشر يوما فتزول الشمس ذلك اليوم والظل على ثلثة اقدام ثم يزيد الظل كلما
مضت اربعة عشر يوما زاد الظل قدما حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار وذلك تسعة عشر يوما من كانون
الاول فتزول الشمس يومئذ على تسعة اقدام ونصف وذلك اكثر ما تزول الشمس عليه ثم كلما مضت اربعة
عشر يوما نقص الظل قدما حتى ينتهي الى تسعة عشر يوما من اذار فذلك استواء الليل والنهار وتزول
الشمس على ثلثة اقدام وذلك دخول الصيف وزيادة الظل ونقصانه الذي ذكرناه في كل ستة وثلثين يوما
قدم في الصيف والقيظ وزيادته في كل اربعة عشر يوما قدم في الربيع والشتاء هذا ذكره بعض المتاخرين
من اهل العلم بالنجوم وذكر غيره من القدماء قريبا من هذا وذكر زوال الشمس بالاقدام شهرا بشهر
وخالف هذا في حدين من نهاية الطول والقصر فذكر ان اقل ما تزول الشمس عليه في حزيران على قدمين
وان اكثر ما تزول الشمس عليه في كانون على ثمانية اقدام والاول هو ادق تحريرا واقوم تحديدا وذكر هذا
ان الشمس تزول في ايلول على خمسة اقدام وفي تشرين الاول على ستة اقدام وفي تشرين الاخر على سبعة اقدام
وفي كانون الاول على ثمانية اقدام قال وذلك منتهى قصر النهار وطول الليل وهو اكثر ما تزول عليه الشمس
قال ثم ينقص الظل ويزيد النهار فتزول الشمس في كانون الاخر على سبعة اقدام وفي اشباط على ستة
اقدام وفي اذار على خمسة اقدام وذلك استواء الليل والنهار وتزول في نيسان على اربعة وتزول في ايار
على ثلثة وفي حزيران على قدمين وذلك منتهى طول النهار وقصر الليل وهو اقل ما تزول عليه الشمس
يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتزول في تموز على ثلثة اقدام وفي اب على اربعة اقدام
وفي ايلول على خمسة اقدام وفيه يستوي الليل والنهار ٥ وروينا عن الثوري ان اكثر ما تزول عليه
الشمس سبعة اقدام واقل ما تزول عليه قدم وهذا اقرب الى القول الاول في التحرير وروي في
... الاقدام لوقت الصلوة اثر فلذلك ذكرنا ما شرحه من عرفه وروينا عن ابي مالك الاشعري
... سعد بن طارق عن الاسود بن يزيد ان ابن مسعود قال كان قدر صلوة الظهر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثة اقدام في الصيف الى خمسة اقدام وفي الشتاء خمسا الى ستة اقدام وفصل الخطاب
في معرفة هذا الزوال ان هذا التحرير ليس بفرض وهو مما لا يضر جهله ولكن صلوة الظهر بعد يقين زوال
الشمس فرض وهذا مما لا يسع جهله فمتى زالت الشمس ببلوغ علمك ويقين قلبك ومنظر عينك وكانت
الشمس على حاجبك الايمن في الصيف اذا استقبلت القبلة فقد زالت لا شك فيه فصل الا ان يصير ظل

كل شيء مثله فهذا آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم طول العصير الى ان يصير ظل كل شيء مثليه
آخر العصر المستحب وإن تصفر الشمس وتدلى للغروب فهذا وقت الضرورات وهو مكروه
أو بعده ۵ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من ادرك من العصر ركعة قبل أن
الشمس فقد ادرك العصر ومن ادرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد ادرك
كانت الشمس في حاجبك الأيسر وانت مستقبل القبلة في الصيف فان الشمس لم تزل مبتلغ علك
عينك فاذا كانت بين عينيك فهو استواؤها في كبد السماء نظر عينك ويصلح ان تكون قد زالت
في اول الشتاء وقد لا تكون زالت اذا طال النهار وتوسط الصيف واذا صارت الى حاجبك
زالت في اي وقت كان ثم ان هذا يختلف في الشتا فاذا كانت على حاجبك الأيسر في الشتا
مستقبل القبلة فيصلح ان تكون قد زالت لقصر النهار في اول الشتا وقد لا يكون زالت اذا
النهار في اول الصيف فاذا كانت الشمس بين عينيك في الشتاء فقد زالت الشمس لا شك فيه فصل
فاذا صارت الى حاجبك الأيمن فهذا آخر وقت الظهر في الشتا وهو اول وقت الظهر في الصيف
التقدير انما هو لأهل اقليم العراق وخراسان وهم يصلون الى الركن الأسود تلقا الباب من
من الكعبة ۵ وأما اقليم المغرب واليمن فتقديرهم على ضد ذلك في قبلتهم وتقديرهم الى الركن
وموخر الكعبة فلذلك اختلف التقدير وتضاد الاختلاف التوجه الى شطر البيت وتفاوت
الأمصار في الأقاليم المستدير حوله فهذا كان تقدير المتقدمين وهو مستغنى عنه
ذلك من التدقيق والتحرير فحدث الآلة علم أهله ۵ ومن اشكل عليه الوقت لحمل الرواية
افضل له حينئذ ولكن ورد في الأثر ثلثة من مناقب الايمان الصيام في الصيف واسباغ الوضوء
الشتاء وتعجيل الصلوة في يوم الدجن ومن امثال العرب يوم الدجن يضرب فيه عبد اللئيم
لأن الوقت في الغيم كانه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل
الفرايض لا يعمل الا على يقين ۵ فاداؤها بعد دخول الوقت على يقين افضل من اداءها
الوقت على الشك الم تر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلثين
فترك الاحتياط في الفرايض خاصة واثر اليقين فانت تعلم ان الاحتياط صيام تسع وعشرين

شعبان لاحتمال ان يكون يوم الثلثين من رمضان ولكن يوم الأحد والثلثين من رمضان فكان صومه على
افضل من الاحتياط على الشك ۵ ومن صلى وهو يرى انه الوقت أو توجه الى القبلة فيما يعلم ثم تبين
انه اخطأ او صلى لغير القبلة نظر فان كان في الوقت او بعده قليلا اعاد الصلاة احتياطا وان
الوقت فلا شيء عليه وهو معفو عنه لسعه رحمة الله تعالى واحب ان يعيد ۵ وقال بعض العلماء
الشمس سبعة أزولة ثلثة منها لا يعلم بها البشر الزوال الاول الذي تزول عن قطب الفلك الأعلى
يشهده البشر ولا يعلمه الا الله والثاني عن وسط الفلك الأعلى لا يشهده البشر ولا يعلمه الا الله
ان الشمس الموكلون بها يسوقونها على العجلة المركبة في الفلك ويزمونها بحبال الثلج لينكسر حرها وحمها
شعاعها عن العالمين والزوال الثالث يعلمه ملايكة الأرض ثم ان الزوال الرابع يكون على ثلث
قايق وهو ربع سبعيره والشعيرة جزء من اثنا عشر جزأ من الساعة فهذا الزوال تعرفه الفلاسفة
من المنجمين واهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الافلاك فيه وتقدير سير الشمس في الشتاء والصيف في
منه فاذا زالت الزوال الخامس نصف شعيرة وهي ست دقايق عرف زوالها اهل الحساب
قاوم باصطلامات الطالع فاذا زالت شعيرة وهو الزوال السادس المشترك وهو جزء من اثنى عشر
من الكعبة ۵ وأما اقليم المغرب واليمن فتقديرهم على ضد ذلك في قبلتهم وتقديرهم الى الركن
وموخر الكعبة فلذلك اختلف التقدير وتضاد الاختلاف التوجه الى شطر البيت وتفاوت
الأمصار في الأقاليم المستدير حوله فهذا كان تقدير المتقدمين وهو مستغنى عنه
ذلك من التدقيق والتحرير فحدث الآلة علم أهله ۵ ومن اشكل عليه الوقت لحمل الرواية
افضل له حينئذ ولكن ورد في الأثر ثلثة من مناقب الايمان الصيام في الصيف واسباغ الوضوء
الشتاء وتعجيل الصلوة في يوم الدجن ومن امثال العرب يوم الدجن يضرب فيه عبد اللئيم
لأن الوقت في الغيم كانه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل
الفرايض لا يعمل الا على يقين ۵ فاداؤها بعد دخول الوقت على يقين افضل من اداءها
الوقت على الشك الم تر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلثين
فترك الاحتياط في الفرايض خاصة واثر اليقين فانت تعلم ان الاحتياط صيام تسع وعشرين

آخر العصر المستحب وإن تصفر الشمس وتدلى للغروب فهذا وقت الضرورات وهو مكروه
أو بعده ۵ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من ادرك من العصر ركعة قبل أن
الشمس فقد ادرك العصر ومن ادرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد ادرك
كانت الشمس في حاجبك الأيسر وانت مستقبل القبلة في الصيف فان الشمس لم تزل مبتلغ علك
عينك فاذا كانت بين عينيك فهو استواؤها في كبد السماء نظر عينك ويصلح ان تكون قد زالت
في اول الشتاء وقد لا تكون زالت اذا طال النهار وتوسط الصيف واذا صارت الى حاجبك
زالت في اي وقت كان ثم ان هذا يختلف في الشتا فاذا كانت على حاجبك الأيسر في الشتا
مستقبل القبلة فيصلح ان تكون قد زالت لقصر النهار في اول الشتا وقد لا يكون زالت اذا
النهار في اول الصيف فاذا كانت الشمس بين عينيك في الشتاء فقد زالت الشمس لا شك فيه فصل
فاذا صارت الى حاجبك الأيمن فهذا آخر وقت الظهر في الشتا وهو اول وقت الظهر في الصيف
التقدير انما هو لأهل اقليم العراق وخراسان وهم يصلون الى الركن الأسود تلقا الباب من
من الكعبة ۵ وأما اقليم المغرب واليمن فتقديرهم على ضد ذلك في قبلتهم وتقديرهم الى الركن
وموخر الكعبة فلذلك اختلف التقدير وتضاد الاختلاف التوجه الى شطر البيت وتفاوت
الأمصار في الأقاليم المستدير حوله فهذا كان تقدير المتقدمين وهو مستغنى عنه
ذلك من التدقيق والتحرير فحدث الآلة علم أهله ۵ ومن اشكل عليه الوقت لحمل الرواية
افضل له حينئذ ولكن ورد في الأثر ثلثة من مناقب الايمان الصيام في الصيف واسباغ الوضوء
الشتاء وتعجيل الصلوة في يوم الدجن ومن امثال العرب يوم الدجن يضرب فيه عبد اللئيم
لأن الوقت في الغيم كانه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل
الفرايض لا يعمل الا على يقين ۵ فاداؤها بعد دخول الوقت على يقين افضل من اداءها
الوقت على الشك الم تر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلثين
فترك الاحتياط في الفرايض خاصة واثر اليقين فانت تعلم ان الاحتياط صيام تسع وعشرين

الدقائق تنضج الشاعات وتتحرك الشاعات فتدير الفلك وتدور الأهلة فتنشر الليل [illegible] هذه الثلثة دون غيرها كانت هي الوسطى وأيضا فان الله سبحانه نص على ذكر الفجر في قوله
الخيط الأبيض من الخيط الأسود وتنشر الليل والنهار فتدور النهار في الآفاق ويتصفد الحساب بالبعض الى وقران الفجر كان مشهودا قيل في التفسير تشهده ملائكة الليل والنهار فكان
الأجساس انقطعت الأنفاس فاتفلت بالأفلاك فعندها تنتشر النجوم وتنفطر السموات وتكورت ذكرا لها بوصف آخر ليعرف توكيدا للمحافظة فان صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتظهر دار القرار وقال تعالى اذا الشمس كورت وقال تعالى يوم تمور السماء موراً يعني [illegible] شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر بطل ما قلناه وثبت قوله صلى الله عليه وسلم ولا اجتنبه
فسبحان اللطيف الحليم اذا زلت تلك الأفلاك الثواقب بهذه الأنفاس اللطاف كما يجب الفلك ثابتا وقد جاء ما يؤيده ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال هي التي شغل عنها اخي سليمان حتى
بستر الفضاء الكثيف فالفلك العظيم لا يحجب السماء والفضاء الرقيق يحجب الفلك لأنه ازداد [illegible] رق بالحجاب وكان هو الحق وبه أقول ٥ والسنة ان يقرأ في صلوة الصبح بسوره من المثاني
وأحب أن يخفي عنا الفلك فالبعد هو سبب لذلك ومخرب لذلك ولا يشعر بذلك فمداره أن [illegible] بطوال المفصل لأنها قصرت فعوض منها طول القيام فان كان جمع المصلين أو اكثر لعددهم اذا
وأنفاسه ساعاته وساعاته عمره وعمره أجله وأجله أخزنه وهو في غفلة بدنياه ولعب عما [illegible] وقت الوقت قبل ان تمحق النجوم فحسن فاما ان يسفر واحتى ينتشر البياض من تحت الحمرة فذلك هو
نظرت الى السماء رأيتها تنشق الأنفاس وان نظرت الى الأنفاس رأيتها تدبر الافلاك بقدرة الله [illegible] جاع الشمس فلا وان كثروا وصلاتها بغلس في القليل افضل ٥ والمحافظة على اوائل الأوقات
نظرت الى فوق الفوق عميت عما سواه فلا اله الا هو صنع الله الذي أتقن كل شيء ان ربي [illegible] كل صلوة من افضل الأعمال الا ما ذكرناه من تأخير صلوة العشاء الأخرة لأثر فيه وفي الحديث
سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال تعالى وفي الأرض آيات [illegible] صلى الله عليه وسلم قال فضل الصلوة في أول الوقت على الصلوة في اخر الوقت كفضل الاخرة على
وفي انفسكم أفلا تبصرون وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون سبحان [illegible] يخشى ويجنبها الأشقى ٥ فاما صلوة المغرب فافضل صلوة [illegible] الشمس الاعلى وهو غيبها عن الابصار وروي عن عمر انه اخر صلوة المغرب ليلة حتى [illegible] فاعتق رقبة وعن ان عمر انه اخر صلوة المغرب ليلة حتى ظهر كوكبان فاعتق رقبتين
ما صليت فيه الا الاخرة اذا غاب بياض الغرب وأظلم [illegible] الثاني
فاخيرها افضل الى ربع الليل او ثلثه او شطره ما لم ينم والنوم قبلها مكروه شديد
حسن فيه سنة ان تصلي بمقدار غيب القمر ليلة ثلث من الشهر وهذا يكون بعد سبع
من الليل لأثر منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العشا الأخرة [illegible]
ليلة ثلث ٥ وافضل ما صليت فيه صلوة الصبح اذا طلع الفجر الثاني وهي [illegible]
التي أورد الله ذكرها محافظتها لأنها تختص بمعان ثلثة من التوسط لا توجد في سائر الصلوات
انها بين الليل والنهار والثاني انها بين صلاتين من صلوة الليل وصلاتين من صلوة النهار
انها متوسطة بين صلاتي حمر وخضوت وايضا فانها أقصر الصلوات عددا لا ثلثا ولا أربعا

وصلاتي
لمع قراءة وتصحيحا

كتاب فضل الصلوات في الليالي والأيام

[illegible] ذلك ما روينا في صلوة النهار ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] ركعتين بعد المغرب في بيته [illegible] منزلك فضل ركعتين بمعاينة
[illegible] السوء ٥ وسعيد بن ابي سعيد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في صلوة الصبح
[illegible] توضأ ثم توجه الى المسجد ثم صلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة
[illegible] سنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتبت له بكل شعرة في جسده حسنة

فانقلب بحجة مبرورة إن جلس حتى يركع كتب له بكل حسنة ألف ألف حسنة ومن صلى أربعا
بذلك انقلب بعمرة مبرورة ٥ عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
أربع ركعات بعد زوال الشمس حسن قرائهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف
له حتى الليل ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول إن
في هذه الساعة فاحب أن يرفع لي فيها عمل قيل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل

ذكر صلوة يوم الاحد

وبسعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى اربع ركعات يوم الأحد يقرأ في
ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية عشر حسنات
ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة وأعطاه في الجنة بكل حرف
مسك أذفر وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحموا الله بكثرة الصلوة
فانه واحد فمن صلى يوم الأحد بعد صلوة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الاولى
الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك وتشهد وقام وصلى ركعتين
الكتاب والجمعة وسأل الله حاجته كان حقا على الله ان يقضيها ويبر به مما كانت النصارى عليه

ما جاء في صلوة يوم الاثنين

قال أبو القسم قال أبو طالب اول ما رويناه في صلوة النهار ابو سلمة عن أبي هريرة وابو الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في
ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي
عشر مرات ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
فرغ من صلاته قرأ قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة

وسلم

وانقلب بخير مبرور ٥ عطاء بن يسار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

اربع ركعات بعد زوال الشمس حسن قرائهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف

له حتى الليل ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان

في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل قيل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا

وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل

ذكر صلوة يوم الاحد

وبسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى اربع ركعات يوم الاحد يقرأ

في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية عشر حسنات

ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه في الجنة بكل

مسك اذفر وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجدوا الله بكثرة الصلوة

فانه واحد فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة قبلها في

الكتاب وتنزيل السجدة في الثانية فاتحة الكتاب والملك وتشهد وقام وسلم يقضي

الكتاب والجمعة وسأل الله حاجته كان حقا على الله ان يقضيها ويبر به مما كانت النصارى عليه

ما جاء في صلوة يوم الاثنين

قال ابو القاسم قال ابو طالب اول ما رويناه في صلوة النهار ابو سلمة عن ابي هريرة وابو الدرداء

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ

ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب

عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها

ذكر فضائل صلوة يوم الجمعة

ذكر صلوة يوم الثلثا

عبد الرزاق عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات عند انتصاف

النهار وفي لفظ اخر عند ارتفاع النهار قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة واحدة

قل هو الله احد ثلث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى

سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة ٥

ذكر صلوة يوم الاربعا

ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع

النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك تحت العرش

يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودفع الله عنك عذاب القبر

ووضع عنه شدايد القيمة ودفع له من يومه عمل نبي ٥

ذكر صلوة يوم الخميس

ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم من صلى بين الخمس ما بين الظهر والعصر ركعتين

ذكر فضائل صلوة يوم الجمعة

ذكر صلوة ليلة الاحد

عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاحد عشر ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة ونبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله ونوحا نبي الله وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا الله سبحانه ولدا ومن لم يدع له ولدا وبعثه يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين ٥

ذكر صلوة ليلة الاثنين

عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله احد اربعين مرة ثم تشهد وسلم وقال قل هو الله احد [illegible] سأل الله حاجة [illegible]

ذكر صلوة ليلة الثلثا

عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الثلثا ركعتين يقرأ في [illegible] وقل هو الله احد خمس عشرة مرة وقل اعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة وقل اعوذ برب الناس خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم اية الكرسي خمس عشرة مرة وليستغفر الله خمس عشرة مرة جعله من اصحاب الجنة ولو كان من اصحاب النار وغفر له ذنوب السر وذنوب [illegible] كتب له بكل حرف منه مثل ملء ما بين الثرى الى العرش ستمائة شهيد ٥

ذكر صلوة ليلة الاربعاء

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة [illegible]

عن الحسن بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس ذراعا فيدرج او اكثر من ذلك فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم صلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحى عنه مائتي سيئة ٥ ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ٥ ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ٥ ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحى عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة ٥ ابو صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح يوم الجمعة في الجماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة ٥ ومن صلى صلوة الجمعة في جماعة كان له في الفردوس خمسون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الجواد خمسين سنة ٥ ومن صلى العصر في جماعة فكأنما اعتق ثمانية من ولد اسمعيل كلهم قد وجبت لهم النار ٥ ومن صلى المغرب في جماعة فكأنما حج البيت حجة مبرورة وعمرة متقبلة ٥ نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المسجد مع امام يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة واحدة وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له

ذكر صلوة يوم السبت

سعيد عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ وسلم قرأ اية الكرسي كتب الله له بكل حرف منه [illegible]

ذكر فضائل صلوة الجماعة

[illegible] مع الامام كتب له برأة من النار وبرأة من النفاق ٥

ذكر ما جاء في صلوات الليالي وبين المغرب والعشاء مما ذكر

فاتحة الكتاب مرة واحدة وقل هو الله احد [illegible]

والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد
مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجهر
لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان ظالما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء

ذكر صلوة ليلة الخميس

محمد بن علي بن جعفر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء
ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكأنما عبد الله اثنتي عشرة سنة صام نهارها

ذكر صلوة ليلة الجمعة

كثير بن سليم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في
وصلى ركعتين السنة ثم صلى بعدها اثنتي عشرة ركعة قرأ في كل ركعة منهن الحمد لله وقل هو الله
مرة والمعوذتين مرة مرة ثم تشهد في كل ركعتين تمام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فاذا
قال صلى الله عليه وسلم ليلة

ذكر صلوة ليلة السبت

كثير بن شنظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة
بنى له قصر في الجنة وكاتما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية والنصرانية

ذكر فضائل الصلوة ما بين العشاءين وما يختص بذلك الوقت

سليمان بن [illegible] عن [illegible] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول
عليه وسلم يأمر بصلاة غير مكتوبة فقال نعم ما بين المغرب والعشاء ۝ ابو صخر سمع محمد بن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى بين المغرب والعشاء فانها صلوة الاوابين ۝ عبد
الاسود عن ابيه قال ما اتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة قط الا وجدته قائما يصلي

والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد
مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجهر
لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان ظالما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء

ذكر صلوة ليلة الخميس

محمد بن علي بن جعفر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء
ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكأنما عبد الله اثنتي عشرة سنة صام نهارها

ذكر صلوة ليلة الجمعة

كثير بن سليم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في
وصلى ركعتين السنة ثم صلى بعدها اثنتي عشرة ركعة قرأ في كل ركعة منهن الحمد لله وقل هو الله
مرة والمعوذتين مرة مرة ثم تشهد في كل ركعتين تمام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فاذا
قال صلى الله عليه وسلم ليلة

ذكر صلوة ليلة السبت

كثير بن شنظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة
بنى له قصر في الجنة وكاتما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية والنصرانية

ذكر فضائل الصلوة ما بين العشاءين وما يختص بذلك الوقت

سليمان بن [illegible] عن [illegible] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول
عليه وسلم يأمر بصلاة غير مكتوبة فقال نعم ما بين المغرب والعشاء ۝ ابو صخر سمع محمد بن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى بين المغرب والعشاء فانها صلوة الاوابين ۝ عبد
الاسود عن ابيه قال ما اتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة قط الا وجدته قائما يصلي

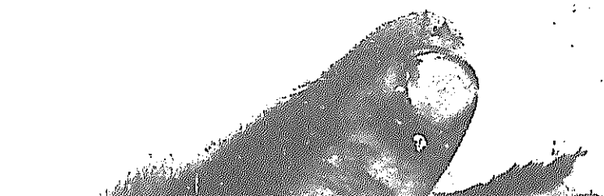

صف في كل صفة الف خيمة في كل خيمة الف سرير من اصناف الجواهر على كل سرير الف فراش
من استبرق وظواهرها من نور منضد والف مرفقة من هذا الطرف والف من الطرف
تلك الفرش زوجة من الحور لا توصف بشيء الا زادت عليه كمالا وجمالا لا يراها ملك
ولا نبي مرسل الا افتتن بحسنها قد ملأ منكباها ما بين طرفي السرير على كل زوجة منهن الف
لا توازي حلة حلة ولا توازي الحلل كلها الحلل يرى بعضها من بعض كما يرى السلك من الياقوت
يرى الشراب الاحمر في زجاجة بيضا لكل زوجة منهن الف وصيف ومائة الف جارية
الف قهرمان على قصورها وضياعها هذا لها خاصة دون خدم زوجها في كل خيمة منهن
ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل وعين من السلسبيل وغصن من
وغصن من سدرة المنتهى في كل خيمة مائة الف مائدة من الدر والياقوت والجوهر
الف لون من طعام مختلف طعمه ولونه وريحه ومذاقه يعطي الله وليه المومن من القوة
الاطعمة والاشربة ويأتي على اولئك الازواج من الحور كلهن في مقدار يوم من ايام الدنيا
[illegible] عن سعيد بن ابي سعيد [illegible]
[illegible]
ان صلوة العشاء الاخرة مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك له قضيت
ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا قمت
منزلك و[illegible] احدا فصل ركعتين تقرأ فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وقل
[illegible] لا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله سبعا ثم ارفع راسك من السجود
[illegible] وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والاخرين يا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا
ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي وادم الصلاة عليه حتى يذهب
فقلت احب ان تعلمني ممن سمعت هذا الدعا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين
الدعا واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بحضرة مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان

هذا الدعا من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل
ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه ادخل الجنة ورأى فيها الانبيا ورأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه ولهذا فضايل كثيرة اختصرناها للايجاز وكراهية التطويل

ذكر الوتر وفضل صلوة الليل

[illegible]رك بن عوف الاحمسي عن عمر بن الخطاب قال ان اكياس الذين يوترون اول الليل والاقويا يوترون
[illegible] الليل وهو افضل ه وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر فقال متى توتر فقال
اول الليل قبل ان انام وقال لعمر رضي الله عنه متى توتر فقال اخر الليل فقال لابي بكر حذر
وقال لعمر قوي هذا ه وفي بعض الاخبار انه قال لابي بكر مثلك [illegible] قال احرزت نهبي وابتغي
افلا وقال لعمر انك لقوي مكين او كما قال ه وروينا عن عثمن رضي الله عنه انه قال اما انا فاوتر
[illegible] الليل ثم اذا استيقظت صليت ركعة شفعت بها وتري فما شبهتها الا كالغريبة من الابل
[illegible]ها الى اخواتها ثم اوترت من اخر صلاتي والمشهور عنه من فعله انه كان يحيي الليل كله بركعة
يختم فيها القران هي وتره ه وروينا عن علي كرم الله وجهه انه قال الوتر على ثلثة انحاء ان
[illegible] ثم ان [illegible] الليل صليت ركعتين وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها
[illegible] ثم اوترت اخر الليل وان شئت اخرت الوتر حتى يكون اخر صلاتك ه وفي حديث ابن عمر صلوة
[illegible] مثنى مثنى فاذا خشيت الصبح فاوتر بركعة [illegible]
[illegible] بعد العشا كن كعدلهن من ليلة القدر قال حصين فذكرت ذلك لابراهيم فقال كان
[illegible] مسعود يكره ان يتبع كل صلاة بمثلها وكانوا يصلون العشا ثم يصلون ركعتين ثم اربعا فمن بدا
[illegible]ل يوتر اوتر ومن اراد ان ينام نام فقد قال صلى الله عليه وسلم اوتروا يا اهل القران ه وقالت
[illegible]شة من كل الليل قد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوله ووسطه وانتهى وتره الى السحر
[illegible] الخبر كان عليه السلم يوتر عند الاذان ويصلي الركعتين عند الاقامة ه وسأل رجل عليا رضي
الله عنه عن وقت الوتر فسكت عنه ثم خرج اليهم عند الاذان لصلوة الفجر فقال اين السايل عن الوتر
[illegible] وقت الوتر هذا وقت وتر حسن ه ابو امامة عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا [illegible] أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن [illegible]
[illegible] قلت يا رسول الله أي الصلاة أفضل قال نصف الليل الغابر
وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام أي الليل أسمع فقال إن العرش يهتز ○
وفي الخبر أن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرا إلا أعطاه [illegible]
يصلي أو يدعو إلا استجيب له وهي في كل ليلة ويقال إن من الليل وقتا لا بد أن ينام فيه [illegible]
ذي عين إلا الحي القيوم الذي لا يموت ولعلها هذه الساعة ○ وروي عنه صلى الله [illegible]
انه قال إذا مضى نصف الليل وفي أخرى إذا بقي ثلث الليل الآخر نزل الجبار إلى سماء الدنيا فيقول
من عبادي غيري هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأستجيب
سائل فأعطيه سؤله فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر ○ وفي حديث عمرو بن عبسة [illegible]
آخر الليل فإنها مشهودة محضورة يعني تحضرها ملائكة الليل والنهار ○

كتاب جامع ما جاء في القول عند النوم وال[illegible]

ذكر ما يستحب أن يقول العبد إذا استيقظ من نومه

فليقل إذا استيقظ من منامه بكرة أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والسلطان
والليل والنهار والسلطان لله والعظمة لله والقدرة لله والعزة لله أصبحنا على فطرة الإسلام
[illegible]
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في يومنا هذا إلى كل خير
أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا الآية أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأ[illegible]
شر هذا اليوم وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله بسم الله ما شاء الله ما شا[illegible]
الخير إلا الله بسم الله ما شاء الله لا يكشف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله [illegible]
الله لا قوة إلا بالله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه نبيا ربنا عليك توكلنا [illegible]
وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا الآية ويقرأ المعوذتين إذا أمسى قال [illegible]

[illegible] يقول أمسينا وأمسى الملك لله وأسألك خير هذه الليلة وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر
ولا يدع أن يقول في كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم
أعوذ بكلمات الله التامة وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر وشر كل دابة أنت
آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ○ وإن كان دخوله الخلاء وقت السحر كان أفضل لئلا يشتغل عن
[illegible] ونجعل ذلك في آخر النهار وأول الليل فقد فعل ذلك كثير من الصالحين وهو حسن إلا أن دخول
[illegible] عند الصباح أصلح للجسد من ناحية جهة الطب وأنظف للطهارة لأشياء الذي لا يأكل بالنهار [illegible]

ذكر ما يستحب من القول إذا أخذ العبد مضجعه للنوم

[illegible] باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه اللهم إن أمسكتها فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها
فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ○ وعلم صلى الله عليه وسلم البراء بن عازب أن يقول إذا أخذ
مضجعه اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ منك إلا إليك
آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت ○ وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول
[illegible] الحمد لله الذي
[illegible] الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ○ وليقل بعد
[illegible] اللهم إني أسألك الراحة بعد الموت والعفو عند الحساب أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك
[illegible] عبادك وشر الشيطان وشركه وأعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن
يحضرون ○ وليقرأ خمسا من أول سورة البقرة وثلاثا من آخرها وآية الكرسي والآيتين بعدها
[illegible] وإلهكم إله واحد الآيتين ويقال من قرأ هذه الآي عند منامه حفظ [illegible]
[illegible] هذه الآية من سورة الأعراف إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض الآية وآيتين من آخر
[illegible] يحفظه ويستغفر له ويقرأ خمسا من أول الحديد والثلث
[illegible] قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه
[illegible] جسده وهكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله ويقرأ عشرا من أول
[illegible] وعشرا من آخرها وهذه الآي لقيام الليل وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة قل يا أيها الكافرون عند

[illegible] يوم وقال تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ويقال [illegible] فلان عن أبيه ورجع عن عزمه [illegible] عن ذلك مما يدل على أن المراد به [illegible] مظاهرهم وذهبت طائفة [illegible] من الناس إلى السكوت عن التأويل

النوم لأنها براءة من الشرك وإخلاص بالتوحيد ٥ وقال علي رضي الله عنه ماكنت أحسب
... عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة يعني آمن الرسول وهذه
... اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال لديك وقربني إليك
... سخطك بعدا أسألك يا رب فأعطني وأستغفرك فاغفر لي وأدعوك فاستجب لي
تجعلني ممن يأمن مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك
من الغافلين يقال من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط الله تعالى إليه ثلاثة أملاك
للصلوة فإذا صلى دعا فاستجيب له وإن لم يقم صفت الملائكة أقدامها في الهواء فيعبدون
عبادتهم ثم يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبر أربعا وثلاثين وإن أحب ربعها خمسا
مرة وزاد فيها التهليل وأن يقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول
بالله العلي العظيم خمسا وعشرين مرة فيصير جميعهن مائة كلمة وهو أخف عليه ...
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وندب إليه أدبار الصلوات الخمس ٥ وروينا عن مطرف عن
عن عائشة قالت كان أكثر ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينام وهو واضع خده
ويرى أنه ميت في ليلته اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ...
التوراة والإنجيل والقرآن فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت
الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني ...

ذكر هيئة العبد عند النوم وهيئته عند المضجع ومرجانى الا...

... على ... والا مسح أعضاءه مسحا بالماء وكانوا يستحبون السواك ...
كما يستحبونه عند اليقظة منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكان بعض السلف يجعل
سواكه لذكر الله تعالى وقراءة القرآن وطهورا فإذا انتبه من الليل ...
... الله عز وجل بالقراءة والتسبيح وكانوا يعدون هذا بعدل قيام الليل ٥ وروي ...
و... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يستاك بالليل مرارا عند كل قومة من نومه ...
وسواكه عند رأسه وينوي قيام الليل أي وقت استيقظ يتوضأ ويصلي أو يقعد ويقرأ حزبه ...

... الدنيا كالأحلام في النوم ومنه قوله تعالى

التوهم لأن براءته من الشرك وإخلاصه بالتوحيد ٥ وقال علي رضي الله عنه ما كنت أحسب أن
[illegible] قراءة سورة البقرة يعني من الرسول وهذه لقيام
[illegible] ٥ وفي الخبر إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإلا لم تكن
[illegible] قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات لا تصدق وهي أضغاث ولا ينبغي للعبد إذا نام ليتنبر وله
[illegible] وصى فيه الا ووصيته مكتوبة عنده ويقال من مات على غير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ إلى
[illegible] القيامة يتزاورون الأموات ويتحدثون وهو لا يقدر على الكلام فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير
من الغافلين يقال من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط الله تعالى إليه ثلثة أملاك
للصلوة فإذا صلى دعا فاستجيب له وإن لم يقم صفت الملائكة أقدامها في الهواء فيعبدون ربها
عباد تهم تسبيحة ثلثا وثلثين ويحمدونه ثلثا وثلثين ويكبرونه أربعا وثلثين وإن أحب ربعها خمسا وثلثين
مرة وزاد فيها التهليل وإن قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا
بالله العلي العظيم خمسا وعشرين مرة فهن مائة كلمة وهو أخف عليه المداومة
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وندب إليه إدبار الصلوات الخمس ٥ وروينا عن مطرف عن
عن عائشة قالت كان آخر ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نام وهو واضع خده
ورأى أنه مت في ليلته [illegible] التسبيح وترتيب العرش
التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته
الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني

ذكر هيئة العبد عند النوم وهيئته عند المضجع ومع أهله إلى الانتباه

يتيمم لها على الفور ولا منبغي أعضاءه ممسحا بالماء وكانوا يستحبون الوضوء
كما يستحبونه عند اليقظة منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكان بعض السلف يحب
سواك بذكر الله تعالى وقراءة القرآن وطهوره فإذا انتبه من الليل استن وتوضأ
وذكر الله عز وجل بالقراءة والتسبيح وكانوا يعدون هذا بعد قيام الليل ٥ وروينا
وعن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يستاك بالليل مرارا عند كل قومة من نومه
وسواكه عند رأسه وبنو قيام الليل أي وقت استيقظ بتوضأ ويصلي أو يقعد ويقرأ حزبه أو
[illegible] وإذا كشف الغطاء ظهرت الآخرة بالقدنة فصارت الدنيا كالأحلام في النوم ومنه قوله تعالى

ذكر الله تعالى فيه الدليل على أن النوم ليس بحدث وإلا لوجب الوضوء منه
[illegible] من فضله فقال تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله
[illegible] من زهاد التابعين إذا رقد لا يجعلون بينهم وبين الأرض شيئا كانوا يأتون
[illegible] فيقول لهم قوموا فيقال له في ذلك فيقول منها خلقنا كم وفيها نعيدكم الآية
[illegible] ويحدون ذلك أرق لقلوبهم وأبلغ في تواضعهم ٥ وليتم العبد على الاعتبار والفكر
[illegible] في نومه تبصرة وتذكرة ومثل النوم عند بعض أهل الاعتبار مثل البرزخ هو بين الدنيا والآخرة
[illegible] النوم بين الحياة والموت وهو البرزخ بين الإدراك والفوت فإذا كشفت جبت النوم ظهرت الدنيا

وهو الذي يتوفاكم بالليل الآية والنوم دليل على الموت ومثاله يعتبر به في هذه الدار التي ينتفع فيها بالرأي

وكان يشهر بقول جهال من يعصي الله تعالى كيف ينام بعد ذلك ٥ وحكى بعض العارفين عن الله تعالى

انه قال لو كنتم تعصوني ثم خرجوا عن سلطاني ولا تناموا في قبضتي ٥ وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت

تؤمن بالموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنبه اذا نمت فكما انك تنبه

من نومك كذلك تبعث اذا مت يريد ان النوم يدخل عليه ضرورة فيذهب به فلا يستطيع الامتناع منه وان

اليقظة تدخل عليك من غير اختيارك فتنبهك فلا تقدر على دفعها فكذلك الموت والبعث يحلان بك من غير

اختيار منك فليتذكر العبد نومه حين مونه وليعلم ان الله عز وجل يكون له بعد موته كما كان له بعد

مونه ونومه فلينظر على اي حال ينام وعلى اي هيئة يتوفاه الله وليتذكر بانتباهه البعث وانه يبعث

قبره على مثل ما مات عليه في الدنيا فيحشر مع محبوبه الى محبوبه كما ينتبه النائم عن

المحبوب الذي نام عنه ٥ وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وله ما احتسب

بالمد اعد على مرتبة من الزاية وبعث عليها يوم القيمة ٥ وروينا عن لبابة الاجار اذا نامت

الليل حتى يصبح نهارا وفاه ع ٥

ذكر بيان اخر من الاعتبار لاهل البصائر والتذكار

وليعلم العبد ان الله عز وجل يكون له بعد يقظته من نومه كما كان له العبد بعد يقظته من نومه فليظن

ان الذي حفظه في نومه حتى رد عليه روحه حين سلبه منه جل وعز قادر على ان يحفظه في

العبد لنظر مولاه مكرما ولاحسانه معظما والى مسترته من النعيم المقيم ومرضاته مسارعا

وان الذي جل وعز يحفظه مكرما ولشانه معظما والى مسترته من النعيم المقيم مسارعا

وان الذي يحفظه ليلا ونهارا مستحفظا ولشعاره مستشعرا كان احق

واشد حياء وانا والى ما يكره من العذاب الأليم مسارعا قال الله عز وجل وما يستوي الأعمى والبصير

والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ثم قال تعالى قليلا ما يتذكرون موبخا لهم بذلك وقال سبحانه

المسلمين كالمجرمين الآية ثم قال تعالى مالكم كيف تحكمون ذاما اياهم على حكمهم ثم اخبر تعالى بحكمه فيه

فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الآية هكذا اتفقت

ذكر ما يستحب من القول عند القيام للتهجد

اذا قام من الليل للصلاة فليقل الحمد لله الذي احياني بعد ما اماتني واليه النشور ٥ وليقرأ العشر الاواخر

من سورة آل عمران وليستن وليتوضأ فاذا فرغ من وضوءه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا الله

واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك

واتوب اليك واستغفرك اذكرك واصيلا وبكرة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

واشهد ان محمدا عبده ورسوله اعوذ بك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك

ذكر تشمير قيام الليل وهمم ووصف العاملين والقائمين

قرن الله عز وجل قوام الليل برسوله صلى الله عليه وسلم وجمعهم في شكر معاملته بمعه وحسن
تعالى أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه الآيات وأخبره سبحانه أن قراءة الليل
للقلب فقوم قيلا للحفظ والذكر إذ أبي بواطئ القلب اللسان الفهم وإلى لفظ الذي أشد
تمكينا وتثبيتا وسمى تعالى أهل الليل علما وجعلهم أهل الخوف والرجاء وأخفى لهم قرة الأعين من
قوم يقطعهم الليل فهؤلاء لمزيدون دون الأوزاد وآخرون كابدوا الليل فغلبهم وقوم

كذا

ذبي

خ
نقيس

خ
ثلثيه

كتبه معنا وعند الاوكا
كتبه قبل الساعة الاولى
كتبه من سورة

قطعوا الليل وزهولاء العاملين الذين صبروا على زهمتهم يتوكلون ضايزوا الليل فلبوا
ر الليل فكان هؤلاء المحبين العلماء اهل التذكر والفكر والمجالسة والانس والمجاهدة والله
والتمق والالفاة نعص الليل عليهم جاهر وقصر النعيم عليهم ليلهم ورفع الحبيب عنهم نومهم
عليهم قيامهم وأذهب من بدا الوصل عنهم مللهم وأوصل العناب سهرهم ٥ وقيل لبعض اهل
والليل فقال ما رأيته قط بدني ولا راحته الا وانصرف عني وما ناملته ٥ وقال آخر
كفرسي رهان فمرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الذكر ٥ وقيل لآخر كيف الليل
ساعة انا فيها بين جالين أفرح بظلمته اذا جاء واغتم بخبره اذا طلع فما تم فرحي به قط ولا
قط ٥ وقيل لبعض المحبين كيف الليل فقال ما أدري كيف أنا فيه الا اني
ووقفة بفجاز عنه فاندزعه ثم يسفر بن قبل أن تلبسه فال

يضيفني ليل حتى اذا أراد أن يمضي تعلقت به
فليت ليلي لم ينزل سرمدا والصبح لم أنظر الى كوكبه

وقال آخر

لم أستتم عناقه لقد ومه حتى بدا تسليمه لوداعه

وشكى بعض المريدين الى استاذه ظ[illegible] بالليل وأنه قد أضره فقال فاخبرني بما
فقال له استاذه يا بني ان الله تعالى يتجلى في الليل والنهار ينصب القلوب المنيقظة ونحن
القائمة فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل الا بالقيام
قوم فضل عليهم فقال بعضهم امرانا
منذ اربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر ٥ وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس
الليل الظلام
الليل لطلوني فيه بزين فاذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس عليّ ٥ وقال ابو سليمان اهل الليل
من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال لو عوض الله اهل الليل
ما يجدون في قلوبهم من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم ٥ وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
نعيم الآخرة واهل الجنة الا ما يجده اهل التملق بالليل في قلوبهم من حلاوة المناجاة ٥
قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا انما هو من الجنة

وقال عتبة الغلام كابدت الليل
شرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ٥ وقال يوسف بن اسباط قيام ليلة أسهل عليّ من عمل
كان يعمل الفعاف في كل يوم عشر فعاف ٥ وقال غيره ما رأيت أعجب من الليل ان اضطرت تحفى
يك وان ثبتّه لم يقف لك ٥ وبكى عامر بن عبد قيس حين حضرته الوفاة فقيل له في ذلك فقال والله ما
كي جبنا للبقاء في دار الفناء ولكن ذكرت ظمأ الهواجر في الصيف وقيام ليل الشتاء ٥ وقال ابن المنكدر ما
من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخ في الله تعالى وصلوة في جماعة ٥ وقال بعض العلماء من
ار فين ان الله عز وجل لينظر في الاسحار الى قلوب المنيقظين فيملأها انوارا فتزداد الفوائد على قلوبهم فتنفيض
تنشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب الغافلين ٥ وقال بعض العلماء ان الله تعالى ينظر الى الجنان نظرة
السحر فتشرق وتضيء وتهتز وتربو وتزداد جمالا وحسنا وطيبا الف الف ضعف في جميع معانيها ثم
تقول قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون ثم يقول عز وجل هنيئا لك منازل الاولياء الملوك
وهم زني وجلالي لا اسكنك جبارا ولا بخيلا ولا متكبرا ولا فخورا وينظر الى العرش نظرة فيتسع الف
الف سبعة يزداد بكل سبعة الف الف علم بالله كل علم لا يعلم علم وسبعة الا الله ثم يهتز ويثقل على الحملة
حتى موج بعضهم في بعض ويحطم بعضهم بعضا بعدد جميع ما خلق الله واضعاف اضعاف جميع ما خلق
تقول سبحانك ابن ما كنت وابن تكون فينادي حملة العرش سبحان من لا يعلم اين هو الا هو سبحان
لا يعلم ما هو الا هو ٥ وروينا عن بعض العلماء القدماء ان الله عز وجل اوحى الى بعض الصديقين أن لي
ادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاقهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر
ينصحون لقاني فاول ما اعطيهم اقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني

لو كانت السموات والأرضون وما فيهن لهم وفي موازينهم لاستقلتها لهم والثالث أقبل على
اشتري من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ما أريد به وما أعطيه ٥ وقال مالك بن دينار إذا
يتهجد بالليل ورتل القرآن كما أمر قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال وكانوا يرون أن ما يجلو
من الرقة والبكاء وتلك الفتوح والأنوار من قرب الباري تعالى من القلب ٥ وفي الأخبار
وجل يقول يا عبادي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورك ٥ وعنه صلى الله عليه
ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن يعني ما استمع الله إلى شيء استماعه إليه ٥ وقال
لله أدنى إلى صاحب القرآن من صاحب القينة إلى قينته وأهل الهوى في غفلة عما أهل الآخرة فيه
يبصر الحاضرون إليه وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون
في غفلة من هذا ويطبع على قلوبهم فهم لا يبصرون ٥ وقيل إن وهب بن منبه ليفيق
على الأرض منذ ثلثين سنة وكانت له مسوحة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها
خفقات ثم يفزع إلى القيام وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى فيه
يعني أنها تدعو إلى النوم ٥ وقال رقبة بن مصقلة رأيت رب العزة في المنام فسمعته يقول
وجل لا يأكل من مشوى سليمان التيمي فإنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال
مذهبه أن النوم إذا خالط القلب وجب الوضوء

ذكر ما روي عنه أنه أحيى الليل كله

ومن أشهر من يحيي الليل كله من التابعين [illegible] أربعون رجلا من التابعين منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن
ابن الورد المكيان وطاووس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم بن عتبة الكوفيان
وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادان وأبو محمد حبيب وأبو جابر
الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ورباح القيسي وضيغم الراسبي وعطاء السلمي
الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكا البصريون وكهمس بن المنهال ٥ وكان نجم في الشهر
ختمة وما لم يتم منه دعا فيه فقرأه مرة أخرى ٥ ومن أهل المدينة أبو حازم سلمة

بلغ قراءه وصحح

يام سلمه ومحمد بن المنكدر وجماعة يكثر ذكرهم وعددهم هؤلاء المشهورون فيهم فإن أحب المزيد نام ثلث
يل وقام ثلثه ونام سدسه فقد روي أن هذا أفضل القيام فإنه كان قيام نبي الله داود عليه السلام
ذلك في روايتين ٥ فإن أحب العبد قدم القيام فيهما وأخر وتره إلى السحر فإن قام نصف الليل فنام نومة
في أول الليل وأخره وإن قام ثلث الليل نام سدس الليل الأخير ٥ وإن اختار أن ينوم من أول الليل
حتى يغلبه النوم ثم ينام ثم يقوم متى استيقظ ثم ينام متى غلبه النوم ثم يقوم آخر الليل فيكون له في الليل
نامان وقومتان وهذا من مكابدة الليل وهو من أفضل القيام على القائمين وأشد الأعمال وهي طريقة أهل
ضور واليقظة وأهل الأفكار والتذكرة وكان ذلك من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ما كنت أريد أن أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما إلا رأيته ولا كنت أريد أن أراه نائما إلا
وكان مذهب ابن عمر وأولوا العزم من أصحابه في قيام الليل وفعله جماعة من التابعين ورأينا
كان له في الليل قومات ونومات في تضاعيف ذلك فأما أن يكون النوم والقيام موزونا عدلا فليس
ذلك إلا لنبي يقلب دائم اليقظة ويحيى من الله عز وجل ولا يسلك هذا الطريق ولا يطاق إلا بأسباب
زاده لأن كل طريق يقطع بزاده أحدهم هم يلزم القلب وحزن تستكن فيه ويقظة دائمة يحيى
القلب وفكرة في الملكوت متصل وخلو المعدة من الطعام وقلة شرب الماء وأن يقيل بالنهار ولا
يرغب جوارحه في الدنيا إلى أن يألف فيستوطن فينجافى جنبه للين فلا يألمه من الخوف والرجاء وروي
الله تعالى عبدي الذي هو عبدي حقا هو الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك ففي هذا حث على
يام قبل السحر والنوم في آخر الليل مستحب لمعنيين أحدهما أنه يذهب بالتعاس والغدوات وكانوا
ون التعس بالغداة ويأمرون الناعس بعيد صلوة الصبح بالنوم وورد فيه الكراهية ٥ والمعنى الثاني
في لون الوجه على حاله لأن تغير الغداة واصفرار اللون يكونان من سهر آخر الليل ولو قام العبد أكثر
ل ونام سحرا لذهب نعسه بالغداة وقلت صفرة وجهه ونومه أكثر الليل وسهر من السحر جلب
التعاس بالغداة وصفرة الوجه فليتق العبد ذلك فإنه باب غامض من الشهوة والمكر الخفي
شرب الماء بالليل فقد يكون منه الصفرة سيما في آخر الليل وبعد الانتباه من النوم فإنه أشد
ن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر في أخر الليل فإن كان له
إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلوة وقالت عائشة

بأنه المؤذن

الترغيب

أعلم

بضاعة البيت السيد الأعلى الآنا نيما تهى النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وفي خبر آخر كان النبي صلى الله
وسلم إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الأيمن ضجعة حتى يأتيه المؤذن فيخرج معه إلى الصلاة
وكان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد الوتر قبل صلاة الصبح حتى قال بعضهم هي سنة مهجورة
أبو هريرة وغيره ٥ والنوم من آخر الليل وفي الثلث الأخير مزيد لأهل المشاهدة والحضور
لهم عن الملكوت واستماع العلوم من الجبروت وهو راحة وسكن للعمال وأهل المجاهدة ولذلك جعل
الصلوة بعد طلوع الفجر وبعد صلوة العصر ليستريح بها عمال الله وأهل أوراد الليل والنهار فيهما ٥
من آخر الليل هو نقصان لأهل السهو والغفلة من حيث كان مزيدا من أهل اليقظة والشهود لأنه آخر
أولئك ففيه راحتهم وهو تطاول للنوم والغفلة لهؤلاء وهو نقصهم ٥ وليفصل العبد في نافلة
صلوة الليل بجلوس بين يسبح فيه بما يأتي تسبيحه فذلك ترويحه لهم وعون على الصلوة وهو داخل
ومن الليل فتهجد به نافلة لك ومن الليل فسبحه وإدبار السجود أي أعقاب الصلوة في أحد الوجهين
من نصب فإذا أراد المزيد أحيا الوردين اللذين من أول الليل أحدهما بين العشاءين والثاني قبل نوم
أحيا هذين الوردين عند بعض العلماء أفضل من صيام يوم ٥ وقال بعضهم صلوة ما بين المغربين
أفضل من صوم يومه ٥ ثم ليقم الورد الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أول ثلث الليل الآخر ٥
الخامس وهو السحر الآخر قبل طلوع الفجر الثاني وهو يصلح لقراءة القرآن والاستغفار إن كان
يعتاد القيام في جوف الليل ٥ وفي خبر أبي موسى ومعاذ لما التقيا قال معاذ لأبي موسى كيف
تصنع في قيام الليل فقال أقوم فيه أجمع لا أنام فيه شيئا وأتفوق القرآن فيه تفوقا فقال
لكني أنام ثم أقوم فأحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله
فقال لأبي موسى معاذ أفقه منك ٥ وقد كان بعضهم لا ينام حتى يغلبه النوم ٥ وبعض
يقول هو أول نومه فإن انتبه وإلا أخرى فلا نام الله عيني ٥ وكان منهم من
الليل فأي وقت انتبه أحيى بقيته ليلته ولم يعد لنومه ثانية ٥ وسئل فرقد الشامي
الأبدال وكانوا يظهر وزلة فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وصمتهم
وعلمهم قدرة ٥ وقيل لآخر صف لنا الخائفين فقال أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم العزقى
يدع العبد أن ينام مقدار خمس الليل أو سدسه فهو ورد من أوراد الليل أو وردان

في الطول والقصر متفرقا كان قيامهم أو متصلا ٥ فأي وردا أحيا من الليل بأي نوع من هذه ذكا
قد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب ٥ ومن أحيا أكثر ليلته أو نصفها كتب له أحيا جميعها
وتصدق عليه بنومه فيما بقي منها ٥ ومن صلى في ليلته عشرين ركعة وأوتر فيها بثلث حسب له
كأنه أحيى الليل كله بفضل الله تعالى ٥ وكان صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه
وليلة ثلثيه وذلك مذكور في أول الآيتين من قيام الليل في سورة المزمل وقد كان صلى الله عليه
وسلم يقوم ليلة نصف الليل ونصف السدس ويقوم ليلة ربعها فقط ويقوم ليلة سدس الليل حسب
وذلك مذكور في آخر الآيتين من قيام الليل وهذا على قراءة من كسر ونصفه وثلثه فأما من
نصب فإنه يعني يقوم النصف مع نصف السدس والنصف وحده والثلث وحده وهو الذي ذكرناه من
الآية الأولى وجاء في التفسير نحو ذلك وهو صلى الله عليه وسلم مفترضه عليه صلوة الليل فالآية
الأولى أمره عز وجل بقيام الليل فيها والأخرى منهما أخبر عنه بقيامه كيف هو فالأجود أن
يكون ما أخبر عنه مواطيا لما أمر به والذي أمر به ان قال قم الليل ثم استثنى القليل منه ثم فسر أمره
فقال تعالى هو النصف أو انقص منه قليلا أو زد على ذلك قليلا يعني والله أعلم انقص منه نصف السدس
أو ثلث النصف هذا أقل أسماء النقص عند العرب وقوله تعالى أو زد عليه يعني زد على النصف كأنه قال
زد عليه نصف السدس لأنه أخبر عنه في الآية الأخرى بأقل من الثلثين فقال تعالى إن ربك يعلم
أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل فيكون هذا نصفا ونصف سدس وهو أقل التسمية عندهم ثم قال ونصفه
وثلثه يعلم أنك تقوم أيضا نصفه وثلثه فهذا الإخبار أشبه بوطأ الأمر من قرأه من كسر يزيد وتقوم أدنى
من نصفه وهو الربع أو الثلث وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس قالت عائشة رضي الله عنها
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل إذا سمع الصارخ يعني الديك فهذا يكون من السحر وكأنه سدس
الليل أو نصف سدسه وهذا أيضا فيه رخصة وسعة وقلنا ذلك تقريبا لا تحديدا والله يعلم بحقيقة
عمر والنصف اختيارنا في المقدر على معنى كثرة القيام ولمواطاة الخبر ٥ وقد جاء في الأثر صل من الليل
وبقدح لبن شاة وهذا يكون أربع ركعات ويكون ركعتان ٥ وقال أبو سليمان من أحسن في نهاره
حوفي في ليلته ومن أحسن في ليلته كوفي في نهاره ٥ وكان يقول أهل الليل على ثلث طبقات منهم من
اقرا انفكر بكى ومنهم من اذا تفكر صاح وزاحته في الصياح ومنهم من اذا قرا تفكر بقت فلم يبك ولم يصح

فقلت له من أي شيء صريخ داوبهت هذا وبكى هذا فقال لا اقوى على التنفس ولا اقوى ان تسمع ٥ وقال
الحسن يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأتطهر لي فما بالي لا اقوم فقال يا بن أخي ذنوبك
غيبتك ٥ وكان الحسن رحمه الله اذا دخل الشوق فيمع لغطهم ولغوهم قال لظن هؤلاء ليلهم
ما يقيلون ٥ وقال بعض السلف كيف يجد ساجر من سوء الحساب يلغوا بالنهار ويقوم بالليل ٥
التوبة حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب أذنبته قيل له وما هو قال رأيت رجلا يبكي فقلت
نفسي هذا مرائي ٥ وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك اناك تفي بعض
فقال اشد قلت وجع بولدك قال اشد قلت ما داك قال بابي مغلق وسترى مسبل ولم اقرأ
وما ذاك الا بذنب احدثته ٥ وقال ابو سليمان لا يفوت احدا صلوم في جماعة الا بذنب وكان
الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد فمانه بعد من الصلاة والتلاوة اذ في ذلك قرب ومن
سبحانه فبصرت به عن جنب أي عن بعد ٥ وقال آخر لا يفوت عبدا قيام ليله الا بحدث أحدثه
فهازوه ٥ وكان الحسن يقول ان العبد يذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار ٥
العلم اذا تعلمت يا مسكين فتطهر قال العبد لما كل الاكلة
قلبه عما كان عليه فلا يعود الى مثل الاول ابدا ٥ وقال آخر كم من اكلة منعت قيام
وكم من نظرة حرمت قراءة سورة وقال الحسن لما مثل الاكلة فيحرم بها قيام سنة فيحسن
المزيد والنقصان من الزيادة وبطالة الذنوب يوقف على التفنن ٥ وكان الفضيل يقول لولده
فهم القرآن وقيام الليل في اول امرك فما رزقت الآن ما كتبت حديثا ولا اشتغلت بغير القرآن
ان طول القيام طول الليل راحة انفسهم وان صلوة الليل كفارات الكبائر ٥ ويقال جزء ان
من الفرايض من صلوة النهار القيام بالليل. وكانوا يستحبون في النهار كثرة الركوع والسجود
وفي صلوة الليل طول القيام ٥ واعلم ان صلوة الليل فريضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله صلى الله عليه وسلم كان متمما لفرايضه وصلوة الليل تطوع لنا وجبران وتحفة الله
فرايضناه وفي الخبر اذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلث عقد فان قعد وذكر الله
عقدة وان توضأ انحلت عقدتان وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس
كسلان خبيث النفس ٥ وفي خبر آخر من نام حتى يصبح بال الشيطان في اذنيه ٥ وروينا في الخبر

صلوة

ضعيفة من كتاب التعارف للمصنف

ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر في اليوم والليلة وما يستحب ان يكون

ينبغي للعبد في كل يوم وليلة ورد من التسبيح وأقل ذلك سبع مأية مرة من أنواع الأذكار التي
وردت بها الأخبار فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير مأية مرة فان قال ذلك مأتي مرة لم يعمل احد في يومه افضل من عمله
الا رجل قد جاء بمثل ما جاء به فان قال سبحان الله وبحمده مأية مرة حطت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وان قال لا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم مأية مرة
لم يأت احد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا من قال مثل ما قال او زاد عليه وان قال استغفر الله
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه مأية مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر
وان قال سبحان الله وبحمده مأية مرة في يوم وليلة لم يأت احد يوم القيامة بأفضل مما جاء به
الا من قال مثل ما قال او زاد عليه وان قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل
وان قال لا اله الا الله الحق المبين مأية مرة وليقل اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك النبي الأمي وآله
مرة وليقل استغفر الله الحي القيوم واسأله التوبة مأية مرة وليقل ما شاء الله لا قوة الا بالله في
كل يوم وليلة فان رزق مزيدا عليه فهو افضل والا كان هذا معه منه وان قال ذلك في اليوم والليلة
حسب لا كل يوم وكل ليلة فحسن ٥ وقد كان في الصحابة من كان يزيد في كل يوم اثني عشر
الف تسبيحة وكان في التابعين من يزيد ثلثون الفا وكان فيهم من يزيد خمسون الفا ٥
حدثونا عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا
تسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل
هذا البحر اسبح الله هذا التسبيح منذ خلقت قلت ما اسمك قال مملهما يل قلت ما ثواب من قال له
ثل من قاله مأية من لم يأت احد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا من قال مثل ما قال او زاد عليه
ثم قال الداني سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا
يغفل شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المعبود في كل مكان وان كان للعبد
من الصلاة او زاد معلومة فحسن وقد قيل كان في التابعين من يزيد كل يوم ثلث مأية ركعة

أربع مائة ركعة ومنهم من ورده ستمائة ركعة وألف ركعة وأقل ما روي من الأوراد مائة ركعة
في اليوم والليلة ٥ وكان زين العابدين مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي
كل ليلة سبعين أسبوعا حسبنا ذلك فكان عشرة قراريط ولهذه الأشياء مائتا دينار وثمانون ركعة وفي
ذلك ختم القرآن في اليوم والليلة مرتين ٥ وقال هشام بن عروة كان أبي يواظب على ورده من التسبيح
كما يواظب على حزبه من القرآن ٥ ولا يدع العبد أن يسبح إدبار الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل
صلوة مكتوبة وكذلك عند النوم وليواظب أن يقول إذا أصبح وأمسى ما جاء في التفسير في قوله تعالى له
مقاليد السموات والأرض فله نوابه عظيم ٥ وروينا عن عثمن رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن تفسير هذه الآية فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك هو لا إله إلا الله والله
أكبر وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله استغفر الله الأول والآخر والظاهر والباطن له الملك
وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشر مرات حين يصبح وحين يمسي أعطي بها ست
خصال الأولى تحرز من إبليس وجنوده والثانية يعطى قنطارا من الأجر والثالثة ترفع له درجة في الجنة
وأدنى درجة منها أن يرى وجه الله من الحور العين والخامسة يحضرها اثنى عشر ألف ملكا والسادسة يكون له
من الأجر كمن حج واعتمر حجا مبرورا مقبولا إن مات في يومه أو في ليلته طبع بطابع الشهداء وقد
روينا في تفسيرها قولا آخر واتصل بها ذكر كنوز أهل الجنة ما هو فإن ضم هذا إليه فقد جمع
المسئلتين فروينا أن عثمن سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مسائل فأجابه عنها فقال إن ما في السموات
والأرض أن يقول العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله وأما كنز أهل الجنة فيقول سبحان
من في السماء عرشه سبحان من في الأرض موضع أثره سبحان من في البحر سبيله سبحان
من في الجنة رحمته سبحان من في النار عقابه سبحان من سبقت رحمته غضبه سبحان
من لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه يا غوث من قالها كل يوم مائة مرة كتب له بها ستة خصال
نجيه من إبليس وجنوده ومن ما تحت شجيرة وبنى له قصر في الجنة وكأنما قرأ التوراة والإنجيل
والزبور والفرقان وكأنما اشترى ثمانية من ولد إسمعيل أعتقهم وليواظب على قراءة هذه
الست آيات عند صلوة كل فريضة وتطوع ففي ذلك ثواب عظيم سبحان ربك رب العزة عما
يصفون إلى آخر السورة وسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية ويستغفر للمؤمنين

والمؤمنات في كل يوم خمسين مرة خمسا وعشرين إذا أصبح وخمسا وعشرين إذا أمسى فإنه
يكتب من الأبدال بأثر روينا في ذلك . ولفظ الاستغفار الذي جاء الخبر الظاهر للعموم يتبين
بالمؤمنات المسلمين والمسلمات حيهم وميتهم شاهدهم وغائبهم ذكرهم وأنثاهم وبعيدهم أنت تعلم
منقلبهم ومثواهم . وليقل هذا الاستغفار في تشهده . وليقل في كل يوم عشر مرات
اللهم أصلح أمة محمد وارحم أمة محمد وفرج عن أمة محمد في ذلك أثر أن من داوم عليه نبله
ثواب بدل من الأبدال وليقل إذا أصبح ثلثا وإذا أمسى ثلثا اللهم إنك خلقتني وأنت هديتني
تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني أنت ربي لا رب لي سواك ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك
لك فإن في ذلك شكر نعمة يومه ٥ ولا يدع أن يقول كلما استيقظ من نومه وكلما أراد النوم
هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله بسم الله
ما شاء الله لا يكشف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله الخير
كله بيد الله في ذلك حرز من الشيطان ورجيمه من الله . وجاء في الخبر من قالهن مائة مرة
يوم عرفة قبل غروب الشمس ناداه الله من فوق عرشه وأوصتني وعلى رضاك سلني ما شئت أعطيك
ولا يدع أن يقول كل غداة وكل عشية فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم سبع مرات وكذلك يفعل إذا دخل الجنة ويستعيذ من النار سبعا وكلما
سمع الأذان قال كما يقول المؤذن فإذا فرغ فليقل رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى
الله عليه وسلم نبيا اللهم رب هذه الدعوة التامة والكلمة الصادقة والصلوة القايمة صل
على محمد وعلى آله وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي
وعدته وإن كان الأذان لصلوة الفجر أو لصلوة المغرب زاد عليهما . اللهم عند إدبار ليلك
وإقبال نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك وشهود ملايكتك صل على محمد وعلى آل محمد
ولندع بما أحببنا وليغتنم الصلوة والدعاء بين الأذان والإقامة فإنه مستجاب ولنكثر من الكلمات
الحرز وشعاث في الأوقات فإنه من دعاء الأبدال فيما بينهم يتلقاها بعضهم عن بعض ما شاء
الله لا قوة إلا بالله العفو العفو يا ذا الجلال والإكرام أفتح خير واختم خير يا لا إله
إلا هو يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله يا عزيز يا عزيز

يا عزيز يا رقيب يا قريب يا حليم يا ستار يا كريم يا غفار يا واسع المغفرة والرحمة ارحمني واغفر
لي وعافني واعف عني اسئلك العفو والعافية يا غياث المستغيثين وفي جميع ما ذكرناه
فضايل وردت بها الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين باحسان حذفناها
للاختصار اذ لم يكن قصدنا ذكر الفضايل والاعمال وانما ازدنا شرح اوزاد العلماء والعمال
ولا يدع السواك في كل يوم وليلة اذا استيقظ من نوم نهار او ليل فانه يقال انه من خير خصال المرء
الصايم السواك الا بعد العصر فقد كره ذلك للصايم وفي الخبر طيبوا طرق القرآن من
افواهكم بالسواك وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وفيه عشر خصال مع ذلك
ويقال ان الصلوة بعد السواك تفضل على صلوة بغير سواك سبعين ضعفا وأوكد ما استعمل
فيه اربعة أوقات قبل الزوال للصايم وبوم الجمعة مع الغسل لها وفي قيام الليل وبالغداة
عند اليقظة من النوم وقد كانوا يستحبون للعبد ان لا يأتي عليه يوم ولا ليلة الا تصدق
فيه بصدقة وان قلت مثل لقمة او تمرة حتى كان بعضهم يتصدق ببصلة وبخيط لانها في الاركل
امر يوم القيمة في ظل صدقته والله عز وجل يشكر القليل الدايم وهو احب اليه من الكثير المنقطع
الم تر كيف ذم من اعطى فقطع فقال تعالى افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اي قطع
ومدح فواكه الجنة يعني بذلك فواكه الدنيا في تدبر الخطاب فقال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة اي فازهدوا في فواكه الدنيا التي هي مقطوعة ممنوعة رغبة في الدايم وكان من
اخلاق السلف ان لا يردوا سايلا بلا شيء وان قل لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق
تمرة ولقوله للسايل حق ولو جاء على فرس مطوق بفضة وقال لا تردوا السايل ولو بظلف محترق
ودفعت عايشة لسايل عنبة واحدة فنظر بعضنا الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة
وكان من اخلاقهم ان لا يسئل احد شيا او يراد بامر مباح فيقوا بل كانوا يؤثرون على انفسهم
ومحتهم للابتلاء وكان ذلك من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سئل شيء قط فقال لا
فان لم يقدر عليه سكت وكانوا يجتمعون على الامر الواحد بقلب واحد ولا يستبد بعضهم
بامر دون بعض ولا يستاثر احدهم ولا بعضهم بشيء دون بعض وبذلك وصفهم تعالى وامرهم شورى
بينهم غير مقسومة هي فيهما سواء ويستحب للعبد ان يجمع في يومه من هذه الاعمال اربعة

فاذا اتفقت له فهي نعمة من الله عز وجل صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة وهذا كان
طريق المريدين فيما تقدم يسارعون اليه ويحرصون عليه وفي الخبر من جمع بين هذه الاعمال في
يومه غفر له وفي بعضها دخل الجنة فان اتفق له منها ثلثة او اثنان وعجزه ما بقي حسب له تمامها
بحسن نيته وحد الجوار ان يكون بينه وبين المسجد ثلث دور ومنزله هو الرابع فاولى المساجد ان يصلي فيه اقربها منه
الا ان يكون له نيته في الابعد لكثرة الخطا مع حصول السلامة او لفضل امام فيه فالصلوة خلف
الامام الفاضل افضل وان بعد او يريد ان يعمر بيتا من بيوت الله بالصلوة فيه وان بعد وقال
ابن المسيب من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة ويتوضأ لكل صلوة قبل دخول
وقتها فانه من المحافظة عليها وحسن القيام بها وقال ابو الدرداء وحلف بالله وقال ما سمعته
حالفا بالله قط ان من احب الاعمال الى الله تعالى ثلثا امر بصدقة وخطوه الى صلوة جماعة واصلاح
بين الناس ويستحب له كلما دخل منزله ان يصلي ركعتين واذا خرج صلى ركعتين وكان
السلف لا يخرجون من بيوتهم الا بعد الوضوء ويستحب له كلما احدث ان يتوضأ وكلما توضأ
صلى ركعتين فذلك من اعمال الابرار وهو لمن مات على هذا العمل شهادة فاذا خرج من منزله قال
بسم الله ما شاء الله حسبي الله توكلت على الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وانت اخرجتني
اللهم سلمني وسلم مني وردني سالما في ديني كما اخرجتني اللهم اني اعوذ بك ان اضل او اضل
او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي عز جارك وجل ثناوك ولا اله غيرك ويقرأ سورة الحمد
والمعوذتين ولا يدع صلوة الضحى اربع ركعات الى ثنتي عشرة ركعة ولا يزيد على ذلك وان نشط
اطالهن وان فتر قصرهن وليجعل من قرأته فيهن والشمس وضحاها وسورة الضحى واخر البقرة
واخر الحشر ثم ينتفل بعد ذلك ما شاء الله من غير ان يكون ورد الصلاة الضحى يلزمه المواظبة عليه
وفي حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله وفي
الخبر عن الله يا ابن ادم صل لي اربع ركعات في اول النهار اكفك اخره وقالت ام هاني ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى
من جسده صدقة يعني مفصلا وفي جسده ثلثمايه وستون مفصلا فامرك بالمعروف

يَدَهُ وَنَهَيْتَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَهُ وَحَمَلْتَ الضَّعِيفَ صَدَقَهُ وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ
حَتَّى ذِكْرُ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَتَسْبِيحُهُ الضُّحَى تَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوْ تَجْمَعُهُنَّ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ ۝ وَكَانَ
مِنْ سِيرَةِ السَّلَفِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُخُولُ الْمَسْجِدِ سَحَرًا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ۝ قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ
قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَالْفَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ سَبَقَنِي فَقَالَ يَا بْنَ أَخِي لِأَيِّ شَيْءٍ خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ
قُلْتُ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ قَالَ أَبْشِرْ فَإِنَّا كُنَّا نَعُدُّ خُرُوجَنَا وَقُعُودَنَا فِي الْمَسْجِدِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ تَنْتَظِرُ
الصَّلَاةَ بِمَنْزِلَةِ غَزْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ۝ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ
الْأَوْقَاتِ الْمَرْجُوِّ فِيهَا الْإِجَابَةُ أَرْبَعَةٌ عِنْدَ السَّحَرِ وَعِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ
وَأَفْضَلُ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْقَاتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ ۝ وَأُسْتَحِبُّ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ
التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَرَّةً فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ
الْجَنَّةَ وَهِيَ مُفَرَّقَةٌ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ فَمَنْ دَعَا اللَّهَ بِهَا مُخْلِصًا مُوقِنًا كَانَ كَمَنْ خَتَمَهُ ۝ وَأَفْضَلُ
الْأَوْقَاتِ الْمَرْجُوِّ فِيهَا الْإِجَابَةُ أَرْبَعَةٌ أَوْقَاتٌ عِنْدَ السَّحَرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا وَبَيْنَ الْأَذَانِ
وَالْإِقَامَةِ فَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ حِفْظُهَا فَإِنَّهَا مَنْشُورَةٌ عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ
يَبْتَدِئُ بِالْأَلِفِ فَيَنْسُقُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ ثُمَّ الْبَاقِي التَّاءَ فَلْيَقُلْ يَا اللَّهُ يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا بَارِئُ يَا بَاطِنُ
يَا بَرُّ يَا تَوَّابُ وَقَدْ يَتَعَذَّرُ وُجُودُ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ لِغَرَابَتِهَا إِلَّا أَنَّهَا تَخْرُجُ فِي سَائِرِ الْحُرُوفِ
الْمُنْتَشِرَةِ بِالْأَسْمَاءِ الظَّاهِرَةِ فَإِذَا عُدَّ مِنَ الْأَحْرُفِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ أَجْزَاهُ لِأَنَّهُ يَعُدُّ فِي الْحَرْفِ
الْوَاحِدِ الْعَشَرَةَ وَأَكْثَرَ فَلَا يَضُرُّ إِنْ لَمْ يَعْرِفْ فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ اسْمًا إِذَا أَحْصَى الْعَدَدَ فَقَدْ حَصَلَ
لَهُ الْفَضْلُ لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ فَإِذَا دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَدْعُ بِمَعَانِي أَسْمَائِهِ فَإِنَّهَا صِفَاتُهُ وَهُوَ يُحِبُّ ذَلِكَ
وَإِنَّمَا أَظْهَرَهَا لِنُعْرَفَ وَلِنَدْعُوَ بِهَا مِثْلَ أَنْ تَقُولَ يَا جَبَّارُ اجْبُرْنِي وَاجْبُرْ قَلْبِي يَا غَفَّارُ اغْفِرْ لِي يَا
تَوَّابُ تُبْ عَلَيَّ يَا سَلَامُ سَلِّمْنِي ۝ وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُخُولُ الْمَسْجِدِ سَحَرًا قَبْلَ طُلُوعِ
الْفَجْرِ وَالْقُعُودُ فِيهِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ يَطْلُبُونَ هَذَا الْفَضْلَ ۝ وَحَدَّثُونَا عَنْ رَجُلٍ مِنَ التَّابِعِينَ قَالَ
دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَالْفَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ سَبَقَنِي فَقَالَ يَا بْنَ أَخِي لِأَيِّ شَيْءٍ خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ
هَذِهِ السَّاعَةَ قُلْتُ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ قَالَ أَبْشِرْ فَإِنَّا كُنَّا نَعُدُّ خُرُوجَنَا وَقُعُودَنَا فِي الْمَسْجِدِ هَذِهِ السَّاعَةَ
تَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ بِمَنْزِلَةِ غَزْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ۝

ذِكْرُ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ أَبُو طَالِبٍ وَأُسْتَحِبُّ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ
صَلَاةَ التَّسْبِيحِ فِي الْجُمُعَةِ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً لَيْلًا وَمَرَّةً نَهَارًا وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةِ تَسْبِيحَةٍ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِنْ
صَلَّاهَا نَهَارًا لَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُنَّ بِتَسْلِيمٍ وَإِنْ صَلَّاهَا لَيْلًا سَلَّمَ فِيهَا سَلَامَيْنِ فَقَدْ كَانَ الصَّالِحُونَ يُصَلُّونَهَا
وَيَعْرِفُونَ تَرْكَهَا وَرُوِّينَا فِيهَا رِوَايَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا رِوَايَةُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَلَا أُعْطِيكَ أَلَا أَمْنَحُكَ أَلَا أَحْبُوكَ شَيْئًا إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَهُ غَفَرَ
اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَجَدِيدَهُ وَقَدِيمَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ تُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ
فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ
تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ
فَتَقُولُهَا عَشْرًا فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ مَرَّةً ثُمَّ تَقُومُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِنِ اسْتَطَعْتَ
أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَطِقْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي
كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ۝ وَحُدِّثْتُ عَنْ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ لَيْسَ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ حَدِيثٌ أَصَحُّ مِنْ هَذَا فَذَكَرَ
فِي الرِّوَايَةِ أَنَّهُ يُسَبِّحُ فِي الْقِيَامِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ الْقِرَاءَةِ وَيُسَبِّحُ عَشْرًا بَعْدَ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ فِي الرَّكْعَةِ
الْأُولَى قَبْلَ الْقِيَامِ كَأَنَّهُ يَفْصِلُ جِلْسَةً قَبْلَ أَنْ يَنْهَضَ وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ أَيْضًا كَذَلِكَ قَبْلَ التَّشَهُّدِ ۝
وَرُوِّينَا فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ وَيَتَوَجَّهُ وَيَقُولُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى
جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ثُمَّ يُسَبِّحُ خَمْسَ عَشْرَةَ تَسْبِيحَةً قَبْلَ الْقِرَاءَةِ ثُمَّ يَقْرَأُ الْحَمْدَ وَسُورَةً ثُمَّ يُسَبِّحُ عَشْرًا
ثُمَّ يَرْكَعُ فَيَكُونُ لَهُ فِي قِيَامِهِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ تَسْبِيحَةً وَلَا يُسَبِّحُ فِي الْجِلْسَةِ الْأُولَى بَيْنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَلَا فِي جِلْسَةِ
التَّشَهُّدِ شَيْئًا وَكَذَلِكَ رُوِّينَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُعَوِّيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ صَلَاةَ التَّسْبِيحِ قَالَ فِيهَا تَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ فَتُكَبِّرُ ثُمَّ تَقُولُ فَذَكَرَ الْكَلِمَاتِ
وَزَادَ فِيهَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَقَالَ فِيهِ تَقُولُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَلَمْ يَذْكُرْ سَجْدَةً
الثَّانِيَةِ عِنْدَ الْقِيَامِ لِأَنَّ يَقُولَهَا وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ أَجْبَلُ الرِّوَايَتَيْنِ وَهُوَ الْأَخْيَارُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ ۝

حدثنا عن سهل بن عاصم عن ابن وهب قال سألت ابن المبارك عن الصلوة التي يسبح فيها فقال
يسبحان الله الكلاء خمس عشرة مرة يعني سبحان الله والحمد لله ثم يقرأ فاتحة الكتاب وسورة
ثم يسبحها عشرا وتركع وذكرها فقال فتلك خمس وسبعون مرة في أربع ركعات على هذا إن صليت
ليلا واحب الي أن تسلم في ركعتين وإن صليت نهارا صليت أربعا وإن شئت سبح
في الركوع يعد بأصبعه على ركبتيه وفي السجود باصبعه على الارض وحدثونا عن مروان بن جابر قال
قلت لابن المبارك في صلوة التسبيح اذا رفعت رأسي للقيام من احد السجدتين اسبح قبل ان أقوم قال لا انك
القعدة ليست من سنة الصلوة وقال قلت له اقول سبحان ربي الأعلى ثلثا قال نعم قلت فان سها
يسبح في السهو عشرا قال لا إنما هي ثلث مائة تسبيحة واحب ان تكون السور التي يقرأها في صلوة
التسبيح بعد الحمد فوق العشر من آية فقد روينا في حديث عبد الله بن جعفر الذي رواه اسمعيل
بن أبي رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في السور التي يعدام القرآن عشرون آية فصاعدا
وكذلك احب زيادة لا حول ولا قوة الا بالله لما ذكرناه في الخبر الآخر فان قرأ مع فاتحة الكتاب في كل
ركعة عشر مرات قل هو الله أحد فقد ضاعف العدد واستعمل الفضل واستكمل الاجزاء

ذكر جماعة الجهد في التلاوة ووصف التالين للقرآن حق تلاوته

استحب للمريد ان يختم القرآن في كل اسبوع ختمة من ختمه بالنهار وختمه بالليل يجعل ختمه
بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدها وختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدها
فيستقبل بختمه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه حتى يصبح وإن كان ختمة نهارا
تصلي عليه حتى يمسي فهذان وقتان يستوعبان كليهما الليل والنهار وفي الحديث ما يفقهه من
قرأ القرآن في اقل من ثلث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر أن يقرأ القرآن في كل سبع وكان
كان جماعة من الصحابة يختمون في كل جمعة وروينا عن يحيى بن الحرث الذماري عن القاسم بن
عبد الرحمن قال كان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام
الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى القصص وفرعون وليلة الثلثا
بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا تنزيل الى الرحمن وليلة الخميس وكذلك كان زيد بن ثابت وابي

بن كعب يختمان في كل سبع وروينا عن ابن مسعود انه سبع انه أن في سبع ليال فكان
يقرأ في كل ليلة سبعا الا ان تأليفه على غير تأليف صحفنا هذا فلم نذكره لان الاعتبار
يتبين به وجماعة يذكرون ختم القرآن في كل يوم وليلة وكره ذلك في اقل من ثلث
طايفة والتوسط من ذلك ما ذكرناه

ذكر اجزاء القرآن وكيف جزأه الصحابة

قال ابو طالب ويقرأ القرآن أجزاء بالليل في كل يوم وليلة جزءا فذلك أشد لمواطاة القلب واقوم
للترتيل وأدنى الى الفهم وإن احب ان يقرأ في كل ركعة ثلث عشرة القرآن أو نصف
ذلك ويكون الجزء من ثلثين في ركعة أو ركعتين وإن قرأ في كل ركعة جزءا أو جزئين أو دون ذلك
فحسن وأجزاء القرآن سبعة فالجزء الأول ثلث سور والجزء الثاني خمس والثالث سبع
والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة والمفصل من قاف الى آخر
القرآن وهذه كانت اجزاء القرآن هكذا جزأه الصحابة رضي الله عنهم وكذلك كانوا يقرأونه
وفي ذلك خبر ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصه وكانه جزء على عدد الآيات اذ
عند هاتين الالف ومائتان وبيف وثلثون وقل أعتبر ذلك في كل جزء فرأيته يقارب
وهذا قبل أن تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء وما سوى ذلك فمحدث ويقال ان الحجاج
جمع قراء البصرة والكوفة على ذلك وأمرهم به وكان الحسن وابن سيرين ينكران هذه العواشر
والاخماس وروي عن الشعبي والنخعي كراهية النقط بالحمرة وأخذ الاجر على ذلك وكانوا
يقولون جردوا القرآن وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف
فاول ما احدثوا بين النقط على الباء والتاء والثاء وقالوا لا باس به فانه نور له واحدثوا بعده نقطا كبارا
عند منتهى الآي وقالوا لا باس به لأنها علامات تعرف بها الاجزاء واعلم انه لا يجد فهم
القرآن الفهم الذي يكشف مشاهدة المخاطب ويظهر من الملكوت قدته فيجد فيه احدى هذه الخصال
أذى بدعة او مصر على ذنب او في قلبه كبر أو مفارق لهوى قد استكن قلبه اليه او حب للدنيا
أو غير متحقق بالايمان أو ضعيف اليقين ولا من هو واقف مع مقر عبد متشهم يتتبع حروفه

واختيار والاظهر انه لمفسر ساكن الى علمه الظاهر ولا راجع الى معقوله ولا فاض من مذهبه اهل
العربية والذي يدل على ان الخطاب وسر المراد هؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون الى ما تقرر
في علومهم وموقوفون مع ما تقرر في قلوبهم من مقدار علومهم وغرائب عقولهم وهؤلاء مشركون
بعقولهم وعلومهم عند الموحدين وهذا داخل في الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل على الصفا
في الليلة الظلماء ٥ وفي الخبر اكثر منافقي امتي قراؤها فهذا نفاق الوقوف والنظر الى سوى الله
تعالى لانفاق الشرك وحار لقدرة الله تعالى فهو لا ينقل عن التوحيد ولكنه لا ينقل الى مقام
المزيد واذا كان العبد ملقى المسمع بين يدي سميعه مصغيا الى سر كلامه شهيد القلب لمعاني صفاته
شهيد ناظرا الى قدرته نازكا لمعقوله ومعهود علمه متبرئا من حوله وقوته معظما للمتكلم واقفا
في حضوره مفتقرا الى التفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين فهم
فصل الخطاب وشهد غيب الجواب. وافضل القراءة الترتيل لانه يجمع الامر والتدبر وفيه
التدبر والتفكر ٥ وروينا عن علي لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تفكر فيها ٥
وعن ابن عباس ان اقرأ البقرة وآل عمران احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمذ ٥ وروي عنه ايضا
انه قال اذا زلزلت والقارعة احب الي من ان اقرأ القرآن كله ٥ وعن عمران وسئل مجاهد عن رجلين
صلى احدهما البقرة والآخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء ان قيامهما واحد وفراغهما واحد ٥
وافضل الترتيل والتدبير للقرآن ما كان في صلوة لانهما عملان ٥ ويقال التفكر في الصلوة افضل
منه في غير الصلوة لانهما عملان وهذا هو التفكر في معاني التدبر والتفهم لخطاب الوعد والوعيد
والزجر والامر تعظيما للموعد واجلالا للآمر ٥ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصلاة
افضل فقال طول القنوت ٥ وروي في خبر آخر من سجد لله تعالى سجدة رفعه الله تعالى بها درجة
وقال آخر وسأله مرافقته في الجنة فقال اعني بكثرة السجود ٥ وروينا عن ابي ذر ان كثرة الصلاة
بالنهار وطول القيام بالليل ويقال ان العبد تحشر يوم القيمة من قبره في هيئته في صلاته من
السكون والطمأنينة وتكون راحته في الموقف على قدر راحته ونعيمه بالصلوة ٥ وروي معنى
عن ابي هريرة وعلى هذا المعنى تأول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ارحنا بها يا بلال

لعله من الهوام الذي لا يهاد نعمه
لسعته وان يباب الفاظه وسرد
لعله اتباع ٥

اي روحنا بها ونعمنا من الروح والنعيم والراحة بها يقال رحنا بالشيء اي روحنا به وارحنا منه
اكفنا واسقطه وخفف عنا منه ولم يقل ارحنا منها كيف وهو قابل انقراءته هينة ٥ وقال
بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني ويوثقني بعض ما اشهد فيها من الفراغ منها حتى يطلع الفجر وما
تمت منها وطر ٥ وقال ابو سليمان الداراني وسأله ابن ثوبان اخ له ان يفطر عنده قال فابطأ
عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك
ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا امن ما يحدث من الموت
فاجبت ان اقبض على وتر فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع من الزهر من
الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وقال عز وجل كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
قيل القرآن قوى ايمانهم بعلم القرآن فالقرآن روح الايمان وتقويتهم استعمالهم به وفي تفسير
قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة قيل بجد واجتهاد ومثله قوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة قيل
بعمل به ٥ وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحزن شيء وهذه صفة قوي متين فقال
اي حديث احسن واجب الي من القرآن حتى احزن فيه فيقال ان في القرآن ميادين
وبساتين ومقاصير وعرايس ودياميج ورياض وخانات فالميادين والرأت بساتين والمحامد
مقاصير والمستحاث عرايس والروح دياميج والتخيل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا
قال المريد في الميادين وقطف منى البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديباج
ونزه في الرياض وسكن غرفات الخانات افتطعه عما سواه ووقفه ما يراه وشغله الشاهد
به عما عداه ٥ وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ بسم الله فرددها عشرين مرة وكان
له صلى الله عليه وسلم في كل من فهم في كل كلمة علم ينبغي ان يكون قلب القالي لبعض
كل كلمة يتلوها شاهدا لمعناها الى ما يفتح الله له من المزيد عليها من فحواها وتركها مع ما يفهم
بها من غيرها ويشهد غيرها منها فقد كان بعضهم يقول كل اية لا انفهمها ولا اتدبرها لم
اعدها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة او اياما لم يكن قلبه فيها اعاد قراءتها فاذا مر
بتسبيح او تكبير سبح وكبر واذا مر بدعاء او استغفار سأل واستغفر واذا مر بخوف او رجاء
دعا واستعاذ فذلك معنى قوله تعالى يتلونه حق تلاوته وكذلك كان عليه السلام في تلاوته

على هذا المعنى ٥ وما روي في الخبر من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد
على ما يعرفه القراء من أن يقرأ بلغة هذيل وشنوءة أو أن يقرأ بلغة شهيل وسمع عتيد وبصر حديد فكان يتلوا القرآن على هذا
أكثرهم وشهادة وصف المتكلم الوعيد منه بالتحزين الوعد بالتشويق والوعظ بالتخويف والزجر
بالتشديد والتبشير بالترفيق لأنه كان جامعا لما بصفات المتكلم وأجدر لذوق الكلام فمثل هذا العبد
أحسن الناس صوتا بالقرآن كما جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا قرأ رأيت أنه
يخشى الله ومن هذا قيل إذا قرأتم القرآن فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وقال إن القرآن نزل بحزن فإذا
قرأتموه تحازنوا أي إن القرآن لما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود يوجب البكاء والحزن
فإن لم تحزنوا وجدا ولم تبكوا خيفة فتباكوا لأجل التصديق والإقرار به فندبهم إلى التحازن
التلاوة والتباكي ليجتمع هم العبد في المتلو فيتدبر الكلام عسى يكون قلبه بمعناه فيكون التباكي
والتحزن سببا لجمع همه وفراغ قلبه لأن المنبأ الصادق مجتمع الهم فمن يبكيه والحزن حاضر
القلب مجموع الهم به سبيل منقول لهم شهر بكيه ٥ وروي عن ابن عباس رضي الله عنه إذا
قرأتم سجدة سجدتم فلا عليكم ألا تسجدوا حتى تبكوا فإن لم تبكوا عن أعينكم فلتبك قلوبكم على فقد هذا البكاء ولخشية
وخشيته أي فإن لم تبكوا بما بكى العلماء عن أعينهم فلتحزن قلوبكم على فقد هذا البكاء ولخشية
لم يجعل فيها وصف أهل العلم بالله ٥ وقد روي ما في غرائب التفسير من قوله تعالى وإن منها
لما يتفجر منه الأنهار قال هي العين الكثيرة الدمع وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال هي
العين القليلة البكاء وإن منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء القلب من غير دموع عين
وقال ثابت البناني رأيت في المنام كأني أقرأ القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قال هذه القراءة فأين البكاء وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله ما أصبح اليوم عبد
هذا القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر تعبه وشغله فقلة
راحته وبطالته والناس في التلاوة على ثلاث مقامات أعلاهم من يشهد أوصاف المتكلم فيكاد
ويعزل أخلاقه بمعاني خطابه وهذا مقام العارفين من المقربين ٥ ومنهم من يشهد أنه
يناجيه بألطافه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه فمقام هذا الحياء والتعظيم وحاله الإصغاء
وهذا للمتعبدين وعموم المقربين ومنهم من يرى أنه هو الذي يناجي ربه سبحانه فمقام

السؤال والتملق وحاله الطلب والتعلق وهذا للمتعبدين من خصوص أصحاب اليمين ٥ وينبغي للعبد
أن يتفهم في التلاوة أن مولاه يخاطبه بكل كلام لأنه سبحانه متكلم بكلام نفسه وليس للعبد من
كلامه كلام وإنما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه فهما منه عز
وجل هذا للعبد ومكانا له كما كان الشجرة وجها لموسى عليه السلام كلمه ربه تعالى منها ويقال
إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وأن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت
على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوا حتى يأتي إسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقلبه بإذن الله وجميعهم
إذا كان الله عز وجل طوقه ذلك لما استثقله وقال جعفر بن محمد عليه السلام والله لقد تجلى الله تعالى
لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال أيضا وقد سأله عن شيء لحقه في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما
سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فوقعت حلاوتها
في قلبه وكذلك الخصوص يردون الآية بقلوبهم حتى تلوح لهم وتتقوى بها في مشاهدتهم بمدد من
شهيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم في حقيقة منه فإن قرئت بمشاهدة الثاني عن هذا
المقام فليشهدها أنه يناجيه بكلامه ويتملقه بمناجاته والثالث غار أن الله سبحانه إنما خاطبه بلسانه وكلمه
بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له وتبيينا لهم يفهمه الذي قسمه له جعله منه ورحمة
للواصلين الجبار سبحانه بوصفه الذي يذكره سمعه لما يثبت للحكام عرش عظمته ولا لاشيء ما بينها
لعظمة عظيم سلطانه وأظهر للقلوب علوم عقولها وأشهد العقول عرف معقولها على عارف كنهه وحيائه
ورحمته وإحسانه وبلغنا في الإخبار الناطقة أن ولي الله عز وجل من الصديقين اتبعته الله عز وجل
في الفترة إلى ملك من الجبابرة يدعوه إلى التوحيد والى شريعة الأنبياء فسأله الملك عن أشياء من معاني
التوحيد فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويتدرك عقله من ضرب الأمثال بما يستعمله الناس
فيما بينهم يجازونه عندهم إلى أن قال له الملك أفرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعيت أنه ليس بكلام الناس
وأنه أمر من كلام الله عز وجل هو قال الصديق نعم قال وكيف يطيق الناس حمله قال الصديق أنا رأينا
الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها
وكذلك الناس يجعل كلامهم فوضعوا للأمر التقرب والتصغير والزجر ما عرفوا أنها تطيق حمله

أَوْ صَوْتٍ أُلْقِيَ سَمِعَهَا بِالْكَلِمَةِ بِالْسِنَةِ اللَّهِ وَالدَّمِ صَوْتَ الزَّجْرِ وَالنَّقْرِ الَّتِي سَمِعَتْ بِهِ الدَّوَابُّ مِنَ النَّاسِ
لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مَعَانِيَ الْحِكْمَةِ الْمَوْضُوعَةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ مِنْ أَنْ كَانَتْ هِيَ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَّفَ الْكَلَامَ الَّذِي
وَعَظَّمَ تَعْظِيمَهَا فَكَانَ الصَّوْتُ لِلْحِكْمَةِ جَسَدًا وَمَسْكًا وَالْحِكْمَةُ لِلصَّوْتِ نَفْسًا وَرُوحًا فَكَذَلِكَ أَجْسَادُ الْبَشَرِ
تَكْرُمُ وَتُعَظَّمُ لِمَكَانِ الرُّوحِ الَّتِي فِيهَا وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ عَلَى الْمَنْزِلَةِ رَفِيعُ الدَّرَجَةِ فَاهِرُ السُّلْطَانِ نَافِذُ
الْحِكْمَةِ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهُوَ الْقَاضِي الْعَدْلُ وَالشَّاهِدُ الْمَرْضِيُّ بِأَمْرٍ وَنَهْيٍ وَلَا طَاقَةَ لِلْبَاطِلِ أَنْ يَقُومَ قُدَّامَ
الْحِكْمَةِ كَمَا لَا يَسْتَطِيعُ الظِّلُّ يَقُومُ قُدَّامَ شُعَاعِ الشَّمْسِ وَلَا طَاقَةَ لِلْبَشَرِ أَنْ يَنْفُذُوا عُلُوَّ الْحِكْمَةِ كَمَا
طَاقَةَ لَهُمْ أَنْ يَنْفُذُوا أَبْصَارَهُمْ عَيْنَ الشَّمْسِ وَلَكِنَّهُمْ يَنَالُونَ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ مَا تَحْيَى بِهِ أَبْصَارُهُمْ وَيَسْتَدِلُّونَ
عَلَى أَحْوَالِهِمْ فَالْكَلَامُ كَالْمَلِكِ الْمَحْجُوبِ وَجَمْعُ الشَّاهِدِ أَمَارَةٌ كَالشَّمْسِ الْعَيْنُ الظَّاهِرَةُ مَكْنُونٌ عُنْصُرُهَا وَكَالنَّارِ
الزَّاهِرَةِ الَّتِي يَعْتَرِي هَا مَنْ لَا يَقِفُ عَلَى سِرِّهَا فَالْكَلَامُ أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ مِفْتَاحُ الْخَزَائِنِ
النَّفِيسَةِ وَبَابُ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَمَرَاقِي الدَّرَجَاتِ الشَّرِيفَةِ وَشَرَابُ الْمَيَاةِ الَّذِي مَنْ شَرِبَ
لَمْ يَمُتْ وَدَوَاءُ الْأَسْقَامِ الَّذِي مَنْ شَفِيَ بِهِ لَمْ يَسْقَمْ إِذَا لَيْسَهُ مَنْ لَمْ يَتَسَلَّحْ لَهُ أَبْدَا عُورَتْهُ وَإِنْ
بِهِ غَيْرُ أَهْلِهِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا مِنْهُمْ نَقَلَهُ مِنْ كَلَامِ الصِّدِّيقِ الَّذِي خَاطَبَ بِهِ الْمَلِكَ فَاسْتَمِعْ
فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ جَعَلَ عُقُولَ الْبَشَرِ بِفَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ فَهْمِ الطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ بِالْ
وَالصَّفِيرِ بِالْبَيْدِ وَكَيْفَ جَعَلَ النَّفِيرَ وَالصَّفِيرَ مِنَ النَّاسِ لِلْأَنْعَامِ وَالْهَوَامِّ مَثَلًا
اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ مَا مِنْ مَعَانِي كَلَامِهِ مَا أَفْهَمَهُ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ ۝ ثُمَّ لِيَشْهَدْ لَهُ بِأَنَّهُ مَقْصُودٌ
الْقُرْآنِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مُرَادٌ مُعَيَّنٌ بِهِ أَضْرَبَتْ أَمْثَالُهُ وَفِيهِ جَمِيعُ ذِكْرِهِ وَأَوْصَافِهِ
عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا تَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَخَاطَبَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ هُوَ أَحَدَهُمْ وَكَأَنَّهُ حَاضِرٌ مَعَهُمْ وَقَالَ
اللَّهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ مِنَ الْمَعَانِي فَقَالَ لَهُمْ
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ كَمَا قَالَ وَأَنْزَلَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَقَالَ تَعَالَى لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ
لِتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَقَالَ تَعَالَى كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ
صِفَاتِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ فَقَالَ تَعَالَى
يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَقَالَ سُبْحَانَهُ فَاسْتَمْسِكْ

وَمَنْ تَابَ مَعَكَ غَيْرَ أَنَّهُ عَمَّ الْجُمْلَةَ بِالْبَصَائِرِ وَالْبَيَانِ وَخَصَّ بِالْهِدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ أَهْلَ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ
مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ هُدًى بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ فَالْمَوْقِنُونَ هُمُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُهْتَدُونَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ وَقَدْ أَمَرَ مَنْ يَطْلُبُ فَهْمَ الْقُرْآنِ كَمَا أَمَرَ
بِالْأُذُنِ فَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِذَا قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ وَالتَّمِسُوا غَرَائِبَهُ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَنْ
أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَلْيَثُوِّرِ الْقُرْآنَ وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ
وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَتَفْتَرِقَنَّ فِرْقَةٌ أُمَّتِي عَنْ أَصْلِ دِينِهَا وَجَمَاعَتِهَا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ
ضَلَالَةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ نَبَأُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأُ مَنْ يَأْتِي
بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ
اللَّهِ الْمَتِينُ وَنُورُهُ الْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ وَلَا يَزِيغُ
فَيُسْتَعْتَبَ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَخْلَقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ هُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَنْتَهِ أَنْ قَالُوا إِلَى قَوْمِهِمْ
مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْآيَاتِ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ
الْحَرُوفِ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَرُوِّينَا مَعْنَاهُ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ لَمَّا أَخْبَرَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِاخْتِلَافِ بَعْدَهُ وَالْفِتْنَةِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ
أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ قَالَ تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَفِيهِ النَّجَاةُ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَهُوَ الْمَخْرَجُ
مِنْ ذَلِكَ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَفِيهِ النَّجَاةُ ثَلَاثًا ۝ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ مَا أَسَرَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسَ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ ۝
وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ فَهِمَ فَسَّرَ جُمَلَ الْعِلْمِ ۝ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا قَالَ الْفَهْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَقَالَ تَعَالَى وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا وَقَالَ تَعَالَى فَفَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمَانَ الْآيَةَ فَرَفَعَ الْفَهْمَ عَلَى الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ وَجَعَلَهُ مَقَامًا فِيهِمَا وَأَضَافَهُ إِلَيْهِ لِلتَّخْصِيصِ ۝ فَإِذَا
عَلِمَ الْعَبْدُ الْكِتَابَ وَعَامَلَ بِهِ الْمَوْلَى تَحَقَّقَ بِمَا يَقُولُ وَكَانَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَمْ يَكُنْ حَاكِيًا لِقَوْلِهِ مِثْلَ أَنْ سَأَلُوا
الْخَائِفَ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وَمِثْلَ أَنْ يَقُولَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ لَنْ يَكُونَ هُوَ الْخَائِفَ لِلْيَوْمِ
عَظِيمٍ وَهُوَ الْمُتَوَكِّلُ الْمُنِيبُ وَهُوَ الصَّابِرُ عَلَى الْأَذَى تَوَكُّلًا عَلَى الْمَوْلَى وَلَا يَكُونُ مُخْبِرًا عَنْ فَاعِلٍ

قاله ولا يحجب تلاوة تلاوة القرآن ولا سر آياته حتى يكون على وصف ما ذكرت وإذا كان هو كذلك
وجلب تلاوة تلاوته وفهم سر خطابه ووقف على مراده وتحقق بحسن الولاية وكذلك إذا
الأي المذموم أهلها الممقوت فاعلها مثل قوله وهم في غفلة معرضون فأعرض عن تولى
ذكرنا الآية ونحو قوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقوله تعالى إنما يفتري الكذب
لا يؤمنون بآيات الله فما أقبح أن يعيب ذلك وهو من أهله وما أعظم أن يذم أهل ذلك
بوصفه فهذا من حجج القرآن عليه ولا يجد مع ذلك حلاوة المناجاة ولا يسمع خطاب المناجي
وصفه المذموم قد حجبه وهواه المغوي منعه ومن حقيقة الفهم حرمه وقسوة قلبه
عن الفهم وصرفه وكذبه في حال البيان أخرسه وإذا كان الإنسان هو المتيقظ المقبل
هو الصادق المنيب سمع فصل الخطاب ونظر إلى الداعي له واستجاب وقد اشترط تعالى الإنابة
للتبصرة وحضور القلب للتذكرة فقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وما يتذكر
الا من ينيب إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
على التوبة من الوفاء بالعهد وتعدي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق والإنابة في
بالإقبال على الله والألباب هي العقول الزاكية والقلوب الطاهرة ٥ وينبغي للتالي الطالب
لنفسه بالطرق السليم القلب إذا تلى أي الوعد والمدح ومحاسن الوصف ومقامات المقربين
لا يشهد نفسه هناك ولا يراها مكانا لذلك بل يشهد الموقنين فيها وينظر إلى الصديقين منها
ونصحا وإذا تلى الأي المقوت أهلها المتهدد عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين
الخاطئين شهد نفسه هناك وأنه هو المخاطب المقصود بذلك خوفا منه وإشفاقا فهذه الطريق
يرجو الخلق ويخاف على نفسه ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه ٥
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري
المؤمنين هذا الظلم فما الكفر فتلا قوله إن الإنسان لظلوم كفار فإن قلب هذا
على عبد حتى يشهد نفسه في المدح والوصف ويشهد غيره في الذم والمقت انقلب قلبه
الصادقين وتكب بقصده عن صراط الخائفين فهناك والله أعلم لأن من أشهد المبعد في
بلغ قراءة ونصحا بالخوف ومن شهد القرب في البعد مكر به في الأمن ٥ وقال بعض العلماء كنت

ولا أجد حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على الصحابة ثم رأيت
الي الإمام فوجدته لا يتلو كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على النبي صلى الله عليه وسلم
أعطيت منزلة أخرى فأنا الآن كأني أسمعه من المتكلم به فضل ذلك وجلت له لذة ونعيما
لا أشبه عنه ٥ وقال عمر وجدته لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن ٥ وقال ثابت
البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة ٥ وقال بعض علمائنا لكل آية سبعون
ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر ٥ وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو شئت لأوقرت من
تفسير القرآن بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ٥ وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال إني لأتلو الآية فأقيم
فيها أربع ليال وخمس ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها ٥ وروينا عن بعض السلف
أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يرددها ولا يفرغ منها وحدثنا عن بعض العارفين أنه قال إني في
كل جمعة أختمه وإني في كل شهر أختمه وإني أختمه منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد يعني
فهم التفهم والتفكر والتدبر برؤية المشاهدة وكان هذا يقول أقمت نفسي في العبودية مقام
آخرا فأنا أعلم مواليه ومشاهره ومجامعه ومساناه وإنما حجب الله الخلق عن فهم كنه الكلام
معرفة حلاية المراد لأنهم حجبهم عن كنه حقيقة معرفته وإنما أعظم من معرفة الكلام
علم من معرفة المتكلم إذ معاني كلامه تعرف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه
أن معاني كلامه عن معاني أوصافه وأخلاقه ولذلك جاء فيه التسهل اللطيف والتشديد
الخوف والمرجو والخوف لأن من أوصافه الرحمة واللطف والانتقام والبطش فلم يعرفوه
جعله نفسه لم يصح أن يعلم كنه كلامه إلا هو كما لا يعرف كنه صفاته إلا هو فاعرف
الكلام اعرفهم بمعاني الصفات وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغامضات
فهم بسر آيات الخطاب ووجه آخر وف ومعاني باطن الكلام وأحقهم بذلك أشغلهم له
تبقى منه وأقنعهم منه من خصه بأثره وشمله بعنايته وخير الخبر أحسن القاس
وفا بالقرآن من إذا قرأ رأيت كأنه يخشى الله عز وجل ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله
عامله حتى يقربه ولا يقربه حتى يغنى به وينظر إليه فعندها عرف سر الخطاب واطلع على
باطن المراد وفهم الكتاب ٥ وإذا سجد العبد سجود القرآن فليدع في سجوده بمعاني الآية من الخير

وصل

وأنبه عليه أو تخبره بها فإن ذلك يغلظ العلماء بالقرآن والله يحب ذلك ولذلك المعاني أحدثوا
أو يتخذوا أخبارا فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك ونحو قوله تعالى خروا
يسجدون فيقول اجعلني من الساجدين لك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن
من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك ومنه قوله تعالى ويخرون للأذقان يبكون
اللهم اجعلني من البالكين لك والخاشعين لك وعلى هذه المعاني ونحوها وليكن القرآن موعلها
وعمله وذكره ودبره وهمه وشغله يعني يتأمل وعليه يثاب ومقامه منه وأحواله فيه هموم
له فيه ذلك كله فيلازمه بمعرفة العارفون ومخاطبته شهدا وصافه الموقنون فعلوم من
ومواجيدهم عن شواهد عن بهاء أو صافه ومشاهدتهم لأن ضروب الكلام
تعالى إلى معاني الصفات فمنه كلام زاجر ومنه كلام غضبان ومنه كلام منعم وكل
منتقم وكلام جبار متكبر وحنان متعطف فإذا كان العبد من أهل العلم بالله والفهم
والسمع من الله بصحة ما عنى به وأراد منه سواء وقال سبحانه فلا أقسم بما تبصرون
وما لا تبصرون وقال تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار وسمعنا مليء الفهم أجبروا إلى
والأبصار عبروا فلو بهم إلى ما أبصروا وأبصروا إلى الله من الخلق حين ذكر
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا إلى الله ثم قال ولا تجعلوا مع الله
آخر فأنوا هم الموحدين المخلصين له وكان هو المفرد لم يبت ناض لهم جاوزوا
بالأشياء إليه فذكروه عند به جنبيه هربوا منه إليه حين هم للوقوف
كهم يجدوا إلا إياه وكذلك رأيته في مصحف ابن مسعود ففروا إليه
مبين وفي الخبر عن ابن مسعود بعض الرواة بن فيه أن القرآن ظهر
ظاهره لأهل الغريبة وباطنه لأهل البقين وحقه لأهل الظاهر ومثله
الاشتراك وهم خصوص العارفين من المحبين والخائفين انتهوا على لطف المطالب
الشيء في مقام أمين واصفوا على الخبر في كل حال ملكين فكانوا لديه مقربين شاهدين

وكلامهم عن

عند

قال صلى الله عليه وسلم ليس الشاهد ما يرى الغائب فمن حضر شهد ومن شهد رأى ومن وجد
فقد ومن أفاد عرف ومن عاب عمي ومن عمي فقد ومن تفقده نسي ومن نسي لا إله قال الله تعالى
تلك آياتك أتيناها فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أن تركتها لم تعب بها ولم تحضر البناء هذا البوم

تركك فلا تنظر البك بحسنة

ذكر نوع من المفصل في الموصل من الكلام ومدح العاملين به وذمهم

ما قيل عن الإمام وفيه تفسير الغريب المشكل من القرآن

ظاهر الكلام فعلى معنيين عجيبين موجز مختصر وموصل مكرر تعجبا له واختصاره
لاغه والإيجاز فقال تعالى إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ومكرره وتفصيله للأفهام والتذكار فقال
لى ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون وقال تعالى في المبهم المجمل والتوحيد المفصل والمفسر
التوحيد والتفصيل فمنه ثلثة أشياء اللطيف رحيم وقيل بل خروف من اسم وهو الله
هو المبهم ثم أظهر السبب فقال كتاب أحكمت آياته يعني بالتوحيد ثم فصلت أي بالوحدة
الوعد من لدن حكيم خبير بالتفصيل للأنام اللذين والجزاء الآبد والا الله هذا هو التوحيد
أني لكم منه نذير من العذاب بشير بالثواب لمن أمن به لما هو الوعد والوعيد الذي
حكمه ومن مختصره للإيجاز وأيدنا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها في هذا مضمر ومحذوف فإن
المضمر قوله تعالى مبصرة والمعنى أنه مبصر فأضمر والمحذوف فإن قوله تعالى فظلموا أنفسهم بالتكذيب
فاختصرت كلمتان من كلمتين للإيجاز ومثله وهي خاوية على عروشها والخوا الخلاء والعروش
السقوف جمع عرش فكيف تكون خالية من العروش والعروش موجودة فيها فهذا من المضمر
المحذوف ومعناه وهي خاوية من ثمرها ومن أهلها وأتبعه على خروشها ومثله قوله تبارك وتعالى
الكبر البسر من أمن بالله ويكون من البدل فيكون المحذوف هو الاسم البدل مكانه والمعنى ولكن
البسر من آمن بالله الكلمة البسر وصفتها أقيم مقامه ومثل المعنى الأول واسئل القرية
بهم العجل أي حب العجل ومن ذلك قوله تعالى اقتلوا أنفسكم لكنه بغير نفس ولا بكر
له والمعنى بغير نفس قتلها فحذف الفعل ومنه أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في

الأرض بقوله تعالى إلا بغير نفس قتلها أو بغير فساد في الأرض اكتفى بغير الأول وكذلك
قوله تعالى إلا بغير فساد في الأرض معناه ومن في الأرض وقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين
هو متصل بقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وفصل بينهما النعت والاستثناء
والمعنى وما يكذبك بعد هذا البيان أيها الإنسان بالدين أي فأي شيء يحملك على التكذيب
تدين الله عز وجل فهو أحكم الحاكمين ومن المبدل المضمر قوله تعالى إذا لأذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات المعنى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فأضمر ذكر الموتى
وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والممات فأقام الوصف مقام الاسم ويصلح أن يتحمل
على لفظه ويضمر أهل فيكون ضعف أهل الحيوة وضعف أهل الممات كما أضمر في أهل القرية
العير فقال تعالى واسأل القرية التي كنا فيها والعير والمعنى واسأل أهل القرية وأهل العير
ومن هذا قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض هو من المبدل المضمر فمبدله ثقلت وهو
خفيت أبدل للدلالة المعنى عليه لأن الشيء إذا خفي على ثقل وكذلك قوله في السموات
والأرض معناه على ومضمره أهل والمعنى خفيت على أهل السموات وعلى أهل الأرض إذا تأملتها
بغتة فجأة ومنه تالله تفتأ تذكر يوسف فيه مضمر ومحذوف فمحذوفه تزال ومضمره
التي هي جواب القسم المعنى تالله لا تزال تفتأ أي تذكر يوسف فأضمر لا وأبدل تزال تفتأ
هي من الفصاحة في الطبقة العالية وفي القرآن من كل لغة ومن هذا قوله تعالى ويجعلون
رزقكم أنكم تكذبون وبدلوا نعمة الله كفرا أي شكر رزقهم فشكر النعمة كفرها
وكأين من قرية أمليت لها معناه أهل القرية وكذلك أهل العير لأن العير هي الإبل
وليست النحويون المجاز وكذلك قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم معناه للحالة
الأقوم وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن أي الكلمة الحسنة ومثله قوله تعالى ادفع بالتي
أحسن أي بالكلمة وبالفعلة التي هي أحسن ومثله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أي
الحسنى والوجه الآخر الحسنى اسم لا نعت فهو لم لقوله تعالى أتاما وعشرين
ومن الكلام المبهم المفسر للسامع أن ذكره أضمر الحوت وذكره واسم موسى
والمعنى ما أنساني ذكر الحوت إلا الشيطان فدل عليه أن أذكره يعني لك ومثله إنا

ليلة القدر أي القرآن فكني عنه ولم يجر له ذكرا وكذلك قوله حتى توارت بالحجاب كني
عنها ولم يجر لها ذكرا يعني توارت الشمس بحجاب الليل ومنه قوله تعالى وما يلقاها إلا الذين
صبروا أي الكلمة الطيبة أو الفعلة التي هي أحسن ومعنى قوله تعالى ولا يلقاها إلا الصابرون
يعني كلمة الزهد في الدنيا أو مقالة الترغيب في الآخرة عائد على قوله تعالى ويلكم ثواب الله خير
أي هذه المقالة ومن المبدل المختصر قوله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم معناه
حملته العزة على الإثم أي حمله التعزز والأنفة على فعله ولم يبال بأخرته معناه حملته بالإثم معناه
الأمر ومثله قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم أي لا تجله السنة لأن السنة تجل العباد أي تذهب
بالتيقظ ومن المنقول المنقلب قوله تعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه اللام في
من منقولة والمعنى يدعو من ضره أقرب ومثله لتنوء بالعصبة أي لتنوء العصبة بها أي
تثقل بحملها لثقلها عليهم أي استثقلت ثقلها عليها ومثله وطور سينين وسلام على إل ياسين هو
مما قلب أسه لأن واحد الكلام المعنى طور سينا وسلام على الياس وقيل إدريس لأن في حرف
ابن مسعود سلام على إدراسين ونحو جعلوا القرآن عضين أي أعضاكا تهم عضوه فآمنوا
ببعض وكفروا ببعض وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ويصلح أن يكون معطوفا على
قوله من لعنه الله ومنصوب عليه ومن عبد الطاغوت بالإضافة ومن قرأ بكسر التاء فإنه جعل عبدا
اسما إضافة إلى الطاغوت بمعنى عبد وفيه خمس لغات أخر عباد الطاغوت وعبدة الطاغوت
وعباد الطاغوت وعبد الطاغوت وعبد الطاغوت فأما وعبد الطاغوت نصبا فهو بمعنى الفعل
من العبادة ومن المضمر المختصر قوله تعالى ألا إن عادا كفروا ربهم أضمر ضمير أحدى كلمتين
كفروا نعمة ربهم وكفروا توحيد ربهم فأضمر للاختصار وانتصب الاسم لسقوط الخافض وفيه
جليت غريب الآية محمول على المعنى لأبدا أي غطوا نهر الكفر التغطية أي غطوا آياته ومادعا
إليه من الحق والمعنى كفرهم أي غطاء عليه لما غطوا مكان حقيقته في التوحيد إذ الأولية
في كل فعل منه وعم توانى فيما بعد فهو بمعنى قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون للباس أيضا
التغطية ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم يقولون ما نعبدهم ومنه فظلتم تفكهون
تلقون المغرمون أي يقولون إنا لمغرمون وعلى هذا المعنى وجه قوله تعالى فما لهؤلاء القوم

لا يكاد يعرف يقصون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك الى
يقولون به أشار به على معنى الاخبار عنهم والذم لهم فهلك بذلك القدرية الجهلة هم بمعنى
بجعل انه بيّنه وظنوا انه ابتدأ شرع وبيان من الله وقد اعلم الله عز وجل ابتدأ شرعه وبيانه
أنه بيده بقوله تعالى قل كل من عند الله وكان ابن عباس يقول اذا أشكل عليكم شيء من القرآن
فالتمسوه في كلام العرب فان الرجل يتلو الآية فيعيي بوجهها فيكفر به وقد رأيت في مصحف
عبد الله لا يريدون يفقهون حديثا فالوا اما اصابك وقرأت فيه والذين اتخذوا من دونه أولياء
قالوا اما نعبدهم فهو من ذلك ومن المضمر قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون
ليس نجعل من البشر ملائكة والمعنى لجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون ومن البدل
وهم لما سابقون اللام بدلا من الباء المعنى وهم بها سابقون لانهم لو سبقوها لفاتتهم فلما
المعنى قال بعضهم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل اي بالجبل كان الجبل حجابا لموسى فكشفه
فتجلاه كما قال من الشجرة أن يا موسى اني انا الله وكانت الشجرة وجهه لموسى كلمه
منها وكذلك قوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا
فلا يدلك الا بقوله لا ولا يجوز ان يكون الا مستثنى لان الذين متصله مخبرها من قوله فلا
واخشوني هو بمعنى قوله لم تعلموا فلا تجعلني ومثله لا تخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فتكون مبتدأة لذكر خبرها بعده ومعنى قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم
اموالكم اي مع اموالكم ومثله الى المرافق اي مع المرافق لانها داخلة في الغسل فاجروه في
العوامل ثوب بعضها عن بعض ولو اظهر مثل هذا المضمر ووصل مثل هذا المجاز في
القرآن اضعاف ذلك ولذهبت بلاغة الاختصار ومثله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على
جذوع النخل وقوله تعالى فلا تجعلني في القوم الظالمين اي مع القوم وقوله تعالى ام لهم
يستمعون فيه المعنى عليه ويصلح به والتام منفطر به اي فيه يعني في اليوم
به اي عنه يعني القرآن وعلى هذا مجاز قوله الرحمن فسل به خبيرا اي سل عنه ولا تاكلوا
الى اموالكم اي مع اموالكم ومن المضمر المكرر للبيان والتوكيد وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن فيتبعون مكرر للتاكيد والافهام كأنه

قال الكلام اعاد ليقرب من الفهم والمعنى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الاسم اي ايتهم
الظن والشرك ظنا منهم غير يقين ونحوه من المكرر المؤكد قال الملأ الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لمن آمن منهم اختصاره الذين استكبروا لمن آمن منهم من الذين استضعفوا
فلما قدم الذين استضعفوا وكان المراد ببعضهم كرر للافهام واعاد ذكر من امن للبيان
ومثله الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته فادخل الاستثناء على الاستثناء لطول الكلام لما
اراد بالالهة بعض آلهة دون بعض فلما اخرج مستثنى من مستثنى وفي هذا دليل على
ان الازواج من الآل لانه استثنى امرأته من آله ومن المكرر للتأكيد فلما ان اراد ان يطش
بالذي فلما اراد يبطش وقيل اراد هذا من المختصر المضمر اضمر الاسم وحذف الفعل وتقديره فلما ان اراد
الاسرائيل ان يبطش موسى بالذي هو عدو لهما فلم يفعل قال يا موسى اتريد ان تقتلني
الكلام واوجزه ومن المكرر المؤكد قوله فينظر كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة اي فينظر كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اشد قوة فوصل من وكذلك كان وعل بهم وفي مصحف عبد الله الذين من قبلهم كانوا اشد
قوة ليس فيه كانوا ولا هم وبمعناه وان تصر قوله لبيوتهم سقفا من فضة
هذا ما طول البيان والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
بالرحمن اعاد ذكر البيوت مؤخرا ومن المعنى المكنى المبهم المشتبه قوله تعالى ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء والشيء في هذا الموضع الاتفاق وقوله يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها
احدهما ايكم لا يقدر على شيء والشيء في هذا الموضع الامر بالعدل والاستقامة على الهدى وكذلك
قوله تعالى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فالشيء هاهنا وصف مخصوص من وصف الربوبية
من العلم الذي علمه الخضر من لدنه لم يجز ان يسأل عنه حتى يبتدئ هو به فلذلك كني عنه وكذلك
العلم على ضربين ضرب لا يصلح ان يبتدأ به حتى يسأل عنه وهو ما لا يضر الجهل به فلذلك وسع جهله
وحسن كتمه وعلم لا ينبغي ان يسأل عنه وهو من معنى صفات التوحيد ونعوت الوحدانية لا
يوكل الى العقول بل نخص به المراد المحمول فعلم الخضر الذي شرط على موسى ان لا يسأله عنه
حتى يبادئه من هذا النوع وكذلك قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء يعني الله اي كيف كان

خلق من غير خالق فقيل وجودهم اثبات خالق فهو دلالة عليهم أنه خلقهم قال ابن عباس وزيد بن ثابت
في قوله تعالى من غير شيء أي من غير رب كيف يكون المخلوق بلا خالق وروى ذلك عن ابن عباس
وزيد بن ثابت وقال تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالبعض الأول المفضل وهم الموالي
والآخر المفضول وهم المماليك وقال تعالى قال قرينه هذا ما لدي عتيد وقرينه هذا هو الملك الموكل
بفعله أحضر ما عنده من فعله وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته هو شيطانه المقيض له
ومثله وإخوانهم يمدونهم في الغي الهاء والميم المتصلة بالإخوان اسم الشياطين والمتصلة بهما
اسم المشركين أي الشياطين إخوان المشركين يمدون المشركين في الغي ولا يقصرون عنهم وقيل
إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الهاء الأولى المتصلة يتولونه كناية عن اسم الله
والمتصلة بالباء من اسم الله تعالى ويقال إنما عاد الهاء على إبليس أيضا فيكون المعنى هم قد أشركوا
أي أشركوا بعبادته ومثله قوله تعالى فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا الهاء الأولى كناية عن
الجرائر وهي الموريات قدحا يعني الخيل تقدح بحوافرها فتورى النار فأثرن به أي بالعدو
يعني التراب والهاء الثانية كناية عن الإغارة فوسطن به أي توسطن به بالإغارة وهن المغيرات
وسط جمع المشركين أغاروا عليهم بجمعهم عرو المشركين غاروا وبهذا المعنى قوله تعالى فأنزلنا
فأخرجنا به من كل الثمرات الهاء الأولى عائدة إلى السحاب أي أنزلنا بالسحاب الماء وقوله به مبتدأ
فلكني ما ذكرناه من اسم السحاب فالمبدل أو به بمعنى منه ومثله يشرب بها عباد الله أي
وهو ضرع قوله في الآية ستة أشياء من المعصرات ماء ثجاجا يعني من السحاب وهو قوله سقيناه لبلد ميت
في الهاء الثانية فأخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء فجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فاشكل
المثال الثاني والثالث الخطاب المجمل قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فلم يفهم منه
أن القرآن أنزل في شهر رمضان ولم يدر نهارا أو ليلا فقال في البيان الثاني إنا أنزلناه في ليلة القدر
قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر الهاء كناية عن القرآن وإن لم يتقدم الاسم فجعلت مبدأة وهي من
الثالث الخطاب المجمل فحله قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ثم في البيان الثاني إنا
في ليلة مباركة والبيان الثالث في ليلة القدر وقال تعالى حتى إذا بلغ أشده واستوى قال
بيان الأول زيادة على الأشد غير مفسر ثم قال في البيان الثاني حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين

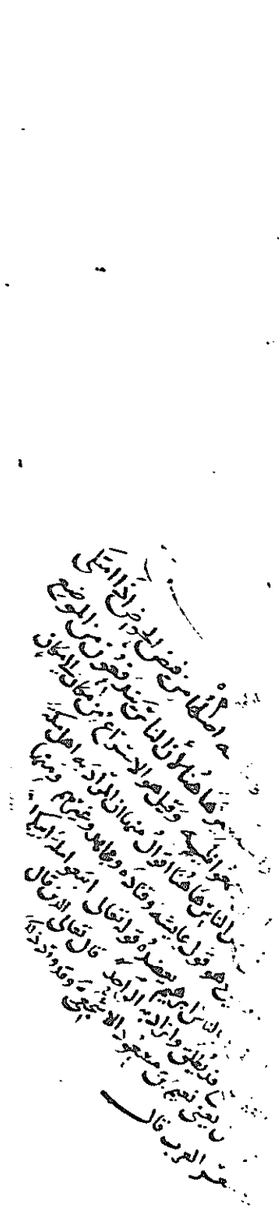

خسر من غير خالق ففي وجودهم إثبات خالق فهو رد لقولهم أنه خلقهم قال ابن عباس وزيد بن
في قوله تعالى من غير شيء أي من غير رب كيف يكون المخلوق بلا خالق ورد ذلك عن ابن
زيد بن أسلم وقال تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالبعض الأول المفضل وهم
والآخر المفضول وهم المماليك وقال تعالى قال قرينه هذا ما لدي عتيد وقرينه هذا هو الملك
بفعله أحضر ما عنده من فعله وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته هو شيطانه المقرون
ومثله وإخوانهم يمدونهم في الغي الهاء والميم المتصلة بالإخوان إنما الشياطين والمتصلة بهما
إنما المشركين أي الشياطين إخوان المشركين يمدون المشركين في الغي ولا يقصرون عنهم
إنما لطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الهاء الأولى المتصلة بيتولونه كناية
والمتصلة بالباء عن اسم الله تعالى ويقال إنها عائدة على إبليس أيضا فيكون المعنى هم قد أشركوا
أي أشركوا بإيمانهم ومثله قوله تعالى فأزلهما فوسطن به جمعا الهاء الأولى كناية
الجوار وهي المؤربات قدحا يعني الخيل تقدح بحوافرها فتورى النار فأثرن به أي بالمكان
يعني التراب والهاء الثانية كناية عن الإغارة فوسطن به أي توسطن به بالإغارة وهن المغيرات
وسطن جمع المشركين أغاروا عليهم بجمعهم وهذا المعنى قوله تعالى فأثرن به نقعا
فأخرجنا به من كل الثمرات الهاء الأولى عائدة على السحاب أي أنزلنا بالسحاب الماء فقوله به مبدل
منه كما ذكرناه من اسم السحاب فالمبدل أوبه بمعنى منه ومثله يشرب بها عباد الله أي
وهو مضرع قوله في الآخر عينا يشرب بها عباد الله أي يشرب منها عباد الله
في الهاء الثانية فأخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء الجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فاشكل
المثال الثاني والثالث الخطاب المجمل قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فلم يفهم
أن القرآن أنزل في شهر رمضان ولم يدر نهارا أو ليلا فقال في البيان الثاني إنا أنزلناه في ليلة القدر
قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر الهاء كناية عن القرآن وإن لم يتقدم الاسم فجعلت مبدأة وهي من
الثالث الخطاب المجمل فحمله قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ثم في البيان الثاني
في ليلة مباركة والبيان الثالث في ليلة القدر وقال تعالى ما بلغ أشده واستوى
بيان الأول زيادة على الأشد غير مفسر ثم قال في البيان الثاني حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين

نفس الأشد بها إذ كانت الواو للمدح والوصف هو من الموحد ومعناه الجمع قوله تعالى والعصر إن
الإنسان لفي خسر معناه أن الناس لفي خسر لقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يستثنى جماعة
من واحد وإنما تستثنى جماعة من جماعة أكثر منهم وإنما يوجد الاستثناء المتصل وكذلك قوله تعالى
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه معناه أيها الناس إنكم كادحون إلى
ربكم كدحا دل عليه قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه وراء ظهره
وإنما وحد النعت لتوحيد الاسم وكذلك قوله تعالى وحملها الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا معناه حمله الناس وهذا جواب الوجه الثاني قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات
الآية ومثله وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها أي إذا أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها فلما
وحد الاسم وحد نعته دل عليه قوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فأظهر الجمع ومن الجمع
والمراد به الواحد قوله كذبت قوم نوح المرسلين يعني نوحا وحده لأنه لم يرسل إلى قوم نوح غيره
يدل عليه قوله إذ قال لهم أخوهم نوح وحدا بحج ومثله فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
الهاء يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وحده ومن الجمع المكنى قوله تعالى خلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس الناس في هذا الموضع الدجال ونزل ذلك في ذكر الدجال وأتباعه
وصفهم فيكون هذا أحسن في تأليف الكلام وتبيان المعنى وكذلك وقيله يا رب إن هؤلاء قوم

مهم
الإضافة المعلوم من فصل الإضافة
الذي يجوز إضافة
وفي الواو الذي يجوز إضافة
وقد يروى وهو لا يجوز إضافة
أن المراد بالناس هنا قوم
والله الجمع فيقال الناس
هم الناس يعني جميع
يعني العرب قال

هذا من المعطوف والمعطوف عليه ومن المقدم والمؤخر فعطف عليه بقوله وعنده علم الساعة وضميرا
قوله وهم يسئلونه يا رب والمعنى وعنده علم الساعة وعلم قبله على من كسر اللام من قبله
سر فتحها فاء مقدم أيضا ومحمول على المعنى أي وعنده علم الساعة وعلم قبله يا رب ومن فتح
اللام تكون مستأنفة على الخبر وجوابها ألفا فاصفح عنهم وقيل للجمع مضمومة الى علم
والمعنى وعنده علم الساعة وعنده قوله يا رب جمع بينهما بعند ومثله مما حمل على المعنى
قوله تعالى فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا ثم قال والشمس والقمر حسبانا فلو لم يحمل على
المعنى لكانت والشمس والقمر خفضا اتباعا للفظ قوله فالق الإصباح وجاعل الليل ولكن معناه جعل
الليل سكنا متبعة لجعل ظاهرا ومضاه وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم من نصب اللام محمولا على
معنى الفعل من قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ومن قرأ بالخفض حمله على اتباع الإعراب مرة
تعالى برؤوسكم فاتبع الإعراب لأن مذهبه الغسل لا المسح واختيارنا اللام على أن الغسل
الوجه واليدين الا انه روي عن ابن عباس وأنس نزل القرآن بغسلين ومسحين وبين النبي صلى
الله عليه وسلم غسل الأقدام فنحن نفعل كما فعل ومثله قوله ولولا كلمة سبقت من ربك
لكان لزاما وأجل مسمى من المقدم والمؤخر المعنى ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى
لزاما وأجل مسمى لكان لزاما فأخر لتحسين اللفظ ٥ ومن المؤخر بعد توسط الكلام قبله قوله تعالى
طبقا عن طبق في قراءة من وجد الفعل فهو متصل بقوله يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فملاقيه لتركبن طبقا عن طبق أي حالا بعد حال في البرزخ وكذلك هو في قراءة من جمع
لتركبن فيكون الانسان في معنى الناس وانما وحد لتحسن كأنه قال يا أيها الإنسان لتركبن طبقا
عن طبق فأخر ومعناه التقديم ومثله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا
قليلا وقوله تعالى الا قليلا هو متصل بقوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا واخبر
الكلام لاتبعتم الشيطان وقد قيل أن قوله تعالى الا قليلا مستثنى من الأول في قوله
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به الا قليلا وفي هذا بعد والأول أحب الي وعلى هذا
المعنى قرأ ابن عباس لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم جعله متصلا بقوله ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم الا من ظلم وصار آخر الكلام لا يحب الله الجهر بالسوء من القول

ومثله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وانما
هو من صلة قول الله تعالى وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا تفعلوا تكن فتنة في
الأرض وفساد كبير وانما هو من صلة قول الله تعالى وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر
الا تفعلوه تكن فتنة الآية وكذلك قوله تعالى في أول السورة لهم مغفرة ورزق كريم
كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ليس هذا من صلة الكلام انما معقد متصل في المعنى بقوله
تعالى قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك أي فصارت أنفال الغنائم لك اذ أنت راض
عن ربك وهم كارهون فاعترض من بينهما الأمر بالتقوى والإصلاح والوصف بحقيقة الإيمان والصلاح
فاشكل ومثله قوله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه الا قول ابراهيم لأبيه ولذلك
قوله تعالى ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة متصل بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم يعني في مجاعة ومثله وإن كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الأرض أي يسألونك عنها كأنك حفي بها ومثله أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها
أي نأت منها بخير فلما قدم خير وأخر منها أشكل ومثل ما ذكرناه من علوم القرآن كثير وانما
بهمنا يسير على كثير ودللنا بذلك على حرف غير ليستدل بما ذكرناه على نحوه ويتطرق به الى غيره
وكل ذلك على ضروب كلام العرب ومعاني استعمالهم ووجوه استحسانهم إذ في كلامهم التطويل
البيان والاختصار للإيجاز واللفظ والمقدم والمؤخر للتحسين وكلم فصيح بليغ مبين لأن وصف
البلاغة عندهم رد الكثير المشور الى القليل المجمل وبسط القليل المجمل الى المبثوث المفسر فالقصر
من الكلام عندهم مع الحاجة الى المعاني المنفرقة عجز والمطول منه مع الاكتفاء بالمعاني الجامعة
منه عي فلما خاطبهم بكلامهم افهمهم بعقولهم واستعالهم ليتحسن ذلك عندهم فيكون حجة عليهم
من حيث يعقلون ان أمره بما يعلمون ويعملون ويستحسنون حكمة منه ولطفا فكذلك أيضا
على هذه المعاني يفهم الخصوص من مكانهم ويشهدون على علو مقامهم في مكان ما أظهر لهم
من العلم به ونصب ما قسم لهم من العقل عنه فهم متفاوتون في الإشهاد والافهام حسب تفاوتهم
في الأنصبة من العلوم والعقول اذ في القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن
فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم وظاهره لأهل الظاهر وباطنه لأهل الباطن والله

واسح عليهم هدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاذا صفى القلب بنور اليقين وابدا الصدر
بالتوفيق والتمكين وتجردا لفهم من الم والتعلق بالخلق وتأله السر بالكون على الخالق وطلب النفس
من الهوى بسرب الروح فجالت في الملكوت الاعلى وكشف القلب بنور اليقين الثاقب ستر ذوات المنشئ
وملكوت العرش فيرد بالفوائد وعن معاني صفات موصوف واحكام اخلاق مالوف وباطن اسماء معروف
وغرائب علوم من علم زخيم رؤوف فشهد عن الكشف اوصاف ما عرف فقام حينئذ شهادة ما عرف
فكان ممن قال تلاوته حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن قال واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
اولئك هم المؤمنون حقا فليكن العبد بوصف من نعت بالحضور والانذار وحض بالمزيد والاستبشار
في قوله تعالى فلما احضروه قالوا انصتوا الآية وفي قوله تعالى فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وفي
بنعت من مدح بالعلم واثنى عليه بالرجاء والخوف في قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الآية وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا فاذا
من اهله وخاصته ومحبيه وخالصيه كما روي عنه صلى الله عليه وسلم اهل القرآن هم اهل الله
وخاصته فهم لا غيرهم وقال ان مسعودا لا على احدكم ان يتسل عن نفسه الا القرآن فان كان يحب
القرآن فهو يحب الله وان لم يكن كذلك فليس يحب الله لانك اذا احببت متكلما احببت كلامه واذا
كيفية مقالته ٥ وقال بعض علمائنا من علامة الايمان حب له ومن علامة حب
حب كلامه ومن علامة حب كلامه حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله
عليه وسلم اتباعه وعلامة اتباعه الزهد في الدنيا ٥ وحدثونا عن بعض المتدينين قال كنت
جدة اراد اني اتاجي الله بالقرآن ثم رهقني فترة فبقيت اياما لا اقرأ فمتف بي هاتف من قبل الله ارك
نجنا فلم فجرت كابنا اماتركن فيه من لطايف عناني وفهم خطابي ٥ وقال بعض العارفين ان كان
المزيد مزيدا حتى يحل في القرآن كلما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى
العبيد ٥ واقل ما قيل في علوم القرآن التي تحويه من ظواهر المعاني المجموعة فيه اربعة وعشرون
الفا وثمان مايه علم لان لكل كلمة علما وكل كلمة مقتضى صفاتهما ولكل صفة افعال
على معانيها اذ لكل آية علوم اربعة ظاهر وباطن وحد ومطلع وقيل انه بعد
على سبعة وسبعين الفا من العلوم فسبحان الله الفتاح العليم ٥

بقرة

ومايتين

وصف من رغب عن القرآن

فاذا خالف الذي هذا الوصف الذي ذكرناه او كان على ضد ذلك من التهور والغفلة والقسوة والحسرة
مجادا لنفسه مصغيا الى هواه ووسوسة عدو في امور دنياه متوهما للظنون عاكفا على الاماني
خيف عليه ان يكون ممن قال تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني تلاوة القول
لا غير وانهم الا يظنون - فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما اخبر عن الظانين بالله بقوله ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبمعنى ما قال وكاين من ايية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
يعرضون فالقرآن من اجل آيات الارضين والسموات الدالة على فاطرها ومنزلها وكان بوصف من
مدده بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز منها وتابه منابيا لغيره اذ يقول تعالى نحن اعلم بما
يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى ومثل من يستمع وقلبه مشغول عن المسموع بما
ثم عما ينفعه حتى اذا خرج عن الكلام سأل من حضره بقلبه ماذا قال آنفا من الخطاب الذي كان هو عنه
بعقله قد غاب وقد كان حاضرا الجثة حجة عليه فمن ذلك قوله تعالى حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم الآية اي فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب
ولم تعه واتبعوا اهواءهم يعني اباطلهم وظنونهم الكاذبة ٥ ويقال ان العبد اذا تلى القرآن
واستمام لفطر الله تعالى اليه بوجهه واذا قرأ القرآن وخاطب ناداه الله مالك ولكلامي وانت معرض
عني ادع عنك كلامي ان لم تتب الي وزوينا في الاسرائيليات اوحى الله الى نبيه موسى وداود
عليهما السلام مر عصاه بني اسرائيل الا يذكروني فاني اليت على نفسي ان اذكر من ذكرني واني
اذكرهم بلعنتي ٥ وكان بوصف من اخبر عنه اذ يقول تعالى خلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب الآية هذا وصفهم بالظن الكاذب والرجاء الخائف للذان لم يفترقا الى خوف واشفاق
وعصوا الخالق عاجلا وتمنوا عليه المغفرة اجلا جملا منهم بحكمته واعراضا عن احكامه فقال
تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق الآية ثم اخبر عن علمهم بذلك
الم قول وخبر لاهله بتبين ومعاينة فقال ودرسوا ما فيه اي قرؤوه وعلموه ولم يعملوا به فلم
ينتفعوا بشيء منه وقيل درسوه تلاوة حسب واتوا ما ازمه مع درايته وهم يعلمون كان

من ذلك الخبر المأثور اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم وكانت له جدودكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه
وفي لفظ آخر فلستم تقرأونه وحدثني شيخ من أهل الفضل قال قرأت على شيخ لي فلما ختمت رجحت
إليه أقرأ فانتهرني وقال اتخذت القراءة على عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى وانظر ما يسهل منه
ويمكن عنه وقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحفظ من القرآن الا
الجزء والجزئين والسور المعدودة وكان من حفظ الجزء منه أو السبع أو البقرة والأيام وهم
على ذلك فيها وقبض صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابي ولم يحفظ القرآن كله الا أربعة
نفر اختلفوا في الاثنين منهم وقال بعضهم لم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد وختم
ابن عباس على أبي وختم ابن عوف على ابن عتاب وقرأ عثمان على زيد بن ثابت وأهل الصفة على أبي
هريرة وكلهم كانوا متبعين لأوامره مجتهدين لزواجره عاملين بفقهه فيه وقال يوسف بن
أسباط وقيل له إذا ختمت القرآن بأي شيء تدعو فقال استغفر الله مائة مرة من الأولى
والاستغفار وأعلم أن للعبد من قراءة القرآن بحسب ما له من تعظيمه والفهم له والتفكر فيه والعمل به
لأنه من أكبر شعائر الله في خلقه وأعظم آياته الدالة عليه وأوسع نعمه وأكملها علينا فالعبد

اذ حفظ حدوده مفترض ومسئول عنه العبد ومعاقب عليه بحفظ حروفه والعمل في
ترك ذلك معاقب عليه وليس حفظ حروفه فريضة ولا يعاقب عليه إذا حفظ ما وعى
لصلاته قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن أي العمل به يثقل وإلا فقد يتيسر للذكر

أحزاب القرآن

ويقال إذا ختمت القرآن بأي شيء تدعو فقال استغفر الله مائة مرة من الأولى
ويقال إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه أحشى المقت فأعدل إلى التسبيح
فهذا يقول إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه أحشى المقت فأعدل إلى التسبيح
والاستغفار ٥ واعلم أن للعبد من قراءة القرآن بحسب ما له من تعظيمه والفهم له والتفكر فيه والعمل به
لأنه من أكبر شعائر الله في خلقه وأعظم آياته الدالة عليه وأوسع نعمه وأكملها علينا فالعبد
ينبغي له أن يعظم القرآن بقدر تقواه ولمن الفهم به وفهم الخطاب وتعظيم الكلام حسب ما أعطى من معرفة الكلام
وتعظيمه له بقدر تقواه ولمن الفهم به وفهم الخطاب وتعظيم الكلام حسب ما أعطى من معرفة الكلام
وتعظيمه وإجلاله فإذا عظم المتكلم في قلبه وهمته أنعم تدبر كلامه وأطال الفكر في
خطابه وأكثر تكراره وتردده على نفسه وأسرع عند التأمل به وللجاهة اليه فاف
هذا ولذلك قال تعالى وأذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال تعالى كذلك يبين الله آياته
للناس لعلهم الآية لأن كل كلام موقوف على قابله بعظم بتعظيمه ويقع في القلب بعلو مكانه

أو يهون لسهولة شأنه وهو سبحانه ليس كمثله شيء في العظمة والسلطان وليس كلام
في الأحكام والبيان وقرأت يسون للجنيد في التوراة يا عبدي اما تستحي مني وانا
من بعض اخوانك وأنت في طريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأ له جزءا فاجزءا
حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه وكم فضلت لك
من العذاب وكررت عليك فيه فتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت أهون
من بعض اخوانك أي عبدي تقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي
بكل قلبك فإن تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه او مكان له ان كف وقال
تليك وعدت لك وانت معرض بقلبك عني فجعلتني أهون عليك من بعض اخوانك او
كتبت هذا حفظا وحررت الالفاظ ولم احرم المعاني ٥ وانما خف القيام على اهل
لفهم الخطاب وثقل على اهل الغفلة والنومة لانعقام القلوب عن الفقه
الحجاب كما قال ثقلت في السموات والارض اي خفي علمها يعني الساعة فلما حتى
ذكر الجهر بالقراءة وما في ذلك من البيان وتفضيل بعضها
روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة
صدقة العلانية وفي لفظ اشهر منه الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر
بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا
العوام خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض
بين المغرب والعشا وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة مسجد النبي صلى الله عليه و
عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه ادخل
المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وان للرجل فيه نصيبا فرفع
فقال ايها المصلي ان كنت تريد الله بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس
يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفق رأسه واخذ نعله وانصرف وهو يومئذ
المدينة وعلى ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع جماعة من اصحابه

الليل فصوب ذلك لهم ويستمع اليهم وقد امتر بالجهر فيما روي عنه فقال اذا قام احدكم
الصلوة الليل فصوب ذلك لهم ويستمع اليهم وقد امتر بالجهر فيما روي عنه فقال اذا قام احدكم
عليه وسلم في ليلة على ثلثة نفر من اصحابه مختلفي الاحوال منهم من كان ثقيفا وهو ابو بكر رضي
الله عنه فسأله عن ذلك فقال الذي اناجيه يسمع وحده ومنهم من كان يجهر وهو عمر رضي
الله عنه فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وانجر الشيطان ومنهم من كان يقرأ آية
من هذه السورة وآية من هذه السورة وهو بلال رحمه الله عليه فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب
بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم كلكم قد احسن واصاب فأقول والله اعلم ان المخافتة فيه
افضل اذا لم تكن للعدد سنة في الجهر او كان ذاهبا عن الهمة والمعاملة بذلك لانه اقرب الى السلامة
وابعد من دخول الآفات عليه وان الجهر افضل ان كانت له نية في الجهر ومعاملة مولاه به لانه ممن قام
بسنة قراءة الليل ولان المخافت نفعه لنفسه والجاهر نفعه له ولغيره وخير الناس من نفع الناس
والنفع بكلام الله تعالى من افضل المنافع لانه قد ادخل عملا ثابتا يرجو به قربه ثابته على عمله وكان
في ذلك فاعلا وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ولقرأ قل اعوذ برب
الفلق والناس والحمد والعمل عند قراءته من كل سورة صدق الله وبلغ رسوله عليه السلام اللهم
فيه وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم ومن حفظ جوارحه وقلبه
النهي فقد عمل بالقرآن الى خاتمته لانه مقسط على حمله العدد وجوارحه جملته وفي الجهر بالقراءة
ذلك سبع بتات منها الترتيل الذي امر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب اليه
في البر آمن عازب زينوا القرآن باصواتكم وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن
باحد الوجهين واحبهما الى ان مما عليه اهل الجنة والوجه الاخر اي من
فيه والغنية والاكتفاء ويقال من هذا الوجه يتغنا لا يتغنى ومنها ان يسهل به
ويرقق قلبه لتدبر الكلام وفهم المعاني ولا يكون ذلك كله الا في الجهر ومنها ان يطرد
به بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة والتلاوة فيكون هو له معاونا على البر

والتقوى ومنها أن يكثر جهره بتلاوته ويديم قيامه على حسب عادته بالجهر ففي ذلك
كثرة عمله ٥ فإذا كان العبد معتقدا لهذه البيانات طالبا لها ومتقربا إلى الله تعالى بها عالما أنه
مصححا لقصده ناظرا المولاه الذي استعمله فيما يرضاه فجهره أفضل لأن له فيه أعمالا فاتما يفضل العمل
البيان فيه وارتفع العلما وفضلت أعمالهم بحسن معرفتهم ببيانات العمل واعتقادهم لها ففي
في العمل الواحد عشر بيانات يعلم بذلك العلما فيعملون بها فيعطون عشرة أجور فافضل الأعمال
العمل أكثرهم نية وأحسنهم فضلا وأخبرونا في بعض التفاسير وأما بنعمة ربك فحدث
قراءة القرآن وفي الخبر من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيمة
أخر كتب له عشر حسنات والتالي شريك المستمع في الأجر لأنه اكسبه ذلك وقال
للقارئ أجر وللمستمع أجران وقال آخر للقارئ أجر وللمستمع تسعة أجور واذا كان
التالي مكتسبا لغيره هذه الأجور فان له بكل أجر كسبه غيره أجرا لقوله صلى الله عليه وسلم
الدال على الخير كفاعله لاسيما ان كان عالما بالقرآن فقهها فيه فيكون مقراه وعمله وقوته حجة
لسامعه وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عايشة فأبطأت
فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام
حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله
ايضا ذات ليلة الى ابن مسعود وهو يقرأ ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال
أن يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه بقراءة ابن ام عبد وقال صلى الله عليه وسلم لابن
اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ انا وعليك انزل فقال اني احب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ
الله عليه وسلم يستمع وعيناه تفيضان وهو عند قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل
شهيد يشهد عليك على هؤلاء شهيدا واستمع أيضا قراءة أبي موسى فقال لقد اوتي من مزامير
آل [illegible] فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تستمع لحبرته لك تحبيرا
ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس بقرأين بين يديه ويقول رتل فداك أبي وامي وكان حسن الصوت
بالقرآن وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا احدهم
البقرة وكان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فكان يقرأ عندهم حتى يكاد الصلوة تفوت فيقوم

يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا فيها كأنه يتأول قوله تعالى ولذكر الله أكبر ٥
وقال بعض عبادا البصريين لما وضع بعض البغداديين كتابا في معاني الزيادة دقايق آفات النفوس قال
لقد كنت أمشي الليل أجمع فاستمع قراءة فلان في سطحه واستمع جرة قراءة فلان من غرفته
وكنت الليل استمع أصوات المتهجدين كأنها أصوات الميازيب فكان في ذلك انس وحث على
العبادة والتلاوة حتى جا البغداديون بدقايق الرياء وخفيات الآفات فتلك المتهجدون فلم يزل
ذلك ينقص حتى ذهب وانقطع وترك إلى اليوم فان لم تكن التالي فيه في شيء مما ذكرناه وكان
قاصيا غافلا عن ذلك أو كان واقفا مع شيء من الآفات أو تستشعر في قلبه شيئا من ذكر
هوى فقد اعتل فعليه ان يحتمي الجهر فان جمزة على ذلك تقل قلبه وفساد عمله لاستكانة الداء
فيه وكان الى النقصان أقرب ومن الاخلاص أبعد فعليه حينئذ بالاخفاء فهو دواء يعالج به
مرضه وحاله فهو أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحمد في عاقبته وقد يكون البعد واحد الحالة
الهوى في الصلوة والتلاوة وهو يظن أن ذلك حلاوة الاخلاص وهذا من دقيق شان الشهوة
الخفية وحيلها [illegible] وكثير من يلتبس ذلك عليه [illegible] ليتركه ولا
[illegible] لحلاوة الاخلاص الزائف [illegible] في مدح الناس ويلتذ بفتح
القارئ له وصدق الخدمة المجون لله تعالى المؤمنون به واعتبار تفقد ذلك باحد شيئين ستوط
القارئ بالتداد المدح والذم وهذا حال جليل في مقام الزهد او خروج الخلق من القلب بشهادة العين
وهذا في مقام العارفين وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية وقد تكون العلانية أفضل لأنه
القوى والعدل وفي حديث عن رجل من أهل الخير كنت أقرأ في النجم في غرفة لي شارعة سورة
طه فلما ختمتها غفوت بعدها غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة بيضا فنشرها بين
يدي فإذا فيها ستون طه واذا كل كلمة تحتها عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانتي
رأيت مكانها محوا ولم أر تحتها شيئا ففتنني ذلك فقلت قد والله قرأت هذه الكلمة ولم أزل لها قواتا وما
انفك فقال الشخص صدقت قد كنت قرأتها وكتبناها الا انا محيناها منادي يناديني أحيها وأسقطوا اثرها
فحولناها وأسقطنا تواليها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرقعت بها صوته ذلك
لأجله فمحوناها من الصحيفة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ

جهرًا فناداه أسمع الله ولا تسمعني واعلم أن السمعة مقترنة بالرياء ومحكوم لها بحكمه من فساد العمل
ونقصان العامل وهو مأخوذ من الشهرة كأن العبد يسمع بعمله غير الله فيبطل عمله لجعله بمن عمل له
بالتوحيد أو يحب أن يسمع المخلوقون به فيمدح لغلبة هواه وضعف يقينه فيكون قد أشرك في عمله
غير الله فيبطل عمله لجعله بمن عمل له فكما أن الرياء مأخوذ من رأي العين فالسمعة في معناه وفي الخبر
عنه صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي وفي الآخر من سمع سمع الله به ومن راءى
راءى الله به وصغره وحقره فأما من كانت نيته صالحة في أن يسمع أخاه كلام الله تعالى
ليتعظ به ويتدبره فليس داخلًا في السمعة لوجود حسن النية وصحة القصد وقد أقر أن الله
لإرادة طمع عاجل من مدح أو عرض فهو من المعاونة بالبر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم
من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل كما قال أبو موسى يا رسول الله لو علمت أنك تستمع إليه لجبرته لك
تجبيرًا فلم ينكر عليه لأنه كان ذا نية في الخير وحسن القصد به وقال للآخر الذي أظهر صوته
بالآية اسمع الله ولا تسمعني أنه عليه السلام خيفه السمعة فيه وكما مر النبي صلى الله عليه وسلم
على رجل يظهر [illegible]
أن معه يا رسول [illegible]
وقراءة القرآن في المصحف أفضل من ختمه بعشر ختمات بلى والتدوين [illegible]
كثير من الصحابة والتابعين يقرأون في المصحف واستحبوا أن لا يخرج يوم إلا وقد نظروا في
خمس عثمن رضي الله عنه مصحفين من كثرة دنسه فيهما ٥ واعلم أن الأكل والنوم على
السلامة والصدق أفضل في الحال وأرفع في المقام وأحمد في المآل من الصيام والقيام على شرة
من التصنع والتزين للناس ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء بالله ولله
عن الحسن قال تفقدوا الحلاوة في ثلث فإن وجدتموها فابشروا وامضوا لقصدكم وإن لم تجدوها
فاعلموا أن الباب مغلق عنكم عند تلاوة القرآن والذكر وفي التجرد والأسحار وزاد غيره عند الصدقة

ذكر احياء الليالي المرجو فيها الفضل

ويستحب إحياء خمسة عشر ليلة في السنة خمس منها في شهر رمضان وهي وتر ليالي العشر الأواخر
وليلة سبعة عشر منه وهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وفيه بانت وقعة بدر

لعله قراءة وصحا

وصح سند الاسمار قول

أن الزيادة ذهب إلى أنها ليلة القدر وأما السبع الأخر فأول ليلة من شهر المحرم وليلة عاشوراء
وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وفيها أسري بالنبي صلى الله
وسلم وليلة عرفة وليلتا العيدين وليلة النصف من شعبان وقد كانوا يصلون في هذه الليلة
مائة ركعة بألف مرة قل هو الله أحد في كل ركعة عشرا ويتمونها صلاة الخير ويعرفون تركها
ويجتمعون فيها ويزينها أصلوها جماعة روي عن الحسن أنه قال حدثني ثلثون رجلا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى هذه الصلوة في هذه الليلة نظر الله عز وجل إليه سبعين
نظرة يقضي له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة وقيل أن هذه الليلة هي
التي قال الله عز وجل فيها يفرق كل أمر حكيم وأنه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام
إلى مثلها من قابل والصحيح أنه في ليلة القدر وبذلك سميت لأن التنزيل
الآية إنا أنزلناه في ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم ثم قال إنا أنزلناه في
ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطيا لقي

فيها
بيك

ذكر مواصلة الأوراد في الأيام الفاضلة

وفي تسعة عشر يوما يستحب فيهن مواصلة الأوراد والدعوات في العبادة يوم عرفة ويوم عاشورا
ويوم الجمعة وعشرين من رجب ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم
الجمعة والعيدين والأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والأيام المعدودات وهي أيام
التشريق وفي الخبر صوم يوم عرفة كفارة سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة
وصوم يوم عاشورا كفارة سنة ٥ ويروى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم
يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ٥ وقال بعض علمائنا من أخذ
ورده في هذه الأيام الخمسة في الدنيا لم يزل مؤيدا في الآخرة وفي الآية إشارة أيام يرجى فيها
التنزل من الله تعالى فإذا اشتغلت عنها بهواك وعاجل الدنيا فمتى
الأيام الخمسة العيدان ويوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشورا ومن فواضل الأيام بعد

هذه الاشهر والخميس يوما تفتح فيها أبواب السماء وترفع فيها الأعمال الى الله عز وجل ومن أفاضل
الشهور الأربعة المحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة ورجب والمحرم خصهن الله عز وجل بالنهي عن القتال
فيهن لعظم حرمتهن وكذلك الأعمال فيهن لها فضل على غيرهن وأفضلها ذو الحجة لوقوع الحج فيه ولما
خص به من الأيام المعلومات والأيام المعدودات ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين هو من أشهر الحج
والحرم فأما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج وأما شوال فهو من أشهر الحج وليس من شهوره الحرم
وأفضل الأيام في الشهر العشر الأول من ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان وفي
عشر المحرم من أوله الى آخره يوم عاشوراء وأفضل الأوقات أوقات الصلوات المكتوبة وفي
في هذه الأيام له فضل ٥ وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلثة أيام من
حرام بعده الله من النار سبع مائة عام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت ٥ وروي
آخر صوم يوم من شهر حرام بعد صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من شهر رمضان بعد
يوما من شعبان على الشهور ٥ ثم أفضل الأوقات في جملة الأيام أوقات
من رمضان طوى الفراش وشد المئزر وفي آخر اذا دخلت العشر الأواخر دأب وداب
وأدأب يعني إدام واداموا التعب والنصب في العبادة وقال عليه السلام ما من أيام
العمل فيهن أحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة وان صوم يوم منها فيه يعدل صيام
وقيام ليلة منها يعدل قيام ليلة القدر وفي خبر آخر قيل ولا الجهاد في سبيل الله
ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع منهما بشئ وفي لفظ آخر الا من
جواده وأهريق دمه واذا أحب الله عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بأفضل الأعمال لينيله
النوال ٥ واذا مقته ابتلاه بأسوأ الأعمال في أفضل الأوقات ليضاعف له السيئات باتفاق
الشهابين وأنهاك الحرام في الحرمات ٥ ويقال من التوفيق ثلث دخول أعمال البر
غير قصد الى الله وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب التوبة
الله اليك مع الاصرار ٥ ومن علامة الخذلان ثلث نسيان الطاعات عليك مع السعي
ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجا اليه وترك الدعاء الى الله في كل الأحوال

وهو كتاب الجمعة وهيأتها وآدابها صلاة الجمعة واجبة باوصاف ساقطة باوصاف
في وجوبها يكون بالامامة والاستطاعة وحضور وقت الظهر وتكملة عدة اربعين رجلا وسقوطها بالسفر ودخول
وقت العصر ونقصان العدد ووقوع وهي من اعمال الامر اتصلي خلف كل من قام بها منهم الا اني احب
لك اذا ظهر اذا صليت خلف مبتدع فان اجتمع في بلد جماعات صليت خلف الافضل منا ما يهما فان استويا
صليت في الاقدم من الجامعين فان تساويا صليت في الاقرب منهما وهو يوم عظم الله به الاسلام وزينه
وشرفه به المسلمين وفضلهم قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى
ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فالبيع والشراء حرام بعد الاذان للجمعة عند طائفة
من العلماء والعموم النهي عنه ومنهم من قال يرد البيع لانه فاسد الا اني احب ان ذلك محرم عند الاذان الثاني
وهو مع خروج الامام اذ اقعد على المنبر لان هذا كان هو الاذان على عهد رسول الله وسلم وعهد ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما لان الاذان الاول احدثه عثمان عنه لما كثر الناس وقال الله عز وجل فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله فامر عباده المومنين في يوم الجمعة بالذكر له ونهاهم عن البيع
وما هم فيه بطلب الفضل منه ووعدهم الخير والفلاح وهما اسمان جامعان لغنيمة الدنيا والاخرة وروي
عن رسول الله صلعم ان الله تعالى فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا روي عنه صلعم من ترك صلاة
الجمعة ثلثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وكما قال صلعم واختلف رجل الى
ابن عباس سله عن رجل مات لم يكن شهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزايد ولم يشهد اليه عن ذلك يقول هو في النار
الا انها ساقطة عن خمس الصبي والمملوك والمراة والمسافر والمريض فمن شهدها من هولاء فصلاها اجزت
عنه وكان مؤديا للفرض ويقصد الجمعة من فرسخين او ثلثة واستحب لمن بكر اليها من اهل القرى فادركها
وادركه الليل فاواه الى اهله ان يشهدها وفي الخبر ان اهل الكتاب اعطوا يوم الجمعة
فاختلفوا فيه فضر فوا عنه وهدانا الله له واخره الله سبحانه وتعالى لهذه الامة جعله عيد الهم فهم اولى
الناس به سبقا واهل الكتاب بين لهم تبعا وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام
وفي كفه مرآة بيضا فقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك فتكون لك عيدا ولامتك بعدك قلت فما لنا
فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هوله قسم اعطاه الله اياه وليس له قسم دخر له ما هو
اعظم منه او نعوذ من شر هو عليه مكتوب الا اعاذ الله تعالى من اعظم منه فهو سيد الايام

شا المنير نهاية
ع بعاية الشا

عندنا وحتى ندعوه فى الاخرة يوم المزيد قلت لم قال ان ربك اتخذوا واديا افيح من مسك فاذا كان
يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه وذكر الحديث قال فيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وروى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وفى الخبر وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة
فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة فى اخبار يطول ذكرها وفى الحديث ما من دابة
وهى قائمة على ساق يوم الجمعة مشفقة من قيام الساعة الا الشياطين وشقى بنى آدم ويقال ان الدواب
والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وفى الخبر ان لله عز وجل فى كل يوم جمعة
ستة وثلاثين الف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار وفى حديث انس عن النبى صلى
الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام وقال كعب الاحبار ان الله فضل من كل
شئ خلقه شيأ ففضل من البلدان المكة وفضل من الشهور شهر رمضان ومن الايام يوم
وفى الخبر ان جهنم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تسعر فى
الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر واضل العبد ما يعمل فى يوم الجمعة البكور
الى الجامع فى الساعة الاولى فان لم يفعل ففى الساعة الثانية لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فان لم يفعل ففى الساعة الثانية فكانما قرب بدنة ومن
فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا
اقرن فالساعة الاولى تكون بعد صلاة الصبح والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس والثالثة
تكون عند انبساطها وهو الضحى الاعلى اذا رمضت الاقدام بحر الشمس والساعة الرابعة
تكون قبل الزوال والخامسة اذا زالت الشمس ومع استوائها وليس لساعة الرابعة والخامسة
ستجان للبكور ولا فضل للمصلى الجمعة بعد الساعة الخامسة لان الامام يخطب فى اخرها فلا يبقى
الا فريضة الجمعة ويقال ان الساعة الناس يكونون فى قربهم من الله عز وجل عند الزيادة المنظر اليه
قد بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود يوم الجمعة بكر الى المسجد فرأى ثلثة نفر قد سبقوا
بالبكور فوجم لذلك وجما وجعل يقول رابع اربعة يعنى نفسه ومارابع اربعة ببعيد وهذا من الذين
فى هذه المشاهدة للخبر فى ذلك وقد جاء فى الاثر ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تاخر عن وقت

يوم الجمعة فيقال بعضهم بعضا ما فعل فلان وما الذى اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان
اخره فقر فاغنه وان كان اخره هم ففرج عنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره
شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وروى فى خبر
مقطوع عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث لو علم الناس ما فيهن لركضوا
الابل فى طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل رحمه الله
وقد ذكر اهل الحديث افضلهن الغدو الى الجمعة وقد روى فى الخبر اذا كان يوم
الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون
الاول فالاول على مراتبهم فمن راح فى الساعة الاولى فكانما اهدى بدنة ومن راح فى الساعة
الثانية فكانما اهدى بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما اهدى كبشا ومن
راح فى الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة
فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر
فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من فضل الجمعة فى شئ ولا يقعد
الى القصاص فى يوم الجمعة فقد ذكره ذلك ولا فى حلقه قبل الصلاة فانه روى
فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن التحلق يوم الجمعة
قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله تعالى يذكر بايام الله ويفقه فى دين الله تعالى
يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فتكون جامعا بين البكور الى الجمعة
والاستماع الى العلم ولا يدع الفضل يوم الجمعة الا من ضرورة فاء نه عند
بعض العلماء فريضة والاغتسال فى البيت افضل دخل بعض الصحابة على ابنه وهو يغتسل يوم الجمعة فقال للجمعة فقال لا بل من جنابة فقال
اعد غسلك ثانيا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما
انه قال واجب على كل محتلم ان يغتسل يوم الجمعة وكان اهل المدينة
ينسبون بينهم فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقد قال عمر
بن الخطاب رضى الله عنهما قد تاخرما الذى اخرك فقال توضات وخرجت فقال الوضوء ايضا

وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل يوم الجمعة ولكن في ترك الغسل
لوضوء عثمان رضي الله عنه مع علمه ويشد ذلك ان الخبر المسند من توضا يوم الجمعة فبها
ومن اغتسل فالغسل افضل وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال
فليغتسل واولذلك قال مالك رحمه الله ان النساء اذا حضرت الجمعة اغتسلن لها ومن اغتسل من جنابة اجزء
للجمعة اذا نوى ولا بد من النية لغسل الجنابة لاجل الجمعة فلا باس ومن اغتسل بعد طلوع الفجر للجمعة اجزء
ولكن لفضل الغسل لها عند الرواح الى الجامع واجب ان لا يحدث وضوءه بعد الغسل حتى يفرغ من صلاته
من العلماء من ذكره ذلك ولكن من بكر الى الجامع فتوضا هناك من حدث لحقه لامتداد الوقت فانه
غسل الجمعة ويستحب ان يستاك ويلبس من صالح ثيابه ويستحب الشهرة من اللباس ومن افضل
البياض وبردين يمانيين ولبس السواد يوم الجمعة بدعة وليس من السنة ان يتطرى الا بما
اطفاره وياخذ من شاربه فقد روي ذلك انه من فعل رسول الله صلى الله
وسلم وشرف ومزامره ويتطيب باطيب طيبة مما ظهر ريحه وخفي لونه فذلك
الرائحة وذلك طيب الرجال ويستحب العمامة يوم الجمعة وقد روينا فيها حديثا
ان الملائكة يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس
ان ينزعها يعني العمامة قبل الصلاة وبعدها ايضا ولكن لا يصلي الامتمم
لتحصل له فضيلة العمة فليلبسها حينئذ عند صعود الامام المنبر ثم ليصل وهي عليه فان
نزعها بعد ذلك ولكن يخرج من منزله وهو لابسها وليخرج الى الله تعالى خاشعا
متواضعا ذا سكينة ووقار واجبات وافتقار وليكثر من الدعاء والاستغفار
وينوي في خروجه زيارة مولاه في بيته والتقرب اليه بادآء فريضة والعكوف
الى حين انقلابه ثم ليكف جوارحه عن اللهو واللغو وينوي الشغل بخدمة
وليترك راحته في ذلك اليوم ومهناه من عاجل حظ الدنيا وليواصل الاوراد فيه ليجعل
اوله الى انقضاء صلاته الجمعة للخدمة بالصلاة واوسطه الى صلاة العصر
استماع العلم ومجالس الذكر واخره الى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار
فكذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة هذه الاقسام الثلثة وان صامه فحسن يضمه الى يوم

ويضيف اليه يوم السبت فقد كره افراده بالصوم ان لم يصمه وكان اهل فلا يستحب له ان
يصوم فيه فقد روي فضل ذلك وكان بعض السلف يفعله وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غسل واغتسل وغدا وابكر ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة كفارة بين الجمعتين وفي
رواية اخرى وروينا من الامام كان له بكل خطوة كفارة بين الجمعتين وفي خبر آخر غفر له الى اليوم
الاخرى وفضل ثلثة ايام وقد استثنى طرفي بعضها ولم يتخط رقاب الناس فمعنى قوله من غسل تشديد السين
اي غسل اهله كناية عن الجماع وبعض الرواة يخففه فيقول من غسل واغتسل كون معناه عنده من غسل راسه
والغسل بعده وليتق ان يتخطى رقاب الناس فانه مكروه وجافيه وقد شدد ان من فعل ذلك جعل
جسرا يوم القيمة على جهنم يتخطاه الناس وروي ان جريج حدثنا مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم
راه ويخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه
وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم قال يا نبي الله تخطيت
رقاب الناس وفي حديث مسند قال له ما منعك ان تصلي معنا الجمعة قال اوما رأيتني قال بلى قال فما
لبثك وأذيت اي اخرت عن البكور وأذيت الحضور وروينا عن بعض علماء السلف رحمهم الله تعالى
الرزق سوى ازراق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس او في الجمعة وفي المشهور
ان الساعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا الا اعطاه وفي لفظ آخر لا يوافقها عبد يصلي
قيل ان الساعة عند طلوع الشمس وقيل مع الاذان وقيل عند الزوال وقيل اذا شرع الامام المنبر وكبر
الاخرى وقيل عند قيام الناس الى الصلوة وقيل عند غروب الشمس اذا ندلى حاجبها الاسفل فكانت قبله
الزيادة والدعا فيما صح منها وقال بعض العلماء هذه الساعة منتقلة لانها لو كانت في وقت معين
وساطوين عنا ذكرها كما عينوا ليلة القدر في شهر رمضان فكانها تلتمس في الجميع
الشمس وقيل انما تنتقل في ساعات يوم الجمعة كما تنتقل ليلة القدر عند بعضهم في ليالي الشهر ذلك
يكون العبد طالبا اليه راغبا عاما مفتقرا في جميع اوقاته في ذلك اليوم فعسى ان ينال الدرجة وفي
الذكر كل ساعة منها صادفها باذن الله تعالى ومن لم يواصل الساعات في يومه فليواصلها في جمعها

وقتا بعد وقت [illegible] يوم الجمعة [illegible] ولتكثر الدعاء والتضرع في وقتين منها أحدهما
عند صعود الإمام المنبر إلى أن يتم الصلوة ويدخل فيها والآخر بعد العصر إلى الشمس واجبها اللهم
فهذان الوقتان من أفضل أوقات الجمعة ويقوى في نفسي أن في أحدهما التي [illegible] فقد اجتمع لك
مع أبي هريرة فاجمع رأي كيف أنها وأي ساعة بقيت في يوم الجمعة فقال أبو هريرة وكيف يكون
أخرا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال له كعب
ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس ينتظر الصلوة فهو في صلوة أخرى قال بلى قال
الصلوة فسكت أبو هريرة ووافقه ولتكثر من الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة
وليلتها وأقل ذلك أن يصلي ثلث مائة مرة فقد جاء الخبر من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر
له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة وكيف ما صلى عليه بعد أن يأتي بلفظ الصلوة عليه
فهي صلاة والصلوة المشهورة هي التي ورد في التشهد وأفضل الصلوات أن تقول اللهم صل على
وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضى وله حقا وأداء واعطه الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود
وذريته وأجزه عنا ما هو أهله وأجزه أفضل ما جزيت نبيا عن امته وعلى جميع اخوانه من النبيين
والمرسلين يا أرحم الراحمين تقول هذا وتستغفر الله سبعين مرة ففيه فضل عظيم وقيل من
ذلك سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له الجنة وشفاعته عليه السلام اللهم اجعل
الصلوة فيما مأثورة اللهم اجعل صلوات صلواتك وشرائف زلفاتك وقوايم بركاتك
ورحمتك وتحيتك وفضائل المنك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
رب العالمين قايد الخير وفاتح البر ذي الرحمة [illegible]
به قرة وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف
والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشافعة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه
واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأفلج حجته وارفع
أثره علي درجته وفي أعلى المقربين اللهم احينا على سنته وامتنا على ملته وأورد
واسقنا من كأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا مفتونين آمين

ولتكثر من الاستغفار يوم الجمعة وليلتها فإن لفظ ذكر فيه الاستغفار فهو مستغفر وإن قال اللهم
اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم فهو أفضل وإن قال رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فحسن
ويستحب له أن يقرأ يوم الجمعة وإن ضاق عليه ذلك فليشفع إليه ليلتها ليكون ابتداؤه من ليلة الجمعة
وإن جعل ختمه القرآن في ركعتي الفجر يوم الجمعة أو في ركعتي المغرب ليلة الجمعة فحسن ويستوعب ذلك
كل اليوم والليلة وإن جعل ختمته بين الأذان للجمعة والإقامة لما فيه فضل عظيم ويستحب أن
يصلي قبل الجمعة اثنتي عشرة ركعة وبعدها ست ركعات وإذا دخلت الجامع فصل أربع ركعات فمن
قال هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين ففيه أثر وإذا دخلت الجامع فلا تقعد حتى تصلي ركعتين
قبل أن تجلس وكذلك إذا دخلت والإمام يخطب تركع ركعتين خفيفتين وإن سمعته لأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك إلا أنه قد جاء في حديث غريب أن النبي صلى الله عليه وسلم سكت له حتى صلاهما. وقال
الكوفيون إن سكت له الإمام صلاهما خفيفتين ولعل سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوص له
لوجوب قوله وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرأها إلى مكة وغفر له إلى يوم
الجمعة الأخرى وفضل ثلثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات
الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال وأستحب له أن يصلي يوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور الأنعام
والكهف وطه ويس وإن لم يحسن فيس وسجدة لقمن والدخان والملك ولا يدع قراءة هذه الأربع في كل
ليلة جمعة ففيه أثر وفضل عظيم وإن قرأ المسبحات في ليلة الجمعة فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان العلماء يجعلونها شعار أعيادهم الآتي في الجمعة وليلتها فإنه روينا
أنه ليس يوم ولا ليلة إلا لله فيهما مائة ألف حاجة أدناها أن يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك وروينا
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا بأعيانها الآتي في الجمعة وليلتها فإنه روينا
أنه كان يقرأ في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي غداته سجدة لقمن
هل أتى على الإنسان وفي صلوة الجمعة الجمعة والمنافقين فإن لم يحفظ يقرأ ما تيسر فذلك أدناه
وليلة الجمعة أحد من ختمه من حيث علم وكان العابدون يستحسنون أن يقرأ يوم الجمعة ألف مرة قل
هو الله أحد فإن قرأها في عشر ركعات أو عشرين ركعة فحسن ومن أفضل ما يختم به الكلام
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ومن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير بالكلمات

ألف مرة فهذه ثلثمائة أو زاد حسنة في يوم الجمعة أعني قراءة الإخلاص والصلوة بالتسبيح والتهليل
ألفا ألفا فلا يدع عن ذلك من وزنها أو أحدها فإنه من أفضل الأعمال في هذا اليوم وإن قبل الزوال يوم
الجمعة صلوة التسبيح وهي ثلثمائة تسبيحة في أربع ركعات فقد أكثر وأطاب وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال صلها في كل جمعة مرة وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه لم يكن يدع
هذه الصلوة كل يوم بعد الزوال وأخبر عن فضلها ما يجل عن الوصف وأستماعه إلى علم اليقين
والمعرفة وحضور مجالس الذكر أفضل من صلاته وفي حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من
صلوة ألف ركعة وفي لفظ آخر لأن يتعلم أحدكم بابا من العلم خير له من ألف ركعة قيل يا رسول
الله ومن تلاوة القرآن قال وهل ينفع القرآن إلا بعلم والصلوة إذا عدم ذلك أفضل من حضور مجالس
القصص والاستماع إلى القصاص فإن القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص من المساجد
جاء ابن عمر إلى مجلس من المسجد فإذا قاص يقص فقال لا قوم وقد جلست فيه أو قال قد سبقتكم
إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك جائزا أو كان من السنة لما استعجل ابن عمر
أن يقيمه لا سيما وقد سبقه إلى الموضع وهو الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيمن أحدكم
أخاه عن مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكان ابن عمر إذا قام الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى
يعود إليه وروينا أن قاصا كان يجلس بفناء عائشة رضي الله عنها يقص فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد
آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي قال فضربه ابن عمر بعصى حتى كسرها على ظهره ثم طردة وقال
احذر أن تمر بين يدي المصلين وإن كان مرور لا يقطع الصلاة ففي الخبر لأن يقف أربعين سنة
خير له من أن يمر بين يدي مصل وجافيه وعيد شديد أن يكون الرجل رمادا ترمدا تذروه الرياح حتى
ما أن بين يدي المصلي وقد تساوى في ذلك بين المار والمصلي في الوعيد وفي حديث زيد بن خالد الجهني قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين
سنة خيرا له من أن يمر بين يديه وليدن المصلي من الأسطوانة أو جدار فإذا فعل ذلك فليدع عن أحد
يمر بين يديه وليدفعه ما استطاع وفي حديث عبد الرحمن بن أبي نصر عن أبيه عن أبي سعيد الخدري
إذا صلى فليقاتله فإنه شيطان وكان ابن نصر يدفع من مر بين يديه حتى يصرعه وربما تعلق به الرجل
واستعدى عليه إلى مروان فيخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فإن لم يتفق له أسطوانة

ليجعل شيئا بين يديه مكروه لمصطرع ذراع وإن كان جدارا مرودا يكون بينه وبين الجدار قيل أربع
من الخطاء أن يمر بين يدي المصلي والصف الثاني وبين كل صفين فارغا ويتبع جهته في صلاته ويصلي
إلى سبيل من تمر بين يديه وكان الحسن يقول لحراس المسجد الذين يقعدون على أبواب المساجد يوم الجمعة
لا تدعوا أحدا يمر بين يدي المصلين ليقرب من الإمام وينصت ويستمع ويستقبله بوجهه متكئا السنة الآن خلاف
ذلك يسمع منكرا ولا يقدر على تغييره فليبعد فهو أسلم له ولا يشتغل في الصلاة في خطبة الإمام وإن بعد ولا
يتكلم في مجلس من يتكلم والإمام يخطب ولا يلغ ولا يتكلم في خطبة الإمام ولا يقل أحد أنصت ولكن يومئ
إليه إيماء أو يحصبه بحصاة فإن لغا والإمام يخطب بطلت جمعته ومن لم يقرب ولم يستمع والإمام يبعد
منه فليصمت وإن بعد كذلك المستحب وروينا عن عثمن وعلي رضي الله عنهما من استمع وأنصت فله أجران
ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران ومن استمع ولغا فعليه وزر واحد ٥
وفي حديث ابن ذر لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب متى أنزلت هذه السورة فأومى إليه أن
اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي اذهب فلا جمعة لك فسأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
صدق أبي وفي الخبر من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو صه فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب
فلا جمعة له وليقطع الصلوة إذا قام المؤذنون بين يدي الإمام للأذان فقد روى أبو إسحق عن الحرث عن علي
كراهة الصلوة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والإمام يخطب وجاء الأثر خروج
الإمام يقطع الصلوة وكلامه يقطع الكلام وسجود العمامة عند قيام المؤذنين للأذان ليس بسنة وإن
فعل ذلك سجوده في صلوة أو سجود القرآن فلا بأس أن يمتد بالدعاء إلى وقت فراغهم لأنه وقت مفضل ولا
يزيد في ذلك اثرا غير أنه مباح ومن الناس من كان يكره الصلاة في المقصورة لأجل أنها قصرت على
السلطان وأوليائه وذلك عند أهل الورع من أول بدعة ابتدعت في المساجد أنها غير مطلقة لسائر
المسلمين فكرهت الصلاة فيها تورعا وكذلك نقل في الآثار وكان الحسن وكره المزني لا يصليان في
المقصورة وروي يزيد الحسني رأيت أنس بن مالك يصلي في المقصورة وعمران بن حصين ممن شهد من
ذلك وأرى فيه فضلا لأجل السنة في الدنو من الإمام واستماع الذكر فإن طالت للعمامة زالت
الكراهية عندنا وإن حضرها أولياء السلطان تركت لهم فإن صلى مصل فيها فإن بعض العلماء كره الصلاة
في فناء المنبر من قبل أن المنبر يقطع الصفوف وكان عندهم أن تقدمة الصفوف إلى فناء المنبر بدعة

وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر ومن خشي الأفه والفتنة ممن قرب من الامام
بأن يسمع ما يجب عليه إنكاره أو يرى ما يلزم الأمر فيه والنهي عنه من لبس حرير أو ديباج او الصلاة في
السلاح الثقيل المشغل كان بعده من الصفوف المقدمة أصلح لقلبه وأجمع لهمه لقلة ملاقاة الناس وقلة
النظر اليهم فالأصلح للقلب والأجمع للهم هو الأفضل حينئذ ولم أكره له تأخره عن الصف الأول وقد
كان جماعة من العلماء والعباد يصلون في أواخر الصفوف إيثارا للسلامة وقيل لبشر بن الحرث ما لك
تبكر يوم الجمعة ثم تصلي في أواخر الصفوف فقال بهذا انما نريد قرب القلوب لا قرب الأجساد ونظر الثوري
الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة ابي جعفر فلما جاءه بعد الصلاة قال شغل قلبي قربك
من هذا هل امنت أن تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أخذوا من لبس السواد فقلت
يا أبا عبد الله أليس في الخبر اذن واستمع قال ذلك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فلا بعد عن
ولم ننظر اليهم كما فأقرب لك الى الله وروينا عن أبي الدرداء فضيلة في الصف المؤخر قال سعيد بن
عامر صليت الى جنبه فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في أخر الصف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف
أولها فقال نعم الا ان هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله عز وجل اذا نظر الى عبد
في الصلوة غفر له من وراه من الناس وإنما تأخرت رجاء ان يغفر لي بواحد من الناس بنظره اليه وقد
بعض الرواة ان ابا الدرداء سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك والصدقة مستحبة مفضلة
الجمعة خاصة وإنما تضاعف الاعلى من سأل والامام يخطب أو كان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه
وقال ضمرة بن أحمد سأل مسكين يوم جمعة والامام يخطب وكان اذا جاء أحد من الناس أعطاه الرجل
قطعة ليناوله فلم يأخذ منه وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ألا يعطا
سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجوامع الذين يتخطون رقاب
الا أن يسأل قائما من غير ان يتخطى المسلمين أو قاعدا في مكان فلا بأس وروينا عن كعب الحبر قال
شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم
اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل
شيئا الا أعطاه وروينا عن بعض السلف على غير هذا الوصف فقال من طعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا واستكثر
ولم يود أحدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتقبل

ويكره دعاء ما بعد الذكر استحبابه له وان سمع قراءة الامام فقرأ معه سورة الجمعة أو غيرها من السور غير الجمعة
فان الأمة وعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سلم من صلاة الجمعة قرأ وهو ثان رجليه قبل أن
يتكلم قل هو الله سبع مرات وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ففي ذلك أثر عن بعض السلف أن
من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان ذلك حرزا له من الشيطان واستحب له أن يقول بعد صلاته
اللهم اغنني بالعلم واغنني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وروى أن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة انه كان يصلي أربعا بعدها وروى علي عن عبد
قال النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعدها ستا فاذا صلى بعد ست ركعات فقد استوعب
مع الروايات وجاء عن بعض السلف أنه كره الصلوة في رحاب الجامع وكان بعض العجابة
كان يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ثم يقول لا تجوز الصلوة في الرحاب وهذا عندي على أن من
ان الصلوة في الرحاب المتصلة بالصفوف التي واليد فيه المحيط بها حائط الجامع الأعظم كالصلوة
بالوسط غير مكروهة والصلوة في رحابه المنفرقة في افنيته التي هي من وراء جدر الجامع كلها مكروهة
كالصلوة في الطرقات والدور المنفرقة عن الجامع غير المتصلة بالصفوف الجامعة ولو تعلق
هذا الذي كرهه من كان نهى عن الصلوة فيه فاذا صلى الجمعة انتشر في الأرض
من فضل الله ومن أفضل الابتغاء طلب العلم والاستماع اليه ويقال هو من يوم الجمعة الى
قال تعالى ولقد آتينا لقمن الحكمة يعني العلم وقال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وروينا عن مالك بن انس في قوله تعالى فاذا قضيت
فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله الآية قال أما انه ليس بطلب دنيا ولكنه عيادة مريض وشهود
جنازة وتعلم وزيارة أخ في الله تعالى والذكر بالعلم وتعليم الناس اياه والذكر يوم الجمعة
فيه فضل عظيم على سائر الأيام لأنه يوم المزيد فللقلوب فيه اقبال وتجديد وكذلك
سعي اليه والاستماع اليه وحضور مجلس الذكر يوم الجمعة لمجالس القصص افضل من سائر
الأيام والمستمع شريك القابل في الأجر وقيل أنه أقرب الى الترحم وقد كره العلماء الجلوس

خ

ويكره شراء الماء في المسجد للشرب
اوليس بتلك كان لا يكون سباعا
في المسجد فقد كره الشرى والبيع
في المسجد فان باعه ودفع الثمن
خارج من المسجد وشرب وتوضأ
في المسجد فلا بأس

الى الفصل الاسبوع يوم الجمعة فاضرع الى الله تعالى بالدعاء الذي اذكره في آخر هذا الباب
عن الغد والى الجمعة مع ما في اثناء ذلك من الاوراد والاذكار وهذا اول دعاء اقوله عقيب
عز وجل يذكره به ويدله عليه من علماء الآخرة الزاهدين في الدنيا يرسم ان يجيبوه الى الجامع
بعد صلوة الجمعة جلس اليه واستمع منه وان حضر مفتي متكلم بعلم الدين وحضر الجمع جامع
اذ ذلك جالسه فهو الافضل لان مجالس العلماء في الجوامع من زين يوم الجمعة وتمام فضله وكماله
الحسن يقول الدنيا ظلمة الا مجالس العلماء فان لم يتفق ذلك اجتنى ما بين الصلاتين وهو الوقت الخامس
من النهار ويستحب صلوة العصر في الجامع الا لسبب لابد منه مانع وان قعد الى غروب الشمس
اقرب للساعة المنتظرة من آخر النهار اذا امن الفتنة والتصنع والكلام فيما لا يعنيه ويقال
من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب كان له ثواب عمرة فان خشي دخول الليل
عليه اولم يأمن التصنع والخوض فيما لا يعنيه انصرف الى منزله ذاكرا لله مفكرا في آلائه وحسن نعمه
فراغا غروب الشمس بالاذكار والتسبيح والاستغفار في منزله او محل حبيه فذلك حبيا
افضل له وقال بعض السلف او تر النهار نصيبا يوم الجمعة من زاعاها وانتظرها من امس واحرص
منها ضيفا من يصبح يوم الجمعة فيقول ايش كان اليوم وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع
لاجل صلوة الجمعة ومنهم من كان يبيت ليلة السبت وكثير من السلف كان يصلي الغداة
الجمعة في الجامع ويقعد ينتظر صلوة الجمعة لاجل البكور ليستوعب فضل الساعة الاولى واحاديث
الباب وعامة المؤمنين كانوا ينصرفون من صلوة الغداة في سابعهم فتوح
وقيل بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنا اذا كنا يوم الجمعة
تجد الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويتزاحمون عليها الى الجوامع كما ترى
اليوم في الاعياد حتى دون ذلك وقل وجهل وترك او لا يستحي المؤمن ان اهل الذمة يبكرون
كما يبكرون قبل غروبك الى جامعك او لا يعتبر باهل الاطعمة الباعة في ربح اجامعهم انهم يغدون
الدنيا والناس قبل غدوهم الى الله والآخرة فينبغي ان تسابقهم وتسارع الى الله وما عنده
ويستحب ان يكون المؤمن يوم الجمعة مزيدا في الاوراد والاعمال ليتفرغ فيه الى ربه ويجعله يوم
وجمان اذا لم يكن له يوم السبت كيوم الجمعة في الاوراد المتصلة واكره له التأهب ليوم

في باب الدنيا من يوم الخميس من اعداد المأكول والتزفه من النعمة والمأكل والشرب بقدري حديث
من طريق اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتي على الناس زمان يتناهبون بجمعتهم في امر دنياهم
عشية الخميس كما تناهب اليهود لسبتها عشية الجمعة وانما كان المؤمنون يتناهبون فيها الا خره
بالاوراد الحسنة ويزدادون من الاذكار المتصلة وقال بعض علمائنا من اخذ مهناه من الدنيا في هذه
الايام لم ينل مهناه من الاخرى منها يوم الجمعة وكان بعض العلماء يقول يوم الجمعة من الاخرة ليس هو
من الدنيا وقال بعضهم لولا يوم الجمعة ما اجبت البقاء فهو عندي الخصوص بين العلوم والانوار ويوم
الخدمة والاذكار لانه عند الله تعالى يوم المزيد بالنظر اليه في المزار ورويناه حديثا غريبا
عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا شغالكم يوم الجمعة
غائبة يوم صلوة ونهجد ورويناه عن جعفر الصادق قال يوم الجمعة لله تعالى ليس فيه سفر
قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله وما ذكرناه من الصلوة سورة الفرقان والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وجميع الذكر في يوم الجمعة فهو مستحب في ليلتها فاء نها الليلة الزهراء
لليوم الازهر فهي من افضل الليالي فلا يدعن ذلك من وجد اليه سبيلا فان الصادق المريد في
كل وقت مفضل من الله بالمزيد واذا احب الله عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل
الاعمال واذا مقت عبدا استعمله في الاوقات المفضلة بسيي الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته
ولجهانة بركة الوقت وانتهاكه حرمة الموقت ومما يختص بيوم الجمعة من الذكر والتحميد من الاسماء فضول
اربعة اولها الاسماء الاربعون التي دعا بها ادريس صلى الله عليه وعلى نبينا واله وسلم خصه الله بها
وانما كانت من دعا النبي صلى الله عليه وسلم والفضل الثاني كان ابراهيم ابن ادهم يدعو به كل جمعة
عشر مرات اذا امسى واصبح وكان ذلك من عمله في يومه والثالث روينا عن علي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمجد نفسه في كل يوم وليلة فيقول اني انا الله رب العالمين
اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم والرابع تسبيحات ابي المعتمر وهو ابراهيم التيمي الذي روي الشيخ
بعد قتله في المنام فقيل له ما افضل ما رأيت هناك من الاعمال فقال رأيت تسبيحات
ابي المعتمر من الله بمكان فاما هذان الفضلان من تحميد الرب نفسه وتسبيحات ابي المعتمر فقد
ذكرناها اول الكتاب من جملة الادعية المختارة بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فاستقلنا اعادتها هنا

حديث عن الحسن بن يحيى الشاهد قال حدثنا القسم ابن احمد القراطيسي حدثنا عبد الله ابن محمد القرشي قال
حدثني محمد ابن سعد المؤذن حدثنا سلام الطويل عن الحسن قال لما بعث الله ادريس الى قومه علمه هذه الآ
فيما اوحى اليه قلهن سرا في نفسك ولا تشهرنهن للقوم فيدعوا بهن قال وبهن دعا فرفعه الله مكانا
عليا ثم حملهن موسى وبهن فلق البحر ثم محمد صلى الله عليه وسلم وبهن هزم الاحزاب قال الحسن
وكنت مستخفيا من الحجاج فدعوت بهن فحبسه عني فادع بهن التماس المغفرة لجميع الذنوب
ترسل حاجتك لدنياك واخرتك فانك تعطى ان شاء الله تعالى ذلك فانهن اربعون اسما عدد
ايام التوبة سبحانك لا اله الا انت يا رب كل شيء وارحمه ويا لا اله الا الله الرفيع جلاله
يا الله المحمود في كل افعاله يا رحمن كل شيء وراحمه يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا قيوم
فلا يفوت شيء علمه ولا يؤده يا واحدا لباقي اول كل شيء واخره يا دايم بلا فناء ولا زوال للملك
يا صمد في غير تشبيه ولا شيء كمثله يا باري فلا شيء كفوه ولا مكان لوصفه يا الله انت الذي لا
العقول لوصف عظمته يا باري النفوس بلا مثال خلا من غيره يا زكي الطاهر من كل آفة بقدسه
يا كافي الوسع لما خلق من عطايا فضله يا تقيا من كل جور لم يعرضه ولم يخالطه فعاله
يا حنان انت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما يا منان ذا الاحسان قد عم كل الخلايق منه يا ربا
العباد كل يقوم خاضعا لرعبته يا خالق من في السموات ومن في الارض وكل اليه معاده يا رب
كل صارخ ومكروب وغياثه ومعاده يا قيوم فلا تضف الا لسن كرجلال ملكه وعزه يا مبدئ
البدايع لم يبغ في انشائها عونا على خلقه يا علام الغيوب فلا يوده شيء من حفظه يا حليم
ذو اناة فلا يعاذله شيء من خلقه يا معيد ما افناه اذا برز الخلايق لدعوته من مخافته
يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه يا عزيز
المنيع الغالب على امره فلا شيء يعازله يا قهار ذا البطش الشديد انت الذي
لا يطاق انتقامه يا قريب المتعالي فوق كل شيء علوا ارتفاعا
كل جبار يقهر عزيز سلطانه يا نور كل شيء وهداه انت الذي فلق الظلمات بنوره يا عالي الشاع نوره

كل شيء انتفاعه بامره ولا شيء يمتنع من سعيه بتسايره ومريده
فانها بقدرته جليل المتكبر عن كل شيء فالعدل امره والاستقامة من يا محمود فلا
يلحق الاوهام صمديته ولا يدرك بالحواس ملاحظ تعرف له يا عظيم ذو الثناء
والمآثر ويا ذو العز والمجد والكبرياء فلا يبلغ عزه يا مجيب فلا تخلق الالسن بحمده وثنايه يا
من حسنت كل شيء بديعه يا مجيبي عند كل دعوة أسئلك امانا من عقوباتك الاخرة وان تحرسني
ايادي الظلمة المريدين السوء وان تصرف عني قلوبهم عن شتمي ما يغمرون به الا يملكه غيرك اللهم هذا
الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

ذكر دعاء ابراهيم بن ادهم

حدثنا احمد بن الحسين الموصلي قال حدثنا جعفر بن بشر الخواص حدثنا ابراهيم بن نصير الخالدي
قال ابراهيم بن بشير خادم ابراهيم بن أدهم قال كان ابراهيم يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة بعد صلاة
الفجر اذا أصبح واذا أمسى سبحانك يوم المزيد والصبح الحديد والكتاب والشهيد يوم ذا يوم عيد انا لك
المقول فيه بسم الله الحميد المجيد الرفيع الوجود الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا
وبقدرته كافرا وبجنته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولرهبته خائفا لله تعالى من آلهة
[illegible] لا اله الا هو [illegible] لا شريك له
[illegible] ومن خلق ومن هو خالق بسطه وثلثاني أخره
رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما والبعث حق يوم الايام البيض اول يوم
الحوض حق والشفاعة حق ومنكر ونكير حق ولقاء حق ووعده حق
ان الله يبعث من في القبور على ذلك أحيى وعليه أموتى وعليه أبعث
الهي انت خلقتني وانت تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي
عليك وأتوب فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهد لي
لي أحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير
كله بيديك انا لك واليك استغفرك وأتوب اليك اللهم امنت

أنزلت من كتابك صلى الله على محمد وعلى آل محمد وسلم تسليما دائما كلما ذكرك وذكر آباءه وعلى أنبياء
ورسله أجمعين يا رب العالمين اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه شربة روية سائغة
لا نظمأ بعدها أبدا ما حشرتنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مبدلين ولا
ضالين ولا مضلين اللهم اعصمنا من فتن الدنيا والآخرة وقنا شح أنفسنا وترضى عنا وأصلح لنا
كل شأننا وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تخذلنا وإن كنا لا نستحق
سبحانك يا علي يا عظيم يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها
وسبحان من سبحت له الأرضون بأصواتها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها سبحان من سبح
له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السموات بأنوارها وسبحان من سبحت له
الشجر بأصول الماء ونضارتها وسبحان من سبحت له السموات السبع ومن فيهن ومن على عرشه
سبحانك يا حي يا قيوم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك فإذا دعا بهذا الدعاء
لا يرفع رأسه حتى يغفر له وتم عليه نعمته وعافيته ولا قوة إلا بالله

ذكر ما يستحب للعبد من الصيام

قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وجاء في التفسير الصبر الصوم لأن الصبر
[illegible]
استعينوا بالصبر والصلوة قيل لعظيم
الصبر الزهد في الدنيا الصوم عون
[illegible]
لقمان الهوى وعنه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
فإنه لي وأنا أجزي به فأضافه إلى نفسه سبحانه تشريفا له
[illegible]
وكما قال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فيكون أجره غير محسوب
كل شيء فلما كان الصوم لله أجب بيوت الدنيا إلى الله ومكة أشرف البلاد عند الله
نفسه وله كل شيء ولما كان الصوم أفضل الأعمال عنده وهو أحبها إليه أن يتعبد
[illegible]
الصديق ويخفي عمله ستر الغيب لا يطلع عليه غيره وقيل ما من عمل إلا يراءى

ويقع فيه قصاص ويذهب بدل المظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى هذا لي فلا يقتص منه
أحد في القيمة شيئا لأنه وسمه باسمه ليلا يأخذ أحد شيئا منه وقيل ما من عمل آدمي يحضره الموت إلا
الصوم فإنه لا يعلم أحد ما جزاؤه فيكون أجره بغير حساب يفرغ له إفراغا لكن بأن يعمل
الوجوه في قوله سبحانه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل والصوم
لله والعالم لو أنفقوا ما في الأرض ذهبا لم يزنوا بمثله وقال ابن عباس الصائمون هم التائبون
التائبون الصائمون والصبر اسم يجمع أنواع الصوم لما أخفى ذكره بالصوم في نفسه أخفى الله
جزاءه إياه عن غير نفسه وفي الحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني
في ملإ ذكرته في ملإ خير منه الحديث بطوله والصوم ذكر الله تعالى وهو سر وكذلك قوله
قوله تعالى السابحون قيل الصائمون لما أمر سلحوا إلى أنهم بهم وعظيمهم ليس بعد
إلى فطاره أربعة أيام فسقا فإن ذلك يقسي القلب ويغير الحال ويعود العادات ويمنع الشهوات
له لم يرتبه ولم يندب إلى أن يزاد على ثلاثة أكثر من أربعة أيام متوالية وهي يوم الفطر
تشريق الثلثة بعده وفي دليل الخطاب من قوله يحكما واشتهروا فيما استثنى
أيام الخلية أنهم أسلفوا الصيام لأنهم أخروا بالصوم والشراب
فطر يوما ويصوم يومين يفطر يومين وذلك صوم نصف الدهر فإن أجهد صام يوما ويفطر يومين
فإن أجهد بهم يوما ويفطر يومين وهذا صيام ثلث الدهر هذه رتبة الصائمين وفضائلها
لقاها وفضائلها للاختصار وإن صام ثلثا من أول الشهر وثلثا من وسطه وثلثا من آخره
صام الأثابين بهذه الخصلة فلها فضل كثير وأقل ذلك أن يصوم الأيام البيض وأول يوم من
شهر وآخره وأفضل الصيام ما كان في الأشهر الحرم وأفضل من ذلك ما وقع في العشر
لين من الشهرين وهما المحرم فذو الحجة وبعدها ما كان في شعبان فقد كان يقال له
ينام فيه حتى يصله برمضان ولا يدع أن يصوم من كل شهر ثلثة أيام وليوافيه في الأيام
يس في الخبر أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم والنصف الأول من شعبان
تحبون أن يفطروا النصف الآخر منه وروي في ذلك خبر وليفطر قبل رمضان يوما ماه وإن
ل شعبان برمضان فجائز ولا يجوز أن يستقبل رمضان بيوم أو يومين أو ثلثة إلا أنه يوافق ذلك

ويومين من الخميس وهو يصومهما وكان بعض الصحابة يكره أن يصام رجب كله ليلا يضاهي شهر رمضان
ويستحبون أن يفطروا منه أياما وكره قوم صوم الدهر ووردت الآثار في كراهيته وقالوا
تأول ذلك بأنهم كانوا يصومون السنة كلها مع يومي العيد وأيام التشريق فوردت الكراهية
بذلك وإن كان يجد صلاح قلبه وانكسار نفسه واستقامة حاله في صوم الدهر فليصمه فهو حينئذ
كالواجب عليه إذ كان تقواه وصلاحه فيه سعيد عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عنه جهنم هكذا وعقد تسعين وهذا
لم يكن له فيها موضع ودلت الأصول على صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح من الصحابة
والتابعين لهم باحسان وقد دلت الأحاديث على فضل صوم نصف الدهر أن يصوم يوما ويفطر يوما
فيكون العبد بين حالي صبر وحال شكر ومنه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أعرض
علي مفاتيح الدنيا وكنوزها فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما فأحمدك إذا شبعت وأشكرك
إذا جعت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام أخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما
ومن ذلك منازلته لابن عمرو في الصوم وهو يقول إني أريد أفضل من ذلك وفي الشهر صوم يوم
شهر حرام أفضل من صوم ثلثين من غير شهر وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلثة أيام من شهر حرام
وقد روينا في حديث من صام ثلثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة
سبعين عاما فلا بد عن ذلك من زرقة وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم صام شهرا
قط إلا رمضان بل كان يفطر ويصوم ووصل مرة شعبان برمضان وفصل مرة أراه صوم رمضان
شعبان وما ذكرنا من الصيام فهو صيام جماعة من السلف الصالح وفي أن يزيد منه فضائل
ذكرها وكذلك في جميع ما ذكرنا من أعمال القلوب والجوارح في الأيام والليالي وكذلك فيما نذكر من
الأوقات وأوصاف الموقنين وما في جميع ذلك فضائل ومثوبات لا إثم تقصد ذكره وليس غرضنا فضائل الأعمال
انما هو تهذيب قلوب العمال فبطهارة القلوب وحقائق الإيمان تزكو الأعمال
وترتفع عند الله عز وجل ويقرب منه العاملون ولا قوة إلا بالله

باب صوم المتطوع

والصوم عند الصالحين لله هو صوم القلب عن الهمة الدنية والأفكار الردية ثم صوم اللسان والبصر والأذن عن
فضول الحدود وصوم اليد والرجل عن البطش والسعي في أسباب السيئات والنهي فمن صام هذا الوصف فقد
أدى زكاته في جملة يومه وصار له في كل ساعة من نهاره وقت وعمر يومه كله بالذكر ومثل هذا قيل
نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وفي الخبر الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته فحفظ الأمانة من
الجوارح لقوله صلى الله عليه وسلم لما تلى هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى
أهلها الآية فوضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة وقال صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان شاتمه أحد فليقل اني صائم أي يذكر الأمانة التي حمل
نفسه عليها وحفظ الأمانة أن يكفها فان اغتيابها من غير حاجة فهي خيانة لأن مودعها قد
يحب أن يظهر عليها لأن حقيقة حفظ السر نسيانه وضياع السر ان تكثر خزانه وقال عليه السلم
لا يجهل أحدكم يوم صومه وفطره سواء أي يحفظ ما له في صومه لحرمته وقال صلى الله عليه
وسلم الصوم جنة ما لم يخرقها بكذب أو غيبة وقد قرن الله عز وجل الاستماع الى الباطل والقول الاثم
الى أكل الحرام فلولا ان في المسموعات والمقولات حراما في المستمع الاصغاء اليه وحراما على القابل
ان يحمل لولا بهاء الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت الآية وكل محظور
عليك أن تقوله محظور عليك أن تستمع اليه وكل محظور عليك أن تفعله فمكروه لك أن تنظر
اليه كيف وقد سوى الله عز وجل بين المستمع والقابل في قوله تعالى انكم اذا مثلهم فالعبد الحافظ لجوارحه
الله أن أفطر بالأكل والجماع فهو صائم عند الله في الفضل الا أنه ضيع ومن صام من الأكل والجماع وتعدى
الحدود وأضاع فهو مفطر عند الله صائم عند نفسه لأن ما أضاع أجب الى الله وأكثر مما حفظ ومثل
من صام من الأكل وأفطر لمخالفة الأمر سائر الجوارح مثل من مسح كل عضو من أعضائه في وضوء
تام الا أنه صلى فقد وافق الفضل في العدد الا أنه ترك الفرض عن الفضل فصلاته من دودة على رأسه
وهو مقصر بفعله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن النهي مثل من غسل كل عضو من
أعضائه في وضوئه مرة مرة فهذا تارك للفضل في العدد الا أنه مكمل للفرض محسن في الفعل
فصلاته مقبولة تامة لاحكامه للأصل ولعلمه بالعمل ومثل من صام من الأكل والجماع وحفظ

جوارحه عن الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلثا فقد تم الفرض وأحسن تكملة الفضل فهذا
كما قال عز وجل تماما على الذين أحسنوا وكما قال صلى الله عليه وسلم كذلك هذا وضوئي ووضوء
الأنبياء قبلي ووضوء أبي إبراهيم ثم قال ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل أي عليكم بها
فأتموا به واقتدوا بهديه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
وجاء في الخبر أن أمرأتان صامتا على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش حتى
أخر النهار حتى كادتا تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الإفطار فأرسل إليهما
قدحا وقال قلن لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما قطعة قال دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل
ذلك حتى ملأتا ه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا
على ما حرم الله عليهما فعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلنا من لحومهم
وكان أبو الدرداء يقول ياجداه نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم ولأن
يمشي ذو يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عباده من المغترين ومثل الصوم مثل التوبة
لأن الصبر من أوصافها وإنما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيئات لأجل أنه صبر عما سلف من
العادات ثم اعتقد ترك العود إلى مثل ما سلف بصيانة جوارحه التي كانت تعاطى بها المعصية
كان الصيام جنة من النار وفضيلة في درجات الأبرار إذا صبر عليه الصائم بحفظ جوارحه فمن
فإذا أمن جوارحه في الأثام كان كالثابت المتردد الناقض الميثاق ولم تكن توبته نصوحا ولا كان
صوم ذلك صحيحا ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب
أو غيبة وأمثاله كذلك في قوله إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه
إني صائم وفي لفظ أخر ولا يجهل يوم صومه ويوم فطره سواء أي يحفظ في صومه لحرمته

كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت

بسم الله الرحمن الرحيم أخبرنا أبو القاسم قال حدثنا أبو طالب قال قال الله سبحانه
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقرئت آتينا بها وكفى بنا حاسبين أي جئنا
بها والتخفيف بهذا الحرف أشد وأبلغ وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل

زنة خردلة الآية وأوصى أبو بكر عمر رضي الله عنهما عند موته فقال إن الحق ثقيل وهو مع ثقله
مرير وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فإن قبلت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو
لا يفوتك وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه وإن الله تعالى حق بالنهار لا
يقبله بالليل وله تعالى حق بالليل لا يقبله بالنهار وإنك لو عدلت على الناس كلهم وجرت على واحد منهم
لمال جورك بعدلك فاحفظ وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن
توزنوا وتنسوا للعرض الأكبر على الله يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية وإنما خف الحساب في الآخرة على
قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا فتلذذت مواريثهم في الآخرة وزنوا أنفسهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا وأوصى صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال اتق الله أينما كنت وأتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وجاء في الوصية في كتاب الله لعباده ولقد
وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله الآية والثانية ويدرؤن بالحسنة السيئة
أي يدفعون بعمل الحسنة ويتبعونها السيئة المتقدمة تكفرها والثالثة وقولوا للناس حسنا وأخبر
تعالى عز وصفه عباده الصالحين بثلث فقال تعالى إن الإنسان لفي خسر إلى تفصان بفوت أوقاته وفقد
رأس ماله ثم استثنى فقال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق إلى آخر ما وصفهم
في الوصف الثالث وتواصوا بالمرحمة واتباع الحق بمخالفة الهوى وفيه صلاح أذى في مراقبة الموت
والصبر قوام الأمر ومقدار يكون الترجح والرحمة للخلق مفتاح حسن الخلق ومعها حسن الظن وسلامة
القلب بها ينال الحلم والعفو ويورث التواضع والذل وهو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين اختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليهم السكينة وألبسهم الوقار منه فقال
رحماء بينهم وقال تعالى في حقيقة الرحمة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الآية وقال تعالى في مثله
عن وصف أحبائه لإخوانه أذلة على المؤمنين فهذه الثلثة مفاتيح رقة القلب ومغاليق القسوة وفي
الرقة الإقبال على الله والدار الآخرة واليقظة لأمره والتفكر في وعده ووعيده وفي القسوة يعرض
وطول الغفلة لها سببه النفس فمحاسبة النفس تكون بالمبادرة له والورع والموازنة ولا تكون الإمهالة
عن اليقين والتزين للعرض الأكبر تكون بخافة الملك الأعظم وهو حقيقة الزهد وروي عن علي
رحمه الله أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من

المعنى الحق وإن كان
ممن الباطل على الشقوق فانه
قال تعالى الحسنة وسلامة عاقبة
حال وسلامة عاقبة
والباطل وإن كان حصولها إلى
مقبولا بسهولة فانه يؤول إلى
شر وثقل مؤونته وسوء عاقبة
والهرب عول هنا من الرباعي
الحصل الترتيب المعجم ومنه
مهول الرابع في الكلمة ومنه
اسم الربي

دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك
ما خلفت، وشغلك بما أمامك، وهمك لما بعد الموت كتبه الى ابن عمه ابن عباس رحمهما الله وقال
الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند العبرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم
الصدق سلامة ورب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق
ولا يعدمك من حبيب سوء الظن ونعم الخلق الكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرى التقوى
وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والزهد
زرفان زرق تطلبه وزرق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما أنفلت من يدك
ثم أجزع على مالم يصل اليك واستدل على مالم يكن بما كان فانما الأمور أشباه وقال ابن عباس
شيء أفته وأفة العلم النسيان وأفة العبادة الكسل وأفة اللب العجب وأفة الصنف الصلف
الكذب وأفة السخاء التبذير وأفة الجمال الخيلاء وأفة الدين الرياء وأفة الاسلام الأهواء وقال صلى
عليه وسلم أفة أمتي الدينار والدرهم وروينا عن وبرة المسلي عن مجاهد قال أوصاني ابن عباس
لمن أحسن من الدم الموقوفة ومن الذهب الموصوفة فقال لا تكلمن فيما لا يعنيك فانه أقرب لك
السلامة ولا أمن عليك الخطأ ولا تكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه
في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمارين حليما ولا سفيها أما الحليم فيقلاك وأما السفيه فيؤذيك
اخاك اذا غاب مثل ما تحب ان يخلفك به اذا غبت عنه واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل
رجل يعلم انه مكافى بالاحسان مأخوذ بالاساءة وفي وصيته انبا
الرجل فقد هلك على الاشياخ وبكسبك فاحفظ عني هذه الخصال لا تفشين له سرا ولا تبطلن
أمرا ولا تقنان عنده احدا ولا يطلعن منك على خيانة ولا بحرن عليك كذبة قلت الشعبي كان
منهن خير من الف فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال يوسف بن أسباط
من كن فيه استكمل ايمانه من اذا رضي لم يخرجه الرضى الى الباطل واذا غضب لم يخرجه الغضب عن الحق
واذا قدر لم يأخذ ما ليس له وروينا معنى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
السقطي ثلث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في مواطن الهلكة والتسليم لأمر الله عند
البلاء والرضى بالقضاء عند زوال النعمة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من

يستكمل الايمان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا اعترض له أمران أحدهما للدنيا
والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وفي الخبر المشهور ثلث منجيات وثلث مهلكات فالمنجيات
خشية الله عز وجل في السر والعلانية وكلمة العدل في الشخط والرضى والقصد في الفقر والغنى
وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وروينا في الأخبار الكرم التقوى والشر
التواضع والغنى اليقين والمشهور في معناه عن ابن مسعود ومن طريق آخر عن علي من وعظ كفى بالموت
واعظا وكفى بالحسبة علما وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وروينا عن سيد الحكماء
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كلمات جامعات موجزات في الدعاء والتذكرة والترهيب والتبصرة وتنتظم
جميع معاني ما قيل في معناه رواه أبان عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا على ناقته
العضباء فقال كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن ما نشيع من
الأموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا
كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير
معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته
صلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من
قوله وسعته السنة ولم يتعداها الى البدعة وروي عنه صلى الله عليه وسلم حديث جامع
لهذه المعاني المشهور مختصر في اللفظ لا في المعنى يقال انه نصف العلم وهو قوله من حسن اسلام المرء تركه ما
لا يعنيه وما لا يؤمن به العبد فرضا ولم يندب اليه فضلا فهو مما لا يعنيه وحديث آخر يقال انه نصف
الورع دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الاثم حواز القلب وقال أصدق القائلين وأحسن الواصفين
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الآيات الأربع فوصفهم بسبع مقامات جامعات بالغات تنتظم
جميع مقامات أهل المحاسبة وتستجر على معاني أهل المراقبة افتتحها بالخشية والاشفاق وختمها بالوجل
والاشفاق وجعل موجبها اليقين وهو الذي رجحت به موازين المتقين وجعله أحرز صفهم ونهاية بغيتهم
وهو قوله تعالى انهم الى ربهم راجعون أي لأجل يقينهم برجعهم اليه خافوه وأشفقوا وأنبوا اليه
واخلصوا له وانوه أنفسهم وأموالهم وجلوا فهذا كقوله في الكلام المختصر واتقوا الله واعلموا أنكم
ملاقوه الآية وكما روينا عنه صلى الله عليه وسلم في الوصف المبسوط من أوصاف المؤمنين

الجوارح من شهود من
نطق الجنة استحضر ذلك في
حضة القلب عند تحريك الأعضاء
والذنوب التي من فساد الأعضاء كما
ان تلك من فساد الأعضاء وقد الله
غير الجزء الكامل الذي هو سري القلب

كوصف الله أو آيا في الكلام المشروح انه بينا هو جالس مع اصحابه اذ سجد فاطال السجود ثم رفع
رأسه مادا يديه وقال اللهم اكرمنا ولا تهنا وزدنا ولا تنقصنا وأعزنا ولا تذلنا قلنا وما ذا
اردت بهذا قال اريت من اقامها دخل الجنة ثم تلى هذه الآية علينا قد افلح المؤمنون الى آخر
العشر وروينا في حديث مجمل ان رجلا سأله فقال يا رسول الله متى اعلم اني من اهل الجنة وفي لفظ آخر
اني مؤمن حقا فقال اذا كنت في هذه الاوصاف ثم تلى عليه قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الى آخر العشر ثم روى عنه في الوصف الجامع المختصر كوصف الحكيم الاكبر لمن صلح له من عباده
بالاخلاص في التوحيد والعمل فقال لو لم ينزل على الا هذه الآية كانت تكفي ثم قرأ حتى بلغ الكهف
فمن كان يرجو القاء ربه الآية وكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولي الالباب وقال العمل الصالح
الاخلاص في العبادة ونفي الشرك بالخالق هو اليقين توحيدا لخالق وقال ايضا في وصفه اولئك لهم
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الآية الى قوله سابقون فوصفهم بسبع مقامات جامعات
بالغات تنتظم مقامات اهل المحاسبة وتستحوذ على مقامات احوال اهل المراقبة افتتحها بالخشية والاشفاق
وختم بالوجل والاتفاق وجعل موجبها اليقين وهو الذي زحزحه موازين المتقين صيره آخر وصفهم
ونهايه نعتهم وهو قوله انهم الى ربهم راجعون اي لاجل يقينهم بمن جعلهم اليه خافوه واشفقوا
ومنوا به فصون المحاسبة ان يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ثم يميز الله
وهو حركة القلب واضطرابه وهو حركة الجسم فان كان ما خطر به الخاطر من الهمة التي تقتضي
او عقدا اي عزما او فعلا او سعيا ان كان لله وبه وفيه امضاه وسارع في تنفيذه عند سببه فمتى لله
خالصا لاجله ومعنى به بمشاهدته لا بمفارقة نفسه ووصفه ومعنى فيه في سبيله طلب ما عند الله
باجل حظ خطر وان كان لعاجل دنياه او عارض هواه او لسهو وغفلة سرى لطبع البشرية ووصف
الجبلة نفاه وسارع في نفيه ولم يمكن الخاطر من قلبه بالاصغاء اليه والمحادثة له فيتولد منه
ردنا يصعب عليه بعد حين طرحه وينتج منه فكر ردي يتعذر عليه بعد وقت نفيه ويعسر ذلك
في فعله اثر ان يستبين له بعد حين فعله فان اشتبه عليه الخاطر ولم ينكشف له ما ورد به امحمود
فيه رضي وعلى العبد فيه سلامة من سوء وتبعيد ام مكروه ليس لله فيه محبة وللعبد في نفيه مزيد
وقربة فيكون اشكال ذلك لثلاثة معان ضعف يقين عن نقص معرفة بالمبتلى او قلة علم عن حال ما ابتلي

الحكم الباطن أو لغلبة هوى كامن في النفس متولد من طابع الجنس وقال بعض العلماء ليس العالم
الذي يعرف الخير من الشر هذا العالم بعلمه ولكن العالم من عرف خير الشرين يعني بعلمه إذا
اضطر اليه وعرف شر الخيرين يعني بجنبه لما يؤول اليه واعلم ان حكم الله تعالى فيما استنبه الله
من الامور الامساك والوقوف وان لا يقدم العبد على ذلك بعقد ولا عزم ان كان من اعمال
القلوب ولا يمض ذلك بقول ولا سعي ان كان من اعمال الجوارح بل يقف ويوقف الامر حتى يتبين
وهل صون المحاسبة الا أن الورع هو التبين والتأخر عن الاقدام على الشبهات واللزوم على المشكلات
لا يقول ولا يفعل ولا يعقد حتى ينكشف وانكشافها بفاضل العلم لغموضها ومن فتق بصره لمعاني
لفهمها وخفائها كما جاء في الخبر أعلم الناس أعرفهم بما يأتي اذا اختلف الناس وفي الخبر النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند وقوع الشهوات
وجلى وصف كثرة الشبهات أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المنازع وسيأتي عليكم زمان
يكون خيركم المنتبت كما وقفت طايفة من الصحابة عن القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل
عليهم الحال منهم ابن عمر وسعد واسامة وابو سلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الشبهات وأقدم
عليها كان متبعا الهواه موثرا لحظ دنياه مخيبا برايه وهذا معنى الخبر الذي جاء في ذم من كان في
رأسه اذا ابت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك خاصة نفسك فلم يذم وجود
الشح انه صفة النفس وانما الذم من اطاع النفس في شحها بامساك محبوبها على ايثار محبوب الله تعالى من
الانفاق ومثله هوى متبعا فلم يعب بوجود الهوى لانه روح النفس مستركن فيها وانما عاب
باتباعه وكذلك اعجاب كل ذي راي برايه لم ينقصه بوجود رايه وما راه من الامر لانه يتبع عقله
وثمرة فهمه وانما نقص بنظره اليه وادلاله به وقطعه دون سبق نظره الى من الله مستزيده او
باستزلال رايه على راي من هو اعلم منه او بان يجري على غير ظلم فيجازي برايه وقد قال سبحانه فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال اهل البيان من المومنين ان في ذلك لايات للمتوسمين وقال تعالى على
بصيرة انا ومن اتبعني وفي الخبر ما راه المومنون حسنا فهو عند الله حسن وما زاوه قبيحا فهو عند
الله قبيح وجا انتم شهداء الله في ارضه وعن بعض السلف افضل العبادة الراي الحسن فأما ما اشكل
لتجاذب الامثال ولم يتبين لك الى اي مثال ترده بالورع فحكمه ان تقف ولا تمضي حتى ينكشف فأما ما اشتبه

تقصوا العلم بالتعلم فالعلم فيه أن تعرف الأصلين الحلال والحرام ثم ترد هما إلى أشبههما به وهذا ظاهر نزل به الكتاب فأيفه النظر إلى الغلام الجميل لأنه ركن يحتاج أن ترده إلى أحد الأصلين فتحقق شبهه به قال الله عز وجل انظروا إلى ثمره إذا أثمر وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم فكان هذا الأصل أشبه لوجود الجنس ومثله الاستماع إلى القصايد والقرآن والغناء فهذا القرآن حلالا والغناء حراما وكانت القصايد بالغنا أشبه فكرهنا ها لغير أمر ما ومثله لبس القطن والحرير فكرهنا لبس الملحم لأنه شبهه وكان بالحرير أشبه لما فيه منه فأما الإقدام على الأمور الغامضة مما لم ينكشف عن الأسماع والأبصار فالقلوب تسأل عن عقود سوء الظن بها والقطع بظواهر الأمر فيها وهو من معنى نهي الله تعالى قفو ما ليس لك به علم أو لم يجعل من علم الإنسان عليه مسئلة الجوارح عنه في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم الآيات أي لا تتبع ولا تجيء بين أثر ما لم تعلم وتشهد عليه بسمع أو رؤية أو عقد قلب إذ حقيقة العلم السمع والمشاهدة فلذلك قال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وقال إياكم والظن فإنه أكذب الحديث فمن أشبه عليه الأمر فقطع به فهو متبع الهوى ومن تفرس في فعل أو أمر غابت عنه حقيقته وأظهره على صاحبه فقد أساء كيف وقد جاء في الخبر من حدث بما رأت عيناه أو سمعت أذناه أذاعه الله في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا هذا لكشف ستر الله على عباده ومن هتك الستر عن مساوئهم ولذلك كان دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك علينا متشابها فنتبع الهوى وروي معنى ذلك عن عيسى عليه السلام أنه الأمور ثلثة أمر يستبين لك رشده فاتبعه وأمر استبان لك غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه وقد كان من دعاء علي رضي الله عنه اللهم إني أعوذ بك أن أقول العلم بغير علم أو أتهم في كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمه اظهار الحق وتبيان الهدى لأنه باب من اليقين وكذلك نحمده على نبيه صلى الله عليه وسلم أن جعله من تفصيل آياته في قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين فنصب السبيل على اضمار اسمه ورفعه على كشف دلالته وتبيان طرقه وقد وعد الله ذلك للمتقين وقدمه على تكفير السيئات والمغفرة وأخبر أن ذلك من الفضل العظيم في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الآية أي

وزينا

ونلوكم تفرقون به بين الحلال والحرام والشبهات ومثله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من كل ما ضاق على الناس وأمر اشكل عليهم ووعد ذلك المؤمنين عند اختلاف العلماء للبغي بينهم وهو الكبر والحسد وحرم ذلك المنافقين الذين لا يصدقون بالآيات وللقدرة الغالبة بأن قال في ذلك وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه الآية فصنع الهداية للحق أن يكشف الحق إذا هدى التقي لما يدي الباطل وما يعيد على العبد من الأحكام وقد يكون الباطل اسما للعبد ويكون وصفا للنفس الم السجدة قوله جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أي لما جاء الحق أبدا الباطل وأعاده وأظهر حقيقته الأمر بدا وعودا وقيل أن الباطل ليس وقال إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كما أن الله تعالى في البيان نعمه لا تنقع إلا بقدر كما قال ألم أعلم أن الله على كل شيء قدير وكذلك العبد فيه شكر وقد يكون سبب الانعام بالبيان وعلى الله المزيد على الشكر كما كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون وقال في تحقيق الشكر بالمزيد للشاكرين عن التصريف كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون فإذا وقف العبد عن الشبهات في الإمضاء ووقف الخاطر على الابتداء حتى يكشفه الله بمزيد علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى فقد وفق للصواب وهو معنى قوله تعالى وإياه فارهبون وفصل الخطاب هذا إذا لم يرد بالطلب والبحث لعالم أخر فيه مكان فكان سبب كشفه العبد بوصفه فإذا أراد بالطلب لآياته وجعل العلم مكانا لله له عليه اضطره أن يسأل عالما لله وباطن أحكامه عيارا فالطف حجابه وخفي كشفه فيكشفه له على لسانه إذا لم يكن العبد من كاشف بقلبه لتحقيق قوله فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ولتصديق قوله الرحمن فسئل به خبيرا والله عز وجل هو الميسر الأول والمبين الآخر لأن التيسير والسؤال على العبد والبيان والهدى على الهادي المبين كما قال تعالى سيروا في الأرض فانظروا واسألوا أهل الذكر ثم قال إن علينا للهدى وقال تعالى إن علينا بيانه كذلك سنة الله التي قد خلت من قبل ولا تبديل لكلامه ولا تحويل ألم تسمع قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها فهذا هو المحبى للتعليم الأخذ نصيبه من الله عز وجل بالتفهيم ثم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم الآية ثم شرك آدم ورد إليه وذكر نفسه بعد أن دل عليه فقال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ولم يقل أن آدم يعلم فأخذ آدم نصيبه من رازقه بقلبه وأخذت الملائكة أنصبتها من الله عز وجل

قال بعض المشايخ علم اليقين هو قبول ما ظهر بواسطة الحواس وعين اليقين هو ما تدرك ذلك بشهادة العقول فاستقصى في مقامات القرب واستحكمت عليه طرق الشكوك

ويسير ... هذا حينئذ أول المحاسبة من مشاهدة حسيب والتحقق بالمحاسبة هو أول المراقبة عن رؤيته ... من المراقبة هو حال من أحوال الموقنين وعلم اليقين أخر علم الإيمان وأخر نصيب الصديقين من علم اليقين أعني نهايته أول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة على هذا الوصف أول الشهادة وهذا هو مقام المقربين وعلم معاني الأسماء والصفات وتعريف الأخلاق وباطن أحكام الذات يكون في مقامات القرب بعد مشاهدة وصف وحسن المراقبة في جميع المعاملة بتنقية خواطر الخير وشره من نفس خواطر الشر حتى لا يبقى منها شيء وهذا حال المشاهد والمقرب وذلك تخرج العبد إلى صفاء القلب بعلم اليقين وصفاء القلب يرفعه مقامات في المشاهدة حتى لا يخطر بقلبه الا خاطر حق ففي ترك ذلك من التوعر عن كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات في القسوة وهي أول مقامات البعد وبلغني ما من فعله وان صغرت الا ويشترها ثالثة دواوين الأول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى الرأي الرفيع لك وهذا موضع الابتلاء عن وصف الربوبية بحكم العبودية أي كان عليك أن تعمله لمولاك أو كان ذلك منك هواك فان سلم من هذا الديوان بأن كان عليه أن يعمله لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت فهذا مكان المطالبة بالعلم وهو البلا الثاني أي قد علمت كان عليك عمله فكيف عملته أبعلم أم بجهل فان الله عز وجل لا يقبل عملا الا عن طريقه وطريقه العلم والاخلاص فان سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث وقيل لمن وهذا طريق التعبد بالاخلاص نوحه الربوبية وهو البلا الثالث وهو تنبيه الله من عباده الذين قال لهم الا عبادك منهم المخلصين وهذا مقتضى كلمة الاخلاص عن نفي ما سواه وهي لا اله الا الله وليس بعده الا الاشفاق وقت التلاقي أي قد عملته بعلم فلمن عملته أ لوجه الله خالصا فيأجرك عليه أم لشخص مثلك فقد اجرك منه أم عملته لشاهد عاجل دنياك فقد وفينا اليك عملك فيها أم عملته بنفسك لشهوتك وغفلتك فقد سقط أجرك لعدم خشيتك وحبط أجرك في جميع ما أردت به سواه وقد تعرضت للمقت واستوجبت العقاب بترك ما عليك وجهل ما لمولاك اذ كنت عبدا لئيما تشتري غيري وأنت تأكل رزقي وتعمل لغيري واذ كان الدين قد جعلته لنفسي فقصدت به من دوني ويلك اما تسمعني أقول ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا الآية ويلك أما تسمعني أقول وما قبلت أمري اذ قلت وما أمرت

ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا الآية فيكون توبيخه بقوله لك كلامه وغليظ خطابه أشد عليه وأوجع من أليم عذابه فهذه أمثال القرآن يشهد بها العلماء أمثالهم وهي أذكار الخطاب عند تدبر يفهمها العارفون أذكارهم وهي توبيخ الله للغافلين بعزايم كلامه وغليظ خطابه أشد عليهم وأوجع لهم من أليم عذابه وذلك ان الله عز وجل استخلص هذا الدين لنفسه فلم يشرك فيه أحدا من خلقه فقال تعالى ألا لله الدين الخالص يعني طريق التوحيد غير المشترك انما في عن الكدر لأن الاخلاص تصفية من الكدر الهوى والشهوة وضده الشرك وهو الخلط بغيره من النفس والناس كما أنهم علينا بالرزق الخالص من بين الفرث والدم فتمتنه النعمة فقال تعالى نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا ولو وجد فيه خلط من أحدهما لم تتم به النعمة علينا وكذلك ينبغي أن يكون عملنا بذلك خالصا من الدنيا والهوى فنستحق الأجر منه بعد القيام بواجب الأمر علينا فكما انا لم نر أبنا في اللبن الذي أنعم به علينا فرثا أو دما عافته أنفسنا فلم نأكله كذلك الحكيم الخبير اذ رأى من عبدا خلطا من رياء وشهوة رده علينا فلم يقبله وكما عمل لنا ما عملت يده بقدرته انعاما ذللها لنا فنهارك ركوبنا ومأكولنا فينبغي لنا أن نشكره فنعمل له بعد الأكل عملا صالحا كما أمرنا بعد أن أنعم علينا فقال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن جعل ما خوله الله لنفسه فترك ما أمر به من الاخلاص في دينه والعمل لوجهه استوجب المقت بحمله واستوجب العقاب بمخالفته وتدبر ما قلناه الهرب من الخلق والبكاء على النفس الى لقاء الحق لمن أشهد واوقف وأريد بالحضور ولم يصرف

ذكر اهبة الورد للمريد ووصف حال العارف من المريد

اعلم ان الورد اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكررا فيقطعه بقربة الى الله تعالى فيورد فيه محبوبا يرد عليه في الآخرة والقربة اسم لعبادة أمر فرض عليه وأمر ندب اليه فاذا فعل ذلك في وقت من ليل أو نهار أو داوم عليه فهو ورد قدمه اليوم وورد عليه غدا اذا قدم وأيسر الاوراد أربع ركعات أو قراءة جزء أو سورة من المثاني او سبحي في معاونة على بر وتقوى وقال انس عن ابن سيرين كان لابن سيرين في كل ليلة سبعة أو زاد فان فاته منها شيء قضاه بالنهار فسمى العمل الموقت وردا وقال معتمر بن سليمان ذهبت أبي عند الموت فأومى بيده الى ورد عندي فاني في ورد الرابع فسمى الحزب من أحزاب القرآن لوقت ما ورد من العمال من كان يجعل الأوراد من أجزاء القرآن ومنهم من

كذلك بحجبهم من أعداد الزوع وفوق هؤلاء من العمال من كانوا يجعلون الأوراد من أوقات الليل والنهار
وإن خطر الوقت بباله أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذلك وردُه وأما العارفون فإنهم لم يوقتوا
الأوراد ولم يفسروا الأوقات بل جعلوا الورد واصلاً للمولاهم وجعلوا حاجتهم من الدنيا ضرورتهم وصيروا
الأوقات متساويةً لسيدهم ونصبوا بينهم لمصالحهم وما يدخل عليهم فوضعوا رقابهم في رق العبودية وأصغوا
أقدامهم في مصاف الخدمة فباعوا نفوسهم من نيل الجنة وعكفوا قلوبهم لمن عبدوه ونظروا إلى معبودهم الذي
عكفوا عليه ففهموا عنه فصل الخطاب فما أنامهم من شهادة جملة الكتاب إذ يقول تعالى وانظر إلى إلهك
الذي ظلت عليه عاكفاً بعد قوله بعد أصناماً فنظل لها عاكفين مع قوله امشوا واصبروا على آلهتكم
إلى قوله واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا علموا أن الإخلاص الذي أمر وابه هو العبادة والاعتزال
الهوى وبعد مجانبة الهوى الإنابة إلى المولى أما سمعته يقول والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا
إلى الله وأيقنوا أن الصلوة عماد الدين والصلوة الا للمنيبين ولا تكوني إلا بالإنابة كما قال تعالى في
وصف ضلالهم كانت أعينهم في غطاء عن ذكري الآية فهم بصدد وصفهم وحقيقة ذكرهم ونسيانهم
نسوا ذكر ربهم لمعنى قوله واذكر ربك إذا نسيت فاجمعهم الذكر له إلى الفرار إليه كما فهموا عنه
إذ يقول لعلكم تفكرون ففروا إلى الله فلما مرّوا إليه أوامهم بقربه ووهب لهم هدايته ونشر عليهم
رحمته فكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون وبوصف ما يطالبون ذلك وردهم وتلك علامتهم
ذكرهم وقرب الحبيب حسبهم ليس يشهدون فضيلة في غير محبوبهم ولا يرجون قربة بغير معروفه
به يتقربون إليه وإليه يتسببون به وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه وإياه يحبون فهذا
أسقطوا الأعمال كلها غير ما يتعلق بالتوحيد ثبوته ما نقص من توحيدهم بعوضة ولو تركوا الأوراد
المزيدين كلهم ما أثر في قلوبهم بقشوة ولا افتره لأنهم لا يزيدون بالأعمال فينقصون بها ولا ينقصون
قلوبهم وأحوالهم بالأوراد فيغيرون النقصان والمزيد بها ولا يجتمع هم ومهم لسبب وتقوى
بطلب فتشتت لفقد سبب ويضعف يقينهم لقدم هذه المعاني هي أحوال المريدين فأما العارفون
فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بجامعها إليهم وأقامهم القائم بشهادتهم لهم فوجدهم
في مزيد ويقينهم في تجديد بغير تغيير وتصديد ولا إيقاف وتجديد وربما طلب أحدهم التشتت
بالأسباب فجمعه رب الأرباب لأنه مراد بالاجتماع وإنما يستروح بالشتات لاجتماع ما هو فيه

لما هو آن نفوه منه بحسبه وتمكنا عند محبوبه إذ علم أنه طالبه فطرح نفسه لمحله فحجبه بأنواره ولم يكنه
إلى نفسه وهواه فهذه مقامات أهلها لا يعبر فيها سواهم ولا يؤمن منها الآهم لا يقرّ عينها ولا يدنيها
الانتظار فيترك لها الأوراد ولا تتوقع فيقصر مقصر لأجلها في الاجتهاد والمراد دون المسلوك بهم
يريها ويواجهون بعلمها ومطلوبون بها ومحمولون إليها ومن محبوسة مقصورون لأهلها بأولياء الله عاملون
وقد عكفوا قلوبهم لمن عبدوه ونظروا إلى معبودهم الذي عكفوا عليه فنهموا عنه فصل الخطاب كما
فهموا عنه إذ يقول لهم لعلكم تذكرون ففروا إلى الله فلما مرّوا إليه ونشر لهم من رحمته ما شاء
إليهم في قبضته فلم يرهم الآهم ولم يعرفهم سواهم كما قال تعالى وإذا أعشر لقومهم وما يعبدون إلا الله
إليه وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين الآية ولكن موا صلة الأوراد المرسومة والأوقات المعلومة
تبين النقصان لهل المزيد ويعرف قوة العزم والشدة من وهن العادة والفترة وفي الأوراد أيضاً
لهله وهو إن العامل إذا شغل عنها بمرض كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل في الصحة والحضر وقد
يكون نوم العارف فضل من صلاة الغافل الجاهل لأن هذا النائم سالم وذلك الناهد العالم إذا أسقط
به وهذا الصائم القائم لا يؤمن عليه الآفات وتطرق الأعداء في العبادات وهو ذلك الجاهل المغتر
إذا وجل فقد وقد يروى في خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وفي حديث عالم واحد أشد
على الشيطان من ألف عابد وفي خبر مقطوع لو وقعت هذه على هذه يعني التمأ على الأرض كما ترك
العالم عليه لشيء ولو فتحت الدنيا على عابد لترك عباده ربه وإن العالم قد يكاشف في نومه بالآيات
والعبر ويكشف له الملكوت الأعلى والأسفل ويخاطب بالعلوم ويشاهد القدر في معنى ما يشهده
الأنبياء عليهم السلام في يقظتهم فيكون نوم العارف يقظة لأن قلبه حي وتكون يقظة الجاهل نوماً لأن
قلبه هواك فيعدل نوم العالم يقظة الجاهل وتقرب يقظة الغافل من نوم العالم كيف وقد جاء في خبر
ابن موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أحد فقال هذا جبل يحبنا ونحبه ولا يعلم خلق ربه وإن
من أمتي من تكون التسبيحة منه والتهليلة أوزن عند الله منه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ما أكثر أن يكون عمل العبد في يوم واحد أثقل من السموات والأرض ثم وصف ذلك بأنه هو العاقل
عن الله عز وجل الموقن العالم به وسئلت عائشة رضي الله عنها عن صلوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رمضان فقالت ما كان يحص رمضان بشيء دون غيره ولا كان يزيد في رمضان على ما يزيد

سنة شيئا وقال أنس رضي الله عنه ما كنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل نائما
إلا رأيته ومن نهاره لا تراه قائما الا رأيته وكان صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم فذكر ما نام ثم
قدر ما قام ثم يقوم قدر ما قام ثم ينام فذكر ما قام ثم يخرج لصلوة الصبح وقالت عائشة رضي الله عنها
ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا قط الا رمضان ولا قام ليلة إلى الصبح حتى ينام
منها قالت وكان يصوم من الشهر ويفطر ويقوم من الليل وينام وفي خبر آخر كان يصوم حتى
نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يصبح صائما ثم يفطر ويصبح مفطرا ثم يصوم
وفي الخبر كان رسول الله يدخل من الضحى فيقول هل عندك من شيء وإن قدم اليه شيء أكل وإلا قال
إني صائم وخرج يوما فقال أتي صائم ثم دخل فقلنا يا رسول الله أهدي لنا حيس فقال أما إني
أردت الصوم ولكن قربيه وكان وزده صلى الله عليه وسلم حكما وزد عليه فهذا لعله
يكون تصريف العارفين ومن هذا المعنى يظهر شهادة الموفقين ليسوا من الله عز وجل بأبرار
ولا يقطعون على الجد بل قيل ليقضهم بأي شيء عرفت الله فقال بفسخ العزائم وحل العقد
الأوراد طريق العمال والوظائف أحوال العباد منها دخلوا وفيها يرفعون الا ان يشهدوا الواحد فقال
الأوراد كلها وردا واحدا ويكونون شهادتهم قائمين وقال بعض العلماء الإيمان ثلثمائة حال
وخمسة عشر خلقا على يد الأنبياء كرامة من علي خلق منها هو طريقه الله عز وجل ووجهه
الله وتصيبه وفي كل طريقة من المؤمنين طبقة وبعضهم أعلى مقامات من بعض وقال آخر الله
الله بعدد المؤمنين وفي خبر الإيمان ثلاث وسبعون طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق
دخل الجنة ومن ذلك قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فقال
كلهن مهتدون وبعضهم أهدى من بعض يعني أنه أقرب الى الله عز وجل قال الله تعالى أولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وأقرب الخلق الى الله أعلاهم عنده وأعلاهم عنده
به وأفضلهم لديه وفي النسبة قل كل يعمل على شاكلته قال علي وجدا نبيته يعني بذلك على ما وجد
الذي يوجد الله عز وجل به ويعرفه منه والشاكلة الطريقة والخلق الذي شاكله وشاكلته
ذلك قول علي عليه السلام لكل مؤمن سيئة من عمله فهذا السيد من العمل هو الذي يرجوا به المؤمن النجاة
ويفضل به عند مولاه وقال بعض العلماء كان عباد أهل الكوفة أربعة أحدهم صاحب ليل لم يكن

صاحب نهار والآخر صاحب نهار ولم يكن صاحب ليل وبعضهم صاحب سير وقد قال بعضهم ينبغي
للعارف إذا عيادة الليل له أفيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح لأن النهار مجمع الغافلين
والليل للعاملين فإذا سكن العبد عند جركة الغافل وصبر واستتر في ظهور الليل وزكا هو النبي الطاهر
للعامل العابد وقد قيل أن العبادة ليست هي الصوم والصلوة وحسب بل أفضل العبادات إذا الفرائض
واجبات اللازم وتقوى الله عز وجل عند الاكتساب وعند الدرهم وهذا من أعمال القلوب وقد قال تعالى وهو
الذي توفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما اجترحتم جوارحكم فعلق الاجتراح بالنهار ثم يبعثكم
فيه فإذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم يبعثه فيه من مخالفة فمن أفضل منه وكان الحسن يقول
لنا لإعمال صلوة الليل بالمداومة على ذلك ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطرائق العابدين
ويزيد الإيمان وعلامة الايقان وفي خبر أن عائشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان إذا عمل عملا أثبته ومداومته
صلى الله عليه وسلم أنه صلى بعد العصر ركعتين أنه ترك ركعتي النافلة بعد الظهر شغله الوفد عن ذلك
فصلاها بعد العصر كلما دخل منزله روت ذلك عائشة رضي الله عنها وأم سلمة ولم يكن يصليها في المسجد
لئلا يشق على الناس به والحجر المشهور تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا
وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم لا أزداد فيه
خيرا لي في طلوع شمس ذلك اليوم وفي خبر آخر أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل وقد روينا
عن ذا النون رحمه الله مفتاح كل شيء الاستعانة بالله عز وجل وآخر كلام ثابت بن وديع عن
الحسن بن علي عليه السلام وثابت عن الحسن البصري ومرة عن عائشة رضي الله عنها وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قوله في المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم
الزيادة ومن يزداد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له ولعمري أن المؤمن شكور والشاكر في مزيد

كتاب تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين

اعلم أن النفس بدو امن الغفلة والغفلة نشوء من آفات القوس والنفس محمولة على الحركة وقد
الركون وهو آيلا وها الفقير الى مولاها دنيا من حولها وقوتها ومثل ذلك قوله تعالى فلا تموتن الا

أمرت

صلد

هذا الكتاب قد سبق شرحه
ومعناه ان الله لا يقطع ثوابه
عليكم بما تفترضون في الجملة فيكون وقد
أو تقصرون من الجملة فيكون
الملك كله على هذا المعنى
فيس بذلك هذا المعنى والاحسان
ان الله لا يزيل الثواب والاحسان
ومواصلة النعم ولو تركتم العابد
وملتموها والغرب في قول ذا
قايلا
وتفجرت به قال شاعرهم
عليت من هذيل تحرق لاي
حتى عملوا
معناه وان ملوا

وأنتم مسلمون تفرغوا اليه فقولوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فان نزلت السكينة على
وهي مزيد الايمان سكنت النفس عن الهوى باذن مفسها وان حجب القلب بالغفلة وهي غلافه عن
والتضرع حركت النفس بطبعها فان سكنت عن حركتها فبالمنة والفضل وان تحركت بوصفها فبالاباء
والعدل فأول الابتلاء خلافها وأول اختلافها خلافها ومقدمتها الهمة وبابها الشهوة وهو طريق
الى الكلام والنظر والقول طريق الشهوة والشهوة باب المعصية والمعصية مقام من النار حتى توجب
عنه اجارنا بالتوبة في الدنيا والعفو في العقبى وقد تكون المعصية على المحب العارف اشد من النار
حدثونا عن بعضهم قال لان ابتلى بدخول النار احب الي من ان ابتلى بمعصية قيل ولم قال لان في المعصية
خلاف ربي وسخطه وفي النار اظهار قدرته وانتقامه لنفسه فسخطه اعظم على واعظم من
نفسي وكذلك حدثونا في معناه عن بعض الموقنين من العمال انه قال ركعتان تقبل مني احب
الي من دخول الجنة قال وكيف قال لان في الركعتين رضى ربي ومحبته وفي الجنة رضاي وشهوتي
فرضى ربي احب الي من شهوتي ومحبتي وقد قال وهيب في لبن سئل ان يشربه فلم يفعل انه مثل
عن اصله فلم يستطبه فقالت له امه اشرب فاني ارجو ان شربته ان يغفر الله لك فقال لها
ان شربته وان غفر الله عز وجل لي قالت ولم قال لاحب ان انال مغفرته بمعصيته
النفس معنيان الطيش والشره فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص وهما فطرة النفس فمنهم
الطيش كمثل كرة اوجون في مكان املس مصوب سكونها بالمنة وثبوتها بالعصمة فانها
لو تركتها اذا في حركة تحركت بحركتها وصحت فيها لاستدامت الحركة وضرورة تقاضي
استدلال من الحرص انها على صون الفراشة التي تقع في النار جاهلة شره تطلب بجهلها الضوء
هلاكها فاذا وصلت الى شيء منه لم تقنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منها فتطالب
الضوء بحقيقته وهو نفس المصباح فتحترق ولو قنعت بقليل الضوء عن بعد سلمت فكذلك
في طيشها الذي تولد منه العجلة وفي شرهها الذي ينتج منه الطمع فالحرص والطمع اللذان
كانا سبب خروج آدم صلى الله عليه وسلم من الجنة لانه طمع في الخلود فحرص على الاكل وكان
عن الجهل والشره فكانت معصيته سبب عمار الدنيا وصارت الطاعات سبب عمار الاخرة
قيل حدثونا راس كل خطيئة فصار الزهد فيها اصل كل طاعة فانظر كيف اخرج من الجنة بقليل

فيها بذنب واحد وانت ترجو ان تدخلها ولم تملك النظر اليها بذنوب كثيرة من قبل ان الجنة طيبة
تدركها الا طيب فمتى طابوا فادخلوها الم تسمع الى وفاقه بين ذلك في قوله عز وجل الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لانه قال تعالى ومساكن طيبة في جنات
عدن والذنوب خبائث كما قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث فلما طابوا الحقت بهم وقد احمل ذلك
قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين الاية وقد قال بعضهم النفس في شرها كمثل
ذباب مر على رغيف عليه عسل فوقع فيه يطلب الكلية فعلق بحاجه فقتله واخر مر به فدنى من بعضه
فعلق بحاجه فرجع الى وراءه سليما وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم مثل دودة وقعت على
شيء يحبه حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه اذا نزع من فيه
القز لتلتف عليه فيروم الخروج منه فيقتل قبل ان يقطع القز فيسلم القز صحيحا فهذه
حال المكتسب الجاهل الذي اهلكه اهله وماله فتنعم الورثة بما شقي به فان اطاعوا به كان اجره
وحسابه عليه وان عصوا به كان شركهم في المعصية لانه اكسبهم اياها به فلا بد ذي
من عظم عمر لغيره او نظره الى ماله في ميزان غيره ومما سمعت في
النفس ما حدثني به بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترى
له رانا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من اصحابنا فلما قدمناه مد يده واخذ لقمة وجابها
نحو فمه ثم تمهل ساعة ثم اعتزل وقال كلوا انتم فانه قد عرض لي عارض يمنعني من الاكل فقلنا لا ناكل
حتى تاكل فقال انتم اعلم اما انا فغير آكل ثم انصرف فكرهنا ان ناكل دونه فقلنا لو دعوناه
فسالناه عن اصل الحمل فلعل له سبب مكروه فدعوناه فلم نزل نسله عنه حتى اقر انه كان
اشترى وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فنهاه ووافق انكم اشتريتموه قال فرجعناه
فقال لم ار الى لقيت الرجل بعد وقد سالته لاي معنى تركت اكله وباي عارض فقال اخبرك
شرهت نفسي الى الطعام منذ عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدمتم ان هذا شرهت
شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان هذا الطعام علة فتركت اكله لاجل شره
نفسه فانظر رحمك الله كيف انتفى في شره النفس عن قصته واحكم ثم اختلفا في التوفيق والحرمان
فعصم العالم بالورع والتي بالشبهة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة اعني الباب الاول

علم

هذا الجهل

جهل

وهم الخروج للتوفيق وحسن الأدب وهو قمع شره النفس عن الأكل بعد رضا جسمه ثم تدوزك إلى الباقي
بعد ذوقه بصدق النية وحسن نيته وجبلات النفس الأربعة هي أصول ما نفرع من هواها وهي
مقتضى ما فطرها عليه مولاها أولها الضعف وهو مقتضى فطرة التراب ثم البخل وهو مقتضاه جبلة الماء
ثم الشهوة وموجبها الحماة ثم الجهل وموجبه الصلصال فهذه الصفات على معاني تلك الجبلات للإنسان
بالاستلاح ففيه بدأ الأمت والأعوجاج ذلك تقدير العزيز العليم ثم إن النفس مبتلاه بأوصاف أربعة
عجيبة متفاوتة أولها معاني صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والغناء والعز ومثلا
بأخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحسد والظنة ولطبايع البهائم وهو حب الأكل والشرب والنوم
وهي مع ذلك كله مطالبه بأوصاف العبودية والافتقار مثل الخوف والتواضع والذلة والى لها الملك
الا ان تداركها المالك فلا يكون العبد عبدا خالصا حتى يكون للمعاني الثلث مخلصا فاذا تحقق بأوصاف
العبودية كان خالصا من المعاني التي هي صفات الربوبية التي هي بلاؤه فالاخلاص لعبودية
عند العبيد الموحدين اشد من الاخلاص في اعمال المطيعين وبذلك رفعوا الى مقامات القرب وذلك
انه لا يكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا فكيف يكون عند ربه وهو عند نفسه
اليه فهو الهه وما تربت عليه فهو ربه وهذا شرك في الالهية عند المتألهين ومزج بالربوبية
الربانيين فهو متعوس منكوس بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول تعس عبد الدينار تعس عبد
الدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش تعوا لا يحسن القيام
أصحاب النفوس الامارة بالسوء الموافقة للهوى المخالفة للمولى الذين قال الله عز وجل لا اني اريد
عبدا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى اخر وصفهم فهؤلاء عباد الرحمن اولوا الالباب
الذين علمهم علما من لدنه وهم ذوو النفوس المرحومة المطمئنة المرضية وعبيد العيال اصحاب
النفوس الامارة بالسوء الموافقة للهوى المخالفة للمولى المسؤلة ولا يكون المريد بدا حتى يتدلل
صفات الربوبية صفات العبودية وبأخلاق الشياطين أوصاف المؤمنين وبطبايع البهائم أوصاف
الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها كان بدلا مقربا والطريق الى هذا قريب وهو انك
فتملكها فتسخر لك وتسلط عليها فاذا اردت ان تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع
ان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك وان اردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها

تخصص باب من شوب أو من خير
ذات اعلام كما تظاهرت
ممن يميز لها شتاها وقوله
تعشى أن جياع العرب يعوا بذلك
على من تشتاه

عن معتادها فان لم تمسكها انطلقت لك وان اردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع أسبابها وحبس
مواد شهواتها والا قويت عليك فتعز عليك فتزل الملكة لها ان تحاسبها في كل ساعة وتراقبها في
كل وقت وتقف عند كل همة من خطراتها فان كانت الهمة لله عز وجل سابقت المرت وبادرت الفوت في
امضائها وان كانت الهمة لغير الله عز وجل سابقت وبادرت في محوها ليلا تثبت وعملت في الاسباب
بالليل استبدل بك وفي تأويل الزبر الزبر بدل البر بدل العمر وهو معنى الدعاء المشهور من قول
الناس جعل الله في عمرك البركة ومعنى دعوته فان البركة في العمر أن تدرك به العمر القصير سعة
ما فات غيرك في عمره الطويل وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فمن حسن في سنة ما لا يتسع له في عشرين سنة والخصوص من
المقربين من مقامات القرب عند الى الرتب الحاق برفيع الدرجات وتدارك ما فات عند
اذكارهم واعمال قلوبهم البسيرة في هذه الاوقات فكل ذرة من ذكر تسبيح او تهليل او تدبر او تفكر
او بصيرة وتذكرة بمشاهدة ووجد برب ونظر الى حبيب ودنو من قريب افضل من أمثال الجبال من
اعمال الجبال من أعمال الغافلين فمثلهم في هذا الوقت الذي ذكروه عن مشاهدة وصفوه وعاملوه
مواجيد قربه منه عند معرفة الكافة من امة محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر عمل فيها لمن حادها
خير من الف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وقال علي عليه السلام كل
يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد وكان الحسن عليه السلام اذا تلى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا
بما اسلفتم في الايام الخالية يقول يا اخواني هي والله ايامكم هذه فاطلعوها بالجد والاجتهاد ولا تضيعوها
للوها فراغها من حسن المعاملة وبطالتك فيها عن الشغل بمعادك المحصول عليك منها كما قال
المبطلون يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يعني فرطنا في ايام الاختبار التي هي محصولهم للمرجع ومثواهم
وكما قال النفس الامارة بالسوء يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين
يعني ايام الدنيا التي ضيعت العمر فيها فطلت من الثواب والجزاء عليها عدا وهذا أحد الوجهين في قوله
تعالى في الايام الخالية الماضية خلت أوقاتها وخلقت أحكامها وذهبت شهواتها وبقيت عقوباتها
فان قصرت عن هذه الحالة الشريفة المنيفة ولم يكن همتك الا رقبة للرقيب ولا مكان المجالسة الحبيب
فلا يفوتنك مقام الورع عن والانين عن حال التائبين وهو ان تجعل لك وردين في اليوم والليلة محاسبة
النفس ومواقفتها مرة بعد صلوة الضحى لما مضى من ليلتك وما سلف من غفلتك فان رأيت نعمة

شجرة وإن رأيت بليه استغفرت وإن وجدت في حالك أو صاف المؤمنين الذين وصفهم الله
وندبهم عليها وحببت واستبشرت وإن وجدت قلبك وحالك رصفا من أوصاف الذا
أو خلقا من أخلاق تباهلين الذين ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت وأشفقت وتبت من
واستغفرت والمرة الثانية أن تحاسب نفسك بعد الوتر وقبل النوم لما مضى من يومك من
غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من إعراضك كيف فعلتها ولمن فعلتها وما تركته من شكوتك وض
لمن تركته فتنقد الزيادة والنقصان وتعرف بذلك التكلف
في حركتك وسكونك فيما حركت منه أو سكنت لأجل الله عز وجل وبه فهو الإخلاص وثوابك
الله عز وجل عند مرجعك إليه فاعمل في الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة من المهلكة وما سكن
أو تحرك سواك أو عاجل دنياك فهو التكلف الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه هو
من أمته برآ منه وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب وربما تعاقب عاجلا وآجلا إلا أن
المولى الكريم فاعمل حينئذ في الاستغفار بعد حسن التوبة وحسن الإنابة وجميل الرا
أن تكون قد وكلك إلى نفسك فتهلك ولعل مشاهدة هذين المعنيين من الخوف الما
منك والطمع فيما أسلفت بمنعك من المنام ويطرد عنك الغفلة فتحيى ليلتك بالقيام
ممن وصف الله في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وكذلك
السلف كان أحدهم يحاسب نفسه من محاسبة الشريك شريكه وقال بعض
السلف من علامة المقت أن تكون العبد ذاكرا لعيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ما
على الظن مجبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن
وجل والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لأن العاقبة للمتقين قال الله تعالى
الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد عن طابع القلب
المعبود والغفلة في الظاهر هو غلاف القلب في الباطن العرب تقول غلفه وغفله
كما يقولون جلد وجبد وخفاش خفاش طابع القلب عن تراد في الذنب يعضون
وهو الوازع الذي يتعقب الكسب فيكفه عقوبة له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون قيل المكاسب الخبيثة وأكل الحرام وفي التفسير قيل الذنب على الذنب حتى يسود القلب

الطابع الختم قال الله تعالى
فطبع على قلوبهم واصله في اللغة
من الدنس ومنه طبيع السيف
من الصدأ فعلى المعنى الأول والطبع
من الله تعالى على القلب معناه
الخذلان عن الطاعة والغفلة عن
العبادة

ثم أصل الران الميل والغلبة التغطية أيضا يقال ران عليه النعاس إذا غلبه وران الخمر على عقله
الخطيئة من ذلك قول ابن عمر رضي الله عنه في سابق الحاج فدان معرضا فأصبح وقد ران به أي
أوخلقا من أخلاق تباهلين الذين ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت وأشفقت وتبت من
واستغفرت والمرة الثانية أن تحاسب نفسك بعد الوتر وقبل النوم لما مضى من يومك من
غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من إعراضك كيف فعلتها ولمن فعلتها وما تركته من شكوتك وض
لمن تركته فتنقد الزيادة والنقصان وتعرف بذلك التكلف
في حركتك وسكونك فيما حركت منه أو سكنت لأجل الله عز وجل وبه فهو الإخلاص وثوابك
الله عز وجل عند مرجعك إليه فاعمل في الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة من المهلكة وما سكن
أو تحرك سواك أو عاجل دنياك فهو التكلف الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه هو
من أمته برآ منه وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب وربما تعاقب عاجلا وآجلا إلا أن
المولى الكريم فاعمل حينئذ في الاستغفار بعد حسن التوبة وحسن الإنابة وجميل الرا
أن تكون قد وكلك إلى نفسك فتهلك ولعل مشاهدة هذين المعنيين من الخوف الما
منك والطمع فيما أسلفت بمنعك من المنام ويطرد عنك الغفلة فتحيى ليلتك بالقيام
ممن وصف الله في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وكذلك
السلف كان أحدهم يحاسب نفسه من محاسبة الشريك شريكه وقال بعض
السلف من علامة المقت أن تكون العبد ذاكرا لعيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ما
على الظن مجبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن
وجل والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لأن العاقبة للمتقين قال الله تعالى
الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد عن طابع القلب
المعبود والغفلة في الظاهر هو غلاف القلب في الباطن العرب تقول غلفه وغفله
كما يقولون جلد وجبد وخفاش خفاش طابع القلب عن تراد في الذنب يعضون
وهو الوازع الذي يتعقب الكسب فيكفه عقوبة له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون قيل المكاسب الخبيثة وأكل الحرام وفي التفسير قيل الذنب على الذنب حتى يسود القلب

ثم أصل الران الميل والغلبة التغطية أيضا يقال ران عليه النعاس إذا غلبه وران الخمر على عقله
الخطيئة من ذلك قول ابن عمر رضي الله عنه في سابق الحاج فدان معرضا فأصبح وقد ران به أي
أوخلقا من أخلاق تباهلين الذين ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت وأشفقت وتبت من
واستغفرت والمرة الثانية أن تحاسب نفسك بعد الوتر وقبل النوم لما مضى من يومك من
غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من إعراضك كيف فعلتها ولمن فعلتها وما تركته من شكوتك وض
لمن تركته فتنقد الزيادة والنقصان وتعرف بذلك التكلف
في حركتك وسكونك فيما حركت منه أو سكنت لأجل الله عز وجل وبه فهو الإخلاص وثوابك
الله عز وجل عند مرجعك إليه فاعمل في الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة من المهلكة وما سكن
أو تحرك سواك أو عاجل دنياك فهو التكلف الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه هو
من أمته برآ منه وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب وربما تعاقب عاجلا وآجلا إلا أن
المولى الكريم فاعمل حينئذ في الاستغفار بعد حسن التوبة وحسن الإنابة وجميل الرا
أن تكون قد وكلك إلى نفسك فتهلك ولعل مشاهدة هذين المعنيين من الخوف الما
منك والطمع فيما أسلفت بمنعك من المنام ويطرد عنك الغفلة فتحيى ليلتك بالقيام
ممن وصف الله في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وكذلك
السلف كان أحدهم يحاسب نفسه من محاسبة الشريك شريكه وقال بعض
السلف من علامة المقت أن تكون العبد ذاكرا لعيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ما
على الظن مجبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن
وجل والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لأن العاقبة للمتقين قال الله تعالى
الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد عن طابع القلب
المعبود والغفلة في الظاهر هو غلاف القلب في الباطن العرب تقول غلفه وغفله
كما يقولون جلد وجبد وخفاش خفاش طابع القلب عن تراد في الذنب يعضون
وهو الوازع الذي يتعقب الكسب فيكفه عقوبة له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون قيل المكاسب الخبيثة وأكل الحرام وفي التفسير قيل الذنب على الذنب حتى يسود القلب

ثم جعل علي رضي الله عنه الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال في حديثه الطويل فقام اليه سلمان
فقال أخبرنا عن الكفر على ما بني فقال على أربع مقامات على الشك والجفاء والغفلة والعناد فالكفر
غلظة القلب قال الهام الملك للعبد وهو سمع القلب لأن طول الغفلة تصمه عن السمع وعدم سمع الكلام
من الملك عقوبة الخطايا وتثبيت الملك للعبد على الخير والطاعة وحي من الله عز وجل
وتفصيل للعبد أما سمعت قوله تعالى اذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وفي
خبر آدم صلى الله عليه وسلم حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش لذلك فقال يا رب
سمع كلام الملائكة فقال يا آدم بخطيئتك فاذا لم يسمع العبد كلام الملك لم يفهم كلام
الملك واذا لم يسمع الكلام لم يستجب للمتكلم واذا لم يستجب لم يفهم انما يستجيب الذين يسمعون وقال
سمعت أن بين العبد وبين الله حدا محدودا من الذنوب اذا بلغه العبد طبع فلم يوفق للخير أبدا
أيها المجاوز للحدود بالتوبة والرجوع قبل أن تبلغ الحد فتلقى عنتا وجهدا وفي حديث ابن عمر الطابع
على قلوبهم عرش الرحمن فاذا انتهكت المحارم بعث الله الطابع على القلوب فأعماها وهذا هو القفل
الذي قال الله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها واعلم أن القسوة التي تهدد الله

الطبع والختم
قد سبق شرحهما والمراد به
هاهنا ان العبد اذا اصر على
المعاصي حجب عن سبل الخيرات
واشتمل عليه الخذلان عن
الطاعات فهو معنى الطبع على
القلوب والاقفال

بجمل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أي وللقاسية قلوبهم أيضا
والقاء الشيطان يكثر عند قلة الهام الملك كما ذكرنا آنفا والله الموفق لعبده والقسوة
البعد والبعد عقوبة الخيانة والله لا يحب الخائنين فذلك تبيين للخطاب من قوله تعالى فبما نقضهم
أي فبنقضهم وما صلة فهذا هو الخيانة لعناهم أي بعدناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ثم ترادف الذنوب
القسوة من الكذب والنسيان وكثرة الاطلاع على الخيانة منهم والبهتان فاصيبوا بالذنوب فوقع
الطابع على القلوب فصمت عن سمع كلام المحبوب كما قال تعالى أصمهم وتطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فالا
الطابع التقوى وهو مفتاح السمع كما قال تعالى واتقوا الله واسمعوا وإلقاء الشيطان يكثر عند قلة الهام الملك كما ذكرنا آنفا

كتاب ذكر مشاهدة اهل المراقبة

بسم الله الرحمن الرحيم حدثنا أبو القسم قال أبو طالب اعلم أن مشاهدة المراقبين هي
مراقبة المشاهدين وذلك ان من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقامه
المشاهدة فان وصفه المراقبة فاول مشاهدة المراقب أن يعلم يقينا أنه لا يخلو في كل وقت وان قل
احد ثلثة معان ان يكون لله عز وجل عليه فرض والفرض على ضربين شيء امر بفعله او شيء امر بتركه
اجتناب النهي والمعنى الثاني ندب حث عليه وهو المسابقة لخير يقربه الى الله عز وجل والمبادرة
بعمل يبتدره قبل فوته والمعنى الثالث شيء مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وليس للمؤمن
رابع فان احدث وقتا رابعا فقد تعدى حدود الله في دين الله ومن اين في الدين فقد سلك غير طريق
المتقين الم تسمع الى قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
فهل ترى بين هذين وقتا للجهل او هوى كما لا ترى بين الليل والنهار وقتا ثالثا فالذكر الايمان
وهذان يتضمنان جميع اعمال القلوب والشكر العمل باخلاق الايمان واحكام العلم وهما
يشتملان على جميع اعمال الجوارح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقال تعالى واتقوا الله
لعلكم تشكرون وقال تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الى قوله تعالى فاذكروني اذكركم
واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب في طول القيام حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك فقال افلا اكون

الايمان

عبدا شكورا ففسر الشكر بالعمل كما فسر الله تعالى العمل بالشكر والوقت الثالث الذي هو
للمباح داخل فيه لانه معين عليها وبه استقامة العبد فيهما وقد كان بعض العلماء يقول لنا في معاصي
الطاعات هم وشغل عن معاصي الخلاف وكذلك جاء الاثر في حديث ابي ذر لا يكون المؤمن ظاعنا
الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وبمعناه على التحاقل ان يكون له اربع ساعات
ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنيع الله عز وجل وساعة يخلو فيها
لطعم والمشرب فان في هذه عونا له على تلك الساعات وفيه ايضا ثلث محملات من صفة العاقل ٥
ومن علامة العاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا بزمانه وفي بعضها مكرما لاخوانه فينبغي
العبد المراقب ان ينظر بيقظته في ادنى وقت هو لله عليه فيه فرض من امر او نهي فيبتدئ بذلك حتى يفرغ
منه فان لم يجد فانه لا يخلوا من نوادب وفضايل فيبتدئ بالافضل فالافضل فان لم يكن عمل في ادنى
الفضلين فاما وقت المباح فانما هو وقت من الاوقات والنوادب فالحاجات تطرقه به والافات
تنزله عليه فلا يتكلفه قبل وقته فيشغله عن وقته وليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه
لامسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه لاخرته كما امر الله في قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
اي لا تترك ان تاخذ نصيبك للاخرة من دنياك وهو ان تحسن كما احسن الله اليك وان لا تطلب
الفساد في الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الاخرة فيترك الله عز وجل من جزيل ثوابه الذي
اعده لاحبابه كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكره فتركهم وترك لهم نصيبهم منه وترك
ان يزل محاسبهم من الاخرة فيبتلي العبد الفطن فيأخذ من عمره وقته فيجعله لاخرته الذي يقين بها ثم
يأخذ من وقته اعلى ما فيه مما يختص به الوقت ولا يوجد الا فيه ويفوت دركه بفوت وقته وهو
اصل ما يقدر عليه مما اداه الى ربه فيجعله لمولاه ثم ان العبد لا يخلو ابدا في كل وقت وان قل من
احد مقامين مقام نعمه او مقام بليته فحاله عن مقام النعمة الشكر وحاله عن مقام البلية الصبر ثم ليس
يخلو في احد المشاهدتين شهود نعمه او شهود منعم من حيث لا يخلوا من وجود مالك وحضور مملوك فعليه
الخدمة للموجود وعليه الحضور في خدمة المعبود والمراقبة علامة الحضور والمحاسبة دليل
المراقبة ويكون له ايضا في ادنى اوقاته وهو الوقت الثالث الذي هو لمباحه وهو ادنى احوال
المؤمن يكون له فيه مشاهدة منعم او شهود نعمه ليلا يذهب وقته ايضا هذا فارغا من دنياه لا يعود

الاشارة في معاصي الطاعات
الى ما يدخلها من رياء او تصنع
او تفاخر بكثرة صلوات وصيام
وحج وصدقات هذا او تعول
في الباطن على هذه العبادات
والاعتقاد انها هي المنجيات
يوم القيمة والمفضيات لحصول
الفوز بدار الكرامة فتمنع الاجمال
وما يحاسبها من مزيات اقدام اهل
الطاعات والله اعلم

عليه منه شئ من ذكر مولاه او بذكر نعمة تدله على منعم وتخرجه اليه فينفعه ذلك في عقباه اذ
العاقبة للمتقين فان شهد منعما اقنطعه الحيا بالسكينة والوقار والهيبة وهذا مخصوص بخصوص
فان شهد خلقا من اخلاق الذات كان هذا مقتضاه وكان الوصف موجبه كان مقاما له في التعريف
برفعه الى مقام التعرف وهذه شهادة العارفين في كل ما يشهدوه من الافعال التي تدل على
الصفات لانها عنها ولانه استدل عليه بها وينظر اليه منها وان شهد نعما استغرقه الشكر
والاعتبار فكانت له بصيرة وتذكارا وهو لعموم المؤمنين قال الله تعالى في وصف الاولين ومن كل
شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقال في المقام الثاني ولا تجعلوا مع الله الها
اخر وقال تعالى في مقام الاولين قل لمن ما في السموات والارض قل لله وقال في مقام الاولين قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
الى قوله افلا تتقون وقال في وصف الاخرين قل لمن الارض ومن فيها الى قوله افلا تذكرون ثم
ان العباد في مشاهدة الملك على اربع مقامات كل عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر
الى الملك بعين البصيرة والعبرة فهؤلاء اولو الالباب الذين كشف الله عن قلوبهم الحجاب وهم
اولو الايدي والابصار الذين اقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة الانبياء ومنهم
من ينظر الى الملك بعين الرحمة وله الخائفين ومنهم من ينظر الى الملك بعين المحبة
والبغضة وهذا مقام الزاهدين ومنهم من ينظر الى الملك بعين الشهوة والغبطة وهذا مقام
الهالكين وهم ابناء الدنيا الذين لها يسعون وعلى قوتها يتحسرون فان اعطى العبد النظر
الى الملك بعين العبرة والحكمة ادخله الملك على الملك فاستغنى به عمن سواه وان اعطى
الخائف النظر الى الملك بعين الرحمة اغبط بمقامه وعظمت لديه النعمة وان اعطى الراهب
النظر اليه بعين اليقظة والمقت اخرجه الملك عن الملك بالزهد فيه فعوضه ربه من فوته
الصغير درك الملك الكبير ومن ابتلي بالنظر الى الملك بعين الغبطة والحسرة اوقعه
الملك في المهالك فسلك طريق المهالك فاما من شهد شهوة من شهوات النفس بعين الهوى
الى الاهواء فتخطفه الطير وهوت به الريح في مكان سحيق وسلك طريق المسالك الى الاول
التي خرجه عن قربه وبعده الى الجحيم في مقعد صدق عند ملك مقتدر ومن شهد معنى خلق من
الذات او معنى وصف من الصفات كان معناه ما يوجد الخلق او الوصف من شهود نعيم او

عليه

عذاب وهو مقام له في التعريف فمن فاته القرب وقع في التيه والبعد فهو البائس المغبون الخائب
المغبون الذي يكون ابدا يومه شرا من امسه وغده شرا من يومه فالموت خير له لان حياته عن
الحبيب بعده وبقاءه عن السبيل بصده ووجوده للهواء بفقده وظهور نفسه عليه عن السوا بتبعده كانه
اذا كان في ادبار وكان ذبان عليه في اقبال فقد فاته بعمره عن اخر كل وقت واحد وفوت شئ
واحد لان العمر ليس مما ينال فوته دفعة واحدة كشئ واحد لانه ينشو وقتا بعد وقت فانما يفوت
جزءا على حكمة من الله عز وجل وتمهل واستدراج منه وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم يدرجه
في ذلك كما يدرجه الدارج في الدرجة من قاه من قاه كذلك يشغله في وقت عنه ويفرغه وقتا اخر
لغيره ويذكره في وقت سواه وينسيه وقتا اخر اياه فيشغله حينئذ بفراغه وذكره يوما بعد
كنسيانه على هذا سار او قاته ان يقطعه عنه وان يصله بغيره حتى تفنيه الايام بالفوت
وتقضي الاوقات الى الموت وفي ذلك يسبغ عليه الستر ليغتر ويسبغ عليه النعم كي يعلم ويلهيه
العوافي لئلا يفطن ويبسط له العمل ليزداد من سوء العمل ويقبض عليه الاجل لينقبض عنه الرجل وينشر
له الرجا ويطوى عنه الخوف حتى يبغتهم فجاة من حيث امنهم ويأخذهم بغتة في حال غرتهم كما قال سبحانه
ومكروا ومكر الله ومكروا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ومن معنى ما قلناه
قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة اي فجاة في حال امنهم وقيل بغته بعد اربعين سنة فاذا هم مبلسون متحيرون اهتون
ايسون من كل خير واعلم ان العدد اذا كان بعد ساعة شرا مما قبلها وبعد يوم شرا مما قبله ثم يتضاعف
ولم يتوازك كانت او قاته كلها وايامه كيوم واحد في الشر ووقت شر مديد في السوء وكان كمن
فاته عمره كله بكفوت وقت واحد منه لان على هذا الوصف يكون فوت العمر لتراخيه وقتا
بعد وقت وتنسيه شيئا بعد شئ ولم يبد العبد باوقاته وقتا بعد وقت الا انها في لحن الحساب
بمجمله كيوم واحد اضاعه فكان مثله كما قال عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا اي كمن كان حاله الغفلة عن الوعد والوعيد فلما كشف عنه الغطا حار بصره

وتحسين وتزيين ما كان عنه غفل وحسرة ما فيه فرط كقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فيقال جديد إلى أعمالك السيئة التي أوبقتك وقيل إلى لسان الميزان توقع النقص والرجحان وكأنهم قال تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة قيل الموت وهم مشغولون بالدنيا وقيل كما نوا متشاغلين في شأن النسأ وبوصف من قبل له وعمرناكم الأمانى يعني أمانى الهوى حتى جاء أمر الله أي قدم الموت ولم يقدموا له شيئا يقدموا عليه فمثلهم كمثل وصفه الله بالإفلاس وأخبر عنه بالإياس في قوله عز وجل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه وقال بعض علمائنا لم يبلغ العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون فيه هذه الأربع أداء الفرض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الممات وكان الحسن يقول والله ما العمل المؤمن إلا دون الموت والله ما المؤمن الذي يعد الشهر ولا السنين إنما المؤمن المداوم على أمر الله عز وجل الحائف من مكر الله إنما الإيمان شدة في لين وعزم في يقين وإحياء في صبر وعلم في زهد وقد كان عمر رضي الله عنه إذا تلى قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول قد قالها الناس ثم رجع أكثرهم استقام على أمر الله عز وجل في العسر واليسر والعلانية والسر ولم يخف الله لومة لائم وقال مرة استقاموا والله لم يروغوا روغان الثعالب وقال بعضهم من كان طلب الفضائل أهم إليه من أداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان وغيره اتهموا الوصول تضييع الأصول فأفضل ما تعبد العبد معرفته بنفسه ووقوفه عند حده وإحكامه الحالة التي أقيم فيها وابتداؤه للعمل المفترض عليه واجتنابه ما نهي عنه بعلم يدبره في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى من ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لأن الفضل لا يصح إلا بعد جواز السلامة كما لا يصلح الربح للتاجر إلا بعد حصول رأس المال فمن تعدت عليه السلامة كان من الفضل أبعد وإن الإعتراز أقرب وقد تلبس الفضائل بالفرائض لدقة معانيها وخفي علومها فيقدم العبد النفل وهو يحسب أنه هو الأوجب من ذلك ما حدثنا به المعلا أن أبا سعيد بن رافع بن المعلى كان قائما يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن أن وقوفه بين يدي الله عز وجل بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجيبني حين دعوتك قال كنت أصلي فقال ألم يقل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الصلوة ليفيده بأطر العلم أو لينظر مبلغ علمه كيف يعمل وكان إجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له من صلاته لأن صلاته نافلة فهو مطيع لله عز وجل في الشهادة باتحاده ففضل استجابته الرسول على صلاته لنفسه كفضل الفرض على النفل وقد قال سبحانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله والله تعالى معهم في المكانين معا وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على يقين وجه الله فهذا أبلغ وأعظم ونحو هذا ورد الحديث أن الخبر إذا ورد في أمر كان عمومه وكليته مما تعلق به حتى تخص السنة والإجماع بعض شأنه من ذلك قوله تعالى استجيبوا لله ظاهره مقصور على استجابة للرسول بالإيمان والطاعة في أوامر القرآن لا إلى الإجابة في الصلوة خاصة في الصلوة وهذا الذي حمله عليه أبو سعيد بن المعلى وتأوله من الآية فاشكل عليه ومثله لما نزلت آية التيمم في الجنب في السفر ولم يكن سمع من النبي صلى الله عليه وسلم في تخصيص بعض اليد شيئا قيمم إلى المنكب لعموم الخطاب حتى أخبره عليه السلم إلى الرفقين وفي لفظ آخر إلى الإبطين فلذلك اختلف العلماء في تعيين اليد فذكر أن القرآن إذا نزل مجملا ثم استعمل في الجملة حتى تخصه السنة ونحو هذا ما روي أن رجلين عاهدا رسول الله صلى الله عليه وسلم تواخيا على العبادة واعتزلا الناس فقال أحدهما لصاحبه هلم اليوم فلنستمتع من الناس ولتلزم الصمت فلا نتكلم من كلمنا فإنه أبلغ في عبادتنا فقال فاعتزلا في خلوة وهما فمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردا عليه السلم فقال سمعناه يقول هلك المتنطعون هلك المتنطعون واعتزلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابا من ذلك إلى الله عز وجل والمعنى للخبر ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة فنظر إلى مصباح يبصر من خلل باب فاطلع فرأى قوما على شراب لهم فلما رآهم كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن بن عوف فجاءه إلى الباب فنظر وقال له أيسرك أن تعمل فقال أرى والله قد أتينا ما نهانا الله عنه لأنا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم قد سترها عنا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال ما أراك إلا قد صدقت أبعد عنك فانصرفا وروي نحو هذا أن عمر كان يعس ليلة مع ابن مسعود فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين يديه دن خمر وقينة تغنيه وتسقيه

قد تقدم مثل هذا في أوائل الكتاب فإنما اطلاق لفظ المكان فالمراد به إحاطة الله تعالى وعلمه بجميع الموجودات ويظهر ذلك بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله ما يكون من نجوى ثلثة إلا هو رابعهم وقوله وحن أقرب إليه من حبل الوريد كل ذلك بمعنى العلم والإحاطة لا بنوع حلول على تخصيص مكان ولا حركة انتقال...

الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجيبني حين دعوتك فقال يا
اشتهيه الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلم

عليه فقال ما أحب بشيء من ذلك أن يكون على مثل هذه الحالة فقام اليه الرجل وقال يا أمير
المؤمنين أنشدك الله تعالى إلا أنصفتني حتى أتكلم قال قل قال أرأيت إن كنت عصيت الله في واحدة فقط
بمعنى أنه صح في ثلث قال ومما هو قال تحسست وقد نهى الله عز وجل عن ذلك وتسورت وقد قال الله تعالى
وأتوا البيوت من أبوابها ودخلت بغير إذن وقد قال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها فقال عمر صدقت فهل أنت غافر لي ذلك قال نعم عفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي
ويقول ويل عمر ان لم يغفر الله له لجد الرجل كان تخفى عن أهله وولده فالآن يقول رأيي يا أمير
المؤمنين ومن ذلك ما جاء في الحديث اذا دعي أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليجب وان كان
صائما فليقل اني صائم فأمره باظهار عمله من حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجدا أفضل من اخفاء عمله
مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل المؤمن وحرمته على الأعمال اذ الأعمال موقوفة على العامل وانما
يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر الأعمال بتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل
الواحد فدل ذلك أن المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك بإظهار
عملك فهو خير لك من اخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لأن أخاك اذا دعاك الى طعام ضنة لك
فلم تجبه ولم تعتد اليه عذرا يثقل عليه منك ويعرفه فيك شق ذلك عليه ان كان صادقا
في دعائك وبمعنى هذا من خفي الأعمال ما حكي عن بعض السلف انه كان يكون في الجماعة فيقرأ
في نفسه سرا لئلا يطلع على عمله أحد فاذا مر بآية فيها سجدة سجد من الملأ قال فكانا يعرف سجوده
انه يقرأ فلعل قارئا قليل الفقه يقول ان هذا قد أظهر عمله لأنه قد فعل ما يدل عليه فلو ترك
السجود ليخفي عمله كان أفضل لأنه قد أظهره فيما أخفاه فهذا يدل على جهله بالمعاملة وعلله
بكون عمل المريدين المقصرين التعلم وقد سمعت بعض من يدعي العلم يطعن على هذا بما ذكرناه من
السؤال وليس الأمر كما قدره هذا القائل لسجوده بل القائل قليل الفقه بدقائق الاخلاص والعمل
نقل عنه هذا الفعل فقيه مخلص وذلك أنه قد جاز الفضلين معا لأنه كان فاضلا فيما أخفى اذ
أبدى عمله بالاخفاء فلما جاء السجود الذي لا يكون الا ظاهرا لم يصلح أن يترك وربه الى الله عز وجل لأجل
الناس فكان يسجد لما أمر به ويقرأ لما ندب اليه فصار فاضلا في الحال الثاني لأنه أظهر لله عز وجل ما
أخفى لأجله ولأنه ترك مراقبة الناس فلم يترك عمله لأجلهم ولو كان الفضل في ترك السجود لحقا العمل

بهذا

وهو يعلم أن الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله مرجح

كان أفضل ثم رجل هلك وهو في منزله يصلي أن يقعد كيف وقد كانوا يعدون أن الذي يترك العمل لأجل
الناس فأما العمل لأجلهم فمشترك وقد قيل لا يعمل للرياء ولا تترك العمل لأجل الناس مثل الذي يأتي
شرك كما ان الذي يمنع الناس ان يصلوا فانه لو أطاع العبد في ترك العمل لأجل الناس أطاعه مرة أخرى
في العمل لأجلهم ومثل هذا من كان يصوم ويصلي يومه أجمع في منزله لا يعلم به مخلوق فلما نوى الاعتكاف
ليصلي الى صومه خرج الى المسجد فكان يصلي مقيما فيه فيظهر الناس على عمله فلم يكن ليدع ما نواه من
العكوف في المسجد لأجل نظرهم اليه ولم يضره ظهور عمله لبنائه على نيته ومن يريد الاعتكاف اذا كان
في المسجد أيضا فان الامام المقتدى به لا يضره ظهور الناس على أعماله اذا لم يقصد ذلك ولم يحب
مدحهم وربما كان له أجران في ذلك لتنبيه الغافلين على الذكر وتشويق العاملين الى البر وكيف
عند بعض العلماء ان سجود القرآن فرض ان على من سمع آية سجدة أو تلاها كان على غير وضوء أن
يومئ لها ويسجد ونحو هذه المعاني مما هي حال العبد وأولى به من حال غيره ما روى أبو نصر اليماني
الثمار ان رجلا جاء أبو دجانة بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له بشر كم أعددت للنفقة
فقال ألفي درهم قال بشر فأي شيء تبتغي بهذه الألفي درهم أو أشتيها قال للبيت وابتغاء مرضاة الله فقال
ابتغ مرضاة الله قال فان أصبت رضى الله وأنت في منزلك وشق ألفي درهم وتكون على يقين من
مرضاة الله عز وجل أتفعل ذلك قال نعم قال فاذهب وأعطها عشرة أنفس مدينين يقضون دينهم
وفقير له عشرة وعيال يحيي عياله ومزين يتيم رحمه وان قوي بيتك أن تعطيها لواحد فافعل
فان دخالك السرور على قلب امرئ مسلم ونعيث لهفانا وتكشف ضر محتاج أو تغيث رجلا ضعيف
اليقين أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام ثم فاخرجها كما أمرتك والا فلا لنا ما يقوي في ذلك
قال يا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه فقال له المال اذا جمع من أوساخ التجارات
والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا تسترخ اليه فانظر في أعمال الصالحات وقد
الله سبحانه على نفسه ألا يقبل الا عمل المتقين قال بكى الرجل وفي نحو هذا قيل لبشر ان فلانا
الغني كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام
الجايع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تحويعه نفسه ومن صلوته لنفسه مع جمع
الدلا ومنعه الفقر أفقد يكون اخفى الأوجه له من الفرايض والتباسه بالفضايل جنة من الله

الحج

ط

ذلك له عندي شهادة ودرجة فوق نبوته فقال سبحانك وبحمدك أنت أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين
العالم عند العلماء من علم خير الخيرين فسبق إليه قبل فوته وعلم شر الشرين فأعرض عنه ليلا
يشغله عما هو خير منه وعلم خير الشرين ففعله إذا اضطر إليه وأبتلي به وعلم شر الشرين فأمعن
الهرب منه واحتجب بحجابين عنه وفي هذه المعاني دقايق العلوم وغرايب الفهوم وأدلة للسائلين
وعبر وآيات للعالمين فأما شر الشرين ومعرفة الخير من الشر فهو معرفة وقف أدلة
المعقول وطوامير العلوم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وسلم

ذكر أسايس المريدين

قال بعض العلماء الخلق محجوبون ثلث حجب الدنيا وطلب الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين
المذي قطع العباد عن الله ثلثة أشياء قلة الصدق في الإرادة والجهل بالطريق ونطق علماء السوء بالهوى
وقال بعض علمائنا إذا كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والاختلاف موجودا لم ينكشف الحق
وإذا لم ينكشف الحق تحير المريد واعلم أن المريد لا بد له من خصال سبع الصدق في الإرادة وعلامة
إعداد العدة ولا بد له من التسبب إلى الطاعات وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولا بد له من المعرفة للطالب
وعلامة ذلك استكشاف آفات النفوس ولا بد له من مجالسة عالم بالله وعلامة ذلك إيثاره لله على
ما سواه ولا بد له من توبة نصوح فبذلك يحلو الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع
أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه ولا بد له من طعمة حلال لا يدنسها العلم وعلامة
ذلك انجلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع ولا بد له من
قرين صالح يوازره على جاده وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوى ونهيه إياه عن الإثم
والعدوان فهذه السبع خصال قوت الإرادة لأقوام لها لا بها ويستعين بهذه السبع بابع
من الناس بيانه وبه قوة أركانه أولها الجوع ثم السهر والصمت ثم الخلوة فهذه مما يبغي
النفس وضيقها وضرب النفس وتقييدها بهن تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملتها ولكل واحدة من
الأربع صنيعة في القلب حسنة فأما الجوع فإنه ينقص دم القلب فيميض وفي بياضه نوره
ويهيج الفؤاد وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لأن في القسوة مفتاح كل شر

وإذا نقص

النفس اسم مشترك
والذين يطلقون اسم النفس
على الدم طايفة من الفقهاء
والاطبا اذ يجعلونه مركبا
للروح بما فيه وقد لا يفرقون
بين النفس والروح بهذا المعنى
وقد جاء في كلام العرب كثيرا

وإذا نقص دم القلب ضاق مسلك الغذاء ومنه لأن دم القلب مكانه فإذا رق القلب ضعف سلطان
الغذاء ومنه لأن في غلظ القلب سلطانه والفلاسفة مجمعون على أن القلب هي كلية الدم وهم في ذلك
أن الإنسان إذا مات فقد دمه مع روحه والعلماء منهم يقولون الدم هو مكان النفس وهذا هو الصحيح لأنه
مواطئ لما في التوراة سمعت أن في التوراة مكتوب يا موسى لا تأكل العروق فإنها مأوى كل نفس وهذا مصدق
للحديث الذي روى الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقد عبر عالما
الكوفة عن الدم بالنفس فقالوا إذا مات في الماء من الهوام ما ليس له نفس سايلة لم يحرم يعنون بذلك الحشرات
والصراصر والعناكب ففي الجوع نقصان الدم وفي نقصانه ضيق مسلك الغذاء وضعف مشكل النفس لسقوط
مكانها وفي خبر عن عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم واعطشوا أكبادكم واعروا
أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب والجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة
وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه وأقل ما في الجوع
إذا لم الصمت وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء وقال سهل رحمه الله اجتمع الخير كله في هذه
الأربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا أخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقلة الخروج وكان
عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحول الصديقون صديقين إلا بالجوع فأما السهر فإنه ينير القلب
ويجلوه وفي استنارته معاينة الغيب وفي معاينته للغيب صفاء اليقين فتدخل الاستنارة والجلاء
على القلب البياض والرقة فيصير القلب كأنه كوكب دري في مرآة مجلوة فيشهد الغيب بالغيب فيزهد
في الفاني الباغي من الباقي وتقل رغبته في عاجل حظوظ هواه لما أبصر من وبال العقاب ومن كراهة
مولاه ويرغب في الطاعات لمشاهدة الآخرة وترفيع الدرجات فيصير العاجل أجلا والغايب حاضرا
فيطلبه ويرغب فيه وينكشف له غوار الدار ويظهر له باطن الأسرار فيزول عنه كامن الاغترار فبذلك
صار العبد مؤمنا حقا بوصف حارثة الأنصاري إذ يقول عزفت نفسي عن الدنيا وكأني أنظر إلى
عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهل النار يتعاوون فأظهرت نهاري
وأسهرت ليلي فقال عليه السلام وشهد له عرف الدار فخشمه وقال في لفظ آخر بدأ بالدار فخشمه
وذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن في قوله القلوب أربعة قلب أجرد وفيه
سراج يزهر فذلك قلب المؤمن فانجراد القلب بالزهد في الدنيا وتجرده من الهوى وسراجه

الذي يزهر فيه نور اليقين به يبصر الغيب وقال بعض علمائنا من سهر أربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت
السموات وكان يقول اجمع الخير كله في أربعة ذكر منها سهر الليل واعلم ان نوم العلماء عبادة
المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشفة لهم وشهود وتقريب لهم ووداد ومن صفة الابدال انك ترى
أكلهم رأفة ونومهم غبطة وكلامهم مرزوزة ومن سهر بالليل لأجل الحبيب لم يخالفه بالنهار ومن راقب
الرقيب بالنهار راعاه في خدمته بالليل وقيل استعينوا على قيام الليل بقايلة النهار وفي الخبر قيلوا فان
الشياطين لا تقيل ودخل الحسن ذات يوم إلى السوق فسمع لعظهم وكثرة كلامهم فقال أظن ليل هؤلاء ليل سوء
أما يقبلون وقد قيل في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قيل بالصوم على قيام الليل وقيل بالدعوة
الليل على مجاهدة النفس وقيل استعينوا بالصبر والصلوة على اجتناب النهي فاما الصمت فانه يلقح العقل ويعلم
الورع ويحبب التقوى ويجعل الله به للعبد بالتأويل الصحيح والعلم الرجيح مخرجا ويوفقه بايثار الصمت للقول
السديد والفعل الرشيد وقال بعض السلف تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في فلتوز سبعة كنت
إذا سمعت بالكلمة تلجلج بها لساني فسكت وقال بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة أتكلم بها
صلوة ركعتين فسهل ذلك علي ولم أنته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهل علي ولم أنته حتى
جعلت على نفسي بكل كلمة أن اتصدق بدرهم فصعب ذلك علي وانتهيت وقال عقبة بن عامر يا رسول
الله فيما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم في
اللفظ الجامع المختصر من سره ان يسلم قلبه فليلزم الصمت وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاذا بالصلاة والصيام وغير ذلك ثم قال في آخر وصيته ألا أنبئك بما هو أملك لك من ذلك كله
هذا وأومى إلى لسانه قلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به ألسنتنا فقال ثكلتك امك يا معاذ
ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد ألسنتهم انك ما سكت فانت سالم فاذا
تكلمت فاما لك أو عليك وقال عبد الله بن شقيق عن أبيه يا رسول الله أوصني بشيء في الاسلام لا
أسأل عنه أحدا بعدك فقال قل ربي الله ثم استقم قلت فما أبغي بعد ذلك وفي خبر آخر فاخبرني
بأمر شيء علي فقال هذا وأومأ إلى لسانه وفي الخبر لا تبقى العبد ربه حتى تفانه حتى تخزن من
لسانه وفي الحديث لا يصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال
ابن مسعود ليس شيء احق بطول سجن من لسان وقال بعضهم فتشت الورع فما وجدته في شيء

أقل ما

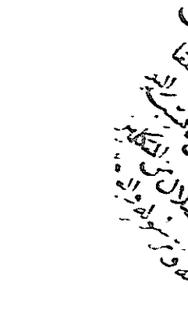

أول سنه في اللسان وقال بعضهم ما استقام لسان عبد الا عرفت الصلاح في سائر عمله وما اختلف لسانه
الا عرفت الفساد في سائر عمله وقال بعض الحكماء اذا كثر العقل قل الكلام واذا قل العقل كثر الكلام
وقال أحمد بن حنبل علامة الكلام زنادقه وقال بعض هذه الطايفة من تكلم فاحسن كثيرا ولكن
القلب فيه حسن فيسكت وقال ذو النون المصري الخوف يقلق والحياء يسكت وقال بعض العارفين
هذا العلم على قسمين نصفه سكوت ونصفه تدبر ابن تضعه وقال الضحاك أدركتهم وما كانوا يعدون
الا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون كثرة الكلام وقال الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربع لا يصبن الا بحب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقيل لبعض السلف العلم
اليوم أكثر أو فيما تقدم فقال يا بني الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر وقيل كانوا ينتفعون بصمت
العالم أكثر مما ينتفعون بكلامه وقد قيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه وقيل
لبعض العلماء فلان أعلم عندك أم فلان فقال فلان أعلم وفلان أكثر كلاما ففرق بين العلم والكلام
وقيل لبعض علمائنا خراسان عندك وفاة دلنا على رجل نجلس اليه بعدك ونسمع منه فقال فلان فذكر
رجلا صوتا متعبدا لا يعرف كثير علم فقيل له ان فلانا الذي عنده من العلم ما يجب عن كل ما
سئله عنه فقال قد علمت ولكن عنده من الورع ما لا يتكلم الا بما يعلم فلذلك أرشدكم عليه قال
وكان في وقته من المتعلمين في العلم كثير وكان لا يعش يقول من الكلام كلام جوابه
السكوت وقال بعضهم الصمت زين للعالم وستر للجاهل وقال أخر لين شيء أشد على ابليس
من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان انظروا اليه شكوته أشد
علي من كلامه وقال بعض السلف تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان كثرة الكلام يهدي قال
الصمت يقيك وليك في الصمت خصلتان تدفع به جهل من هو أجهل منك وتتعلم به علم من هو أعلم منك
وقال بعض العلماء تعلم لا أدري ولا تتعلم أدري فان قلت لا أدري علموك حتى تدري فان قلت
أدري سئلوك حتى لا تدري وقال بعض العلماء اذا أخطأ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله
وقال عيسى عليه السلام الخير كله في ثلاث في الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته تفكرا فهو سهو
ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وقال بعض السلف يأتي على الناس
زمان يكون أفضل أعمالهم النوم وأفضل علومهم الصمت يعني لفساد الأموال واشتباه العلم ويقول

أيضا مع ذلك وأفضل أحواله الجوع لانشاره للحرام وغموضه في الحلال وقال بعض العلماء الصمت نوم العقل والمنطق يقظته وكل يقظة تحتاج إلى نوم وما صمت عاقل قط إلا اجتمع عقله وحضر له وقال بعض العلماء يستبين ورع الرجل في كلامه ومعاملته وقيل في طهارته وفي الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه مات قلبه ويقال إذا قل الكلام كثر الصواب وعن جماعة من السلف أن تسعة أعشار السلامة في الصمت ويقال كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف عليها العبد حتى مواقفات توبيخ وتقرير أولها أن يقال له لم قلت كلمة كذا ألم تعلم أن الله يراك والثانية هل نفعك إذ قلتها والثالثة هل ضرك لو لم تقلها والرابعة ألا سكت فربحت السلامة من عاقبتها والخامسة لا جعلت مكانها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فغنمت ثوابها ويقال ما من كلمة إلا يشرف لها ملكان دواوين اليوم ثلاثة أولها أن يقال له لم والثاني كيف والثالث لمن فإن نجا من الثلاثة وإلا طال وقوفه للحساب فلذلك روي في الحديث من سره أن يسلم فليلزم الصمت وقال الحسن لسان المؤمن من وراء قلبه إذا أراد أن يتكلم تفكر فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك وقلب المنافق على طرف لسانه أي شيء خطر بقلبه تكلم به لا يتوقف ولا ينثني وقال ابن عباس لمجاهد لا تكلم إلا فيما يسرك غدا أسلم ولا أمن عليك ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقي عنتا وفي الخبر أن من فتنة العالم أن يكون الكلام أعجب إليه من الصمت وفي الكلام شيوع وفي الصمت سلامة وعلم وفي موعظته عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والأخبار في الصمت وفي جميع ما ذكرناه من المعاني أكثر ولم نقصد جمعها ولا الاستدلال بها وأما الخلوة فإنها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بأمر الخالق وتقوي العزم على الثبات إذ في مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النيات والخلوة تقلل الأفكار في عاجل حظوظ النفس لقد شاهدنا هذا بالأبصار لأن العين باب القلب منها تدخل آفته وعندها توجد شهواته ولذاته وقد قال بعض الأدباء من كثر لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب أفكار الآخرة وتجرد الاهتمام بها لما شهد به الإيقان وتنسي اذكار العباد وتواصل ذكر المعبود والخلوة من أكبر العوافي وذلك أنه قد جاء في الحديث سلوا الله العافية فما أعطي عبد بعد اليقين أفضل من العافية ثم روي في الخبر العرام عن الناس عافيه فدخل في ذلك ومعنى ما ندب إليه من السؤال وفيما فضل بعد اليقين على جميع

الأحوال ولا يكون المزيد فيه إلا فيجد في الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد ما لا يجد في الجماعة ويجد في الاختلاط والقوة ما لا يجد في العلانية وحتى يكون أنسه في الوحدة وزوجه في الخلوة أنس وأحسن أعماله في السر ومثل الخلوة في الأحوال من المخالطة للناس مثل الخوف في المقامات من المحبة الخوف يصلح العابدين والمحبة مزيد أهلها المحبين كذلك الخلوة والانفراد يصلح المريدين والأنس بالناس مزيد لأهله خاصة من العالمين وقد قال الثوري وبشر بن الحرث إذا استوحشت من الوحدة وآنست بالخلق فاعلم أن عليك الرين وكان سهل رحمه الله يقول اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا خمامض البطون والصمت واعتزال الخلق وسهر الليل حدثت عن عبد العزيز عن سهل قال مخايل الولي للناس ذل وتفرده عز وقل ما رأيت وليا عز وجل الا منفردا قال بعض العارفين الأنس بالوحدة علامة وجود الطريق فمن علامة صدق الإرادة بصحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة بهذه الأربع التي ذكرناها على أضدادها ووجود القلب عندها وانشراح الصدر بها وحسن الخلق معها لأن ضدها هو أبواب الدنيا ومفاتح الغفلة وطرقات الهوى من ذلك أن في الشبع قسوة القلب وظلمته وفي ذلك قوة صفات النفس وانتشار خطوطها في قوتها ونشاطها وبسطها ضعف الإيمان وخمود أنواره وفي ضعف النفس خمود طبعها وطمأنينة قوة الإيمان وانساع شعاع أنوار اليقين وفي ذلك قرب العبد من القريب وبغاسته للحبيب والشبع مفتاح الرغبة في الدنيا وقال بعض الصحابة أول بدعة أحدثت في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع وأن القوم إذا شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم روي عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من غير عوز أي مختارين لذلك وعن ابن عمر ما شبعت منذ قتل عثمان رحمه الله وقال هذا في زمان الحجاج وفي حديث أبي جحيفة لما اجتثى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عنا جشاك فإن أطولكم شبعا في الدنيا أكرمكم جوعا في الآخرة فقال والله ما تملأت طعاما منذ قال لي ذلك إلى يومي هذا وأرجو أن يعصمني الله تعالى فيما بقي فيستحب على هذا أن يكون جوع العبد في الدنيا أكثر من شبعه وهي علامة الأولياء فمن كان له أكلة بين جوعتين إلى منتهاها فجوعه حينئذ أكثر من شبعه ومن كان له بعد جوعه بالغد شبعة متوسطة فقد اعتدل شبعه وجوعه ومن أكل في يوم مرتين أو أكل عن غير جوع لم يشبع فشبعه أكثر من جوعه وهذا مكروه وكل من أكل بعد الجوع ورفع يده قبل

الشبع فوجعه أكثر من شبعه وهذا أوسط الأمور وعن هشام عن الحسن والله لقد أدركت أقواما ما يشبعون يأكل أحدهم حتى إذا ازدرد نفسه أمسك ذابيا ناحلا مقبلا على شأنه يعيش عمره كله ما طوى له ثوب قط ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض بساطا قط وعن جعفر بن حازم عن الحسن قال المؤمن لا يأكل في كظ بطنه ولا تزال وصيته تحت جنبه وروينا عن الثوري خصلتان تقسيان القلب طول الشبع وكثرة الكلام وروينا عن مكحول ثلث يجمهن الله وثلث بعضهن الله فلما الذي يحب فقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام وأما التي يبغض فكثرة الأكل وكثرة الكلام وكثرة النوم وأما النوم فإن في مداومته طول الغفلة وبلة العقل ونقصان الفطنة وسهو القلب في هذه الأشياء الفوت وفي الفوت الحسرة بعد الموت وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قالت أم سليمان بن داود عليهما السلام لابنها يا بني لا تكثر النوم بالليل فإنه خسران الميزان يوم القيامة قال وكان شباب متعبدين في بني إسرائيل فكانوا إذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يا معشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتسرفوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقال بعض السلف أدنى أحوال المؤمن الأكل والنوم وأفضل أحوال المنافق الأكل والنوم وقال بعض السلف ليشتر فيكم الحكام صف لي شيئا أستعمله أكون أنام بالنهار فقال يا هذا ما أضعف عقلك أن نصف عمرك أنت نائم والموت تريد أن تجعل ثلثة أرباعه موتا وربعه حياة قال وكيف قال إنك إن عشت أربعين سنة فإنما هي عشرون سنة أفتريد أن تجعلها عشر سنين وأما كثرة الكلام فإن فيه قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب ونشر الكتاب وكثرة الطالبين وتعلق المطلوبين بالقالين وكثرة الشهود من الأملاك الكاتبين ودوام الاعتراض من الملك الجبار لأن الكلام مفتاح كبائر اللسان فيه الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وفيه شهادة الزور وقذف المحصن والافتراء على الله عز وجل والإيمان وفيه القول فيما لا يعنيني والخوض فيما لا ينفع وقد جاء في الخبر أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضا فيما لا يعنيه وفي اللسان التزين والتصنع للخلق والتحريف والإحالة لمعاني الصدق وفيه المداهنة والمزاينة والتملق لأهل الهوى وفي اجتماع هذا على العبد شتات قلبه وفي شتاته تفرقه وفي تفرقه سقوطه من عين الله عز وجل ولا يبالي في أي واد هلك وقال مجاهد وبرة المسلي أوصاني ابن عباس بخمس في حديث مجاهد لهن أحسن من الدر الموقوفة وفي حديث وبرة هن أحسن من الذهب الموضوف

من ابن الجوزي عن عبد الله تعالى عوجرمان العنايه والرعايه الربانيه قال الله تعالى انك باعيننا الى برعايتنا وحفظنا والله اعلم

قال لا تكلمن فيما لا يعنيك فإنه فضول ولا أمن عليك الوزر ولا تكلمن بما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم بما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمازحن حليما ولا سفيها أما الحليم فيقلاك وأما السفيه فيؤذيك ولا تذكرن أحدا إذا تغيب عنك إلا بما تحب أن يذكرك به إذا غبت عنه واعفه عما تحب أن يعفيك عنه واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام فهذه الوصية الحسنى فيها نهاية عن الشر أي أربعة أحرفها متعلق باللسان وفي كفه قبولها وقال لقمان لابنه يا بني لأن يعيش أحمق يسيل لعابك على صدرك خير لك من أن تنطق في نادي القوم بما لا يعنيك وفي الخبر من أفتح بكلمة سوء ثم خاض الناس في مثلها كان عليه كمثل أوزارهم وفي الحديث لا يأتي بخير السوء إلا الرجل السوء والإيمان قيد الفتك وفي الحديث من حدث بما سمعت أذناه ورأت عيناه من الشر كتبه الله في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وروي عن علي عليه السلام مذيع الفاحشة في الناس كفاعلها وفي الخبر أن بعض فقراء أهل الصفة استشهد في سبيل الله فقالت أمه هنيئا لك الجنة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه في الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه وفي الخبر أن بعض الصحابة قال لرجل إنه لنوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إغتبتم أخاكم سلوه أن يستغفر لكم وجاء في خبر آخر أنهم قالوا ما أعجز فلانا فقال اغتبتموه وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لامرأة ما أطول ذيلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها وفي خبر آخر أنها قالت إنها قصيرة فقال اغتبتيها وفي الخبر الجامع لهذه المعاني في وصف الغيبة أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في أخيه ما فيه فقد اغتابه وفي حديث أبان عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الغيبة ما إن قلت في أخيك ما لم تركبه به فهو بهتان والقول من ذلك وعليه التشديد في الغيبة والغيبة اسم لغوي معناه شرعي هي مأخوذة من غيب الإنسان وفتر هارسول الله صلى الله عليه وسلم انها ان تقول إياك في أخيك ما فيه وعظمها بقوله هي أشد من الزنى فسئل كيف ذلك فقال الرجل يزني ويتوب فيتوب الله عليه والغيبة لا يغفر لصاحبها إلا أن يغفر له أخوه في غيبته ما يعلمه فيه يقينا فقد اغتابه ولو لم يكن في الصمت إلا السلامة من الغيبة كان ذلك غنيمة موفورة كيف وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلثا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى وأما علاقة الثاني فإنها تشعب العزم الذي هو

فالأول

قوت الحال للبر قوة فيها وحمل العقد البر وهو الذي استوطنه العبد في الخلوة لفنة المتعاونين على البر والتقوى وكثرة المتعاونين على الإثم والعدوان وفي مخالطة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل الدنيا لما يعاين من إقبال أهلها عليها وفيه الفتور عن الخدمة بالنظر إلى أهل الغفلة والملل للطاعة بمجالسة أهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لاستماع كلام أهل الجهالة والنظر إلى الموتى من أبناء الدنيا كما روي عن عيسى عليه السلم لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وقال الحسن في قوله تعالى وما يستوي الأحياء ولا الأموات قال الفقراء والأغنياء كأن الفقراء حيوا بذكر الله والأغنياء ماتوا على الدنيا وأعظم ما في مجالسة الناس ومخالطة أهل البطالة وذوي غفلتهم ضعف اليقين من قلوبهم وأكثر ما ابتلي به العبد وأعمله في هلاكه وأشد الحجابة وإبعاده ضعف يقينه لما وعد به الغيب وتوعد عليه في الشهادة وهذا الخوف ما خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته فيما روي عنه أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين وذلك أن ضعف اليقين هو أصل الرغبة في الدنيا والحرص على اكتسابها والتفرغ إلى أهلها والطمع فيها كما قال ابن مسعود ما أبالي إن أصبحت أجمع ما معه من دينه شيئا يلقى هذا ويقول إنك لذنبت وديت ويلقى هذا ويقول أنك لكيت وكيت ولعله ليس عندهم بشيء ورجع ولعله قد سخط الله عليه وقال بعض التابعين إن العبد ليعقد في القلب على خمسين عاما وإن الخير ليخرج إلى الناس فيحلون عقدا حتى يرجع وقد أخلق العقد جميعها وقوة اليقين أصل كل عمل صالح لأن في قوة يقينه يسرع منقلبه وطول مثواه في دار الإقامة إيثارا للتقلل من الفاني وتقديمه للباقي وقصر حرصه وقلة طلبه وقد طمعه وفراغه من الاشتغال العاجلة وإقباله وشغله بما ندب إليه من مستقره وفي جميع ذلك إخلاصه في أعماله وحقيقة زهده في تصرف أحواله وفيه قصر أمله وتحسين عمله ألم تسمع إلى وصف من أخبر الله عنه بالتكاثر حتى أتى من ورائه ومثواه كيف تهدده حتى علم يقينا وتوعده إذا رأى الجحيم عيانا فقال سبحانه ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ثم قال كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي لشغلكم اليقين بالآخرة عن التكاثر بالدنيا كما شغلكم التكاثر لعدم علم اليقين كما قال تعالى أبصرنا وسمعنا الآية بعد قوله تعالى بل هم في شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك مرتين وتهددهم بالسؤال عن النعيم الذي شغلهم وهو التكاثر من فضول العاجل وقال

واعلم أن الذي قطع العباد عن التوبة وعرج بالتائبين عن الاستقامة ثلثة أشياء الجهل والمنع التأويل والجهل والنفاق وهذه الأسباب متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم ومفقودة بالانفراد عنهم فمن زهد في هذه الثلث زهد في الخلق ومن رغب فيهم فحال بينه وبين الحق رغب في الخلق وقال الثوري من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله عن الخلق كيف الطريق إلى الدنو على عمل أطلعه قلبي مع الله عز وجل فقال لا تنظروا إليهم فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة القلب قلت لا بد لي قال فلا تؤاكلهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم قال لا تسكن إليهم هلكه قلت هذه العلة ثم قال يا هذا انظر إلى اللاعبين وتسمع كلام العابثين وتعامل البطالين وتسكن إلى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة هذا ما لا يكون أبدا وقد جاء في فضل العزلة والانفراد وفي فضل الصمت وما ذكرناه ما يكثر جمعه وفيما بيناه عليه وأشرنا إليه بلاغ وغنية لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

كتاب ذكر مراقبة المقربين ومقامات الموقنين

اعلم أن العبد إذا قوي يقينه علم علم يقين أن وفاته هي التي قدم ذكرها وكل ترتيبه إنما وجل شيب نعايه وحياته منها فهي مكررة عليه في البرزخ ومردوده إليه يوم القيامة ومعاوده عليه في الجنة إن دخلها ليس بجازي هناك إلا بمقدار ما أعمل من العاملة ها هنا ولا يعطى ثم إلا بمقدار ما وفى ها هنا لا يسأل إلا عن أوقاته ولا يحاسب إلا بساعاته ولا يجازى إلا عليها لا يرد عليه أوقات غيره كما لا يعاد هو في سنون غيره ولا جزاء سواه كما لا يعامل ها هنا معاملته سواه ولكن الله يبدي ويعيد فمن ذلك قوله تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون وقال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته من ثم يتذكر أولو الألباب وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أفلا يتدبرون آياته هل ترون جزاء مولا بوصف عمله أم هل تجدون وصف هو لاء جزاها ولاء ومثله قوله تعالى ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به فنفى أمانيهم بليس وأثبت حكمه بلكن وهو مضمره في الكلام المعنى لكن من يعمل سوءا يجز به وفسره

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المؤمن يجزى بسيئته في الدنيا من المصايب من الجوع والعرى والمنافق يوفى ذنوبه عليه حتى يوافى بها يوم القيمة كأنه حمار فيجازى بذلك في الآخرة وكان الحسن يقول عباد الله اتقوا هذه الأمانى فإنها أودية التوكى يخلون فيها والله ما أتى الله عبد بشيء خيرا من دنياه ولا أخرنه وقال بعض الحكماء كلما قل العقل كثرت الأمانى ولبث بعض السلف الى بعض اخوانه من الدنيا يعظه أخبرنى عن هذا الذى تكدح فيه وتحرص عليه من أمر الدنيا هل بلغت ما تريد وأدركت ما تتمنى فقال لا والله قال أفرأيتك هذا الذى انت حريص عليه لم تنل منه ما تريد فكيف نال من الآخرة ما تريد وقد أعرضت وصرفت عنها فما أراك تضرب الا فى حديد بارد وقال بعض العلماء من ظن أنه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمنى ومن قال أدخلها بعمل فهو متعنى وقال بعضهم الأمانى تنقص العقل وفى الخبر ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ومن هذا قول الله عز وجل هل جزاء الإحسان الا الإحسان وقال فى ضده من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقال فى معناه أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ومثله أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال تعالى ساء ما يحكمون فأبطل حسبانهم وأدحض حكمهم ثم حكم ما عنده بقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم أى كما كانوا فى المحيى محسنين يعملون الصالحات كانوا كذلك الحسنى فى الممات وكما كانوا فى المحيى مسيئين يعملون السيئات كانت لهم السوأى والمكروهات وقيل كانت هذه الآية مسكاة للعابدين لأنها محكمة غير منسوخة ولا متشابهة وكذلك جميع ما ذكرناه من نظائرها هو المحكم الذى هو أم الكتاب غير منسوخ ولا متشابه وهذه الآى من أعظم القرآن ومن أحسن ما انزل الينا من ربنا من البيان الذى أمر الله باتباعه ووصف أهل الهدى وأولى الألباب باستماعه فى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل عن آبائه وعبيده وقد قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخائب بالاغترار والظنون الكاذبة بالأمانى وقيل عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فوجدوها عند المحاسبة سيئات فالصحيح ما صح عند الحساب والحق ما ثقل عند الميزان كما قال تعالى والوزن يومئذ الحق قيل العلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

العلماء

ثم قال تعالى فنقض عليهم بعلم

وبدا لهم سيئات ما عملوا الآية قال كانوا يقدمون الذنب ويؤخرون التوبة ويسوفون بالمغفرة كانت هذه الآية محرقة للخائفين ومخافة للعارفين وقد أخبر الله سبحانه انه أعد النار للكافرين ثم أمن المؤمنين بإتقائها ثم وصف الكافرين فيها وخوف عباده بها فقال واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ويقال ان العبد يستحق النار بأول معصية عصى مولاه بها بعد المعرفة ثم بعد ذلك هو فى المشيئة وان فى كل عبد خصلة كريمة يحاف عليه منها وكان عبد الواحد بن زيد يقول ما صح خوف خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما صدق خوف خائف قط ظن انه يدخل النار فظن انه خرج منها الى الحقيقة الخوف حشيه دخول النار ثم الخلود فيها وروى نحو ذلك عن الحسن وقد ذكر له ذلك الرجل الذى يخرج من النار بعد الف عام فبكى ثم قال يا ليتنى ذلك الرجل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انى فى الجنة فهو فى النار ومن قال انى عالم فهو جاهل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله من قلبه فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث ما انزله العبد من نفسه

ذكر المقام الثانى من المراقبة

ثم يعلم العبد يقينا أن لكل عمل صالح نعيما فى الجنة وضحا فى البرزخ ولكل عمل حسن ومعرفة خالصة مقام من الجنة قد قسم جزاؤها هناك لعامله ها هنا وان لكل عمل سيئ وجهل قبيح عذاب فى الآخرة وكرب فى البرزخ ومقام من النار قد قسم هناك بعمل ها هنا ثم قد اخفى الله ذلك لبرآ من الخيرة والنشأة وأظهر أعمالها لهما بين وأبان لهما طريقين يخرجان الى دارين حكمه منه ثم قدم المعاملات من المعيبين وأخر الثواب من النوعين احكاما منه للأفعال واستشعاما منه للعبد فى الأعمال ابتلاء منه ليجزى كل نفس بما تسعى منه منة ورحمة وقد منه ومحنه لا يسئل عما يفعل وانه ملك قهار عزيز جبار وهم يسئلون انهم عبيد مقهورون ذلل مجبورون ولا تضرب له الأمثال لأنه قد جاوز الاحتجاج ولا يستوى العبيد لأنه قد فات التقدير والتحديد قلة الحيلة البالغة والقدرة النافذة فى كل شيء ليس كمثله شيء فى جميع ذلك كله وقد اعلم الله ما ذكرناه من توحيد نفسه بالمشيئة والأفعال ونهيه عن الشرك به وضرب الأمثال وعجب ممن يسوى بينه وبين خلقه فى الأحكام وجعل ذلك جحدا للنعمة وشركا فى ملكه واخبره عن المشركين

وإضلالهم بتسويته بينه وبين عباده في الأحكام جرا لهم في قوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا
لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون وقد أنزلت في القدرية لأنهم أضافوا الرزق
والقوة في التجر إلى الخلق فسووا بينهم وبين الخالق وقد قال تعالى والله خلقكم وما تعملون فأضاف الأعمال
إلى نفسه إلى أنه خلقها الخلقه إياها فهم المجرمون الذين نزلت فيهم هذه الآية التي ذكر فيها القدر فوصفوا
بإنكارها في قوله تعالى إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل
شيء خلقناه بقدر هم المجرمون الذين أضلوا آباءهم الغاوون الذين كبكبوا في النار مع أشياعهم وقد
حكم الله تعالى بتفصيل ما ذكرناه آنفا في خمس آيات محكمات تظهر من حمل معاني ما شرحناه كرهنا شرحه وبسطه خشية
الإطالة ولا نالم نقصد الاحتجاج والاستدلال من ذلك قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما
الذين فضلوا برادي رزقهم يعني فضل الموالي برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله
الثانية قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء
أي فكذلك أنا لا شريك لي من عبيدي فلا تجعلوا لي مما لم أجعل لكم إذ لم أسوي بينكم وبين عبيدكم
فلا تشركوا عبيدي في حكمي والثالثة قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء يعني
الإنفاق ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه فجعلهما على وصفين أحدهما بخيل لا يقدر على الإنفاق
ثم ذمه بالبخل والبخر وهو أعجره ومنعه وجعل الآخر جوادا إذ أقدره وأعطاه الإنفاق ثم مدحه بالجود
وقال في الآية الرابعة وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء الشيء هاهنا هو الحكمة والعلم
ثم قال تعالى هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل فجعله عبدين أحدهما سفيه جاهل أبكه عن الحكمة ولم
يقدره على علم ولم يعطه استقامة ثم ذمه بوصفه [illegible] المنعة وجعل الآخر أمرا بالعدل على أثر
مستقيما على صراط المستقيم الذي هو عليه وهو أقامه كما قال هذا صراط علي مستقيم مهل
يسلك أحد طريقه إلا بإذنه وهل يجوز عند سبيله الا بحوله ثم مدحه باعطائه إياه ووصفه بوصفه
فعلم سبحانه أن للعقل في هذا تنبيها وتمثيلا لخلقه وتحريضا وتعظيما من خلقه على قبائح العقول أن من فعل
يعدل له مثل هذا ثم مدح أحدهما وهو اعطاه وأقدره وذم الآخر وهو الذي منعه وأعجره أنه قد ظلمه
فحسم عز وجل ذلك بنهيه وأحكم النهي عن التشبيه به في الآية اللامسة القاضية الفاصلة التي نهانا فيها
أن نضرب له الأمثال فقال تعالى فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فوكد ذلك

الترجيح من الفقراء والاغنياء من المسائل المختلف فيها بين العلماء

١١٠ الذي يدل عليه هذه الآية ترجيح الاغنياء على الفقراء فلو قدر أحد عبدين من عيد الله فقيرا وهو في الطاعة، وسائر العبادات الدينية، فاز أحدهما بمال انفقه في الصدقات والقربات المالية فتفضيل [illegible] والعلم

بحقيقة علمه وغايته جهلنا ثم أيد هذا بقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فسلم الراسخون في العلم الأحكام
كلها للحاكم فسلموا من عذابه وأمن المؤمنون بجميع الأقدار أنها عدل وحكمه من عالم عادل حكيم وأمنوا من
عقابه لأنهم آمنوا بالمتشابه فأعطاهم من فضله بفضله جزيل ثوابه وهلك الزائغون بالأفاويل تتبعا للشبهات
وابتغاء التأويل فوقعوا في الضلال وهلكوا غدا في المآل وروى الضحاك عن ابن عباس تصديق ما ذكرناه
قيل في قوله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن عباس طبق أسفل من طبق سبع دركات
على قدر أعمالهم كذلك يقتسمون الدركات بقدر ما اجترموا كما اقتسم أهل الجنة الدرجات بالفضائل
لكل باب منهم جزء مقسوم يعني نصيبا معلوما مفروضا لكل طبقة سكان وقال بعض العلماء بالله عز
وجل ما في الجنة قصر ولا نهر ولا نعيم إلا وعليه اسم صاحبه مكتوب واسم ذلك العمل الذي هو جزاؤه
مكتوب وكذلك جهنم ما فيها غل ولا قيد ولا شيب إلا وعليه وصف ذلك العمل الذي هو جزاؤه واسم
صاحبه مكتوب وقال قد أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه وقد أدخلهم النار قبل أن يعصوه وقال بعض
العارفين الخلق أهون من أن يعصوه بما لم يرد والله أعز من أن يعصى بما أحب ولكنه غضب على
قوم في العدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الغضب ليظهر دار الغضب ورضي عن قوم في
العدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الرضى ليظهر دار الرضى وقال بعض أهل المعرفة أظهر الخلق في
العدم فأوجدهم إياهم اقتدارا ثم أظهرهم أعمالهم وخيرهم الأعمال منه اختيارا فاختار كل عبد منهم عملا
يعينه ثم طوى الأعمال فيهم وطواهم في الغيب فلما أظهرهم الآن في الوجود حجهم بالعقول وأجرى على
كل عبد اختيار نفسه فبذلك وقعت الحجة عليهم إذا كشف لهم غدا ما حجب عنهم اليوم وفي
حديث عن بعض أهل هذه الطايفة قال كان قد وقع في نفسي شيء من القدر فكنت أستكشفه من العلماء
فلا ينكشف لي حتى قيض الله لي بعض الأبدال فاستكشفته إياه فقال ويحك ما تصنع بالاحتجاج نحن
نكشف لنا عن سر الملكوت فننظر إلى الطاعات تنزل صورا من السماء على جوارح قوم فتحركهم الجوارح بها
وننظر إلى المعاصي صورا مصورة تنزل من السماء على جوارح قوم فتحركهم بها قال فكشف الله عن قلبي
القدر وأوقع لي العلم بمشاهدة اليقين. وكنت ناما قد خلطت بعض أصحابنا في شيء من الاستطاعة أيع
الفعل هي أم قبله أم بعده فتكلمت في ذلك مذهب المثبتة من أهل الكلام قبل أن تنكشف المشاهدة علم اليقين فلما
النوم كأن قايلا يقول القدر من القدرة والقدرة صفة القادر فتقع القدرة على الحركة ولا تبين

الأنعال من الجوارح قال فتحرك الجوارح بالأنعال ولا تتبين فكيف تتكلم في شيء لا يتبين فجعلت على نفسي
ألا أناظر أحدا منهم بعد ذلك في شيء من هذا الباب وقد حدثونا عن بعض العابدين قال صليت ركعتين
النهر ثم غفوت بعدها فرأيت قصرا عاليا ذا شرافات بيض كأنها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن هذا
القصر فقيل هذا ثواب هاتين الركعتين ففرحت وجعلت أطوف حوله فرأيت شرافه من ركنه قد وقعت فقلت
ذلك فاغتممت وقلت لو كانت هذه الشرافه في أعلاه في هذا الموضع لتم حسن هذا القصر فان لها قدره
فقال لي غلام هناك قد كانت هذه الشرافه في مكانها من القصر الا انك التفت في صلاتك فسقطت وحدثونا
عن بعض الزهاد انه كوشف بمقامه من الجنه قال فرأيت الحور العين فكلمنني وقلن نحن أزواجك فلما خرجت
تعلقن بي الحور العين وقلن نشدك الله لما حسنت أعمالك فانك كلما حسنتها ازددنا لك حسنا وازددت
بنا نعيما وحدثونا عن ذابه العدوية انها قالت سهرت ذات ليله بتسبيحات من التمر ثم نمت فرأيت بنحره
خضره نضره لا توصف عظما وحسنا واذا عليها ثلثمائه أنواع من التمر لا أعرفه من ثمار الدنيا كثيرة
الأبكار ثمره بيضاء وثمره حمراء وثمره صفراء وهن يلمعن كالأقمار والشمس في خلال خضره قالت
فاستحسنتها فقلت لمن هذه فقال لي هذه لك بتسبيحاتك أنفا قالت فجعلت أطوف حولها فاذا انها
ثمره منتشره على وجه الأرض في لون الذهب فقلت لو كانت هذه الثمره مع هذه الثمار على هذه الشجره
كان أحسن فقال لي الشخص فلو كانت هنالك نابله الا انك حين سبحت تفكرت هل اختم العين
أم لا فانتشرت هذه الثمره فهذه عبره لأولي الأبصار ومواعظ لأهل التقوى وبلاغ للعابدين

ذكر المقام الثالث من المراقبة ووصف المراقبين وهو مقام

روي أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب لو لقيت الله بعمل سبعين نبيا لخشيت أن لا تجوز من هول ذلك
اليوم وقد قال بعض السلف لو أن العبد كان بحر على وجهه من أول الدنيا إلى قيام الساعة في طاعة
الله عز وجل وعبادته لاحتقره يوم القيامة لما يرى من الزلازل والأهوال وفي الحديث الموت
أشد من ألف ضربة بالسيف وان ألم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلايق لماتوا وان بين الموت وبين
الجنة مائة ألف هول منها يزيد على ألم الموت مائة ألف ضعف لا ينجو العبد من كل هول منها
الا برحمة الله فيحتاج العبد إلى مائة ألف رحمة تحجبه من تلك الأهوال ليكون ذلك العدد من الرحمة

مقسوما على مائة ألف حسنة أعطيها من حسناته في الدنيا التي هي أحسن بها اليه يكون مكانها لظهور
الرحمة وطرفا لعطايها عددا حكمه من الحكيم وقسما مدبرا من الرحيم كلها عز الرحمة الواحدة التي سبقت
لها النجاة ثم قسمت في طرفات الأعمال لأن الصلاة ظروف الجزاء والحسنات أماكن الثواب فيعطى
فيعطى ذلك هاهنا اليوم وهو العطا الأول بحسن توفيقه ولطيف عنايته ويعطى الطرا غدا هناك بفضل
رحمته وتمام نعمته ذلك تقدير العزيز العليم كما قال تعالى هل جزاء الإحسان الا الإحسان قيل في
تفسير الخبر هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقال بعض العلماء ليس لقول لا اله الا الله جزاء
الا النظر الى وجه الله عز وجل والجنة جزاء الأعمال ألم تر انه لو جرم التوحيد اليوم الجرم الجنة غدا ولو منع
الإسلام اليوم لم يغفر له أبدا وكما قال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال تعالى
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا ما لا حيله فيه ولا سبيل
اليه وقد قال تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفره قيل هو أهل أن يعطى التقوى ومن أعطاه التقوى فهو
أهل أن يعطيه المغفره كقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال فاتقوا
الله لعلكم ترحمون وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى تماما على الذي أحسن وقال تعالى
سنزيد المحسنين مع قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل وقال ومن يقترف حسنة نزد له فيها
حسنا فمن كانت أعماله الحسنات فهو من المحسنين ومن كانت أعماله السيئات فهو من المسيئين
واستفاق السيئه من السوء وجزاؤها السوأى وهي النار وقد سبق خلقها قبل خلق الخلايق وفرغ
من نصيب العباد من الجنة والنار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال أن تعبد
الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فهذا أول المراقبة لأنها عن المشاهدة تترك ان قيم ثم ترقيه
وقد خص الله سبحانه الطيبات من الأعمال للطيبين من العمال وابتلى الخبيثات من الأعمال للخبيثين من
العمال وفرغ من ذلك كله بعلمه وقدره بحكمه وأخفاه بلطيفه فنزه تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثين
للخبيثات قيل الخبيثات من الأقوال والأفعال للخبيثين من الرجال وقال الطيبات للطيبين قيل
الطيبات من الأعمال والمقال للطيبين من الرجال ثم اخبر بحسن خاتمة أوليائه وسوء خاتمة أعدائه
فقال الذين تتوفاهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
قيل طابت حياتهم وطابت وفاتهم وطابت أعمالهم فطاب الموت لهم وقال في وصف الظالم ان الذين تتوفاهم

هذا المعنى يتضح في قوله عليه السلام
من قال لا اله الا الله عطاها حقها

الملائكة ثانيا لتسجيلهم فقالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض إلى قوله فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا أظلمت حياتهم وساءت أعمالهم فأظلمت قبورهم ومثواهم فمن شهد ما ذكرناه فيما مر اتقى وحسنت معاملته واتصلت أورادُه وكثر من الخير ازديادُه وتقدمت مشاهدته لصفو يقينه ودوام مزيده وكان ممن ندب الله في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وكان ممن وصف الله تعالى في قوله إذ يقول أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون أي يسارعون الموت ويسابقون بها الفوت ويسارعون العاملين ويسابقون البطالين ولعل بطالا من الشاطحين جاهلا بحكمة الحكيم يتوهم علينا بظنه أنا نقول أنه لا يعطي العبد الا شيأ شيأ ولسنا نقول ذلك أنه يعطي شيأ بلا شيء فهو المعطي الأول للشيء الذي هو الظرف والمكان من العبادة والإيمان وهو الذي يعطي الشيء الذي هو النعيم والجنان الا انه أجل ذلك بتقدير في مجاري حكمته كما سبق ذلك في علمه ثم أنشأه في معلومه لأنه حكيم عليم

ذكر المقام الرابع ومراقبة المراقبين

ثم يعلم العبد يقينا أنه ينشر له ستوه في الآخرة شهورا وتبسط له شهوره أياما وتقرش أيامه ساعات وتكشف ساعاته أنفاسا ثم يكشف عن كل نفس وينشر له عن كل بعلة فعلما وإن صغرت تلك دواوين الأول لم فعلت وهذا مكان الابتلاء بالأحكام فإن سلم لم ينشر له الديوان الثاني وهو كيف فعلت وهذا موضع المطالبة بصحة العلم فإن صح له هذا نشر له الديوان الثالث وهو لمن فعلت وهذا مكان المطالبة بالإخلاص فإن أخل كيف أو لم أو لمن خيف عليه الهلكة الا أن يتطول عليه المنان برحمته من حيث لا يحتسب فيستنقذه ويسمح له وقد قال تعالى وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين أي جئنا بها يعني أحضرناها وقرئت أتينا بها ممدودة معنى جازينا بها وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقيل هذه أحكم آية في كتاب الله عز وجل وهي مجملة مبهمة عامة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن شيء لم يوح إليه فيه يقول ما عندي فيه الا هذه الآية الجامعة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولما تعلم ضعضعة جد الفرزدق من اشتغل القرآن الى هذه السورة قال حسبي حسبي

وقيل الذرة فتيرة الهباء التي تظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر وروي عن ابن عباس أنه قال إذا وضعت كفك على التراب ثم رفعتها فكل شيء تعلق بها من التراب فهو ذر وقيل أربع ذرات خردلة وذكر بعض العلماء أن الذر جزء من ألف جزء وأربعة وعشرين من شعيرة ففي هذا ما يزين هذا التسنج وما يثقل به هذا الخفاء ولذلك أخبر به الخبير وجل منه الرؤوف وفي معنى ما ذكرناه أيضا من حسب أنه يدخل الجنة بعمل فهو متمنٍّ ومن حسب أنه يدخلها بغير عمل فهو متمنٍّ يعني أنه ينبغي ان يعمل ما عليه ولا ينظر اليه ثم يتوكل في ذلك كله على الله عز وجل ويرجو قبوله بكرمه ويخاف رده بعدله ولذلك مدح عماله الصابرين له المتوكلين في أعمالهم عليه فانهم أجرهم فقال نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فالمزيد في الجنة بفضل الله ورحمته هو تأييد جزاء العاملة الموهوبة اليوم دوام خلود العامل في تأييد جزائه ألم تسمع الى قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنى مع قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة إلى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ومثله ولهم درجات مما عملوا ومثله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة أي وفيما يدرؤون بالحسنة السيئة القبيحة فلما استعملهم في الدنيا بعلين بالصبر ويدفع السيئة الماضية بالحسنة المستأنفة أعطاهم إياها في الآخرة أجرين وهذا من الكلام المحذوف الموجز فهذوقه وما يذوقون أي وبما يدفعون ايضا فلما حذفت بما أشكل الكلام وأشبهت الواو التي ومعنى يدفعون السيئة والمعنى ويدفعون السيئة التي تقدمت منهم بالحسنة التي يعملونها بعدها فتكون الحسنة المستقبلة دافعة العذاب السيئة الفارطة منهم ومن أحسن الصبر ضنه عن المعصية ومن أحسن الحسنات التوبة النصوح بعد ما سلف من الذنوب والتضوح فما أتم قد عملوا عاملين صبروا عن الشهوة ودفعوا بالتوبة ما سلف من السيئة فأعطاهم أجرين لما استعملهم عاملين إذ لا صبر الا به ولا توبة لهم الا منه كما قال تعالى ويستغفرون الا بالله ثم قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا وقال في مثله توبة من الله وليس من العبد توبة فيما من الله والا كان شركا بالاسم أول ومن أحسن الحسنات مراقبة الرقيب عند خطرات القلوب ومن أفضل القربات محاسبة النفس الحسيب واستيناتها بطاعة الطيب وكذلك حكمته في منازل أهل النار ودرجات بعضهم على بعض في العتو والفساد بقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الذين كفروا ولم يصدوا عن سبيل الله وبمعناه قوله سبحانه ان الذين كفروا وظلموا

لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم فلم يغفر لهم بكفرهم وهداهم دارا الظلمات بظلمهم كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة ومثل ذلك قوله تعالى الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق بما فتنوا المؤمنين ومثله قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وأيضا وتزهق أنفسهم وهم على الكفر ليعذبهم في الآخرة وهذا نص صريح إن الله يريد الكفر من الكافر لأن تزهق أنفسهم انتصب بالعطف على يريد الأول والواو فيه للجمع وقيل ان في الآية تقديم وتأخير فيكون المعنى فلا يعجبك أموالهم في الدنيا ولا أولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة فأراد بجمع العذابين عليهم في جهنم أحدهما بالأموال والأولاد والثاني لإرادته تعالى أن تخرج نفوسهم على الكفر به فمن لا ولد له ولا مال منهم كان عليه عذاب واحد في جهنم لأجل قوله بها أي بسببها وهذا موافق للخبر الذي جاء ان فقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمس مائة عام لأجل الفقر الذي كانوا فيه في الدنيا كما ان الفقراء من المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام لأجل غناهم أولئك وفي الخبر أيضا يدخل المرضى الجنة قبل الأصحاء بأربعين خريفا ويدخل المقتول في سبيل الله مقبلا قبل المقتول في سبيل الله مدبرا بأربعين خريفا ويدخل المماليك قبل الموالي بأربعين خريفا وليس من عليه السلم الجنة بعد الأنبياء عليهم السلم بأربعين خريفا كمكان ملكه فالحسرة العظمى والويل والبلوى والفوت الأكبر الذي لا درك له هو تأبيد حرمان ما أعطي غيرك من المزيد هناك لفوات أوقاتك في الدنيا هاهنا ثم درك ذلك بأوقاتك العامرة وها هنا تأبيد مزيد جزائه ثم وهذا هو الغبن غبن العاملين البطالين وغبن السابقين المتخلفين وغبن المسارعين المتثاقلين ثم خلود العبد المغبون البطال في الدنيا وتأبيد حرمان مزيد العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة وفي لفظ آخر وهو أشد الا كانت عليه تبعة يوم القيمة أي مطالبه ومواخذه فالحسرة في جنة بعد دخولها والظفر بغيرها هو ما ذكرناه من حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام لحرمان مؤبدا بها وهو كون العبد في نقصان درجة غبن ثم هو مخلد في النقصان سرمدا مع ذلك لا يأبه له ولا يقطن به كيلا يتنغص عليه نعيمه والطرفة والنفس اذا خلنا من اليقظة والذكر فهما بمنزلة الساعة الغافلة الا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر دونها لان اسم الساعة أقل الزمان المستعمل عند العرب ليوافق به قوله تعالى اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم انهم لا يستأخرون يوما واحدا أجمع الأجل نفسا فذكر قرب الساعة دون ما نقص منها ليخرج الكلام عن هذا استيفاء لهم وعرفهم وليستدلوا على ما دونها في القلة من النفس والطرفة كذلك دل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه على الساعة على ما دونها لان حكمته من حكمة مولاه وكلامه على معاني كلامه وقد ذكر الساعة فاذا دونها في الايام الخالية قبل هن والله اياكم هذه وستغلوا فاشغلوها بالأعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانفصالها عنكم وكان الحسن يقول يا ابن آدم انما أنت من أجل كلما مضى يوم أو ليلة قطعت من جملة فاذا فنيت الأجل بلغت المنزل اليه اجنته أو الى النار فالساعات تنقلنا والأيام تطوينا كما قال بعض الحكماء مثل العبد في عمره مثل رجل في سفينة يسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيرى ما خزن من مصفوفة أربعة وعشرين خزانة في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مر به في الدنيا ساعة لم يذكر الله فيها رآها في الآخرة خزانا فرغا لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويحسر كفه فانه ان لم يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه مدخورا ثم يلقى في نفسه الرضى والسكون فلو انحسر العبد على فوت الفضايل والمندوب اليه من الخيرات لكان في فوت المسابقة والمسارعة حسرات فكيف من فاته وفاتته بالسيئات وفرطت منه بالخسار ان والبطالات ولو لم يشتغل العبد في عمره الا بالحلال والمباحات لكان ذلك نقصانا له من الدرجات فكيف من يشتغل بالشبهات والمحظورات فسبحان الله ما أعظم الخاسر وأصعب الأمر وأطول المشاهد من لذيك وأغفل البطالين وقليل من عبادي الشكور وقد قال بعض الحكماء هبك ان المسيء قد غفر له اليس قد فاته ثواب المحسن وقد جاء في الخبر أن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم من فوقهم اضاءات لم منه منازلهم كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء قد فضلوا عليهم في الأنوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر الكواكب فينظرون اليهم يطيرون على أجنحة تسترفهم الهواء يرورون ذا الجلال والاكرام فينادون يا اخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا قال فاذا النداء من قبل الله سبحانه انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون

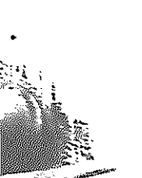

حِينَ تَرُوحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَيَذْكُرُونَ حِينَ تَسْكُنُونَ وَيَبْكُونَ حِينَ تَضْحَكُونَ وَيَقُومُونَ حِينَ
تَنَامُونَ وَيَخَافُونَ حِينَ تَأْمَنُونَ فَلِذَلِكَ فُضِّلُوا عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ
مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَدْ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ وَعَلَيُّونَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

ذِكْرُ الْمَقَامِ الْخَامِسِ مِنْ مُرَاقَبَةِ الْمُوقِنِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَحْوًا لِلْكَافَّةِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ثُمَّ أَجَابَهُ اللَّهُ
تَعَالَى فَقَالَ كَلَّا وَحَقَّقَ قَوْلَهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَقَالَ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ثُمَّ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ نَهْيًا صَرِيحًا عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ
فَأَخْبَرَ بِنَقْصَانٍ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الْآيَاتِ
أَنْ لَا تَشْغَلَكُمْ عَنِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى ثُمَّ قَالَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ الْمَغْبُونُونَ الْمَنْقُوصُونَ فِي
الْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ آثَرُوا الْمَالَ وَالْوَلَدَ عَلَى الْخَالِقِ الرَّازِقِ ثُمَّ أَمَرَنَا بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَ اللَّهُ وَقَرَنَهُ بِالْإِيمَانِ وَأَخْبَرَنَا
أَنَّهُ اسْتَخْلَفَنَا فِي مُلْكِهِ اخْتِبَارًا لَنَا فَقَالَ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ وَسَمَّعَ الْقَائِلَ
نِصْفَ الْكَلَامِ فَآمَنُوا وَلَمْ يُنْفِقُوا وَعَقَلَ الْعَاقِلُونَ كُلَّ الْكَلَامِ فَآمَنُوا وَأَنْفَقُوا وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
وَقَالَ تَعَالَى وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
فَأَصَّدَّقَ يَعْنِي بِالْمَالِ وَأَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ يَعْنِي بِالْأَفْعَالِ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ
أَشَدِّ شَيْءٍ عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ لِأَنَّهُ لَا يَتَمَنَّى الرُّجُوعَ وَالرُّجُوعُ إِلَى الدُّنْيَا أَحَدٌ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ
تَعَالَى أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ الْحَسْرَةُ هِيَ أَعْظَمُ النَّدَامَةِ وَهِيَ اسْمٌ لِفَوْتٍ شَيْءٍ
لَا تَدَارُكَ فِيهِ فَرَّطْتُ أَيْ ضَيَّعْتُ وَوَنَيْتُ وَفَرَّطَ مِنِّي أَيْ ذَهَبَ مِنِّي وَفَاتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ قِيلَ مَا فَاتَنِي مِنَ
الْقُرْبِ مِنْهُ وَفِيهِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَقِيلَ عَلَى مَا فَاتَنِي مِنَ الْجَزَاءِ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى قَوْلِهِ
أَوْ يَقُولَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً يَعْنِي رُجُوعًا إِلَى الدُّنْيَا عَوْدًا أُخَرَ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَقَوْلُهُ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ مِنَ
الْكَلَامِ الْمُضْمَرِ الْمَعْطُوفِ وَمُضْمَرُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقُولَ وَخَشْيَةَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ وَمَعْطُوفُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَنِيبُوا
إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُقِيلُوا إِلَيْهِ وَتُوبُوا وَاسْتَسْلِمُوا وَسَلِّمُوا نُفُوسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ فِي طَاعَتِهِ
وَعِبَادَتِهِ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ أَيِ اتَّبِعُوا الْعَزَائِمَ مِنَ الْأُمُورِ وَالْفَوَاضِلَ مِنَ
الْأَعْمَالِ فَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الرُّخَصِ وَالْمُبَاحَاتِ مِثْلُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْخَوْفِ فَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا

ثُمَّ قَالَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ فَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ وَأُضْمِرَ بَعْضُهُ عَطَفَهُ وَبَعْدَ
عَطْفِهِ لِلِاخْتِصَارِ أَشْكَلَ فَهْمُهُ وَفِي الْقُرْآنِ مَا هُوَ أَشَدُّ اخْتِصَارًا وَأَبْعَدُ إِضْمَارًا مِنْ هَذَا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى
فَأَيْكَدِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ الْمَعْنَى فَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى التَّكْذِيبِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي خَلَقْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ وَالْبُرْهَانِ بِالدِّينِ بِالْغَايَاتِ وَالْكَائِنَاتِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ثُمَّ أَعْلَمَكَ ذَلِكَ
بَعْدَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا الْمَعْنَى لَا تَتْرُكِ
الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا بِأَيَّامِكَ هَذِهِ فَتُدْرِكَ نَصِيبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ غَدًا فَإِنَّكَ لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا فِيهَا ثُمَّ أَجْمَلَهُ بِقَوْلِهِ
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ أَيْ أَحْسِنْ إِلَى نَفْسِكَ وَإِلَى إِخْوَانِكَ الْفُقَرَاءِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ بِمَا رَزَقَكَ
الْمَالَ فَبِذَلِكَ تُدْرِكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى الْكُلَّ وَحَذَّرَهُمْ فَقَالَ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا أَيْ عَلَى مَا ضَيَّعْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَفَاتَنَا فِي الْآخِرَةِ وَفِي الْخَبَرِ لَا يَمُوتُ
أَحَدٌ إِلَّا يَحْسَرُ وَنَدَامَةٍ إِنْ كَانَ مُسِيئًا كَيْفَ لَا يُحْسِنُ وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا كَيْفَ لَمْ يَزْدَدْ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ أَهْلَ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ طَبَقَتَيْنِ بَعْضُهُمْ أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ وَجَعَلَ الْمَلَكَةَ طَبَقَةً وَاحِدَةً بَعْضُهُمْ أَسْفَلُ مِنْ بَعْضٍ
فَإِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ يَحْسَرُ كَيْفَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ
إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ وَصَاحِبُ الْيَمِينِ يَحْسَرُ كَيْفَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَالصَّالِحِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ يَتَمَنَّى كَيْفَ لَمْ يَكُنْ
مِنَ الشَّاهِدِينَ وَالشَّهِيدُ يَوَدُّ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ فَهَذَا يَوْمُ الْحَسْرَةِ الَّذِي أَنْذَرَ بِهِ أَهْلَ الْغَفْلَةِ فَكَيْفَ بِهِمْ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِذْ كَانُوا الْيَوْمَ أَمْوَاتًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَةٌ بِأَنْ لَمْ يَتَذَكَّرُوا وَالتَّذَكُّرُ كَمَا قَالَ وَأَنَّى لَهُمُ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قَضَى الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَقَالَ تَعَالَى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ يَعْنِي لَمَّا فُقِدَتْ
وَقِيلَ حَدِيدٌ إِلَى لِسَانِ الْمَزِيدِ تَخَافُ النُّقْصَانَ وَقَالَ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ قِيلَ بِالسَّابِقَةِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ فَهُوَ
الْحَقُّ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وَسَقَطَ مَا دُونَهَا وَقِيلَ إِنَّمَا يُوزَنُ مِنَ الْأَعْمَالِ
خَوَاتِمُهَا وَالْخَوَاتِمُ هِيَ السَّوَابِقُ وَمَا بَيْنَهُمَا زَاهِقٌ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ مَا سَبَقَ مِنَ الْعَدْلِ وَالصِّدْقِ
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَوْلِيَائِهِ وَعْدًا عَلَى أَعْدَائِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۝

ذِكْرُ الْمَقَامِ السَّادِسِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْمُقَرَّبِينَ

شَيْءٌ أَنَّهُ هِيَ مُؤَمِّرُ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاحَ هِيَ مُقْتَضَى الْيَقِينِ وَاللَّعِبُ مُقْتَضَى الشَّكِّ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ

وصفان للبقين والصمم والعمى وصفان للشك والشك ينتظم هذه المعاني قل بئسما يأمركم به إيمانكم
إن كنتم مؤمنين فدل أن الإيمان يأمر المؤمنين بالبر والتقوى وقال تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا
فالعدل والإحسان كسب التوبة والإيمان وقوله تعالى مخبرا عمن أيقن فسمع وأبصر فسأل العمل
الصالح الآية وقوله عز وجل في وصف اللاعبين بل هم في شك يلعبون ثم ذكر حالهم لعدم اليقين
فقال ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي لأنهم لم يكونوا موقنين فلما جاءهم
اليقين وهو المعاينة أبصروا وسمعوا ما كانوا كذبوا به مما أخبروا فقالوا كنا نكذب يوم الدين حتى
أتانا اليقين فوصفهم بشدة السمع والبصر حينئذ لما أيقنوا فقال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا
أي ما أسمعهم وأبصرهم اليوم لما جاءوا وما فرأوا وما عندنا وهو للمبالغة في الوصف كما تقول أكرم به وأعظم به
أي ما أكرمه وما أعظمه وكذلك إذا أتيته اليوم وأنت موقن سمعت ما لم تسمع وأبصرت ما لم تر
قبل ذلك ولكن شغلتك الأزواج التي خلق والأشغال والأشباه التي أظهرتنا لها ووقفت معها
ولو فررت منها إلى الله لفررت إلى خير مفر ولأواك عنده في أحسن مستقر وقد أمرك الله الفرار إليه
وناك عن التأله لها لو سمعت وبين لك الدليل لو فهمت وجعل ما خلق من الأزواج تذكرة
لو عرفت وزادة إليه لو عقلت ومشوقة إليه لو أجبت أما سمعت قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون أي تذكرون الله تعالى بهما وتشاقون إليه منهما ثم قال تعالى ففروا إلى الله أي
عنها بالزهد فيها ثم قال تعالى ولا تجعلوا مع الله إلها آخر أي لا تألهوا معه إلها ولا تشركوا بنا لهم إليه
إياها فهذا فهم المقربين عن سمعهم بشهادة أبصار قلوبهم فعندها كان استجابتهم كما قال
إنما يستجيب الذين يسمعون وقال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ولكن كيف
يسمع من نادى من مكان بعيد وكيف يبصر من الفعل عليه عتيد وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتك الستي يعني ويصم فالهوى يعمي عن الحق والشهوة تصم عن النصح والصدق فكذلك
لو أجبته لنظرت إليه ولو نظرت إليه عما سواه ولو صدقته لاستمعت إليه ولو سمعت لضمنت عنه
ولو اجتبته لكان سمعك وبصرك وقلبك وناصرك ومؤيدك تدعوه فيجيبك وتسأله فيعطيك وتنصح له
فينصح لك كذلك جاء الخبر بذلك فشغلك به عنك وفرغك له منك كذلك قال الحبيب لا يزال
عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره وقلبه ويده ومؤيده أي يسمع

لو قلت

عن وينظر إلي ويتقلب عندي ويتحرك بي لا بنفسه وهواه ولا بشهوته فهذا وصف حبيب عن تقليب محب
وخبر عن تثبيت محبوب لحبيب بما سبق له من الفضل والنصيب فإذا أيقن العبد بقين عن لا يقين
ظن بما ذكرناه من سرعة فوت الوقت وفوت درکه يشغله الهم والحزن على ما فات عن مثل ما سلف مما
ندم عليه في مستقبل الأوقات فلم يضم إلى الفوت الأول فوتا ثانيا لحزنه وندمه عليه فكيف يردفه في الحال
يشبه ما قدم عليه من سوء الأفعال مما لا يجتمع عاقبته ولا يغتبط به في المآل فمثل العبد المتيقظ في
أخر غفلته مثل عبد كان عليه عمل لا بد أن يفعله في يومه ذلك الذي لا بد له منه إلا أنه لما غبنه
لغفلة ملمة أو نومة منسية فلم يفق لفعله ذلك الذي لا بد منه إلا بعد العصر فلا تسل عن حرصه
وانكماشه وتشميره وبدارته في بقية نهاره ليدرك به ما فاته من أول النهار فهو يود أن وقته ذلك إلى
الليل مد له أضعافه أو رد إلى أول النهار ليدرك به ما فاته فهذا حال التائب المتيقظ من رقدته وهذا
يتبين له الا عند الموت لمعاينة تقضي الأوقات واليقين بعدم درك ما فات فهنالك وقعت الندامة
الكبرى وحينئذ جلت الحسرة العظمى والجزم عند العقلاء الموقنين هو الانكماش والتشمير فيما بقي من
العمر القصير لأن الاشتغال بما فات في وقتك درك مثله في المستقبل هو اضاعة ثانيه لما هو آت
فرض هذا المتيقظ واجتهد في أن يكون له وقت ووقت ومن كل ساعة نصيب فأودع في كل خزانة من
خزائنه التي هي خزائن أعماله شيئا شيئا ليلا بين خزانة فارغة غدا فيتحسر على فراغه منها وهذا طريق
أهل الرجاء الذين تمنوا زيادة الأعمال ورغبوا في طول البقاء لحسن خدمة المولى وهذا مقام التائب
المستقيم ليتدارك بحديث الأوقاف ما فرط منه من الغفلة في القديم فهذا هو الجزم والاحتياط عند
العلماء فإن يكن الأمر صعبا شديدا كما يحدث عنه كان قد سلم من صعوبته
بحسن توفيق الله وإن كان الأمر سهلا قريبا نرجوه كانت الأعمال درجات للفضائل مقامات

المقام السابع ومنبهات المقربين

اعلم أن ما ذكرناه من تدارك الأوقات خوف فوتها ليتبين يكون في الوقتي مكانا دون الآتي الذي
هو فيه ولا بانتظار وقت ثان غير الوقت الذي بحوزته ولا يتوقع حالا سوى الحال التي تليه إنما هو صوم

الانكماش هو التشمير ومنه انكماش الأسد للوثوب وهو رفع قوائمها وتقبيض البناء وكل عاد من أعمالهم يعمل وتقبيضها وكل عاد من أعمالهم يعمل وتشمير ساعده فعله اشارة الى الجد والاجتهاد في الاعمال الصالحة

للاستعداد ليوم المعاد

ويكون ذلك غض طرف وصون سمع وكف يد وحبس قدم وصمتا عن كلمة ذنبة والتعويض عنها
بصالحة وتركا لرتبة شهية ونقصانا من قوت وزيادة في جوع للمقت وأمرا بكلمة رشد ونهيا عن فعلة
ذنبة ذمينة وعقد نية محمودة وتجديد توبة وإعمال قلب في فكره وإخراج سوظن واعتقاد حسن ظن
ونية لاستقامة حسنة وصحة عزم في قصد وسببا الى ما يقوي العزم وهذا كله يكون في الوقت
وحده في الحال لا يسوف به ولا يتهزه منه ولا يتوقعه في وقت ثان ولا يؤخره الى زمان دون وقته
ولا يترصد به في مكان دون مكانه فهذا هو التدارك للأوقات في وقتك الذي أنت فيه حتى يفوت
الوقت فيحصل في التسويف والتمني أو في الانتظار والتراخي فهذه من جنود ابليس وهي من مقامات
المغترين وأحوال البطالين الذين وكلوا الى نفوسهم وتركوا مع أهوائهم ولم يتدبروا أحوالهم ولم
يقدموا لغدهم نسوا الله فنسيهم والوقت إذا انقضى فقد ولم يوجد الى يوم القضاء والتلافه إذا
مرت طويت فلم تنشر الى يوم القيمة وإنما تنشر أمثالها ويخلق شبهها فإذا أيقن العبد علم أن عمره كله
يوم وأن يومه كله ساعة وأن ساعته وقته الآن وأن وقته حاله وأن حاله قلبه فأخذ من حاله الله
ما يقربه الى مقليه بنهاية علمه فعمل أفضل ما دل عليه علمه به مستمدا به مولاه اليه ومما يجب أن يتحاه
بالموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذي يلقى مولاه به ثم أخذ من وقته لحاله ما يصلح حاله لقلبه
ويقوى به قلبه ويخلصه لربه وأخذ من ساعته لوقته ما يزين به حاله عند ربه وأخذ من يومه لساعته
صلاحه فيها وحاجته اليها وأخذ من شهره ليومه فكان شهره يومه وكان يومه ساعته فشغله وقته
عن ساعته وشغله حاله عن وقته فكان على هذا مراعيا لوقته محافظا على حاله قائما على قلبه حافظا
لهمه محصيا لأنفاسه مراقبا لرقيبه محاسبا لحسيبه لا يخرج عليه نفس في أدنى وقت الا بذكر لمذكور
أو شكر على نعمة أو صبر في محنة عتيدة أو رضى عند مشقة شديدة ويكون في ذلك كله ناظرا
الى الرقيب مصغيا الى القريب ساعيا الى الحبيب لا ينظر الا اليه ولا يعكف الا عليه وقد جعل العمر يوما
واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا والحال نفسا والنفس مراقبة والمراقبة مواجهة فتوجه في
وجهه بشر وسعى في قربه فلم يزل وكان من الايمان على مزيد ومن نعت اليقين في تجديد واعطى من
الحيوة بغير حساب وكشف له عن قلبه الحجاب فكانت المعرفة مقامه وقصرت عليه شهوده وأيامه
فكان وقته واحدا والواحد قلبه واحد الموحد وهمه منفرد الفرد وهذا حال صديقي الأبدال وعددهم

من المؤمنين قليل ونصيبهم من اليقين وافر جليل ومن علم ما ذكرناه علم يقين فهو من الصالحين
ومن أمن به ولم يشك فيه لأهله ايمانا وتصديقا فهو من الموقنين ومن شهد منه حال شهادة تكون له
منها مطالعات وعادة فهو من الشاهدين وجميع ما ذكرناه من مراقبة الموقنين ومشاهدة
المقربين تذكر بأحد مقامين من أقيم في احدهما جمع له في ذلك استقامة في توبة وعمل بعلم فمن
كان مقامه التوبة وحاله الاستقامة رفع الى مطالعة المحبين أو كان مقامه العلم وحاله العمل
فعلمه تحقيق بنعت الطالبين فهذا ينتظم له جميع ما ذكرناه من المراقبة والمشاهدة لأن التائب المستقيم
والعالم والعامل أنفاسه وطرفاته صالحات وتصريفه وأنات حسنات وأفكاره وأذكاره مشاهدات
نهو حاضر في تصرفه متيقظ في تقلبه وحدثت عن بعض أهل هذه الطائفة أنه دخل في بعض المنقطعين
الى الله من أهل المراقبة فقال له احصيت من نعم الله علي في نوع واحد أربعة وعشرين ألف نعمة قلت وكيف
ذلك فقال حسبت أنفاسي في اليوم والليلة فوجدتها أربعة وعشرين ألف نفس ويقال ان الطرفات
ضعف ذلك لأن كل نفس طرفتان وسمعت ان الله عز وجل أوحى الى بعض الأنبياء كيف تؤدي شكر
نعمتي عليك ولي عليك في كل شعرة نعمتان ان نبتت أصلها وان طهرت زالتها وقال بعض العلماء ليس
شيء أعز من الكبريت الأحمر الا ما بقي من عمر العبد ولا يعرف ما بقي من عمره الا نبي أو صديق
وقال بعضهم لا يعرف مقدار ما بقي من عمره في العزة الا من عرف ينبوع الكبريت فإنه يقال أنه عيون
تنبع في الظلمات لا يعرفها الا الأبدال أو صديق والكبريت الأحمر هو كيميا الذهب الذي يعمل
منه الذهب الخالص واذا ألقي منه شيء على كيميا الذهب المستعمل ثبت على حاله ولم يستحل
والا استحال وتغير بعد سنين ولا أعلم ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبريت الأحمر
الا في حديث علي رضي الله عنه الذي وصف فيه الأبدال فذكر عددهم ونعتهم وقال في آخر نعتهم وهم
أعز من الكبريت الأحمر ولا ذكر الذهب الا بين الا في حديث الا بلا ان الله تعالى يخرج [illegible]
ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج أسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك

باب ذكر فضل أهل المقامات من المقربين وتمييزهم من أهل الغفلة المبعدين

وإذا كان العبد بوصف ما ذكرناه كان كما قال تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال بعض العارفين عمر العبد أمانة لله عنده يسأل عنه عند موته فإن كان فرط فيه ضيع أمانة الله عنده وترك عهده فهناك يقرع السن من ندم وحسرة وإن راعى أوفاه فلم تخرج ساعة إلا في حفظ أمانته ووفى بعهده فله الوفاء والجزاء على العطاء كما قال تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون أي في تضييع العهد وفي ترك الوفاء وكما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه الآية يتلوا مقام الله منه ويشهد باليان أي يشهد مقام الله منه باليان فقام له بشهادة الايقان فليس كمن زين له سوء عمله فرآه حسنا واتبع هواه فأين هذا على طاعة مولاه بل هذا قائم بشهادته متبع لشهيده مستقيم على محجته معبوده وكان كمن وصف في قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكمن مدحه بحقيقة الايمان بقوله تعالى وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون أي به يثقون وعليه في كل حال يعتمدون وإليه من كل الأشياء يطمئنون وعنده دون كل شيء يوجدون ثم قال تعالى أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم وليس أهل الحقايق من المتوكلين الذين مدحهم الحق بالحق وأعدلهم الدرجات العلى والكرم من الرزق كمن ذكرهم بعدهم فقال إن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين مع قوله ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فجعل حال هؤلاء وصفا مشبها لمقام أعداء الماقين عليهم من أهوائهم وجعل مقام الصالحين بمعنى من وصف لحقيقة زهدهم فقال ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى فهو العلي وأجاوه الأعلون وإنما كانوا الأعلين لأن الأعلى معهم وكنا نحن الأدنين لأن الدنيا عندنا فقال الله في وصف من أعرض عن ذكره ولم يرد إلا الحيوة الدنيا إذ أمر الحبيب بالإعراض عنها لأنه طلب الأدنى عاجلا وسوف بالمغفرة أجلا لقوة جهله ووقوفه بقبيه فقال يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وقال فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا وقال في وصف الصادقين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال في نعت غيرهم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله فشان بين من وصف بصدق العهد وبين من ذكر بالخلف وعرض المقت وقال في وصف طايفة ولقد صدق عليهم ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين فخص أولياءه بترك اتباعه وأدخل بعض المؤمنين

طاعة

في نصد

في الصدور ظنه فليسوا كمن قال تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وليس من باع ماله ونفسه مجته لمولاه كمن لم يسأله مولاه ماله دون نفسه لئلا يخفيه فيخرج ضغنه عليه كما قال الله تعالى لطايفة من المؤمنين يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم إحفاء الاستيفاء أي إن سألكم سأل الجملة لها وأحب منكم الزهد في قوتكم بعدها فالأضغان جمع ضغن وهو الحقد يقول فلستم في مكان سؤال إذ لا يكون البخل زاهدا الا أن أول الزهد الجود فمن لم يجد فليس بزاهد ومن لم يزهد في الدنيا فليس يحبه المولى لأنه يحب لما يبغض ويريد لما لا يحب مولاه فلم يعامل مولاه بأخلاقه ولم يوافقه في مرضاته فباعده وحجبه عن مشاهدة أوصافه كما قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وكما قال الرسول المبلغ عن المولى إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ولا تقدر أن يصف خشوع قلوب هذه الطايفة من المؤمنين الذين وصفهم الله أن لو سألهم أموالهم ظهرت أضغانهم لأنهم من الدنيا في اعتزاز بما ألبسهم من الاظهار فإذا جاء أطهر فإن الله كان بعباده بصيرا إلا أن الله لا يسأل الا من يحبه إكراما له ممن يعلم أنه يسارع إليه بمحبة ما سأله لأنه كريم جواد لا يكبر عنده شيء إن سأل السايل كليه وهو المال والنفس الا أنه لا يسأل الا من خلقه لخلق من أخلاقه فمتى لم يكبر على العبد سؤاله شيئا يسأله لمحبوبه سأله محبوبه كل شيء ومتى عظم في قلبه العرض الفاني فهو صغير كل شيء لم يسأله شيئا فإذا لم يسق للعبد من نفسه نفس واحد من ماله ملك كان الجواز عوضا له من ماله وكان الجار عوضا له من نفسه الا أن الله تعالى لم يذكر في العوض من النفس وذكر الجنة في البذل من المال ليلا يدخل تحت حكم هو الحاكم وكي لا ينصب العوض فيكون شفعا وهو الوتر فأخفى نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو اليه السبيل وذكر السبيل ليكون ذلك عليه دليل فهذا فهم أولي الآيات عنه وهذه علامة المحبة الخالصة التي إذا شرك فيها سواه ولا دخل عليها من غير ذكر اياه ولا يصلح أن نكشف وصف هؤلاء المحبين لأن عالمهم يجل عن الوصف ومقامهم يحار فيه علوم العقل الا أن الله قد أحكم ذلك بقوله وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وبقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام مع قوله ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وأجمل ذلك بقوله لهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ففيه مدح لأهل الدرجات بقوله بصير بما يعملون لهلك جعلهم درجات عنده وفيها أيضا للناقصين على القراة الأخرى والله بصير بما تعملون أي فقد أبصرا عما أنتم فلم

بجعلكم مثلهم اذ لم تكن أعمالكم كأعمالهم فهذا كما قال عند ذكر القلوب فعلم ما في قلوبهم فانزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ثم قال تعالى في وصف قلوبنا والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما
ثم قال في فصل من القول المبين ليس بهزل سواء بين هؤلاء وهؤلاء ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا
ثم قال في ضد أولئك حلالا ما فاصلا مفسرا المجمل ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم يعني بعد
أن لا يجعل فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون أي ليس له فيهم شيء ولا لهم منه شيء لأنه لم يجعل عندهم له شيئا
فكان هذا فصل الخطاب ولا عاقل الا ولي الألباب يشهد لهم بذلك اذ قال أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا فأيس المؤمنين من هداية هؤلاء ولم يرجوا منهم مجاهدة فيه أبدا في الحرف الآخر
أفلم ييئس الذين آمنوا الآية فبين لهم كما بين لكم المبين فسلموا له وأقبلوا عليه وأعرضوا عنهم فسلموا
منهم فهذه مقامات المقربين كما ذلك مقامات المبعدين فقد دخلوا تحت حكمين لم يخرجوا منها أعلاهم
دخل تحت فضله وأدناهم لم يخرجوا من عدله وقد أجمل وصفهم بقوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله وقال تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فخص أولياءه بالفضل وعمم خلقه بالعدل
فكم بين قلب لا يشهد الا الله ولا يسمع الا منه ولا يأتي له الا اليه والله هو الأغلب على همه والأقرب اليه
وبين قلب حشوه الخلق وهمه الرزق ولا ينظر الا اليهم ولا يطمع الا فيهم ولا ينتظر الا هم الخلق أغلب شيء عليه
فهذا من المبعدين بهم لأن البعد صفتهم والأول من المقربين به لأن القرب صفته وهذا من
الظالمين لنفسه وذلك من السابقين لربه وقد قال تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين
فالبعد حجاب والمبعد في عذاب والقرب نعيم والمقرب في مزيد ألم تسمع في قوله تعالى في تعذيب المحجوب عن ربه كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال في ترويح المقربين فأما ان كان من المقربين فروح
وريحان لأنه روح قرب وريحان من حبيب وقد قال الحكيم في المكروب بالبعد المغصص بالغصص

من غص فردا وأشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء
بل كيف يصنع من قد صاه مالكه فليس ينفعه طب الأطباء

وقال المرتجي بالقرب المحيا بالحضور

فارحم وريحاني اذا كنت حاضرا وان غبت فالدنيا علي مجالس
اذا لم أنا فس فيك حظي ولم أعن عليك ففيمن ليت شعري أنافس

فلا

فلا تحفر نفسي وأنت جنينها فكل امرئ يصبو الى من يجانس

وشتان بين عبد منقطع الى ربه بخدمه وآخر منقطع الى خدمة الناس بعدهم وبين عبد موصول به الوسواس
وبين عبد منقطع بالشوق الى المولى وبين عبد منقطع بالهوى معاني الدنيا فهذه مقامات المقربين الحسنى
وأضدادها مقامات المبعدين السوأى وإذا كان العبد على وصف من المتقين وفي مقام من مقامات
المتقين استحى التائم من مولاه لتحققه بالوصف ونال القرب من القرب لبعده عن حظوظ النفس وفي حرس
التائم من العظيم الأعظم غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين ولا يكون ذلك الا لأولياء المتقين وحزبه
المفلحين وعباده الصالحين وهم أهل القلوب السليمة الطاهرة وذو الجوارح الطائعة الزاكية وأولوا
الألباب الراجحة الفاخرة وهم ثمانية طبقات من مقربي أصحاب اليمين أهل العلم بالله وهم أهل الخشية والخوف
من الله وهم أهل الرجاء بالله وهم أهل المشاهدة والمزيد فهؤلاء خصوص أولياء من المقربين استحقوا فحضروا
واستحفظهم العلم فحفظوا واستشهدهم عليه فشهدوا فهم الأدلة منه عليه وهو دليلهم اليهم وهم
بابه العباد اليه وهو جامعهم عنده وهو دليلهم اليه لديه وأبدال الأنبياء والربانيون من العلماء
أئمة المتقين وأركان الدين أولوا القوة والتمكين الذين كشف لهم الكتاب المستبين وهداهم الصراط
المستقيم وهم المنظورون الى قلوبهم والمنظور بهم اليه كفاحا والمقصودون بالمزيد واللطف والتحف
والسمون بالحيا ماسا وصباحا ومن سوى هؤلاء من عموم الموقنين من العباد والزهاد وأهل
الهجرة والأوراد قد أعطاهم الولايات وفرقهم في الأعمال والتيجان وأظهرهم للأيات تسكينا لقلوبهم
بها وطمأنينة منهم اليها لئلا تدخل عليهم الشبهات فيهلكوا أو لا تأخذهم الشهوات فيرجعوا فاشغلوا
بالاظهار عن الظاهر وحجبوا بالظواهر عن البواطن واغبطوا بالحجاب وسكنوا الى الأسباب
وعكفوا على المقامات واستبشروا بالقدرة الآيات فهم مغبوطون الأموات من أهل الدنيا وهم
مرجوون الأحياء من أهل العلى الأعلى لأن قربهم بعد عند المقربين وكشفهم حجب عند المشاهدين
وعطاؤهم رد عند الواجدين الا أن الله تعالى نظر اليهم لما نظروا الى نفوسهم جله منه فيهم ورحمة منه لهم
فتكلم في حالهم ورضاهم بمقامهم كيلا تتشتت قلوبهم ولا تحتقر عقولهم والسابقون الأولون هم الوجهة
العليا والمتمسكون بالعروة الوثقى نظروا اليه به ونظر اليهم منه فهم كما وصفهم ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية لا يرجعون الى مال ولا مآل ولا ينظرون الى حال بهم ولهم ومن

اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ الْآيَةَ وَهُمْ كَمَا وَصَفُوا فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا رُوحَ اللهِ صِفْ لَنَا
أَوْلِيَاءَ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ نَطَقَ بِهِمُ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ
الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَعَايَنُوا آجِلَ الدُّنْيَا حِينَ عَايَنَ النَّاسُ عَاجِلَهَا فَأَمَاتُوا فِيهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ
وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكُهُمْ فَصَارَ تَرْكُهُمْ فِيهَا فَوَاتًا وَفَرَحُهُمْ فِيهَا حُزْنًا مَا عَارَضَهُمْ فِيهَا
رَفَضُوهُ وَمَا أَشْرَفَ لَهُمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَضَعُوهُ خَلَقَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَلَمْ يُجَدِّدُوهَا وَخَرِبَتْ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَعْمُرُوهَا
وَمَاتَتْ فِي صُدُورِهِمْ فَلَمْ يُحْيُوهَا هَدَمُوهَا وَسَوَّوْا بِهَا آخِرَتَهُمْ أَحْيَوْا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ يُحِبُّونَ
اللهَ وَيُحِبُّونَ ذِكْرَهُ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورٍ وَيُضِيئُونَ بِهِ لَهُمُ الْخَبَرُ الْعَجِيبُ وَقَالَ فِي وَصْفِهِمْ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَقَالَ تَعَالَى شَهِدَ اللهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ الْآيَةَ وَقَالَ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الْآيَةَ
فَهَذَا وَصْفٌ يَزِيدُ عَلَى كُلِّ وَصْفٍ وَيَسْتَغْرِقُ نَعْتَ الْوَاصِفِينَ وَبَحْجُجُ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ السَّبْعِ مِنَ الْمَرَائِيهِ
جَالَانِ مِنَ الْمَقَامَيْنِ مَدَارُ الْمَقَامَاتِ كُلِّهَا عَلَيْهِمَا وَمُسْتَخْرَجُ الْمَزِيدِ مِنَ الْكَرَامَاتِ مِنْهُمَا أَحَدُهُمَا الْخَوْفُ عَنْ
مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْحَالِ وَالثَّانِي
مَقَامُ الْعِلْمِ فَمَنْ كَانَ مَقَامُهُ الْعِلْمُ بِاللهِ كَانَ حَالُهُ الْخَوْفَ مِنْهُ وَمَنْ كَانَ مَقَامُهُ الرَّجَاءَ فِيهِ كَانَ حَالُهُ الْمَعْرِفَةَ
إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
عند رؤية هذه الآية
أَحَدًا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ لَكَفَتْهُمْ أَوْ لَكَفَتْكُمْ

كِتَابُ تَفْصِيلِ الْخَوَاطِرِ الْأَمَّارَةِ بِالْأَسْرَارِ وَالْقُلُوبِ
وَصِفَةِ الْقَلْبِ وَتَمْثِيلِهِ بِالْأَنْوَارِ وَالْجَوَاهِرِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ أَبُو طَالِبٍ قَالَ اللهُ جَلَّ قُدْرَتُهُ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا الْآيَاتُ أَيْ أَلْقَى فِيهَا وَقَذَفَ فِيهَا وَقَالَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِ نَفْسُهُ وَقَالَ تَعَالَى إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا وَقَالَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
وَقَالَ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الْآيَاتُ وَقَالَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ وَقَالَ
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَقَالَ مُخْبِرًا عَنِ الْعَدُوِّ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ الْآيَاتِ إِلَى مَعَانِي

ذَلِكَ وَنَظَائِرِهِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَقْعُدُ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقَةٍ فَيَقْعُدُ لَهُ بِطَرِيقِ
الْإِسْلَامِ فَقَالَ أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ أَتُهَاجِرُ وَتَدَعُ
أَهْلَكَ وَأَرْضَكَ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ أَتُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ
فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ نِسَاؤُكَ وَيُقْسَمُ مَالُكَ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَاتَ
كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ الْآيَاتِ
وَرُوِّينَا أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ جَالَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي فَقَالَ ذَلِكَ
شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ إِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ
فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي وَفِي الْخَبَرِ إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلْهَانُ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ وَرُوِيَ
فِي الْخَبَرِ الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وَالْخَبَرُ الْمَشْهُورُ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ قَالُوا
وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ وَأَنَا إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي الْقَلْبِ لَمَّتَانِ لِمَّةٌ مِنَ الْمَلَكِ
إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ وَلِمَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ وَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَنَهْيٌ عَنِ الْخَيْرِ وَرُوِيَ
عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ تَمَاهُمَا هِمَّتَانِ تَحُولَانِ فِي الْقَلْبِ هِمَّةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهِمَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ
هَمِّهِ وَمَا كَانَ للهِ تَعَالَى أَمْضَاهُ وَمَا كَانَ مِنْ عَدُوِّهِ جَاهَدَهُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ
قَالَ هُوَ مُنْبَسِطٌ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وَانْقَبَضَ وَإِذَا غَفَلَ انْبَسَطَ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ عِكْرِمَةُ
الْوَسْوَاسُ بَهَلَةٌ مِنَ الرَّجُلِ فِي فُؤَادِهِ وَجَنْبَيْهِ وَهَجَةٌ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي عَيْنَيْهَا إِذَا أَقْبَلَتْ وَفِي عَجِيزَتِهَا إِذَا أَدْبَرَتْ
وَقَالَ حَرِيزُ بْنُ عُبَيْدَةَ الْعَدَوِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ تَكُونُ إِلَى الْعَبْدِ بِالْمِدَادِ مَا أَصْغَى بِهِ صَدْرِي مِنْ وَسْوَسَتِهِ فَقَالَ
إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الثَّقْبِ الَّذِي تَمُرُّ بِهِ الْعُصْفُورُ فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ عَالَجُوهُ وَإِلَّا مَضَوْا وَتَرَكُوهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ فَإِذَا فَزِعَ
وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ كَلَّا بَلْ
رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَرُوِّينَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ سَمِعْتُ مَيْمُونَ بْنَ مِهْرَانَ يَقُولُ إِنَّ
الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ بِذَلِكَ الذَّنْبِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تَابَ مُحِيَ مِنْ قَلْبِهِ فَتَرَى قَلْبَ
الْمُؤْمِنِ مَجْلُوًّا مِثْلَ الْمِرْآةِ مَا يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا أَبْصَرَهُ وَأَمَّا الَّذِي يَتَتَابَعُ فِي الذُّنُوبِ كُلَّمَا
أَذْنَبَ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَلَا يَزَالُ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ فَلَا يُدْرِي وَلَا يُبْصِرُ الشَّيْطَانُ

من أين يأتيه رواه حذيفة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في
تقسيم القلوب أربعة أقسام وأن قلوب بعض المؤمنين مصفح فيه إيمان ونفاق رواه ابن
كثير الانماري وبعضه عن حذيفة أن القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب
المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق
وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه مثل بقله يمدها الماء الطيب ومثل النفاق مثل
القرحة يمدها القيح والصديد فأي المدتين غلب حكم له بهما وفي لفظ أخر هبت به وقال تعالى إن
الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الآية فأخبر أن محل الفلوب بذكر الله به
القلب وإن باب الذكر التقوى به يذكر العبد ويفزع باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا وأمر
تعالى بالذكر وأخبر أنه باب التقوى ومفتاحه لأنه سبب الاجتناب وهو الورع فقال تعالى واذكروا
ما فيه لعلكم تتقون وأخبر أنه أظهر البيان للتقوى في قوله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال
تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الآيات وقال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقال
تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فمن التسوية والتعديل والازدواج والتقويم أدوات الظاهر وإعراض
الباطن وهي حواس الجسم والقلب فأدوات الجسم من الصفات الظاهرة وإعراض القلب هي المعاني الباطنة
قد عد لها حكمته وسواها على مشيته وقومها إتقانا بصنعه وإحكاما لصنعته أولها النفس والروح
وهما مكانا بلاء لاقاء العدو والملك وهما شخصان يلقيان الفجور والتقوى ومنهما عرضان يتكاءان
في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين من مشيته حاكم وهما التوفيق والإغواء ومنها نوران يتعاقبان
في القلب عن معنيين من أنوار الرب عن تخصيص رحمة راحم وهما العلم والإيمان فهذه أدوات القلب
وحواشيه ومعانيه الغائبة والآلة والقلب في وسط هذه الأدوات كالملك وهذه جنوده تؤدي
إليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها وتقدح فيه فيجدها فتفصل ذلك على الإيجاز
أن جمل الخواطر ستة هي حدود القلب وقوادحه من وراءها خزائن الغيب وملكوت القدس وفي
جنود الله تعالى عبيده وسلطان منه مبين والقلب خزانة من خزائن الملكوت والرهبوت قد أودع في
مقلبه ما شاء من لطايف المرغوب والمرهوب وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت ما شاء الأهل
الرفيق الأعلى وذوي الملكوت الأدنى فأول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو وهذان لا يعدوان

التقوى

يعم المؤمنين وهو مذموم ان محكوم لهما بالتولاء يردان الاباهون وصد العلم وخاطر الروح وحاضر
الملك وهذان لا يعدوان مما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان الا بحق ومن عبيد العلم
وخاطر العقل متوسط بين هذه الأربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد مما مر ذكره
وتقسيم المعقول أن العبد يدخل في هواه بشهوة جعلت له وخيار لا يقاس عليه من حيث لا يحصى
ولا يقصد ويصلح أيضا للمحمودين ويكون شاهد الملك ومورد الخاطر الروح ولا يثاب العبد لما فيه حس
النية وصدق القصد وانما كان خاطر العقل ناره مع النفس والعدو وناره مع الروح والملك
من الله لصنعته وإتقانا لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وعيه
ويكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عايدا له وعليه إذ قد جعل تعالى هذا الجنس مكان جريان أحكامه
وجعلا لنفاذ مشيته في مباني حكمته كذلك جعل العقل مصبة للخير والشر يجريان معهما في هذا
الجنس إذ كان مكانا للتكليف وموضعا للتصريف وسببا للتعريف ليعايد من معاني ذلك على
صنوف العبد من لذة النعيم أو عذاب أليم فلم يكن العقل غايا فيكون العبد عن العقل ذاهبا وله
إلى الشهوة عاريه فتكون التقوى مفقودة إذ في ذلك تضعيف حجة الله تعالى وهو برهانه لأن
العقل شاهد للحجة والشهوة في النفس مكان الهوى والنية في القلب طريق للحجة وذلك أصل
سبب جزاء الأمر والنهي والعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح والنفس مجبولة
على الشهوة مطبوعة على الأمر بالهوى وهذا نصيبهما من عطاياه وهذا لهما إلى إرشاده وإغوايه
وحظهما من الكتاب وقسمهما من ولي الأسباب كما قال في أحكام ما ذكرناه بكلامه سبحانه
خبرناه الله عز وجل عما سبق في علمه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وكما قال تعالى ونبئهم
ضيفهم من الكتاب وقال تعالى كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ۞
والخاطر السادس هو خاطر اليقين وهو روح الإيمان ومزيد العلم يزدان أبدا ويصدران عنه
وهذا الخاطر مخصوص لخصوص لا يجده إلا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد الا بحق
وان خفي ورده وان دق ولا يقدح الا بعلم اختيار مراد مختار وان لطفت إدلته وتطرقت به
الاستدلال عليه ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به مراداته وهم الذين وصفهم الله بالذ
وزد الرسول اليهم الفتوى فقال ازدد في ذلك لذكر من كان له قلب أي من تعمل الله حفظ

كرى

قلبه وأيده لنور عقله وقيل لمن كان له يقين وقيل عقل وقال عليه السلام ما حاك في صدرك فدعه والإثم حواز القلوب يعني ما يوثر فيها فيحرجها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها وقال الرسول عليه السلام للذي سأله عن البر والإثم وهما أصلا أعمال الخير والشر استفت قلبك وإن أفتاك المفتون أي وإن المتقين يعلمون معنى التأويل والرخصة عن علمهم العلانية وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والغور على علم السر وأهل الظاهر أيضا يعلمون حكم الله تعالى الظاهر عن علم اللسان الظاهر الذي هو حجة على أهل العلم الظاهر وقلبك فقيه منور بالإيمان تنظر به حكم الله تعالى الباطن عن علم القلب والباطن الذي هو حقيقة الإيمان ومنفعه لأهل العلم الباطن ولا يصلح أن يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدا إلا إن فقيه فلو لا أن علم القلب هو حقيقة الفقه ما رد صاحبه من فتيا أهل الظاهر إليه ولا حكم على المفتين به فقد صار علم القلب هو علم العلم اذ جعله الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيا على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو عالم العلماء اذ لم يسعه تقليد العلماء وفي الحديث الآخر البر ما اطمأنت اليه القلب وسكنت اليه النفس وإن أفتاك المفتون فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبر كما وصف الله تعالى من قلوب المومنين في صريح الكلام ودليل الخطاب فأما صريحه فقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم الآية وأما دليل الخطاب الذي يشهد بالتدبر فقوله تعالى في صفة قلوب أعدائه المحجوبين الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري الآية ففي تدبر معناه أن عباده المستجيبين له سامعون منه مكاشفون بذكره ناظرون إلى غيبه وقال في مثله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير هذا فريق المتبعين للسبل المتفرقة عن سواء الصراط الضالين والسميع البصير هو فريق المتبعين الصراط المستقيم المهتدين وقال صلى الله عليه وسلم في مجمل صفة القلب التقوى ها هنا وأشار إلى قلبه وقال عز وجل في ذكر الذنوب التي هي قفل القلب أم على قلوب أقفالها وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يومنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وفي الخبر الآخر من كان لله من قلبه زاجر كان عليه من الله حافظ وفي تفسير قوله تعالى انا سمعنا منادي ينادي للإيمان قال من قلوبهم وقال تعالى في ذكر القلوب ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وقال تعالى في معناه وهموا بما

الى قلوبنا وقال تعالى هو الذي انزل السكينة ... ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال تعالى ... تطمئن قلوبهم بذكر الله ... تعالى

المعاني

لم ينالوا فإن تتوبا يك خيرا لهم وقال تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فأهل القلوب يتخطون إلى ما وراء ذلك من خلق ويزدجرون بلا زاجر من ظاهر وسائر ما ذكرناه من الحق اطر لا يعدمه المومنون والقلب خزانة لله عز وجل من خزائن الغيب وهذه جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يخفى منها ما يشاء ويبدي منها ما يريد ويعيد ما شاء ويبسط القلب بما شاء منها ويقبضه فيما شاء عنها وكل قلب اجتمعت فيه ثلثة معان لم تفارقه خواطر اليقين ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعاني ودقتها وبقوى اليقين ويظهر بقوتها لأن له الثلثة مكان اليقين أحدها الإيمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار والثاني العلم ومكانه النار والثالث العقل وهو مكان الزناد فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب ومثل القلب في قوته بقوة مدده وفي صفاه بجوده عدد مثل المصباح في القنديل المكان العقل منه والزيت موضع العلم به هو زجاج المصباح ومدده يكون ظهور اليقين وأيدهم بروح منه والفتيلة مكان الإيمان منه هي أصله وقوامه الذي يظهرها فعلى قدر رقة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الإيمان في قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفا الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي هي اليقين وهو مثل العلم في مدد الزهد وعدم الهوى فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان فاعلم أنه لا إله إلا هو فاعلموا أنما انزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فقدم العلم على التوحيد فصار أوله فكلما اتسع القلب بالعلم وعدم منه الهوى وزهد في الدنيا ازداد إيمانه وعلا لأنه يرى في علوه ما لا يرى غيره ويعلم في اتساعه ما لا يعلمه سواه فيكبر المومن به فيكون ذلك مزيد إيمانه وقوته ثم يشهد كل ما آمن به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله وبمعاني صفاته وأحكام ملكوته ولطائف فعله فقل إيمان هذا العبد ثم اشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حجب الأسباب ومنع الظلام من خلف ستر لجة عن المسافة إلى البر فيضعف بذلك إيمانه وتحتمل مشاهدته ولا يحقق فليس من علم من قدر الله وآياته مائة ألف معنى يرى شهدها كلها من قرب عن كشف مثل من علم منها عشرة معاني ثم شهدها كلها من بعد عن حجاب وهما مومنان معا لكن بين إيمانهما في القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة إلى مائة ألف فيكون إيمان قلب المومن فيما بين ذلك من الزيادة على العشرة والنقصان من ألف على قدر رقته ومثال ذلك فيما يعقله مثل رجل قال لك إن عندي فلانا فقد حصل لك علم أنه عنده غير أن هذا العلم غير يقين لأنه يجوز أن يكون قد شبه عليه أو يكون قد كان عنده ثم خرج

من مائة ألف

فليس الأمر هو عنده وهذا مثل إيمان المسلم هو علم خبر لا خبر ثم انك تأتي اليّ لتراه فتسمع كلامه من وراء حجاب فقد علمت الآن انه عندي لأنك سمعت كلامه واستدللت به على كونه إلا ان هذا العلم أيضا غير تحقيق لأن الأصوات تشتبه والأجرام تتقارب ولو قلت لك بعد ذلك لم يكن عندي وانما كان ذلك غيره أشبه صوته صدقتني في ذلك إذ ليس عندك يقين ترفع به الشك من قولي ولا مشاهدة تحقق الوصف فتنكر بها قولي وهذا مثل إيمان عموم المؤمنين فهو ايمان خبر لعمري ويقين إلا أنه غير يقين العارفين ولا وصف المشاهدين وقد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يرفعونه بمشاهدة يقين ثم انك تدخل اليه بعد أن قيل لك هو عندي أو بعد أن سمعت كلامه فتشهده عيانا لسانا فهذا هو يقين المعرفة وهذه شهادة المقربين وعندها انتفى كل شك وتحقق خبر العلم وهذا مثل ايمان الموقنين الذي قد اندرج فيه ايمان عموم المؤمنين من علم الخبر المجمل ومن سمع الكلام من وراء حجاب وأتم الإيمان واقع على جميعهم ولكن الأول علم أنه عندي بما قيل فصدق والثاني علم أنه عندي بما سمع فاستدل ولم يشهد فيقطع والثالث هو الذي شهد فقطع وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وقال ليس الخبر كالمعاين ومثل ذلك أيضا أن ترى الشيء بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تحتاج فيه إن احتجت اليه ليلا فلست تعرف مكانه رأي العين وانما تقصده بمعرفة استدلال عليه وكذلك الأدلة الغايات وشروطها مع المشاهدات وبمعناها رؤية الشيء بنور القمر تستضيء وتدرك المشكلات ورؤيته في ضياء الشمس فانها تكشف المرئي على ما هو به فهذا مثل نور اليقين الى نور الإيمان ومثل آخر في تفاوت الموقنين وحقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنى مثل صلوة رباعية اقمت فأدرك الركوع ثم جاء آخر فأدرك الركعة الثانية ثم جاء ثالث فأدرك الركعة الثالثة ثم جاء رابع فأدرك الركعة الرابعة كلهم قد صلوا وأدركوا الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من أدرك ركعة من الصلوة فقد أدرك الصلوة ولكن ليس من أدرك الأولى في اكمال الصلوة وادراك حقيقتها كمن أدرك الثانية والرابعة وان استووا في الاسم والمعنى وكذلك تفاوتهم في الآخرة فقد جاء في الخبر عن الله تعالى يقول أخرجوا من كان في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال من ايمان وشعيرة من ايمان وذرة من ايمان فقد خلصوا منافون بين ما بين الذرة والمثقال وكلهم دخل النار على مقامات منها وفيها دليل

أن من كان في قلبه وزن دينار من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظم ما اقترف من الأوزار ومن كان في قلبه وزن ذرة من ايمان لم يحق عليه تأبيد الخلود في دار الهوان لتعلقه بيسير من الايمان ومن زاد ايمانه على زنة دينار لم يكن للنار عليه سلطان فكان من الأبرار وأن من نقص ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كانت سيماه وكان اسمه في الظاهر من المؤمنين لأنه من المنافقين في علم الله الفجار وقال تعالى في وصفهم ان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى ومآهم عنها بغائبين ثم صاحب المثقال والذرة في الجنة على تفاوت الدرجات فكان الزايد ايمانه على مثقال في اعلى عليين على أعلى هؤلاء وارتفاع أهل الدرجات العلى على عليين ارتفاع الكوكب الدري في أفق السماء كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل الدرجات العلى فيراهم الحديث وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من ألف مثله الا الانسان ولعمري أن قلب الموقن خير من ألف قلب مسلم لأن ايمانه فوق ايمان مايه مسلم وعلمه بالله أضعاف علم ألف مسلم ويقال ان واحدا من الأبدال الثلثمائة قيمته ثلثمائة مؤمن وقال بعض علمائنا يعطي الله تعالى بعض المؤمنين من الايمان بوزن جبل احد ويعطي بعضهم مثل عين ذرة وقال تعالى ومن أحسن من الله حكما وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين فوصف الايمان بالعلو ولا نهاية لعلوه فصار علو كل قلب على قدر ايمانه ولذلك رفع قدر المؤمنين على العلماء في قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس سبع مايه درجة بين كل درجة كما بين السماء والأرض وقال أكثر أهل الجنة البله وعليون لأولي الألباب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وروينا في لفظ أبلغ من هذا كفضلي على أمتي والموقنون من المؤمنين أعلى ايمانا والعالمون من الموقنين أرفع مقاما ثم على قدر بياض المداد يستبين من القنديل حسنه وصفاؤه وهذا مثل العقل في صحته من الاعتلال وصفايه من كدر الأهوال وجميع ذلك كله القنديل وهو القلب فعلى قدر رقة القلب ولطف جوهره وصفايه من كدره وحسن طهارته عن الآثار تكون هذه العلوم فيه والأنوار وجوهر الزجاجة في الصفا محتاج اليه صفا جوهر الماء كما صفا الماء محتاج الى صفا الجوهر وبمعناها ما يكون القلب والعقل ووقود النار تحتاج الى قوة الفتيلة ومداد الزيت فمموضعيهما يكون العلم بالله واليقين ذلك تقدير العزيز العليم وكل

الاخر

موسى الانصاري

الهوى ويقوي على قدر ضعف هذه الثلثة وقوتها ويظهر الهوى في القلب ويخفى على قدر تمكن هذه الثلث من النفس وخفائها وهاهنا على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها في البسيطة والضيق والعلم والإيمان والعقل وفي القلب يظهر سلطان ذينك أجمع فأي جند كانت المشية معه غلب وروينا عن علي عليه السلام أن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان فمثل القلب مثل الأواني فجوهرها أرقها وأصفاها أعلاها يصلح للتوجه والملك وأكثفها وأردأها أدناها يصلح للأدناس وما بين ذلك لما بينهما ومثلهما أيضا مثل الموازين اللطيف منها الطيار يصلح للذهب والمعيار والكثيف الجافي يصلح للقت والأنعام وما بينهما لما بين ذلك فيوزن في كل ميزان ما يصلح له كما جعل في كل إناء ما يليق به من كل شيء مزدول ومصون فذلك الحكم والحكمة في الملكوت الباطن كالحكم والحكمة في الملك الظاهر يتدلل الظاهر والباطن وفي تفسير قوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فسره أبي بن كعب قال مثل نور المؤمن وكذلك كان يقرأه قال فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح كلامه نور وعمله نور ويتقلب في نور ثم قال في قوله أو كظلمات في بحر لجي قال قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ويتقلب في ظلمة وكان زيد بن أسلم يقول في لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقد قال أبو محمد رحمه الله مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي وروينا في حديث ابن عمر قال قيل يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى قال في الأرض قال في قلوب عبادي الموقنين وفي الخبر المأثور عن الله عز وجل لم تسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن وفي بعضها اللين الوادع يعني باللين السهل الرفيق القريب والوادع يعني الساكن المطمئن وفي الخبر ما لبس عبد لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهذه لبسة المتقين وصنعه الله إلى العارفين وفي الخبر قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب ثم فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا حسد وعن بعض العارفين في قوله عز وجل لا من أتى الله بقلب سليم قال سليم مما سوى الله تعالى ليس فيه غير الله وفي قول أهل التفسير سليم من الشرك والنفاق وقد قال صلى الله عليه وسلم أخشى ما أخشى على أمتي من دبيب النمل على الصفاء وهذا لا يعدمه المؤمنون إلا الصديقون وقال أكثر منافقي أمتي قراؤها وهذا لا يعدمه العابدون إلا العارفون ومن خواطر اليقين ما يرد لشيء لا تظهر دلالته

نفاوت جوهرها

... هذا هو الحق ان الله سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا ادري كيف آل الامر به عز ظاهرهم والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بان يخاطب الناس على قدر عقولهم ولعل مراد السائل اجابة والظاهر ان المعنى في ذلك ان الله سبحانه حاضر يعلمه مطلع على هواجس الصدور وخواطر القلوب عز وجل تعالى وهو معلم انما كنتم والله اعلم

النفس

في الظاهر لخفاه وغموض شواهده فليس يعلم الأسواطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطايف معاني التنزيل وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وكما قال علي بن أبي طالب عليه السلم ما عندنا شيء استره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله عز وجل إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وكما جاء في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال الفهم في كتاب الله عز وجل وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فخصه بفهم منه زاده به فوق العلم والحكم الذي شركه فيه أباه وزاد على فتوى أبيه وكذلك روينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث الطويل الذي يقول فيه واليقين على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين فمن تبصر الحكمة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فأنما كان في الأولين إلا أن أهل اليقين المرادين به العارفين بأحكام الله الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث اشهد وامطلعها من الغيب وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ كالاختيار والاختبار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأديب والقبض والبسط والجمع والتفرقة الى غير ذلك ومنه قوله تعالى لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وفي الخبر اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله أي باليقين وفي لفظ آخر اتقوا فراسة العالم فإنه مفسر له وقال أبو الدرداء المؤمن ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم وبحق على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة أي كأنه سحر من نفاذه وصحة وقوعه وقال بعضهم يدل على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره وكتب عمر رضي الله عنه الى بعض امراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم تحل لهم أمور صادقه صافيه وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم قيل نور يفرقون به بين الشبهات ويعرفون به المشكلات ومن هذا قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل من كل أمر ضاق على الناس أي بالشاهد الصحيح والعلم الصريح ثم قال تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب قال يطلعه من غير تعليم بشر ويفطنه من غير تجربة ومثل ذلك قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقال

بعض العلماء الذين يعلمون ما يعلمون يوقفهم ويهديهم الى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء وقال بعض
السلف نزلت هذه الآية في المتعبدين المنقطعين الى الله المستوجبين من الناس بسوق الله اليهم من يعلمهم
أو يلهمهم التوفيق والعصمة وفي خبر من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم وقال بعض التابعين
من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم
ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار فمعنى يورثه علم ما لم يعلم اي من علوم المعارف التي هي من موارث اعمال
القلوب مثل الفرق بين الاختيار والاضطرار والابتلاء والاجتباء والمشوبة والمعقوبة ومعرفة النقص من
المزيد والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة الى غير ذلك من علوم العارفين بعد حسن التفقد
والادب عن مشاهدة الرقيب والقرب بنصح المواجيد وصفا القلوب وعن بعض العارفين من عمل
بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة وقال حذيفة انتم اليوم في زمان من
ترك عشر ما يعلم هلك وسيأتي بعدكم زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وقال بعض التابعين كلما زاد
العبد عبادة واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما مل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا وهنا
ولبئس بكاد علم اليقين يكلح من معدن العقل لأن علوم العقل علوق باب ولبئس بكاد علم اليقين ينجه الفكر
ولا يحركه التدبر ولا يخرجه التدبر بحركة فيما انتجته الافكار وما استخرجته الفطن من الخواطر والعلوم
فتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لأهل الدين وأما خاطر اليقين فانه يظهر من بين اليقين
يبادي به العبد مبادأة وبغتة مفاجأة وهو مخصوص بمراد مقصود به محبوب متولى به مسلوب لا يجده الا عارف أو خايف أو محب ومن سوى هؤلاء فيحاله محجوب وبعباده مطلوب والى مقامه
ناظر وفي طريقه بمفعوله سائر فأما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فانهم
مستبرون محمولون سابقون مستبشرون قد وضعت الاذكار عنهم الاوزار كما جاء في الخبر سيروا
سبق المفردون فهم مفردون لله بما أفردهم الله كما قال تعالى حافظات للغيب بما حفظ الله قيل
ومن المفردون قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فلما أفردهم
ممن سواهم له أفردوه بما سواه فذكرهم واستولى عليهم ذكره واصطلم قلوبهم نوره فاندرج ذكرهم
في ذكره فكان هو الذاكر لهم وكانوا هم المكان بجاري قدرته ولا يوزن مقدار هذا الذكر ولا
يكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والأرض في كفة لرجح ذكره لهم بهما وهم الذين قال الله فيهم

فترى من واجهته بوجهي يعلم احدا أي شيء اريد أن أعطيه لو كانت السموات والأرض في موازينهم لاستقللتها لهم
أول ما أعطيهم أن أقذف لهم في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم وهذا هو ظاهر أو ما فيهم وأول عطاياهم
فطلب هو لا يعرف ونصيبهم لا يكيف ومطلوبهم كنه قدره لا توصف وعطاؤهم غير مخلوق ومشاهدتهم وصف
التحقيق فأول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله وآخره أول عين اليقين وهو مشاهدة وصف
معروف وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لعين اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من شهادتهم وظاهر التوحيد توحيد
الله في كل شيء وتوحيده بكل شيء ومشاهدة ايجاده قبل كل شيء ولا نهاية للتوحيد ولا غاية لعطاء الموحدين ولكن
لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها جعل الله مكان لمزيدهم ويزادون في سعيها ويمدون بعلوم
يطلبون بها كاشفون بما وزاها أبدا لا بد لا آخر ولا أمد فلا يصل العبد الى مقام مشاهدة التوحيد الا بعلم
المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى تمحص الجوانح بالأعمال الصالحات كما تمحص الزرق باللبن
حتى تظهر الزبدة وهذه مثل علوم القلب فينقل العبد الى أعمال القلوب اذا ظهرت الزبدة وهي علم اليقين ولست
هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لان وراءها صفوها وخالصها ثم تراب هذه الزبدة حتى تخلص
منها وهو صفوها وغايتها وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدة الوجه بمرآة القلوب وهو نور حينئذ
لا يفارقه وجد وحضور فيرفع العبد من خواطر اليقين الى مشاهدة الصفات بعد علوم الخواطر وهذا مقام
الاحسان قال ان الله لمع المحسنين وانما كانوا محسنين لأنهم رأوا المحسن معهم كما كانوا اعلين اذ الأعلى معهم
وقد قال لا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون أي لا تضعفوا وتطلبوا الصفح من الأعداء ثم قال وأنتم
الأعلون والله معكم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه
الحديث ويسقل العبد من أعمال الجوانح وهي المجاهدة التي طرح عليه ثقلها فيحمل فيها جمل ويحفظ له ما حفظ
الى استطال علم اليقين وهو الروح والرضى فهذا هو هداية السبيل وأول هذا أن يدخل العبد بعد
التوبة النصوح في أحوال المريدين وأعمال المجاهدين للنفس والعدو ثم ينقل الى خواطر اليقين فهذا ميراث
المجاهدين كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اي جاهدوا
بأموالهم ونفوسهم وجاهدوا عدوهم اذ يعدكم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فضابروه فغلبوه فباعوا النفوس
والأموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من الحساب والأهوال لنهدينهم سبلنا اي لنطرقنهم الى
مكاشفات العلوم ولنشهدنهم غرائب الفهوم ولنوصلنهم الى أقرب الطرق الينا بحسن مجاهدتهم فينا ثم ختم

استطلاع

الامر بقوله وان الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهده الصفات فكان المجاهد فيه معهم اولا بالتوفيق فيه صبرا له
بالتائيد وكان المحسن اليهم معهم اجرا فيه احسنوا منه الى نفوسهم عذا وعن الحسن عليه السلم برويه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم باطن في القلب فذاك هو النافع وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى قول الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل ما هذا الشرح فقال هو النور يقذف في
القلب فينشرح له الصدر وينفسح وقال بعض العارفين لي قلب اذا عصيته عصيت الله يعني انه لا يقدح فيه الا
طاعة ولا يقوى فيه الا حق فقد صار رسوله اليه فاذا عصاه فقد عصى المرسل معنى الخبر الايمان ما وقر في
القلب وصدقه العمل وكقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله تعالى فمن نظر بنور الله تعالى كان
على بصيرة من الله وكان عمله بنور طاعة له وقال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي
شاعة وما ساكنته طرفة عين وسئل بعض العارفين على العلم الباطن اي شيء هو فقال سر من سر يقذفه
في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملك مقرب ولا بشر وقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني
من غرايب العلم فقال هل عرفت الرب فاخبر ان غرايب العلم في المعرفة وقد امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم باصل العلوم فقال اقرؤا القرآن والتمسوا غرايبه وهو تدبر معانيه واستنباط باطنه اذ بكلامه عرفة
اولياؤه وقد قيل تكلموا بفوائد من عرف معاني الكلام ووجوه الخطاب عرف به معاني الصفات وغرايب
علوم اسماء الذات وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليتدبر القرآن وقال بعض اهل العلم في قوله
الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان قال فالعدل تدبر القرآن وفهمه والاحسان مشاهدة الفهم في تاويل
علي عليه السلم في صفة العدل شاهد لهذا القول في حديثه الذي وصف شعب الايمان فيه فقال الايمان على
اربع دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال والعدل على اربع شعب على غامض الفهم وزهرة
العلم وروضة الحلم وشرايع الحكم فمن فهم فسر جمل العلم ومن علم عرف شرايع الحكم ومن حلم لم يفرط امره
وعاش في الناس حميدا وقال بعض المكاشفين ظهر لي ان املي عليه شيئا من ذكري
الخفي عن مشاهدتي من التوحيد فقال ما كتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب الى الله تعالى فقلت
اليس تكتب لي الفرايض قال بلى قلت يكفيك كما ذلك وجدنا بعض العلماء قال سالت بعض الابدال
عن علم مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله وقال ما تقول يرحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول يرحمك
الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول يرحمك الله ثم اجابني اعرب جواب ما سمعت قط ادق منه ولا

اعلى فقلت رايتك التفت عن يمينك وشمالك ثم اقبلت على صدرك فما ذاك قال سالتني عن مسئلة لم يكن عندي
فيها علم عندي والتفت الى صاحب الشمال فسالته عنها وظننت ان عنده فيها علم فقال لا ادري فسالت صاحب
اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اخبرتك واذا هو اعلم منهما
وقد كان ابو يزيد وغيره يقولون ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا
انما العالم الذي ياخذ علمه عن ربه اني وقت شاء بلا تحفظ ولا درس فهذا العمري لا ينسى علمه وهو ذاكر
ابدا لا يحتاج الى كتاب وهو العالم الرباني وهذا هو وصف قلوب الابدال من الموقنين ليسوا واقفين
مع حفظ انما هم قايمون بحافظ وقد روينا في الخبر ان من امتي محدثون ومكلمون وفي بعض
الحروف وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين وهذا كان طريق السلف من
الصحابة وكبار التابعين اذا سئلوا افتوا واذا هموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق ولسلوكهم حقيقة
محجة الطريق خاطر اليقين اذا ورد على قلب موقن اضطرته مشاهدته الى القيام به وان خفي على غيره
وحلم عليه ببيانه وبرهانه لصحة دليله وان التبس على سواه وقد قال الله عز وجل في تخصيص الموقنين
قد بينا الايات لقوم يوقنون هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال في نعت
المتقين وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين وقال في فضل العلماء بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم فقد فصلنا
الايات لقوم يعلمون ولنبينه لقوم يعلمون فحقيقة العلم انما هو بين التقوى واليقين وهذا هو علم
المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الايات وخصهم بالبينات والدلالات مما استحفظوا من
كتاب الله وكانوا عليه شهدا فهذه الخواطر تبدو في القلب عن هذه الاواسط التي هي خزاين
الله من خزاين الارض ولله خزاين السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون والفقه صفة
للقلب لا اللسان والعرب تقول فقهت بمعنى فهمت وابن عباس في تفسير قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها يقول لا يفهمون بها ويجعل الفقه الفهم فخاطر اليقين والروح والملك من خزاين السموات وخاطر
العقل والنفس والعدو من خزاين الارض كما قيل النفس ترابية خلقت من الارض فهي تميل الى التراب
والروح روحاني خلق من الملكوت فهو يناجي الى العلو والقلب خزانة من خزاين الملكوت مثله كمثل
المراة تقدح فيه هذه الخواطر عن اوساطها مثل خزاين الغيب فتورث في القلب فيتلالا فيها ما يقع في

القلب فيكون فهما ومنها ما يقع في بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع في لسان القلب فيكون
كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علما وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزي وهذا
أقلها لبثا وأيسرها علاجا وما وقع في باطن القلب وحسه فرق شغافه ووصل إلى سويدائه فهو المباشرة
كأن وجدا وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم اسلك إيمانا يباشر قلبي
وقال بعض العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة وللدنيا وكان مرة مع
الله ومرة مع نفسه فإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد الدنيا وهجر هواه وقد قال بعض علمائنا للقلب
تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب والتجويف الآخر القلب وفيه
العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد
العين فإذا كانت هذه الخواطر عن أوساط الهداة وهي الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشدا
وكانت من خزائن الخير وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات وإن كانت الخواطر عن أوساط الغواة وهم
العدو والهوى والنفس كانت غوى وضلالا وهي من خزائن الشر ومغاليق الأغراض قد همت في القلب ظله
وتنا أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال فكتبوها سيئات وكل ذلك الهام والقاء من خالق النفس
ومسويها وجبار القلوب ومقلبها جعله منه وعدلا لمن شاء ومنه منه وفضلا لمن أحب كما قال
تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي بالهداية والإضلال صدقا لأوليائه وعدلا على أعدائه لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون فهذه جنود منقادة لأمره وهو ملك جبار عز بقهاره تعالى عن مباشرة الأشياء
إذ كانت منقادة له بمشيته وتطوع لقدرته فتنفذ قدرته إرادته وتظهر حكمته أفعاله إذا
أراد شيئا قال له كن فيكون بظاهر حكمته والرب سبحانه قادر على كل شيء وبيده
ملكوت كل شيء حكيم في كل شيء والعبد ضعيف جاهل عاجز ساكن لا يقدر على شيء قد تنبل بالأسباب
ووقع عليه الحجاب وجعل مكانا للأحكام بالعقاب والثواب فالأسباب أوساط البلاء والقدر مع
البلاء والأول هو المبلي والمريد المبدي وتنشيكم فيما لا تعلمون وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
وليس يشهد العبد إلا ما أشهد فلذلك تفاوت العباد في المشاهدة ولا يستبين له إلا ما أبان له وأراد
به فعن ذلك اختلفوا في الأدلة فإذا أراد الله إظهار شيء من خزائن الغيب حرك النفس به بلطيف
القدرة فتحركت بإذنه فقدح من جوهرها حركتها ظلمة تكتنفها سوء فينظر العدو إلى القلب وهو

مراصد ينظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها كما كان في علمه المبتلى به المصرف فيه
فإذا رأى همة قد قدحت من النفس فأثرت ظلمة في القلب ظهر مكانه فقوي بذلك سلطانه والهمة تزيد على
أحد ثلث معان لا تحصى فروعها لأن همة كل عبد على قدر رغبته هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنيته
وهذا عن الحمل الغريزي أو دعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحنة القلب فأي هذه الثلثة قدح في
القلب فهو وسوسة نفس وخطور عدو منسوب إليها محكوم عليه بالذم ليست تصدر إلا بأحد ثلثة أصول
جهل أو غفلة أو طلب فضول الدنيا وهو مما لا يعني ومضافات الى الدنيا وأعمالها فالأفضل مجاهدة النفس
والعدو عن امضائها وحبس الجوارح عن السعي فيها إن كن من فضول الدنيا المباحات فإن كن هذه
الثلثة وردت محرمات ففرض عليه كف الجوارح عن السعي فيها فإن أمرح قلبه في ذكرها ونشر
خطراته في طلبها كن حجابا بين قلبه وبين اليقين وإن كن وردن بمباحات ففضل له نفيها عن قلبه
كي لا يكون قلبه وطنا للغفلات وأصلهن الابتلاء من الله عز وجل بالتقليب والامتحان منه بالتصريف ولذلك
ولذلك خلق النفس والروح والموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها ليظهر أحسن العمل الزهد فيها وانظر
كيف تعملون فإن أراد الله سلامة هذا العبد بعد أن شفى على الهلاك والبعد بتسليط العدو عليه
وتسويل النفس له نظرا القلب عند الابتلاء هوى النفس نورا يمانيا إلى الله عز وجل فأسرا لالتجا إليه والخفي
التوكل عليه وعادلا يذابه واضطر مخلصا له فهناك توكل عليه فكان حسبه وعندها فوض أمره
اليه فوقاه مكر عدوه وحينئذ اضطر اليه واتقاه فجعل له مخرجا ونجاه فينظر اليه الله عز وجل نظرة تحمد
النفس وتمحى الهمة وتخنس العدو لسقوط مكانه ويذهب الخوسه شدة سلطانه فيصفو القلب من
التأثير بنور السراج المنير وبملمس من التحذير بقوة القهار العزيز الجبار فيخاف العبد مقام الرب فينهى
القلب عن نظر الرب فيقزع من الخطيئة ويهرب او يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه وإن
أراد الله بعبد هلكة وكان قد حكم عليه بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة هوى النفس الى العقل فرجح
العقل إلى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن الى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر
بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى في القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوي سلطان العدو واتساع
مكانه فاقبل بترتيبه وغروره وأمانيه ووعده يوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فضعف سلطان
الإيمان لقوة سلطان العدو وخفا نور اليقين لإتيان ظلمة الهوى وقويت صفات النفس لضعف

العقل وأشعلت نيران الشهوة تخبو نور الإيمان فغلب الهوى لقوة الشهوة واحترقت الشهوة العلم والبيان فارتفع لها واستتر الإيمان فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الأسباب يوجدان في طرفة عين فتصير أجزاء البعد جزءا واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه فصلا واحدا كالبرقة في السرعة بتقليب القدرة عن المشية إذ قال له كن فيكون وإن أراد الله تعالى إظهار خير والهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح بخفي اللطف فتحركت بأمره فنضح من جوهرها نور يستطير في القلب همة عالية وهمة الخير تزدان بأجل معان تلك لا تحصى فرقعها أن همة كل امرئ في الخير على مبلغ علمه ومنتهى مقامه فأحد الأصوام مسارعة إلى الفرض أو ندب بفضل يكون عن عمل حال البدء وعلم يتوق وصفه له الهم عليه عن كاشفة غيب من ملك أو ملكوت والمعنى الثالث تحمل مباح من تصرف فيما يعني مما يعود عليه صلاحه أو استراحة للنفس بما أبيح له بكون نفعه لغيره أو ترويحات له من الأفكار لقلبه الغائص في بحار الأفكار يكون حملا للربه وتخفيفا لثقله فهذه مزالف للعبد واختبار من المعبود وحكمه من الحكيم وفي كلها رضاه فإمضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض وهذه الأصول الستة من الخير والشر هي الفرق بين لمة الملك ولمة العدو وبين الهام التقوى وإلهام الفجور والتي هي النية والوسوسة وهما الاختيار والاجتبار وقد تكون هذه المعاني مكاشفات من بد للعبد ينظر إلى الله منها ويحمد الله بما أوجده منه عندها ويكون تعريفا من الله عز وجل يتعرف إليه بها ويفتح له باب الأنس والشوق منها ثم يتفاوت العباد في مشاهداتها على قدر علومهم في اليقين وعلى قدر قوتهم ومكاشفهم من التمكين الآن أصول معاني الخير وأوساطها إلهام الملك والهام في الروح وقوادح الأنوار في كتب الإيمان وفروعها الأخرة والعلم مما امتنع أو الندب والمباح وأصول معاني الشر أضدادها أو أوساط النفس والعدو وأسبابها الشهوة والهوى يظهر عن أجمل ووقع الحجاب ويصدر إلى عقاب فإذا أراد الله تعالى إظهار خير من خزائنه الروح حركها فتطعت نورا في القلب فأشرفه فينظر الملك إلى القلب فيرى ما أحدث الله فيه فيظهر مكانه فيتمكن سلطانه على مثال فعل العدو في خزانه الشر وهي النفس والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة كما العدو مجبول على العداوة مطبوع على حب المعصية فيلقى الملك الإلهام وهو خطور على القلب يقدح خواطر يأمن بتشهيد ذلك وتحسنه له وبحثه عليه وهذا هو إلهام التقوى والرشد وينظر الملك إلى اليقين كما ينظر

العدو إلى النفس فيشهد اليقين للملك بذلك فيطمئن العقل ويسكن إلى شهادة اليقين وبصير العقل الآن بإذن الله عز وجل مع الملك بتأييد الله عز وجل كما كان مع النفس أول مرة مطمئنا إليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الإيمان وتدرج ظلمة الهوى في نور اليقين فتطفي شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان وينزين الإيمان فيه الحياء فتضعف صفة النفس لسقوط الشهوة ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهداية لمن يملك الإيمان فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

نوع آخر من البيان

وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو وتتفاوت الأفهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر فربما تقدمت لمة العدو بالأمر بالشر وتقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب فيهي عن ذلك فعلى العبد أن يعصي الخاطر الأول ويطيع الثاني وقد يتقدم إلهام الملك بالأمر بالخير ثم يقفي بعدها خاطر العدو بالنهي عنه والتثبط والإملاء فيه بالتأخير محنة من الله عز وجل للعبد لينظر كيف يعمل وحسدا من العدو فعليه أن يطيع الخاطر الأول ويعصي الثاني وقد تتدفق الخواطر من الهام الملك للخير ومن وسوسة العدو الشر وتتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخير لقلة الرغبة في الدنيا ومن قوة الشر لقوة الشهوة والهوى وفي المزيد منها والتقديم والتأخير لهما التفاوت الأحكام والإرادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الأحكام بالمشية لأن له في خزائن الخير خزائن شر إذا شاء وله في خزائنه الشر خزائن خير إذا أحب لمن يحب ليلا يتكل إلى سواه ولا يدل العبد بما منه أبداه وإذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل به أبدا لأنه لا يأمن مكر الله عز وجل بتقليب خزائن الشر من خزانه الخير إذا غلبه أبدا ولم يبأس في الشر عليه أبدا لأنه يرجو انقلاب خزائن الخير من خزائن الشر فيكون بين الخوف والرجاء لا يدرك ذلك الأبد قاني العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الأنوار من تعليم الرحيم الجبار فادام العبد يجد بعد خطر الشر خطره خيرا تناهى عنها فهو منظور إليه متدارك وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد للعقل وقد تتراد في خواطر الشر من النفس والهوى فلا يتعقبها خاطر خير من الملك وهذا غاية البعد ونهاية قسوة القلب وقد تتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعلى في

العبد من خواطر الهوى والنفس وهذه علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العبد
ووساوسه بالخير والبر وهذا ان لا من الله لعبده وحيله من العدو ومكر من النفس بزين العدو ذلك
الشر ويحرجه الى الاثم او يقطعه بذلك عن واجب او يشغله به عن الافضل في الحال فيكون ظاهره بر او ذلك
اثما ويكون اوله خيرا واخره شرا وبغيه العدو من ذلك باطنه واخسه وشهوة النفس في ذلك
هواها ومناها قد لبسا ظاهرهن بالخير تزيينا وموها اوله بالبر تحسينا وهذا من ادق ما يبتلى به العاملون
ولا يعرف بواطنه وسرايره الا العالمون واما خاطر الملك فلا يرد الا خيرا صريحا ومن يخص علم كل حال
اذا ورد لان الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب اذا اشتد
قسوته ودامت معصيته من المبعدين فيخلى بين القلب وبين نوازع العدو واللعين ويخلى العدو وهوى
النفس فيستحوذ عليها ويقترن بالعبد ونعوذ بالله من اعاذه وعدم خيره وارشاده ولا يزال الصلح مع
الهام الملك في مقام الايمان فاذا ارتفع الى مقامات اليقين تولاه الله تعالى بواسطة انوار الروح فكان
الروح مكان القلب الحق حتى يرد عليه من الله من السرائر ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تقتل
خواطر النفس والهوى فلا يبقى منها باقية وتطوى النفس فتدرج في البرزخ ولا يظهر منها داعيها ثم تولاه
الله بنور اليقين فيستطيع له نور اليقين من خزانة الغيب بمكاشفة الجبروت فيشهد
العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجد كينونه المحجوب وما لا يصلح بعد
ذلك كشفه الا لاهله او لمن سأل عنه وهذا يكون في مقام التوحيد وهو انصبة المقربين

بيان آخر من تفضيل المعاني

كل عمل وان قل لا بد فيه من ثلثة معان قد استأثر الله بتوليها اولها التوفيق وهو الالتفات الى الحق بتلك
وبين الشيء ثم القوة وهو اسم لثبات الحركة التي هي اول الفعل ثم الصبر وهو تمام الفعل الذي به يتم
وقد رد الله هذه الاصول التي يظهر عنها كل عمل اليه فقال تعالى وما توفيقي الا بالله وقال ما شاء
الله لا قوة الا بالله وقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقد اجمل الله سبحانه ذكر تقليب الكون
بمشيته في قوله عز وجل يقلب الله الليل والنهار المعنى بهما فيهما لانهما ظرفان للاشياء فعبر الله
عنهما بهما كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار المعنى بل مكركم في الليل والنهار فعبر بهما

ح
يستطع

عن مكرهم لانهما مكانا لمكرهم وكذلك قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار فيهما وهما ان
احدهما اي ما اقام من السكنى والثاني ما سكن من السكون وانما ذكر السكون دون الحركة
لانه هو الاصل حتى يحرك وهو الاقرب الى العجز والعدم والتحريك حادث جاز باجلال الله عز وجل
واجزايه ويجوز ايضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة لانه ضد الوصف كما قال سرابيل
تقيكم الحر وهي ايضا تقي البرد فذكر احد الوصفين ليستدل به على الاخر وقال تعالى وتقلب أفئدتهم
وابصارهم الاية وكان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف
الصنع في التقليب ولما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمرادين في القلبان مما لم يشهده سواه فجعله قسما
له تعظيما لقدرة الحلوف به وخوفا من سابق العلم بالتقليب فكان يقول صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما بوأمني والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن
يقلبها كيف شاء وفي لفظ اخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وقد روي عنه صلى
الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور تقلبه كل ساعة وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم مثل القلب
في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وجاء في الحديث مثل القلب مثل ريشة في ارض فلاة تقلبها الرياح
ظهر البطن والقلب مكانا للتقليب لما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكانا للاحكام بالتدبير من
اختلاف الازمان في الاوقات فالايمان تقلب القلوب وبان المقلب يحول بين القلب وصاحبه واجب وقد قرنه
الله تعالى بالايمان بالبعث والامر بهما في قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون وقال
ابن عباس يحول بين المرء المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان وقد يحول بين العبد وبين
الاستجابة لله والرسول وقد يحول بين المؤمن وبين سوء الخاتمة وبين الكافر وبين الخاتمة بالتوحيد ويقال
يحول بين المؤمن وبين كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وبين ان يوفقه لطاعة يحول بها ويحول بين الموحدين
وبين الخاتمة بالتوحيد وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون باسره عند الموحدين في
القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشية القادر وليس في القدر ترتيب
ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج الى زمان ولا مكان فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلاجل
الحكمة والصنع والاتقان وما خفي من الملكوت وتقلب بصائر القلوب فلطيف القدرة وقهر
السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد بحسب

قسمه من اليقين وقسمه من اليقين عن قربه من القرب وقربه من القرب على حسب قرب الله من قلبه وقرب
الله منه بقدر علمه بالله واتساعه في العلم بالله على نحو مكانه من مزيد الإيمان ومزيد إيمانه على قدر اختلاف
الله اليه واحسانه اليه على قدر عنايته به وإتيانه له وعلم الله من وراء ذلك كله وذلك سر القدر
المحجوب المختزن ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على قدر حبه
للدنيا على قدر قوة الهوى وقوة حاله في الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه وقوة صفات
النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه على كثافة الحجاب وبعد العهد بينه وبين الله عز وجل وآلهه
ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة توريث الإنهماك في المعاصي وإدمان المعاصي عن الإعراض والإعراض
عن المقت والإعراض والمقت من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له ومن وراء ذلك سر القدر الذي به عز
الخلق استأثر فمنه الأوصاف المذمومة لعبد يبتلى بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هو ممنوع
عليه بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين الشيطان له وتسليطه عليه
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا إن تظل
الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له
إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله فإذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي وقد قال الله عز وجل
فإن الله لا يهدي من يضل أي فإن الله تعالى من شأنه أن أحدا لا يهدي من يضل ومن كان أضله الله
تعالى في سابق علمه فكيف يهديه الآن كذلك قال على الحرف الآخر فإن الله لا يهدي من يضل فإذا كان
المعطي هو المانع فمن يعطي فلو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلى قلبه من قلبه ذرة ولا
قدر أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لأن قلبه وإن كان جارحته فهو خزانته ومفاتيحه بيده وله فيه ما
لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال تعجبا ممن جهله وضلله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا
فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم سبحان مصرف القلوب
وقد خاطب الله سيد البشر وآله بقوله أن يحزنك فقال قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ثم
قال بعد ذلك قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا فإذا
كان المالك عزيزا جبارا وكان كل شيء بيده لم يوصل إلى ما عنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق إليه
إلا الصدق له والإخلاص والذل والافتقار إليه وقد حجب العقل المكبد عن النظر إلى المبدي المعيد

وجه الدنيا

بما أظهر له من صورته وحركته فستره ذلك عن الأول المصور وعن القادر المحرك فأدعاه عن نظره إلى حركته
وسكونه التي هي حجبه له عن المحرك المغيب للغيب ادعى الحركة والسكون نفسه لوقوف نظره على نفسه
إذ كان مشهودا وعمي عن النظر إلى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه لأنه غيب من وراء الحركة والغيب لا
يشهد إلا بغيب وهو اليقين كما لا يدرك الشهادة إلا شهادة وهي العين فمن عمي بصره لم ير من
الملك شيئا كذلك من حجب قلبه لم ير من الملكوت شيئا فلعدم اليقين عمي عن المشاهدة ولإيقاع
الحجة والحجاب أدرك بالمعقول الشهادة ولو كان من أولي الألباب اعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك
المشاهد كما إن الحركة غيب في الجسم ظهر عنها المتحرك فأظهر سبحانه المتحرك وأخفى المحرك فيه وأظهر
الصنعة وأخفى الصانع فيها لتفصيل حكمته كذلك الصانع ذو الصنع الأول والحاكم الأعلى ذو
الحلم الأغلب غيب عن الحركة التي أخفاها هو من وراء لطائف القدرة فشهد المعقول بما أشهدنا
ظهر له ووجه به لأنه معقول عليه محدود له وعمي عما غيب عنه لفقد اليقين منه فعندها ادعى
الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد وشهد الموحد شهادة التوحيد فوحد لما كشف له
الملكوت بنور اليقين فأنزه وقال بعض العارفين من نظر في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار
وقال بعضهم علمنا من ظن أنه يصل إلى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عباده الله بنفسه وكل
إلى نفسه وقال من كان توحيده معللا بمعقوله لم ينجه من النار أحسبه هذا الذي يقال أخرجوا من
النار من في قلبه مثقال من إيمان فما زاد على معناه فهو متصل باليقين وهو روح التأييد ثم إن
الخلق محجوبون بعد هذا الحجاب بثلثة حجب بعضها أكثف من بعض أحدها أو اسطها وأسباب معترضة
وشهوات حادثة وعادات واقعة صادرة فالأسباب توقفهم عليها والشهوات تحجزهم إليها والعادات
تردهم فيها فأي هذه الحجب ظهر في قلب وبعضها أشد من بعض فهو قائد العدو وأوسع من مكان تمكن
سلطانه على قدر سعة مكانه فقويت النفس بتزيين العدو وسولت بتأويله فملك النفس العدو ملكا
أشد من ملكه فإذا ملك النفس العدو كان مملوكها وكان أمينها وكانت الهوى أميرة فاستولى
الشيطان حينئذ بالغوايه والإضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأموال والأولاد فشغله
ذلك عن الله وأنساه ذكر الله وهذا هو الافتتان الذي ذم الله سبحانه ومقته في قوله تعالى ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا وهو فوق النزغ والهمز واللحظ بعد الهمز وهو حظوظ العدو على

القلب بالوسوسة بزين الهمة ويملي للعبد ويرجيه ويفسح له في أمله ويمنيه التوبة حتى يهون عليه المعصية وبعده المغفرة بعدها حتى يجربه على الخطيئة فهذا هو الوعد بالغرور وبعده الهلاك والثبور كما قال تعالى يعدهم يعني التوبة ويمنيهم المغفرة وما يعدهم الشيطان إلا غرورا فهذا كله تصديق ظن العدو باتباع العبد الهوى عن مقام البعد وكشف علم الله بظهور الأحكام وانفاذ المشية وهو الابتلاء كقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه الآية ثم أعلم ذلك بسابق علمه فقال وما كان له عليهم من سلطان يعني بحوله وقوته وقهره ومشيته إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي لنرى وقيل لنعلم العلم الذي نجازي عليه بالثواب والعقاب وقيل لنخبر ونكشف وقيل لنعلم المؤمنون ذلك فيستبين لهم ويعلم من عمل تلك الأعمال التي ظهرت منه فيوقع عليه بذلك الحجة ويتبين له كذبه كما قال تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا الآية فعلى هذه المعاني مجاز كل ما في كتاب الله من قوله تعالى لنعلم وقوله حتى نعلم إذ كان علمه تعالى سبق المعلومات وإذ كانت الأشياء بعلمه عن علمه فجعل تسليط العدو بسلطانه كشفا وإظهارا لما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهرة كشفا وإظهارا لإرادته الباطنة وزوينا عنه صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضي القضاء وتم القدر بالسعادة والفوز من الله لأهل طاعته وبالشقاء من الله لأهل معصيته

باب تقسيم الخواطر وتفصيل عمل أنحائها

فأما تسمية جمل الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو الهام وما وقع من عمل الشر فهو وسواس وما وقع في القلب من المخاوف فهو إيحاش وما كان من تقدير الخير وأمله فهو بينة وما كان من التدبير والتمني فهو أمنية وما كان من تدبير المباحات وترجيحها فهو أمل وما كان من تذكر الآخرة والوعد والوعيد فهو تفكر وتذكر وما كان من حديث النفس لمعايشها وأحوالها فهو هم وكل ذلك يسمى خواطر لأنه خطور الهمة النفس أو خطور عدو وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من خواطر الإعادات ونوازع الشهوات فهو لمم ثم إن تنسب الخواطر المنشية من خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان وهذه حدود الشيء المظهر ثلثه منها معفو عنها وثلثه مطالب بها فأول ذلك الهمة وهو أول ما يبدو من وسوسة

العدو للنفس بالشيء يجده العبد بالحس كالبرقة فإن صرفها بالذكر انمحت وإن تركها بالغفلة كانت خاطرا وهو خطوة العدو بالتزيين وإن نفى الخاطر ذهب وإن وانعه قوي فصار وسوسة وهذه محادثة العدو للنفس وإصغاء النفس إليه فإن نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله تعالى خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلثة معفو عنها برحمة الله غير مواخذ بها وإن أمرج العبد النفس في محادثة العدو طال النفس العدو بالاصغاء والمحادثة قويت الوسوسة وصارت نية فإن أبدل العبد هذه النية بنية خير استغفر منها وتاب وإلا قويت فصارت عقدا فإن حل العبد هذا العقد بالتوبة وهو الإصرار وإلا قوي فصار عزما وهو القصد وهذه الثلثة من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤول عنها فإن تمادى العبد على العزم والإمكان العزم فصار طلبا وسعيا وظهر العمل على الجوارح من خزائن الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم في خزانة الملك والشهادة فهذه المعاني توجد من أعمال البر والإثم فما كان من البر همة ونية وعزما كان محسوبا للعبد في باب النيات مكتوبا له في ديوان الإرادات به حسنات وما كان منها من الشر نية وعقدا وعزما فعلى العبد فيه مواخذة من باب أعمال القلوب ونيات السوء وعقود المعاصي وأعمال الجوارح من الخير والشر وليس شيء مجانسا للعدو موافقا له إلا النفس جمع الله بينهما الوسوسة لقوله الخناس وقوله تعالى وما توسوس به نفسه وكل شيء خلقه الله فله مثل وضد فمثل النفس الشيطان وضده الروح ثم إن أعمال الجوارح من التوعين الطاعة والمعصية أعظم في الأجر والوزر معا إلا ما لا يأتي أن يعمله بظاهر الجسم من شهادة التوحيد ووجود الشرك أو الكفر

باب آخر من البيان والتفصيل

فأما ما كان من لمح يلوح في القلوب من معصية ثم يتقلب ولا يلبث فهذا نوع من قبل العدو فاستعذ بالله ولا تمكنه من نفسك فيضعف وما كان في القلب من هوى ثابت أو خاطر من عجب دائم لا يثبت فهو من قبل النفس الأمارة بالسوء بطبعها أو مطالبة بسوء عادتها وما ورد على العبد من معصية وجد العبد فيه كراهيتها فالورود من قبل العدو والكراهية من قبل الإيمان وما وجد العبد وجدا بهوى أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالورد من النفس والوارد بالمنع من الملك وما وجد العبد من فكر في عاقبة دنيا أو تدبير حال ونظر إلى معهود فهذا من قبل العقل وما وجد من خوف

أوجب أوحياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة فهذا عن الإيمان وما شهد القلب من تعظيم أو هيبة أو إجلال أو قرب فهذا من اليقين وهو من مزيد الإيمان وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وليس في التوحيد تفصيل ولا في المشاهدة تفكر ولا في الإشارة عبارة ولا في القدرة ترتيب ولكن لا بد من علم التفصيل لأنه عن عين التوحيد عن عين الجمع لإظهار الطرق واستنان السبل وطريق السالكين وترتيب العاملين وكما قال صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك ولكن لا بد من علم التفصيل وهو التفرقة بلسان الشرع لإظهار الطرق واستنان السبل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقال تعالى وكل شيء فصلناه تفصيلا وقد فصل بعض العلماء أعمال العباد وفرق بين الأمر من الله تعالى والإرادة فقال إن أعمال العباد لا تخلو من ثلاثة أنواع فرض وفضل ومعصية فالفرائض بأمر الله تعالى ومحبته ومشيئته تجمع هذه المعاني الثلث في الفرائض قال ونقول إن النفل ليس بأمر الله لأنه لم يوجبه ولم يعاقب عليه ولكن بمحبة الله ومشيئته والمعصية ليست بأمر الله لأنه لم يشرعها على ألسنة الرسل ولا بمحبته إذ لم يأمر بها ولم يندب لأنه كرهها ولكن بمشيئته وإرادته إذ لم يخرج شيء من إرادته كما لا يخرج شيء من علمه والإرادة والمشيئة وهما اسمان لمعنى واحد فقد دخل كل شيء فيهما كما دخل كل شيء في العلم فالله تعالى مريد لما علمه ينفذ بإرادته سابق علمه في معلومات خلقه وهذا فرض التوحيد وخرجت النوافل عن الأمر وخرجت المعصية عن المحبة في تفصيل الأحكام ولم تخرج المعاصي عن المشيئة وبه قال تعالى وكل صغير وكبير مستطر وقال عليه السلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس فذكر غرضين لطيفين هما سببا المنع والعطاء وقد فرق بعض العلماء بين الأمر والإرادة فرقا لطيفا فقال حدثني بعض أصحابنا قال سألت سهل بن عبد الله لما أمر الله إبليس بالسجود لآدم أراد ذلك منه أم لا فقال أراده له ولم يرده منه يعني أراده له شرعا وإظهارا وعليه إيجابا ولم يرده منه وقوعا وكونا إذ لا يكون إلا ما أراد وما أراد الله تعالى كونه كان وقد كان الأمران معا إرادته بالتكليف والتعبد وإرادته أن لا يسجد فلم يقدر أن يمتنع من أن لا يسجد كما لم يقدر يمتنع من أن يؤمر لأنه قد وجد وكان الأمران معا لقوله تعالى إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فأخبر أنه إذا أراد شيئا كونه كما أنه إذا كون شيئا شاء معه إرادته فلما لم يكن الأمران علمنا أنه لم يرد فصار كون الشيء دليلا على إرادته وذلك قوله في نهيه لآدم عن أكل الشجرة أنه أراد منه الأكل ولم يرد له المخالفة أي أراده وقوعا وكونا

إذ لا يكون إلا ما أراد وإذ كل ما أراد كونه كان وقوعا وفعلا لأنه قدره وجعله وكان وإن لم يرده شرعا ولا أمرا لأنه لم يأمره بالأكل ولم يشرعه له فكذلك القول في كل ما أمر به وأراده لأن هذين أصل الابتلاء وأول ظهور البلاء يأمر سبحانه بالشيء ويريد كون ضده وقد أراد الأمر به حسبما لا يريد كونه وينهى عن الشيء ويريد كونه وقد أراد النهي عنه لا غير ونحن فإن علمنا يتكلم في علم الأمر والجبر وعلم الابتلاء والقهر بمعاني لا يهتدي إليها اليوم ولا يسأل عنها أحد وقد فرق الحسن قبله وهو إمامنا في هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم ومخالفة الأمر لما بلغه أن عمرو بن عبيد هو إمام المعتزلة اليوم يقول إن الله لا يقضي بالشيء ثم يعذب عليه فقال ويلك إن الله لا يعذب على جريان علمه وإنما يعذب على مخالفة أمره تفسير ذلك أن ما حكم الله منفردا به لم يجعل فيه أمرا ولا نهيا لا يعذب عليه لأنه لم يجعل للعبد مدخلا فيه ولا شهوة ولا فعلا وأن ما قضاه على العبد مما أدخله فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهو من شؤم النفس ونكد الخلق أنها إذا دخلت في شيء انقلب عليها شره والأمة مجمعة على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعلى قول لا حول ولا قوة إلا بالله مجمعة أيضا فهذا عام في كل شيء ليس في بعض الأشياء دون بعض والحول في اللغة هو الحركة والعرب تقول للشخص يبدو من بعيد نظن أنه إنسان أو صخرة انظر إليه فإن كان يحول فهو إنسان أي يتحرك والقوة هو الثبات بعد الحركة وهو أول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى ورويناه في تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله فهذا التفصيل في هذه المعاني من الأحكام هو ظاهر العلم وفرض القدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر للملك الجبار يجبر خلقه على ما يشاء كما خلقهم لما شاء ويردهم لما شاء كما أنشأهم فيما شاء فالحكم العلي الكبير الواحد القهار يقهر عباده كيف يشاء ويجري عليهم ما شاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشيئة السابقة بوصف الربوبية وحكم الجبروتية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا وكرها بوصف العبودية وبحق الملك إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم الآية وقال تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية وقال تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين

كتاب العلم

ذكر معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة

بسم الله الرحمن الرحيم روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
وفي بعضها اطلبوا العلم وله مخرجان فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال بعض علمائنا أراد علم حال العبد
الذي بينه وبين الله من مقامه الذي أقيم فيه يعني أن يعلم ما بينه وبين الله في دنياه وأخرته ليقوم بأحكام
الله تعالى في ذلك وقال بعض العارفين معناه طلب علم الوقت وقيام العبد بحكم شاهده وما يقتضي منه في كل
ساعة من نهاره وقال بعض علماء أهل الشام إنما عني به طلب علم الإخلاص ومعرفة آفات النفوس ووساوسها ومعرفة
مداخل العدو وغروره وما يصلح الأعمال وما يفسدها فريضة كله من حيث كان الإخلاص والأعمال فريضة
ومن حيث يعلم بعداوة إبليس وأمره معاداته ذهب إلى ذلك عبد الواحد بن زيد صاحب المصمار وعبد الله
الموني وقال بعض البصريين في معناه طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر فريضة لأنها رسل الله إلى
العبد فيستجيب له بتنفيذها ومنها آبية من الله عز وجل للعبد واختبار يقتضيه مجاهدة النفس في نفيها
ولأنها أول آلة إلى هو أول كل علم وعنها تظهر الأفعال وعلى قدرها تضاعف الأعمال فيحتاج أن يفرق بينه
الملك ولمة الشيطان وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك بين
الأحكام وهذا عند هؤلاء فريضة وهذا مذهب مالك بن دينار وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد وأبناهم من نساك
أهل البصرة وقد كان أستاذهم الحسن تكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلوب وقال عباد الشامي معناه
طلب علم الحلال والحرام فريضة إذ قد أمر الله تعالى به في قوله يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
الحلال وأجمع المسلمون على تفسيق أكل الحرام وقد جاء في خبر آخر كأنه مفسر لهذا طلب الحلال فريضة بعد
الفريضة ومال إلى هذا القول إبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط ووهيب بن الورد وشعيب بن حرب
وقال بعض هذه الطائفة من أهل المعرفة معناه طلب علم الباطن فريضة على أهله من أهله قالوا وهذا مخصوص
لأهل القلوب ممن استعلمهم واقتضى منه دون غيرهم من عوام المسلمين ولأنه قد جاء في لفظ آخر تعلموا
اليقين ومعناه اطلبوا علم اليقين وعلم اليقين لا يوجد إلا عند الموقنين وهو من أعمال القلوب وهو العلم
النافع الذي هو حال العبد عند الله عز وجل ومقامه منه كما شهد له الخبر الآخر في قوله وعلم الباطن في
القلب وهو العلم النافع فهذا تفسير ما أجمل في غيره وكذلك قال جندب كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا

العلم المسمى بعلم الكلام
أول فواتح علم التوحيد

الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا وإنه سيأتي قوم يتعلمون القرآن قبل الإيمان يعني يتعلمون علم الإيمان وذهب
إلى هذا علما البصرة وقال بعض السلف معناه طلب علم ما لا يسع جهله من علم الإيمان وأصول الأمر والنهي
والفرق بين الحلال والحرام وقال بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا
أراد الدخول فيه افترض عليه مع دخوله في ذلك طلب علمه لقول عمر رضي الله عنه لا يتجر في سوقنا هذا
إلا من فقه وإلا أكل الربا شاء أم أبا ومال إلى هذا سفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابهما وقال بعض
المتقدمين من علمائنا خراسان هو أن يكون الرجل في منزله فيريد أن يعمل شيئا من أمر الدين أو تخطر على قلبه
لله فيها حكم وتعبد وعليه في ذلك اعتقاد وعمل فلا يسعه أن يشك على ذلك ولا يجوز له أن مضت
بزايه ولا علم فيه بهواه وعليه أن يلبس نعله ويخرج ويسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة
فهذا فريضة وعلى هذا عن عبد الله بن المبارك وبعض أصحاب الحديث وقال آخرون يعني طلب علم التوحيد
فريضة من حيث أجمع أهل القبلة أن علم التوحيد فرض وإنما اختلفوا في كيفية الطلب وما هية الإصابة
فمنهم من قال طريق الاستدلال والاختيار ومنهم من قال من طريق البحث والنظر ومنهم من قال طريق
التوقيف والأثر وقالت طائفة منهم هؤلاء إنما أراد طلب علم الشبهات والشكوك إذا نبهها العبد وأتاها
وقد كان يسعه ترك الطلب إذا كان غافلا عنها على أصل التسليم ومعتقد جملة المسلمين لا يقع في فهمه
ولا يجول في صدره شيء من الشبهات فيسعه ترك البحث فإذا وقع في سمعه شيء من ذلك وقر في قلبه ولم
يكن عنده تفصيل ذلك وقطعه ومعرفة تمييز حقه من باطله لم يحل له السكوت عنه ولا اعتقاد بطلانه بل
ينفي حقا فافترض عليه طلب علم ذلك من العلماء به فيستكشف عنه حتى يكون على يقين من أمره وتنبيه
ودينه فيعتقد من ذلك الحق وينفي الباطل ولا يقعد عن الطلب فيكون مقيما على شبهة فيتبع المريب هو
شاك في الدين فيعدل عن طريق المسلمين أو يعتقد به بدعة فيزيغ بذلك عن الملة وهو لا يعلم ولهذا نهى
كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه ولا
تجعل ذلك متشابها فنتبع الهوى وذهب إلى هذا إبراهيم بن خالد الكلبي أبو ثور وعلى هذا الحرث المحاسبي
ومن تابعهم من المتكلمين هذا قول العلماء في معنى هذا الخبر حكينا ذلك عن علماء هذه الأمة
على اختلاف مذهب كل واحد وإن اختلفوا في تفسير الحديث بالألفاظ المختلفة فإنهم متفاوتون في المعنى إلا أصل الظاهر منهم فإنهم يحملونه على

مَا يَعْلَمُونَ وَأَهْلُ الْبَاطِنِ تَأَوَّلُوهُ عَلَى عِلْمِهِمْ وَلَعَمْرِي أَنَّ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ عِلْمَانِ لَا يَسْتَغْنِي أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ بِمَنْزِلَةِ
الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مُرْتَبِطٌ كُلُّ وَاحِدٍ بِالْآخَرِ وَهَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفُونَ فِي الْأَقْوَالِ مُجْمِعُونَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُرِدْ
بِطَلَبِ عِلْمِ الْأَفْضِيَةِ وَالْفَتَاوِي وَلَا عِلْمِ الْمَخَارِجِ وَالْمَذَاهِبِ وَلَا كُتُبِ الْحَدِيثِ مِمَّا لَا يَتَعَيَّنُ فَرْضُهُ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ
تَعَالَى لَا يَخْلِي بِذَلِكَ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِ وَالَّذِي عِنْدَنَا فِي حَقِيقَةِ مَعْنَى هَذَا الْخَبَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ يَعْنِي عِلْمَ هَذِهِ الْفَرَائِضِ الْخَمْسِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَفْتَرِضْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
غَيْرَهَا ثُمَّ إِنَّ الْعَمَلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِعِلْمٍ فَأَوَّلُ الْعَمَلِ الْعِلْمُ بِهِ فَصَارَ عِلْمُ الْعَمَلِ فَرْضًا مِنْ حَيْثُ افْتُرِضَ الْعَمَلُ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى
الْمُسْلِمِ فَرْضٌ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا هَذِهِ الْخَمْسَ صَارَ طَلَبُ عِلْمِ هَذِهِ الْخَمْسِ فَرْضًا لِأَنَّهُ فَرْضُ الْفَرْضِ وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ دَاخِلٌ فِيهَا لِأَنَّهُ
فِي أَوَّلِهَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَطَلَبُ عِلْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِإِثْبَاتِ صِفَاتِهِ الْمُتَّصِلَةِ
بِذَاتِهِ وَنَفْيِ صِفَاتٍ سِوَاهُ الْمُنْفَصِلَةِ عَنْهُ إِيَّاهُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ ذَلِكَ فِي شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعِلْمُ الْإِخْلَاصِ دَاخِلٌ فِي
صِحَّةِ الْإِسْلَامِ إِذْ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا إِلَّا بِإِخْلَاصٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ
الْعَمَلِ لِلَّهِ فَبَدَأَ بِهِ وَاشْتَرَطَهُ لِلْإِسْلَامِ وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا عِلْمَ كُلِّ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ
لَمْ يَعْنِ بِذَلِكَ عِلْمَ الطِّبِّ وَالنُّجُومِ وَلَا عِلْمَ الشِّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالْمَغَازِي وَهَذِهِ تُسَمَّى عُلُومًا لِأَنَّهَا تَكُونُ مَعْلُومَةً وَأَنَّهُ
عُلُومًا بِأَنَّهُ إِنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَرِدْ الْأَمْرَ مُقْتَضَاهَا وَالْأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ أَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ عِلْمَ الْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ وَأَيْضًا عِلْمُ
افْتِرَاقِ الْمَذَاهِبِ وَاخْتِلَافِ الْآرَاءِ وَهَذِهِ تُسَمَّى عُلُومًا عِنْدَ أَهْلِهَا وَبَعْضُهَا فَرْضُ عَلَى الْكِفَايَةِ وَكُلُّهَا سَأَلُوهُ
عَنِ الْأَعْيَانِ وَالْخَبَرُ جَاءَ بِلَفْظِ الْعُمُومِ بِذِكْرِ الْكُلِّيَّةِ وَبِمَعْنَى الِاسْمِ فَقَالَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَعْدَ قَوْلِهِ
اُطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ كَانَ هَذَا عَلَى الْأَعْيَانِ وَكَأَنَّهُ وَقَعَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ عِلْمٍ وَمَعْنَاهُ الْمَعْهُودُ الْمَعْرُوفُ فَأَدْخَلَ
التَّعْرِيفَ عَلَيْهَا الْمُشِيرَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ إِلَيْهِ وَإِذَا بَطَلَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ صَحَّ أَنَّ قَوْلَهُ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ فَرِيضَةٌ عَلَى
كُلِّ مُسْلِمٍ أَيْ طَلَبُ عِلْمِ مَا بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهِ وَاقْتَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عِلْمَهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ
حِينَ سَأَلَهُ أَخْبِرْنِي مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ وَفِي لَفْظٍ أُخَرَ بِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ إِلَيْنَا فَأَخْبَرَهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَوَاتِ
الْخَمْسِ وَالزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ فَقَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ فَقَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ فَقَالَ وَاللَّهِ
لَا أَتَطَوَّعُ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ أَفْلَحَ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَاللَّهِ إِنْ صَدَقَ فَكَانَ عِلْمُ هَذِهِ الْخَمْسِ
الْمَفْرُوضَةِ فَرِيضَةً مِنْ حَيْثُ كَانَ مَعْلُومُهُ فَرِيضَةً إِذْ لَا عَمَلَ إِلَّا بِعِلْمٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
وَقَالَ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَقَالَ تَعَالَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا يَقُولُونَ وَقَالَ تَعَالَى هَلْ عِنْدَكُمْ

مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ وَقَالَ تَعَالَى بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ
يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَقَالَ تَعَالَى بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ
اللَّهِ شَيْئًا وَقَالَ تَعَالَى فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فَهَذِهِ الْآيُ افْتَرَضَ اللَّهُ فِيهَا طَلَبَ
الْعِلْمِ وَذَلِكَ الْخَبَرُ الَّذِي جَاءَ فِي أَبْنِيَةِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسِ افْتَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا هَذِهِ الْأَعْمَالَ
ثُمَّ قَالَ مُجْمِلًا طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ ثُمَّ وَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَكَانَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَتَفْصِيلُهُ أَنَّ عِلْمَ أَهْلِ
الْخَمْسِ الَّتِي هِيَ بُنِيَةُ الْإِسْلَامِ فَرْضٌ لِفَرْضِيَّتِهَا فَهَذَا مِنْ أَقْوَى الْمَعَانِي عِنْدَنَا فِي تَحْقِيقِ الْخَبَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ وَقَدْ رُوِّينَا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَرِيقٍ مُرْسَلٍ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالُوا
رَجُلٌ عَلَّامَةٌ فَقَالَ مَا ذَا فَقَالُوا بِالشِّعْرِ وَالْأَنْسَابِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ فَقَالَ هَذَا عِلْمٌ لَا يَضُرُّ جَهْلُهُ وَفِي لَفْظٍ أُخَرَ
عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجَهْلٌ لَا يَضُرُّ وَرُوِّينَا فِي خَبَرٍ إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيًّا وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَلِيلٌ مِنَ
التَّوَقِّي خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوَقِّي وَالْخَبَرُ الْمَشْهُورُ أَعُوذُ بِكَ
مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ فَسَمَّاهُ عِلْمًا إِذْ لَهُ مَعْلُومٌ وَإِذَا أَصْحَابُهُ عُلَمَاءُ عِنْدَ أَصْحَابِهِمْ ثُمَّ رَفَعَ الْمَنْفَعَةَ عِنْدَهُ وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْهُ

ذِكْرُ فَضْلِ عِلْمِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ وَكَشْفِ الْغِطَاءِ عَنْ خُصُوصِ

قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أُلُوفٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كُلُّهُمْ عُلَمَاءُ بِاللَّهِ فُقَهَاءُ عَنِ اللَّهِ أُصُولُ رِضْوَانِ مِنَ اللَّهِ وَلَمْ
يَنْصِبْ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا وَلَا احْتَاجَتْ عَنْهُ الْأَحْكَامُ وَالْقَضَايَا الْأَبْضَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْفُتْيَا قَالَ اذْهَبْ
إِلَى الْأَمِيرِ الَّذِي تَقَلَّدَ أُمُورَ النَّاسِ فَضَعْهَا فِي عُنُقِهِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَانَ
ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ إِنَّ الَّذِي يَفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ لَمَجْنُونٌ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُسْأَلُ عَنْ عَشْرِ مَسَائِلَ
فَيُجِيبُ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَسْكُتُ عَنْ تِسْعٍ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ يُسْأَلُ عَنْ عَشْرَةٍ فَيُجِيبُ فِي تِسْعٍ
وَيَسْكُتُ عَنْ وَاحِدَةٍ وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ يَقُولُ لَا أَدْرِي أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَقُولَ أَدْرِي مِنْهُمُ الثَّوْرِيُّ وَمَالِكُ
بْنُ أَنَسٍ وَالْفُضَيْلُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَكَانُوا فِي مَجَالِسِهِمْ يُجِيبُونَ فِي الْمَسَائِلِ وَيَسْكُتُونَ عَنْ بَعْضِ
وَلَمْ يَكُونُوا يُجِيبُونَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ وَرُوِّينَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ مِائَةً وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُسْأَلُ عَنْ حَدِيثٍ
أَوْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ ذَلِكَ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ تُعْرَضُ عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدُّهَا إِلَى الْآخَرِ وَيَرُدُّ

الآخر إلى الآخر حتى ترجع إلى الذي يسأل عنها أول مرة وروى ذلك عن ابن مسعود وغيره من التابعين وقد روينا مسندا لا يتكلم على الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف فتفصيل ذلك أن الأمير هو الذي يقال أمر الناس فيتكلم في علم القضاء والأحكام كذلك كان الأمر أيفتون ويسألون عن الأقضية والمأمور الذي يتكلم في علم التوحيد والإيمان وعلم القرآن وعلم اليقين والآثار لأن هذا من المعروف الذي يحتاج إليه وقد أمر به وندب إليه والمتكلف القاص الذي يتكلم في القصص التالفة وينقص أخبارا من مضى من الناس لأن ذلك لا يحتاج إليه في الحال ولم يندب المتكلم إليه وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين وروينا أن الصحابة والتابعين كانوا يبتدئون أربعة أشياء الإمامة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما وقال بعضهم كان شغل الصحابة والتابعين إحدى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وقال الله سبحانه وهو أصدق القائلين لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ورأى بعض أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة من أهل الرأي بعد موته قال فقلت له ما فاتك فيها كنت عليه من الفتوى والرأي قال فكره وجهه وأعرض عني ثم قال ما وجدته شيئا أو ما حمدت عاقبته وحدثنا عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته فقلت ما أجد أعقل من الخليل أسأله فقال أيت ما كنا فيه فما رأيت أنفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وحدث عن بعض الشيوخ قال رأيت بعض العلماء في النوم فقلت ما فعلت بك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها قال فبسط يده ثم نفخ فيهما وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت بشيء إلا بركعتين خلصت لي في جوف الليل وحدثونا عن أبي داود كان بعض أصحابنا كثيرا الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك فسكت فأعدت عليه فسكت فقلت أغفر الله لك فقال لا قلت لم قال الكتوبة حسبين والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيرا قلت أين الأعمال وجدتها هناك أفضل قال قراءة القرآن والصلاة جوف الليل قلت فأيما أفضل ما كنت تقرأ لو ما كنت تقرئ فقال ما كنت أقرأ قلت فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال إن أخلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك وحدثونا عن الشيوخ قال حدثني أحمد بن عمر الحافاني قال رأيت في المنام كأني

بعض

في طريق أمضي إذ صاد في رجل فأقبل علي وهو يقول وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فقلت له من تعني فقال أنت وكذلك الذي خلفك فالتفت فإذا بسري السقطي فأعرضت عن الرجل وأقبلت على سري فقلت هذا استاذنا ومؤدبنا الذي كان يؤدبنا في الدنيا ثم قلت له يا أبا الحسن أنك قد صرت إلى الله تعالى فأخبرني أي عمل قبله الله تعالى فأخذ بيدي وقال تعالى فيحيث أنا وهو إلى بنية مثل الكعبة فوقفنا إلى جانبها إذ أشرف علينا من البنية شخص فأضاء ذلك الموضع منه فأومى إليه سري فشالني نحوه وكان سري قصيرا وأنا أيضا قصير فمد ذلك الشخص الذي كان فوق البنية يده فأخذ بيدي فشالني إليه فلم أقدر أن أفتح عيني من أنوار كانت في ذلك المكان ثم قال إلي سمعت كلامك مع الشيخ كل خلق في القرآن محمودة تفعلها فافعلها وكل خلق في القرآن مذمومة تتنحى عنها وحسبك هذا وقد حدثونا عن السري أيضا قال كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة فسألت عنه فإذا هو قد اعتزل الناس وقعد في منزله يتعبد فقلت له قد كنت حريصا على الطلب لعلم الظاهر فما بالك انقطعت فقال رأيت في النوم قائلا يقول لكم تضيع العلم ضيعك الله فقلت إني لأحفظه فقيل إن حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على النظر فيه للعمل وقد كان ابن مسعود يقول ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال غيره من الفقهاء إنما العلم نور يقذفه الله في القلوب وكان الحسن يقول العلم ما اشتهيتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله عليه حتى تعملوا به فالتسفها همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وروينا عنه أيضا أن الله لا يعبأ بكل ذي قول إنما يعبأ بكل ذي فهم ودراية وقال أبو حصين إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر وقال غيره يسأل أحدهم عن الشيء فيجيب مسرعا إلى المسألة ولو سئل عنها أهل بدر لأعضلتهم وقال عبد الرحمن بن يحيى عن الأسود وغيره من العلماء أن علم الأحكام والفتوى كانت الولاة يقومون به وترجع العلماء إليهم فيتم ضعف الأمر وعجز الولاة عن ذلك ليسلم إلى الدنيا واشتغالهم بالحروب فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين في الجوامع فكان الأمير إذا جلس في المظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان ترجع إليهما في القضاء والأحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من يتعلم علم الفتوى ثم القضاء ليستعين الولاة على الأحكام والقضاء حتى كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة ثم خلق أمر من بعد حتى تركت الولاة الاستعانة بالعلماء ومما يدل على ذلك حديث ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العاشد

حيث كتب إلى ابن مسعود عقبة بن عمرو ألم أخبر أنك تفتي الناس ولست بأمير ولا مأمور وحديث ابن عامر
الهوزني قال حججت مع معوية رضي الله عنه فلما قدمنا مكة حدث برجل يعظ ويفتي الناس مولى لبني مخزوم
فأرسل إليه معوية فقال أمرت بهذا فقال لا قال فما حملك عليه قال نفتي ونتشر علما عندنا فقال لقد سبقت
إليك قبل من تأتي هذه لقطعت منك طمعا ثم تهاه ولم يكونوا يقولون ذلك في تعلم علم القلوب وعلوم اليقين
بل قد كتب عمر إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تشتهون من المطيعين فإنه تجلى لهم أمور صادقة وقد جاء في
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فإنه
يلقى الحكمة وقد كان عمر رضي الله عنه يجلس إلى المريدين ويستمع منهم وقال بعض أصحاب الحديث رأيت سفيان
الثوري حزينا فسألته وهو بمرأى منا الآمتجر الأبناء الدنيا قلت وكيف قال لن منا أحدهم حتى إذا عرف
بنا وجعل عنا جعل غلاما أو خلجا أو فهرمانا ويقول حدثني الثوري وقال الحسن رحمه الله يتعلم هذا
العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ الله بهم العلم على الأمة إبلا يضيع وقال المأمون
لولا ثلث لحربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا طلب الرياسة لذهب
العلم فهذا كله وصف علماء أهل الدنيا وأهل علم الألسنة فأما علماء الآخرة وأهل المعرفة واليقين
فإنهم كانوا يهربون من الأمراء ومن أبنائهم وأشياعهم من أهل الدنيا وكانوا ينتقصون علما
الدنيا ويطعنون عليهم ويتركون مجالستهم ولم يكونوا إذا سئل أحدهم عن مسألة من القرآن أو علم اليقين
والإيمان يحمل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فهم أهل
الذكر لله عز وجل وأهل التوحيد بالله وأهل العقل عن الله ولم يكونوا يتلقنون هذا العلم درأسه من الكتب
ولا يتلقاه بعضهم عن بعض بالألسنة إنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات فكان أحدهم ينقطع إلى
الله تعالى ويشتغل به فيستعمله بخدمته بأعمال القلوب فكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون
سواه ولا يشتغلون بغيره فإذا ظهروا للناس وسئلوا ألهمهم الله تعالى ووقفهم وأتاهم الحكمة مبرأة عن الأغراض
الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية وآثرهم بحسن توفيقه أن ألهمهم حقيقة العلم
وأطلعهم على مكنون السر حين أثروه بالخدمة وانقطعوا إليه بحسن المعاملة فكانوا يجيبون عما يسألون بحسن
أثره الله لهم وجميل أثره عندهم فتكلموا بعلم الفدية وأظهروا وصف الحكمة ونطقوا بعلوم الإيمان وكشفوا
بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذي بين العبد وبين ربه وهو الذي يلقاه ويسأله عنه ويبتليه

عليه وهو ميزان جميع الأعمال وعلى قدر علم العبد به ترجح أعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله من
المقربين لأنه لديه من الموقنين فهم أهل الحقائق الذين وصفهم علي رضي الله عنه وفضلهم على الطلائق فقال
في وصفهم القلوب أوعيه وخيرها أوعاها والناس ثلثة عالم ربان ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم
يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان الله به بكسبه
الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه منفعة المال تزول بزواله
مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم نقش الصدر وقال ها إن ها هنا علما جما لو
أصبت له حملة بل أصبت له لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله
على أوليائه ويستظهر بحجج الله تعالى على خلقه أو منقادا لحملة ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من
شبهة لا بصيرة له ليس من رعاة الدين في شيء الا ولا ذاك الا مفتون منهوم باللذة سلس القياد في طلب
الرزق منقاد لهواه أكثر شبههم بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه بل
لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته فكم وأين
أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق اليقين فاستلانوا ما استوعر
المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك
أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إليهم فمنه كلها أوصاف
علماء الآخرة وهذه نعوت علماء الباطن وعلم القلوب لا علم الألسنة وكذلك وصفهم معاذ بن جبل في
حديث زجان جيوة عن عبد الرحمن بن غنم قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلم صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب
في الخلوة والدليل على السراء والضراء والزين عند الأخلاء والقرب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع
الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وتؤمن أعمالهم ويقتدى
بفعالهم وينتهي إلى آرائهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم حتى كل رطب ويابس يستغفر لهم
حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حيوة القلوب من العماء ونور

الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف بلغ به البعد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يزهد وبه يتورع وبه توصل الأرحام العلم أمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء فهذا أيضا أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن وقد كان من أفضل الأمراء بعد الخلفاء عمر بن عبد العزيز فحدثونا عن زكريا بن يحيى الطائي قال حدثني عمي زحر بن حبين أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن رحمه الله أما بعد فاشر على بقوم أستعين بهم على أمر الله فكتب إليه أما بعد فإن أهل الدين لن يريدوك وأهل الدنيا لن يعدلوك ولن يرضوا عنك بالاشتراف فإنهم يصوبون شر قولهم أن يريدوه بالجبابرة والسلم وقد كان الحسن تكلم في بعض علماء البصرة ويذمهم وكان أبو حازم وربيعة الرأي يذمان علماء بني مروان وكان الثوري وابن المبارك وأيوب وابن عون تكلموا في بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل وابن هبيرة بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا تسمية المتكلم فيهم لأن السكوت أقرب إلى السلامة وكان بشر يقول حدثنا بابا من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي وقد كان سفيان الثوري إمامه من قبله يقول لأهل علم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقال ابن وهب ذكر طلب العلم عند مالك فقال إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي ومن حين تمسي إلى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وقال أبو سليمان الداراني إذا طلب الرجل أو تزوج أو تاجر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا فأما ما علم الإيمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن حسن الإسلام مؤمن وهو مقامه مع الله وحاله بين يدي الله ونصيبه منه في درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله والإيمان به قرينان لا يفترقان فإن العلم بالله هو ميراث الله به يستبين المريد من النقصان لأن العلم ظاهر الإيمان يكشفه ويظهره والإيمان باطن العلم يهيجه ويشغله فالإيمان مدد العلم وبصره والعلم قوة الإيمان ولسانه وضعف الإيمان ومريضه وقوته ونقصه بمزيد العلم بالله ونقصه وبقوته وضعفه وفي وصية لقمان لابنه يا بني كما لا يصلح الزرع إلا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة من المعرفة واليقين من الإيمان كمثل النشاء من الدقيق من السويق من الحنطة الحنطة تجمع ذلك كله كذلك الإيمان أصل ذلك كله والمشاهدة أعلى فروعه كما أصل هذه المعاني وانشاعلى فروعها فهذه المقامات موجودة في أنوار الإيمان بدؤها علوم اليقين إن

المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع في الإسلام وهو أنهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الإيمان ومعرفة العيان في المشاهدة وهو عين اليقين وأما المشاهدة أيضا فعلى مقامين مشاهدة استدلال ومشاهدة دليل فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع لسانها القول والواجل بها واجد بعلم وعنها علم اليقين من قوله عز وجل بنبأ يقين الى وجف فهذا العلم قبل الوجد وهو مشاهدة السمع وقد يكون سببه العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين أي جالسوا الموقنين وأسمعوا منهم علم اليقين لأنهم علماؤه وأما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد لربه وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين من قوله فوجدت بين دفاها بين تندتي فعلمت ما بين السماء والأرض فهذا العلم بعد الوجد وهذا يتولاه الله بنوره عند بقائه وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء هم علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب والمقربون وعلم الظاهر من علم الملك وهو من علم أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم من أصحاب اليمين وجاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال أخبرني بجبلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتوره الشك في أمور فقال معاذ ليحيط شركه عمله قال فأخبرني عن رجل قليل العمل كثير الذنوب إلا أنه قوي اليقين فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحط شك الأول عمله ليحيط يقين هذا الذنوب كلها قال فأخذ معاذ بيده وقام قائما وقال ما رأيت أفقه من هذا وروينا في معناه قيل يا رسول الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ومجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي إلا وله الذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم وتفكر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة إن شاء الله وفي حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يعمل الرجل الضعيف من العمل إذا كان مستيقنا أفضل من عمل القوي الضعيف في يقينه ومن ضعف يقينه تغلبه المحقرات من الآثام وقد كان يحيى بن معاذ يقول ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أجرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره والعالم به حبر وهو مقام الصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا في

الأربعة

الدنيا

الحديث

فتفكر

الخبر فالعالم به مخبر ومسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الأبرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك كما قال
وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وقد يضعف هؤلاء لعدم الأسباب ونقصان العادة ويقوون بوجودها
ويحجبون بنظرهم إلى الوسائط ويكاشفون بها ويجعل مزيدهم وأنسهم بالخلق ويكون نقصهم وخشيتهم
بفقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلوين الأشابيه وتغيرها عليهم ۝ المقام
الثالث من اليقين يقين ظن يقوي بدلايل العلم والخبر وأقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله
تعالى والنصيب بهم ويضعف بفقد الادلة وصمت القايلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا في المعقول
وهو يقين المتكلمين في علوم المسلمين أهل النظر وعلوم العقل والقياس والنظر وكل موقن بالله فهو على
علم من التوحيد والمعرفة به ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء ايمانه وقوته وايمانه
على معنى معاملته وزيادته فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا مخصوص للمقربين في مقامات قربهم
ومجاداتهم ومحاسنهم ومأوى أنسهم ولطيف تملقهم وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعد الاقرار وقد قال السلوك
وهذا العموم المؤمنين وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا العموم اصحاب اليمين وبين هذين مقامات
لطبقات من أعلى طبقات المقربين إلى أوسط المقامات ومن أدنى طبقات اصحاب اليمين إلا أعلاها أواسط الأبرار ۝

تفضيل علوم الصمت وطريق الورع عن فضول العلم

روينا في اشتهار العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قايمة ولا أدري وعن الشعبي قال لا أدري نصف العلم يعني انه الورع
وكان الثوري يقول انما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل أحد يحسنه يعني ان التورع والوقوف في
الأمور هو سيرة المؤمنين وان لم يكونوا علماء لان الورع هو الجزم عن الاقدام والجموم على الشبهات والوقوف عند
المشكلات سكون وسكوت واليقين هو الاقدام على الشيء ببصيرة وتمكين والقطع بالامر على علم وخبر
فهذه صفة العلماء الموثوق بعلمهم لاحسنه سواهم ولانه اذا قال لا أدري تورعا فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله
من الثواب بمنزلة من درى وقام بحاله وعمل بعلمه فاظهره فلذلك كان لا أدري نصف العلم كما قال علي
رضي الله عنه لابنه محمد بن الحنفية وقد مه أمامه يوم الجمل ومعه الراية وجعل يقول أقدم أقدم ومحمد
يتأخر وهو يلزه بقايم الرمح فالتفت اليه محمد فقال هذه الفتنة المظلمة العمياء فوكزني على رضي الله عنه بنجمة
وقال لا أم لك أتدري فتنة أبوك سابقها وقايدها فليس من لا يدري كمن درى ۝ وقال محمد بن علان وعلي بن

الحسين إذا أخطأ العالم لا أدري فقد اصيبت مقاتله وقال مالك والشافعي هكذا واعلم ان من عمل بعلم
أو نطق به فأصاب الحقيقة عند الله تعالى فله أجران أجر التوفيق وأجر العمل وهذا مقام العارف ومن نطق بجهل
أو عمل به وأخطأ الحقيقة عند الله فعليه وزران وهذا مقام الجهال ومن قال أو عمل بعلم وأخطأ الحقيقة فله أجر
لأخذه بعلم وهو مقام علماء الظاهر ومن قال أو عمل بجهل وأصاب الحقيقة فعليه وزر واحد ليترك طلب العلم وهو
مقام جهلة العابدين وقال بعض العلماء العلم علمان علم الأمراء وعلم المتفقهين والمعرفة وقال الله تعالى في وصف
علم المؤمنين وذكر علم الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فجعل المؤمنين علما
فدل ان العلم والايمان لا يفترقان والواو ها هنا عند أهل اللغة للمدح لا للجمع والعرب اذا مدحت بالأوصاف
أدخلت الواو للمبالغة فقال فلان العاقل والاديب العالم ومثل ذلك قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم
والمؤمنون ثم قال تعالى والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون هم الراسخون والمقيمون والمؤتون
كله نعت المؤمنين الراسخين في العلم ولذلك انتصب قوله والمقيمين لأنه مدح والعرب تنصب وترفع
بالمدح ومعناه قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به فوصف العلما بالايمان كما وصف الموقنين بالعلم
ولذلك قال وبالآخرة هم يوقنون وقال الذين أوتوا العلم والايمان ومن هذا جاء حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم امتي على
طبقات كل طبقة أربعون عاما فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والايمان والذين يلونهم إلى الثمانين أهل البر
والتقوى والذين يلونهم إلى المايه وعشرين أهل التواصل والتراحم فقرن العلم بالايمان وقدمهما على ساير
الطبقات وقرن الله تعالى الايمان بالقرآن وهو علم كما قرن القرآن بالايمان وهو فقال سبحانه بل هو
في قلوب الذين أوتوا العلم وايدهم بروح منه قيل القرآن وتكون الهاء عايدة إلى الله عز وجل في أكثر الوجوه كما قال تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء فأهل الايمان هم أهل القرآن وأهل
القرآن هم أهل الايمان وأهل الله تعالى وخاصته وقال الهندي لسفين بن حسين لما دخل عليه وكان أحد
العلماء أعالم أنت فسكت فاعاد عليه فسكت فقيل له أجب أمير المؤمنين فقال سألني عن مسئلة لا جواب لها
ان قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله تعالى كنت كاذبا وان قلت أني عالم كنت جاهلا وروي عن أبي جعفر
الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلما قال من لم يخش الله ليس بعالم أما ترى
أن داود قال ذلك قال يا رب جعلت العلم خشيتك والايمان بك الكلمة فما علم من لم
يؤمن بك وسمى عبد الله بن رواحة العلم ايمانا فكان يقول لاصحابه تعالوا نؤمن ساعة فتذاكرون بينهم علوم

الإيمان وقد جعل الله للمؤمن سمعا وبصرا وقلبا وهذه طرائق العلم الذي يوخذ العلم منها ويوجد فيها وهي
أصول العلم والنعم التي أنعم الله تعالى على الخلق بها وطالبهم بالشكر عليها فقال تعالى والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون فأثبت العلم بها بعد
النفي له وقال تعالى في وصف من لم يؤمن ونفي العلم به بالعلم بها فقال وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم
أمن الآيات أعمى عنه سمعه وبصره وقلبه فكانت طرق العلم اليه وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن
السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ولولا أن العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى عما لا يعلم هذه
الأشياء ففي النهي عن قفو ما لا علم لهذه الأواسط وبتبعه إثبات العلم بها فكل مؤمن فهو ذو سمع وبصر وقلب وكل
ذي سمع وبصر وقلب فهو عالم بفضل الله ورحمته ومما فضل الله به هذه الأمة على سائر الأمم وخصها به ثلثة
أشياء تبقيه الإسناد بينهم بأثر خلف عن سلف متصلا الى صاحب الشرع نبينا محمد صلى الله عليه وإلى من خلا من
علمائنا وإنما كانوا يستحون الصحف كلما اختلفت صحيفة جردت فكان ذلك أثره العلم بينهم والثانية حفظ
كتاب الله عز وجل عن ظهر قلب وإنما كانوا يقرؤون كتبهم نظرا ولم يحفظ جميع كتاب أنزله الله تعالى فظ غير كتابنا
هذا الا ما ألهمه الله عز وجل من التوراة بعد ما كان أحرق جميعها بخت نصر بالقدس فلذلك قال ربط من اليهود ادعوا
انه ابن الله تعالى عن ذلك لما خصه الله به من حفظ التوراة والثالثة أن كل مؤمن من هذه الأمة سئل عن الإيمان
ويسمع قوله ويوخذ من آيه وعلمه مع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم إلا من أكابرهم الأحبار والرهبان
والقسيسين لا غيرهم من الناس وزادهم رابعة على أمة موسى ثبات الإيمان في قلوبهم لا يعتوره الشك ولا يخالطه الشرك
مع تقلب القلوب في المعاصي وأمة موسى عليه السلام كانت تنقلب قلوبهم في الشرك والشك كانقلاب الحوائج في
المعاصي فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة بعد رؤيه الآيات العظام وهلان عدوهم مشاهدة في الغرق ٥
وروينا في بعض الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة من السماء يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في
من بعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين تخلقوا
لي بأخلاق الصالحين اظهر العلم من قلوبكم حتى يعطيكم ربكم وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا
حتى تعملوا بما قد علمتم وقد قيل من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم حتى قيل من يعمل بعشر ما يعلم ورثه الله
علم ما يجهل وعن حذيفة بن اليمان انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ويأتي بعدكم زمان من عمل فيه
بعشر ما يعلم نجا هذه لقلة العاملين وكثرة البطالين ومن أحسن ما سمعت في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا

عليكم لباسا يواري سوآتكم قيل العلم وريشا قيل اليقين ولباس التقوى قيل الحياء وروينا عن وهب بن
منبه في معناه الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وروينا مسندا وقال مسعر
عن سعيد بن ابراهيم وسأله سائل فقال أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله وقال بعض العلماء لو قال
لي قائل أي الناس أعلم لقلت أورعهم ولو قيل لي أي أهل المدينة خير لقلت تعرفون أنصحهم فإن قالوا نعم
قلت هو خيرهم وقال آخر لو قيل لي من شر الناس لأخذت بيد القاضي فقلت هذا ولو قيل لي من أحمق الناس
لأخذت بيد القاضي وقلت هذا وقال سبحانه وتعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واسمعوا
واتقوا الله وقولوا قولا سديدا فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوى وهي
الله تعالى لأولنا وآخرنا إذ يقول تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا
الله وهذه الآية قطب القرآن عليها مدارها كما إن الرجا مدارها على قطبها وروينا عن عيسى عليه السلام
كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من أهل العلم من
يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به وقد قال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض
إلا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا
الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا الآية فأما الحديث الذي فيه فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية قال هم
أهل الجدل الذين عنى الله بالآية فاحذروهم وعن بعض السلف كون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل
وهم علما ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي في قوم يلهمون
الجدل وروينا عن بعض العلماء إذا أراد الله تعالى بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا
أراد الله به شرا فتح عليه باب الجدل وأغلق عنه باب العمل وفي الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وسلم
أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم وروينا في الخبر الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان
شعبتان من النفاق وفي بعضها مفسرا العي عي اللسان لا عي القلب والخبر الآخر قال ان الله يبغض
البليغ من الرجال الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة الكلا بلسانها وهو الحشيش
الرطب وعن ابن مسعود انكم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه
المثبت يعني ليبان الحق واليقين في القرن الأول ولكثرة الشبهات بالالتباس في مثل زماننا هذا
وقال مالك ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يلقيه الله في القلب وكان أحمد بن حنبل يقول

العلم انما هو ما جاء من فوق يعني الهاما عن غير تعليم وكان يقول علما أهل الكلام زنادقة ففي هذا الخبر دليل لان احدهما انه يندب به طلب فضول العلم الذي لا نفع فيه في الآخرة ولا قربة في طلبه والثاني ان العلم المفضل المندوب اليه إنما هو الذي يقتضي العمل لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل من غير علم ولا يكون طلب علم إلا للعمل ألم تسمع الى قوله عليه السلام في خبر آخر فضل من علم أجنبي من فضل من عمل وخير دينكم الورع وقد رويناه في خبر أن الشيطان انما سبقكم بالعلم قالوا وكيف يسبقنا بالعلم قال يقول لأحدكم العمل قبل أن تتعلم فلا يزال للعلم طالبا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل شيئا

باب بيان أحرى فضل العلم الباطن على غيره

ومما يدلك على أن العلم الذي فضله العلماء وعظموا ذكره ووصفوا العلم ومدحوه به وجاءت بفضله الآثار وندب اليه وفضل أهله في الاخبار إنما هو العلم بالله الدال على الله الرادّ إليه الشاهد بالتوحيد له من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة دون سائر علوم الفتوى والاحكام انهم يقولون من علم علمه ويذكرون العمل بالعلم ويضعون حملته بالخشية والخشوع والزهد والورع لان هذا انما هو علم الباطن لا علم الالسنة الذي يكون فيه العمل وتنأى عنه المعاملات من أعمال الإيمان مثل أعمال القلوب التي هي مقامات اليقين وصفات المتقين ومثل أعمال الجوارح من الصالحات التي هي مزيد الايمان والذين أدبهم اهل الفقر والزهد وذوو التوكل والخوف واصحاب الشوق والمحبة وليس يعنون أن يكون الانسان اذا علم الاحكام والقضايا عمل بها والتزم الدخول في احكامها ليعامل بها مثل أن يطلب القضاء فيقضي بين الناس اذا كان عالما به ويقتني المال ويدخل في البيع والشراء اذا كان عالما بالزكوات والمبايعات وتزوج ويطلق لانه عالم بالنكاح ليكون بهذه الأشياء عاملا بعلمه وهذا ما قاله احد بل قد روي في كراهة ذلك وذمه ما يكثر ذكره وأهل هذه العلوم موصوفون بالرغبة في الدنيا والحرص على جمعها وملابسون للامراء معاملون لهم فبطل أنهم هم المعنيون بالعلم الموصوفون بالخشوع والزهد ومثل ذلك أيضا تفضيل جمهور السلف العلم على العمل وقولهم ذرة من علم أفضل من كذا وكذا من العمل وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد وحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والخبر المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس

ومسعود عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وكذلك قيل في موته أجب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل من علم أحب الي من فضل من عمل وخير دينكم الورع إنما يعنون بذلك العلم بالله أفضل من العمل لله لأن العلم بالله وصف من الإيمان ومعنى من اليقين لا يعادله شيء وما نزل من السماء أعز منه ولا يصح عمل ولا يتقبل إلا به وآلة معيار العلماء كلها وعليه وزنه ثقيل الأعمال وتخف وتزكوا وتنقص كما قال سبحانه ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأكان العابد منه إلى الربوبية فهو أفضل والعمل وصف العامل وحكم العبودية لانهم يعنون ان العلم الفتوى والاحكام والقضايا التي هي أملك للخلق عابده عليهم أفضل من معاناة الاب القلوب التي هي عين معاينة اليقين الذي هو مقام المقربين هذا لا يقوله أحد وروينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاء به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاء به الرسل انظر كيف جعل العلم دالا على الله تعالى كالجهاد وكذلك جاء في الخبر اول من يشفع الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفي الخبر الآخر للأنبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين وقد قال ابن عباس في قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال يرفع العلماء درجات فوق الذين آمنوا بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وقال ابن مسعود لما طعن عمر رضي الله عنه إني أحسب انه قد ذهب بتسعة أعشار العلم قيل له تقول هذا وفينا حلة الصحابة قال ليس أعني العلم الذي تريدون انما أعني العلم بالله تعالى فجعل العلم بالمعلوم مائة غير حقيقة العلم وفضل العلم بالله بتسعة أعشاره وليس يريد العلم الظاهر على الأعمال كثير زيادة انما هو من الأعمال الظاهرة لانه صفة اللسان ولانه للموت من المسلمين فأعلى مقاماته الإخلاص فإن فاتهم فهو دين كثير من الشهوات والاخلاص هو أول حال العالم بالله عز وجل بالعلم الباطن ولانهاية لمقاماتهم الى أعلى مقامات العارفين ودرجات الصادقين جعلنا الله منهم

ذكر الفرق بين علم الدنيا وعلم الآخرة ومدح علم الآخرة وذم علم السوء الآكلين بعلومهم الدنيا

فرقت العلماء بين العلم بالله وبين العلم بأمر الله تعالى وبين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال الثوري العلماء ثلثة
عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل وعالم بالله تعالى غير عالم بأمر الله فذلك التقي الخايف لله وعالم بأمر
الله تعالى غير عالم بالله فذلك العالم الفاجر وقيل أيضا عالم بالله وهو العامل بعلمه وعالم بأيام الله وهو
الخايف الراجي وسئل الثوري عن العلم ما هو فقال هو الورع فقيل وأي شيء الورع فقال طلب العلم
الذي يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وما هو كذلك ان المتكلم العالم أفضل
عندنا من الصامت وروينا عن لقمن في وصيته للعلم ثلث علامات العلم بالله وبما يحب الله وما يكره فجعل
حقيقة العلم دليل وجود هذه الثلث ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة كل عالم العلم
إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم إلا العلماء بالله فانهم يعرفون بسيماهم الخشوع
والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله لأوليائه ولبسة العلماء به ومن أحسن من الله صبغة
فمثلهم في ذلك كمثل الصناع اذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرف لم يعرف صناعته دون سائر الصناع
ولانه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه اذ صارت له لبسة وصفة لا لتباسها بمعاملته فكانت سيماه
كما قال ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خضوع في سكينة هي لبسة الأنبياء وسيمة الصديقين فاعلم
التأم لطيف ما يحب الله تعالى وخفي ما يكره اهل القلوب الفاقهة عن الله تعالى وهم العارفون به وقد كان
سهل يقول العلماء ثلثة عالم بالله وعالم لله وعالم بحكم الله يعني العالم بالله العارف الموقن والعالم لله هو
العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمهلكات والعالم بحكم الله هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فسرنا
ذلك عن معاني قوله ومعرفة مذهبه وقال مرة في كلام أبسط من هذا عالم بالله لا بأمر الله وعالم بأيام
الله وهم المؤمنون وعالم بأمر الله لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وعالم بالله عالم بأيام الله وهم
السيدون يعني قوله بأيام الله بنعمه الباطنة وبعقوباته الغامضة ثم قال الناس كلهم موتى الا العلماء
والعلماء نيام الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم حتى ينظروا بما ختم لهم
على كل حال وقال مرة أخرى الدنيا كلها موات الا أهل العلم والعلم كله حجة على صاحبه الا العمل
والعاملون على شفا الهلاك الا المخلصين والمخلصون على خطر حتى ينظروا بما ختم لهم وروي عن عمر رضي الله عنه
وغيره وكم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من العباد وعنه أيضا وجاهد
اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون وعنه أيضا تعلموا العلم وتعلموا للعلم

التكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم
بجهلكم وروينا عن علي وابن عباس وكعب الحبر يكون في آخر الزمان علماء يهدون في الدنيا ولا يهتدون
ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة ويأكلون الدنيا بالدين فيهم
أكالا يقربون الأغنياء ويبعدون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير الرجال على النساء يغضب أحدهم
على جليسه اذا جالس غيره ذلك حظهم من العلم وفي حديث علي علماؤهم شر الخليقة منهم بدأت
الفتنة وفيهم تعود وفي حديث ابن عباس أولئك الجبارون أعداء الرحمن وروينا عن علي رضي الله عنه
ما قطع ظهري في الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما
يرون من فجوره والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته لما يرون من نسكه وقد قال صالح بن حيان
البصري أدركت المشيخة وهم يتعوذون من العالم الفاجر الجاهل في دينه عالم بالسنة وقال فضيل بن
عياض انما هما عالمان عالم دنيا وعالم آخرة فعالم الدنيا علمه منشور وعالم الآخرة علمه مستور فاطلب علم
الآخرة واحذر علم الدنيا لا يصدنك بسكره ثم قرأ ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس
بالباطل والاجتهاد العلماء والرهبان الزهاد وقال سهل طلاب العلم ثلثة فواحد يطلب علم الورع لمخافة
دخول الشبهة عليه فيدع الحلال خوف الحرام فهذا زاهد متق وآخر يطلب علم الاختلاف والأقاويل
فيدع ما عليه مما أباح الله له بالسعة ويأخذ بالرخصة وآخر يسأل عن الشيء فيقال له هذا لا يجوز فيقول
كيف أصنع حتى يجوز لي فيسأل العلماء فيخبرونه بالشبهة والاختلاف فهذا يكون هلاك الخلق على
يديه وأهلك نفسه وهم علماء السوء وكل محب للدنيا ناطق بعلم ما فاته فانه أكل للمال بالباطل وكل من
أكل أموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لا محالة وان لم يظهر ذلك في مقاله ولكن يعرف في
لحن قوله معناه بدقايق الصد عن مجالسة غيره وبلطايف المنع من طرقات الآخرة لأن حب الدنيا وغلبة
الهوى يحكمان عليه بذلك شاء أم أبى وقال بعض العلماء ان الله تعالى يحب العالم المتواضع ويبغض
الجبار من العلماء ومن تواضع لله وزنه الله الحكمة وفي الخبر رواه ابن مسعود ان الله ليمقت الجبس السمين
وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الصيف حبر من أحبار اليهود فقال أنشدك الله تعالى ألم
تجد فيما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام ان الله تعالى يبغض الحبر السمين وكان ابن الصيف سمينا
فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء ففيه نزلت هذه الآية تعريفا لبهتته قل من أنزل

الكتاب الذي جاء به موسى فقال له أصحابه ذلك ما ذا قلت حدثت كتاب موسى فقال انه محبتي فقلت ذلك
وبقال ما أتى الله عبدا علما إلا أتاه معه حلما وتواضعا ورفقا وحسن خلق فذلك علامة العلم النافع
وقد روينا في معناه في الأثر من أتاه الله عز وجل زهدا وورعا وحسن خلق فهو إمام المتقين وكذلك جاء عن
الحسن وغيره الحلم وزين العلم والرفق أبوه والتواضع شبيه به وفي أخبار داود عليه السلم ان الله أوحى
اليه يا داود لا تسئل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع طريق عبادي
المريدين يا داود ان أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود اذا رأيت
لي طالبا فكن له خادما يا داود من زدني هابة كتبته عندي جهبذا ومن كتبته عندي جهبذا لم أعذبه
ابدا وروينا عن عيسى عليه السلم أنه قال مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب
الماء ولا تترك الماء يخلص إلى الزرع كذلك علماء السوء قعدوا على طريق الآخرة فلا هم ينفذوا ولا تركوا
العباد يسلكون إلى الله عز وجل ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها حص وباطنها نتن ومثل
القبور المشيدة ظاهرها عمر وباطنها عظام الميت وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة من
العلماء فقد تعرب إلى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والأرض وكان الأوزاعي يرى رأي بلال بن سعيد
انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطي والعون فيستعيذ بالله منه وممقته وينظر الى عالم الدنيا قد
تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة ولا يمقته هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وكان سهل
بن عبد الله يقول لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا الا مشورة العلماء تحمدوا العافية عند الله تعالى قيل يا
أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله على نفوسهم وقد قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وشاورنا في أمورك الذين يخافون الله وروينا في الاسرائيليات أن الحكماء
الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف الحكمة فأوحى الله تعالى الى نبيهم أن
قل لفلان أن قد ملأت الأرض نفاقا ولم ترد في شيء من ذلك وانى لا أقبل من نفاقك شيئا
قال فأسقط في يده وحزن فترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع
في نفسه فأوحى الله الى النبي قل له الآن وافقت رضاي قد رضيت عنك وقال بعض العلماء كان أهل
العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فأما عالم العامة فهو المفتي في الحلال والحرام وهم أصحاب
الأساطير وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم المعرفة والتوحيد وهؤلاء أصحاب الرموز يا

أهل

المنفردون وقد كانوا يقولون مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغرف منها ومثل بشر مثل بئر عذبة
مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وقال حماد بن زيد قيل لأيوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى قال
العلم فيما كان قبل اليوم والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون فلان عالم
وفلان متكلم وفلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما وكان أبو سليمان يقول المعرفة الى السكوت
أقرب منها الى الكلام وقال بعض العارفين هذا العلم على ضربين نصفه صمت ونصفه تدبر اتق
تصفه وقال آخر نصفه وجد ونصفه نظر يعني تفكر واعتبار وكان سفين قد سئل عن العالم من هو فقال من يضع
العلم في موضعه وهو في كل شيء حقه وقال بعض الحكماء اذا كثر العلم قل الكلام وقال بعض
شيوخنا قلت للجنيد يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب فقال كثير فقلت يكون قلب بلا لسان فقال نعم
يكون ولكن لسان بلا قلب بلاء وقلب بلا لسان نعمة قلت فاذا كان لسان وقلب قال ذلك أزيد
بالبرهان وقد روينا حديثا حسنا مقطوعا عن سفين عن ملك بن معول قيل يا رسول الله أي العمل
أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا بذكر الله تعالى قيل فأي الأصحاب خير قال صاحب اذا ذكرت
اعانك وان نسيت ذكرك قيل فأي الأصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فأي
الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيار نا قال الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فأي
الناس شر يا رسول الله قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقد وصف علي
الله عنه علماء الدنيا الناطقين عن الرأي والهوى بوصف غريب رواه خالد بن طليق عن ابيه عن جده
عمران بن حصين قال خطبنا علي بن ابي طالب رحمه الله فقال يا متى ذهبنه وأنا زعيم لا يهبج على التقوى
زرع قوم ولا يظمأ على الهدى صبح أصل وان أجمل الناس من لا يعرف قدر نفسه وكفى بالمرء جهلا
أن لا يعرف قدره وان أبغض الناس الى الله رجل قمش أغانا في اغباش الفتنة عمي عما في غيابات الهدنة سماه
أشباه الناس ورذالهم غالما ولم يغن في العلم يوما كاملا فكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى
اذا ارتوى من أجل وأكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به
احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري
أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على علم بضرس
قاطع فيغنم بتكي منه الدما وتصرخ منه المواريث وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملي

قمش ابي غوغاء
وغباش جمع غبش وهو
بقية الظلام اخر الليل
استعير هاهنا للفتنة
وغيابات جمع غيابة قعر الجب
الله اعلم

بالله بأضداد ما ورد عليه ولاهو أهل لما فرط به أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام حيوة الدنيا
ثم وصف رضوان الله عليه عالما الأخير في حديث كميل بن زياد الذي يقول فيه الناس ثلثة عالم ربانى
يعني عالم بأوصاف الربوبية فنسبه إلى ربه كما سماهم الله في قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب الآية فسمى العالم بكتابه ربانيا والدارس له فهذا قد جمع له العلم والعمل وكذلك يقال للعالم الذي هو
ويعلم الناس الذي يعلم ويعمل الناس خيرا قال فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء وقال تعالى في تسميتهم بذلك لولا ينهاهم
الربانيون والأحبار فقدم الربانيين على الأحبار وهم علما الكتاب وكذلك رويناه عن مجاهد قال
الربانيون فوق الأحبار بدرجة وقال غيره والأحبار فوق الرهبان بدرجة يعني علما القلوب أرفع من علماء
الألسنة والعلما بالكتاب أفضل من العباد بدرجة وكذلك ضمهم الله تعالى إلى أنبيائه في قوله
وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير ثم وصفهم بالثبات لأمر الله تعالى والقوة في دينه والصبر على حكمه
في تمام الآية والربيون جمع ربي يقال ربي وربانى فجمع ربي ربيون وجمع ربانى ربانيون وكذلك جاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة الأنبيا ثم العلما ثم الشهدا فقدم العلما على الشهداء لأن العالم
إمام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه وفي خبر آخر جبر العلماء يوزن بدم الشهداء فيرجح مداد
العلماء على دماء الشهداء فأعلى حال الشهيد دمه وأدنى وصف العالم حبره فسوى بينهما وزاد العالم على
الشهيد بأعلى مقامه وكان علي عليه السلم يقول العالم أفضل من الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله
وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شئ ما طرد الليل النهار موت العالم ثم طمس وموت قبيلة
أيسر من موت عالم ثم قال عليه السلم في حديث كميل ومتعلم على سبيل نجاة يعني مريدا طالبا للعلم متعلما من
العلماء بالله على طريق المعاملة وإخلاص يطلب السلامة وأن نجوا من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة
ثم قال رعاع وهم الهمج الفراش الذين تهافت في النار بجهله وأحدته همج رعاع خفيف طياش لا عقل له يشتهي
الطمع ويستخفه الغضب وقال هذا موت العلم موت حامله ثم تنفس عند وصفه الربانيين ثم بكى على علمه
السلم وقال واشوقاه إلى رؤيتهم وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في أول الكتاب فهؤلاء الذين بكى اليهم شوقا هم
الذين اشتاق اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واشوقاه إلى إخواني وددت أني رأيت إخواني قال
إخواني قوم يجيئون بعدكم يحبون سنتي وما أماته الناس ثم وصفهم فبكى وإنما كانوا إخوانه لأنهم
على قلوب الأنبياء وأخلاقهم معاني صفات الإيمان وهم أبدال هذه الأمة جاء في وصفهم هم طبقات

لا خلف منه وقد رويا معناه مسندا ادامات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شئ ش

فمنهم من قلبه على قلب إبراهيم عليه السلم ومنهم من قلبه على قلب موسى وعيسى ومنهم من قلبه على قلب جبريل
وميكائيل وإسرافيل عليهم السلم والأخوة تقع بين الاثنين بالمجانسة وقرب الشبه بالأفعال والأخلاق كما
قال تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا لما كانوا على أفعالهم في القلوب من آثار
الكفر واعتقاد الشرك جعلهم إخوانهم كذلك قال الله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
وهؤلاء فليسوا أمثالهم في الخلقة ولا بينهم أبوة ولا أمومة لأن الشيطان ولد إبليس والمبذرين أولاد
آدم ولكن تشابهت قلوبهم في المواجيد والأخلاق وأخا بينهم التشابه فمن كان من علماء الآخرة فعقله يقتضي
من آثار قلبه وعلمه يقبض من استنباط علمه ومشاهدته وأخلاقه على معاني يقينه وقوته وطريقه
وسلوكه في منهاج سنته وسبيله فهو من إخوانه وإخوان النبيين الذين اشتاق إلى رؤيتهم الرسول عليه
السلم وهم الغربا بين الملاء الذين قال صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغربا
قيل ومن الغربا قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي يعني أنهم يظهرون طريقته وفي لفظ آخر
المتمسكون بسنتي وما أنتم عليه اليوم عند فساد الأمة وفي لفظ آخر الغربا ناس قليلون صالحون بين
ناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم فهؤلاء هم الغربا هم الذين أنعم الله عز وجل عليهم من النبيين
الى قوله رفيقا وقد كان الثوري رحمه الله يقول إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه غلط وقال
إذا رأيت الرجل محبوبا إلى إخوانه محمودا في جيرانه فاعلم أنه مرائي وقد وصف الله تعالى علما السوء بأكل
الدنيا بالعلم ووصف علما الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الآخرة وإن من
أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا
أولئك لهم أجرهم عند ربهم وقد روينا عن ابن عباس عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم علما هذه الأمة
رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان
الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين
ورجل آتاه الله علما في الدنيا فبخل به على عباد الله فأخذ عليه طمعا في الدنيا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيمة ملجما
بلجام من نار ينادي منادي على رؤوس الخلايق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فبخل به على عباد الله وأخذ
عليه طمعا فاشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ حساب الناس وقد حدثونا عن عبيد بن واقد عن عمر بن أبي سليمان

والذين يحيون ما امات الناس من سنتي

محببا

قال كان رجل خادم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى
أثرى وكثر ماله وفقده موسى يوما فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثرا حتى جاءه رجل ذات يوم
وفي يده خنزير في عنقه حبل أسود فقال له موسى تعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير الأسود فقال موسى
إلهي أسألك أن تردده إلى حاله الأول حتى أسأله فما أصابه هذا فأوحى الله إليه لو دعوتني بالذي دعاني به
آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن اجعل لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين ٥
وروينا عن الحسن رحمه الله أنه انصرف يوما من مجلسه فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين
يديه كيسا فيه خمسة آلاف درهم وأخرج من حضنه رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق خراسان
فوضع ذلك بين يديه فقال الحسن ما هذا فقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال له عافاك
الله ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك فقال لم رددت علي كرامتي فقال من جلس مثل مجلسي
هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم ألقمه ولا خلاق له وفي الخبر أن العبد ليشرئب له من
الثناء ما بين بلقا المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم
الآكلون لها بالدين المتذوا الأصدقاء والأخلاء من أنا بهم المذكورون المجنون لهم الشاهرون بالشر
والشاشة عليهم هم معروفون في كل زمان وأضافهم ولحن قولهم وسيماهم وقد رويناه في
مقامات علماء السوء حديثا شديدا نعوذ بالله من أهله ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه وقد رويناه
مرة مسندا من طريق ورويناه موقوفا على معاذ بن جبل قال حدثونا عن مندل بن علي عن أبي نعيم
الشامي عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفته
أنا على معاذ قال من فتنة العالم أن يحب أن الكلام أحب إليه من الاستماع وفي الكلام تمييق
وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا
يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون علمه بمنزلة
السلطان فإن رد عليه شيء من علمه أو تمعر عليه بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار
ومن العلماء من يحمل حديثه وغرائب علمه لأهل الشرف والبنيان فلا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في
الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطإ والله لا يحب المتكلفين
فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغرر به

علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا بين الناس فذلك في
الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وعظ عنف وإن وعظ
أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من
غير عجب أو تمشي في غير أرب وقد رويناه حديثا يدل على أوصاف علماء الآخرة وفيه أصول ما
ذكرنا يدعون الخلق إليه من مقامات الإيمان وأسباب الدين والإيقان ورويناه عن شقيق بن
إبراهيم البلخي عن عباد بن كثير عن ابن الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأوقفه أنا على جابر بن عبد الله قال لا تجلسوا عند كل عالم إلا عند عالم يدعوكم من خمس إلى خمس
من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن
العداوة إلى النصيحة ولا بد للعالم بالله من خمس خصال يمتاز عمده علماء الآخرة أولها الخشية ثم
الخشوع قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات
الله ثمنا قليلا الآية والتواضع وحسن الخلق قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ودليل الزهد مذكور بعد هذا فإذا جمع
العالم تلك التي نعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم لثلاث
على العالم النعمة به العقل والأدب وحسن الفهم وسما يدلك على أن علم اليقين والتقوى
وعلم المعرفة والهدى هو العلم المذكور المقصود عند السلف أن الصحابة والتابعين كانوا
يشفقون من فقد ذلك ويخافون علمه ويخبرون عن رفعه وقلته في آخر الزمان وإنما يعون
بذلك علم القلوب والمشاهدات الذي هو نتيجة التقوى وعلم المعرفة واليقين الذي هو مزيد
الإيمان والزهد وثمرة الهدى فإذا فقد المتقون والتقوى وقل الخائفون وعدم الزاهدون ذهب
العلوم لأنها قائمة بهم موجودة عندهم وهم أربابها والناطقون بها وهي طريقهم وأحوالهم وهم شكلها
والقائمون بها فلأجل معرفة الصحابة والتابعين بعد ذلك كانوا يبكون على فقده وقد وصف
الله العلماء بالزهد في الدنيا والاستصغار لها وبعمل الصالحات الإيمان بها كما وصف أهل الدنيا
بالرغبة فيها والاستعظام لها فقال تعالى في معنى ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ثم قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم

ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يلقى هذه الحكمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا وروينا عن جندب بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا الإيمان والقرآن فازددنا إيمانا وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف القناة ليسوا بخياركم وفي لفظ آخر يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وروينا عن ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي بعض الأحاديث بمعناها كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا القرآن فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلكم حظهم منه وفي لفظ أخر أولئك شرار هذه الأمة فأما العلم المأثور الذي نقله خلف عن سلف والخبر المرسوم بالكتاب المسموع في الصحف الذي نسمعه من غيرنا عمن تقدم فهذا علم الأحكام والقضايا وأما علم الإيمان فطريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزانته العقل وهو مدون في الكتب محبر في الدواوين تلقاه المصغير عن الكبير بالألسنة وسوباق بقاء الإسلام موجود بوجود المتعلمين حجة الله على عباده وحجة العموم من خلقه فضمن إظهاره فلم يكن يظهر إلا بجملة يظهره فقال تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم ظاهر على اللسان فلذلك حجة الله على خلقه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم وأخبر عليه السلم بالعلم الغيب المستودع ظهور الكتب الذي هو ظاهر الدين وفي جملته وعدمه وجود التارك كما ضمن الله بقية الدين على إكراه المشركين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب حامل فقه إلى غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه فقد أخبر أن حامل الفقه قد يكون غير فقيه القلب إذا لم يعمل به وإنه قد يحمله إلى من هو أفقه منه إذا عمل به كما قال في الخبر الآخر رب مبلغ أوعى من سامع فمدحه بالعمل به إذا وعاه فإن الفقه

جواز رواية الصبيان المراهقين لما سمعوه

سمعه قال الله تعالى وتعيها أذن واعية يعني أذن القلب الحافظة ما سمعت الذاكرة لما وعت وروينا لما نزلت هذه الآية قال عليه السلم اللهم اجعلها أذنك علي وقال تعالى في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يعني أصغى بسمعه إلى سامعه وشهد بقلبه ما سمعه من شاهده وقد جاء في تفسير قوله تعالى وتعيها أذن واعية قال أذن واعيه عقلت عن الله عز وجل أمره ونهيه فوعته وعلمت به كما وصف المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم بقوله في تمام وصفهم والحافظون لحدود الله وروينا عن علي بن أبي طالب عليه السلم اطلبوا العلم بغموضه وأهلوا به تكونوا من أهله وقال أيضا إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهجل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقال الخليل بن أحمد ليس العلم ما حوى القمطر إنما العلم ما وعاه الصدر واعلم أنه لا بد للعالم بالله من خمس خصال من علامة الآخرة الخشية والخشوع قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ولا بد له من التواضع وحسن الخلق كما قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال فبما رحمة من الله لنت لهم الآية وقوله وقل الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فمن وجد في نفسه هذه الخصال الخمس فهو من العلماء بالله

ذكر وصف العلم وطريقه والسبب في ذم ما أحدث المتأخرون

اعلم أنه إنما يتبين العالم عند المشكلات في الدين ويحتاج إلى العارف به عند شبهات حبائل الصيد وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود أي الناس أعلم قال الله أعلم ورسوله أعلم فقال أعرفهم بالحق إذا اشتبهت الأمور ووقعت المشكلات وإن كان في علمه تقصير وإن كان يرخص على نفسه وكذلك قال ابن مسعود لا تزالون بخير ما إذا جاءكم في صدر أحدكم شيء وجد من محبرته به ويشفيه منه وايم الله ليوشكن أن لا تجدوا ذلك فقد حصلنا في مثل ما خافه ابن مسعود لأن مشكله لو وردت في معاني التوحيد وشبهه لو اختلجت في صدر موقن من معاني صفات الموحد أردت كشف ذلك على حقيقة الأمر ما يشهد له القلب الموقن وشاهد الصدر الموقن المشروح بالهدى لكان ذلك عندنا في وقتنا هذا ولكنت في استكشاف ذلك بين خشية نفر

مبتدع ضال يخرل برأيه عن هواه فيريدك حيره ويلقيك في مهواة أو متكلم يفتيك بقصور علمه
عن شهادة الموقنين وبقياس معقوله عن ظاهر الدين وهذا شبهه فكيف تتكشف شبهه بشبهة
أو صوفي شاط نايه غالط بحاوذبك الكتاب والسنة لايبالهما ويخالف بقوله الأمة ولا يتجاشاها
فيجيئك بالظن والوسواس والتمويه بالالباس ونحوا الكون والمكان ويسقط العلم والاحكام ويذهب
الأسماء والرسوم وهؤلاء يتاهون مفازة السنة ثم يقعوا على المحجة قد غر قوا في بحر التوحيد لم يجعلوا
أيمة للمتقين ولا حجة وهذا ساقط القول اذ ليس معه حجة ولا هو على سنن المحجة أو مفتي موسوم
بالفقه عند اصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لا تكلم فيه لانا لم نكلفه
وهو في أكثر مناظرته يتكلم فيما لم يكلف ويجادل فيما لم ينطق به السلف ويتعلم ما علمه تكلف
ولا يعلم المسكين انه كلف علم الايمان وصحة التوحيد ومعرفة الاخلاص المعامله وعلم ما
يقدح في الاخلاص ويخرج من جملته قيل ما هو فيه وانه متكلف لبعض ما هو يتقيه
لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية وخلاص الأعمال من الهوى للربوبية
وما تعلق بهما من التفقه في الدين واذا مقتضاه الاقرار والتحرير لقوله تعالى ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ولقوله صلى الله عليه وسلم تعالوا نقعد ساعة
متعلم معكم ويقول الصحابة رضي الله عنهم تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا فهذا
مزيد الهداية بالايقان وهذا زيادة الموقنين في الايمان كما قال فزادهم إيمانا ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى ولا يشعر أن حسن الادب في المعاملة بمعرفة ويقين هو حال العبد بينه وبين
ربه وهو نصيبه ومقامه من ربه وحظه من مزيد آخرته معقود ذلك بشهادة التوحيد الخالصة
المقترنة بالايمان من خفايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن بالفرايض وفرض فرضها المقترن
بالمعاملة وعلم ما سوى هذا مما قد اشتركت قلبه وحجب اليه من فضول العلوم وغرايب الفهوم انما هو
حجاب عن هذا واشتغال عنه لانه حوايج الناس ونوازلهم فاترهذا البابين بقلة معرفة بحقيقة
العلم ما نزل له من طلبه وحجب اليه من مقصده آثر حوايج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل في
انصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتواهم ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلى
لاجل آخرته التي هي خير وأبقى فآثر التقرب منهم على التقرب من ربه وترك الشغل بهم والتفرغ

التحذير

لهم فراغ قلبه لمولاه وشغله بخدمته وتذكر رضاه واشتغل باصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه فكان سبب
ما نال به من حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بمعاني السياسة والرتبة في عاجل الدنيا وعرضها
بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها فافنا أيامه لأيامهم وأذهب عمره في شهواتهم فورد
القيمة مفلسا وعند ما يراه من فوت أنصبة المقربين مبلسا اذ رجع العاملون الرضى وفاز بالقرب
العاملون أنى له ذلك وكيف يصيب غيره وقد جعل الله لكل علم عالما ولكل عمل عاملا أولئك نالهم
نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له بفضل الحساب وايضا فان الامة لم تختلف أن علم التوحيد
فريضة سيما إذا وقعت الشبهات وادخلت فيه المشكلات وانما اختلفوا في مسلكين أي شيء هو
التوحيد وفي كيفية طلبه والتوصل اليه فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول الاستدلال
والنظر ومنهم من يقول بالتوقف والتسليم والرجل الخامس هو صاحب حديث وأن يقول لك اذا
سألته اعتقد التسليم وامر الحديث كما جاء بلا تفتيش وهذا يتلوا العامي في السلامة وهو احسنهم
طريقة وأشبههم سلف العامة ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رواه ولا هو مشاهد
واصف لمعنى ما نقله انما هو للعلم راية وللاثر والخبر ناقله عن غير خبرة ولا فقه فيما نقله
وقد كان الزهري يقول حدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالما وكان
مالك بن انس يقول أدركت سبعين شيخا من التابعين منهم عبادو منهم مستجاب الدعاء ومنهم
يستسقى ما جلت عنهم علما قط قيل ولم ذاك قال لم يكونوا يدرون ما يجرون به ولم يكن لم فقه فيه
قال وتقدم علينا ابن شهاب وهو حدث السن فنزدحم عليه حتى لا نصل اليه لانه كان عالما بما
يحدث به فهذا معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل
علم الى من هو اعلم به منه وفي حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند مخرج الشهوات ويحب الصمت الخ
ولو على قتل الحيات وقال قتادة وسعيد بن جبير أيضا أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس
وقال غيرهما من لا يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتي ولم يشم عالما وفي النوادر مكتوب
الطبيب الحاذق للعلة الصعبة يصلح وكتب سلمان من المدائن الى أبي الدرداء وكان قد
أخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فمن أخا بلغني أنك اقعدت طبيبا تداوي المرضى

تعالى

لال

ويحب الشجاعة

فانظر إن كنت طبيبا متكلم فإن كان كلامك شفاء وإن كنت طبيبا فالله الله لا تقتل مسلما
قال فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل عن شيء وسأله إنسان فأجابه ثم قال ردوه
فقال له أعد علي فأعاد فقال متطبب والله فرجع في جوابه ولعمري أنه قد جاء عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طبا فقتل فهو ضامن وقد كان ابن عباس يقول سلوا
جابر بن زيد فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحي التابعين وقد كان ابن عمر
إذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن
فإنه حفظ ونسينا وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتينا الحسن فقلنا ألا نذهب إلى هذا الصحابي فنسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
معنا فقال نعم فاذهبوا قال فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى
خرج حديثا قال والحسن منصت يسمع إلينا ثم جثى على ركبتيه فقال يا صاحب رسول الله
أخبرنا بتفسير ما رويت هما حدثتنا به حتى نفقهه فيه فسكت الصحابي وقال ما عندي إلا ما سمعت
قال فابتدأ الحسن يفسر ما رواه فقال أما الحديث الأول الذي حدثتنا به فإن تفسيره كيت
وكيت والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الأحاديث كلها كما حدثنا بها
وأخبرنا بتفسيرها فلا ندري من أيها نعجب من حسن حفظه وإدائه للحديث أو من علمه وتفسيره
قال فأخذ الصحابي كفا من حصى وحصبنا به ثم قال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم
فهذا كما قيل إنما العلم نور يقذفه الله في قلوب أوليائه فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يردون الأمور في الفتيا إلى من هو دونهم في القدر والمنزلة من التابعين وهم في علم التوحيد
والمعرفة والإيمان فوقهم درجات ولا يرجعون إليهم في الشبهات ولا يردون إليهم في علم اليقين
والمعرفة وهذا كما قال إنما العلم نور يقذفه الله في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء
بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين وتابعيهم كان تكرمة
للعاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرف أمرهم ليعظمون ويرفع شأنهم كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا
في الأرض ونجعلهم أئمة الآية والنور إذا جعل في القلب انشرح الصدر بالعلم وانفسح باليقين فنطق اللسان
بحقيقة البيان وهي الحكمة التي أودعها الله قلوب أوليائه كما جاء في التفسير في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل

وعلم اللسان

الخطاب قال الإصابة في القول وكما قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قيل
الفهم والفطنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الهداية حين تلا قوله عز وجل فمن يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للإسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح فقال النور إذا قذف في القلب
انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فذكر أن سببه الزهد في الدنيا والإقبال على خدمة المولى فحسن
التوفيق والإصابة في العلم مواهب من الله عز وجل وآثر يخص به من يشاء من عباده كما سئل أبو موسى وهو
أمير الكوفة عن رجل قتل في سبيل الله مقبلا غير مدبر أين هو قال في الجنة فقال ابن مسعود للسائل
اعد على الأمير فيما كان فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول أبو موسى في الجنة فقال ما عندي غير هذا فما شأنه
أنت فقال ابن مسعود لكني لا أقول هكذا قال فما تقول قال أقول إن قتل في سبيل الله فاصاب الحق فهو في
الجنة فقال أبو موسى صدق لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم والقول في تسليم أخبار
الصفات والسكوت عن تفسيرها كما قال أصحاب الحديث ألا إن معرفة معاني الأسماء والصفات
وشهودها بالقلب والوسواس فيها وترك التشبيه والتمثيل بها والطمأنينة إلى اليقين بالمعرفة لها هو
وهو مقام العارفين واعتقاد أنها صفات الله عز وجل تجلى بها وبما شاء غيرها بلا جحود ولا عدد يظهر
وصفه كيف شاء غير موقوف على صفة ولا محكوم عليه بصفة بلا إظهار يخبر به بل هو كيف ظهر
وبأي وصف تجلى مع نفي الكيفية والمثلية لفقد الجنس والجوهرية هو مقام المقربين من الشهداء
وهؤلاء هم الصديقون وخصوص الموقنين فمن عدل به عن وجهة هؤلاء ولم يواجه بشهادتهم عن
أصل معرفتهم عدل إلى التسليم والتصديق فوقف عنده فكان معقله واستراحته وليس بعد هؤلاء مقام
يدرج ولا وصف يذكر فمن فتش ذلك بعقله وفسره برأيه دخل عليه التشبيه أو خرج إلى النفي
والإبطال ومن الدليل على فضل هذا العلم على سائر العلوم ما جاء في الأخبار المأثورة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين في فضل مجالس الذكر وفضل الذاكرين إنما يعنون به علم
الإيمان والمعرفة وعلوم المعاملات والتفقه في بصائر القلوب والنظر بعين اليقين إلى سرائر
الغيوب وليس يريدون به مجالس القصص ولا يعنون بذلك القصاص لأنهم كانوا يأتون
القصص بدعة ويقولون لم يقص أحد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر

ل

ولابن عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص ولما دخل علي عليه السلام البصرة جعل الحسن يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص في مسجدنا أحد حتى انتهى إلى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع إليه ثم انصرف عنه ولم يخرجه وجاء ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه إلى صاحب الشرط أن أخرجه من المسجد فأخرجه فلو كان القصص من مجالس الذكر والقصاص علما لما أخرجهم ابن عمر من المسجد هذا مع زهده وورعه وقد روى ابن شوذب عن أبي الشاج قال قلت للحسن أما منا يقص فجمع الرجال والنساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدون أيديهم فقال رفع الصوت بالدعاء ومد الأيدي بالدعاء بدعة وروى أبو الأشهب عن الحسن القصص بدعة وقيل لابن سيرين لو قصصت على إخوانك فقال قد قيل لا تكلم على الناس إلا أحد ثلثة أمير أو مأمور أو أحمق أما أنا فلست بأمير ولا مأمور وأكره أن أكون الثالث وروينا عن عون بن موسى عن معوية بن قرة قال سألت الحسن أعود مريضا أجب إليك أو أجلس إلى قاص قال شيع جنازة قلت إن استعانني رجل في حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص قال اذهب إلى حاجة أخيك حتى جعله خيرا من مجالس القراء فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص لما أخر هذا الناخير والاعراض عنه ولو كان القصص عندهم هو الذكر لما وسع لمثل الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيرا من الأعمال لأنه قد كان يدعو إلى الله سبحانه بالتوحيد ويتكلم في علم المعرفة واليقين مع الذاكرين لله وحضور مجالس الذكر من مزيد الايمان وقد رفع الله تعالى مقام الذاكرين فوق مقامات المؤمنين في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية فجعل الذاكرين والذاكرات أعلى المقامات وقد روينا في حديث أبي ذر حضور مجالس الذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم وقال بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس الباطل وأما عطاء فإنه قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وحدثونا عن معاذ الأعلم قال رآني يونس بن عبيد وأنا في حلقة المعتزلة فقال تعال فجئت فقال إن كنت لابد فاعلا فعليك بحلقة القصاص وقد كان الحسن البصري رحمه الله أحد المذكرين وكانت مجالس الذكر تحلو فيها مع إخوانه وأتباعه من السائل والعباد في بيته مثل مالك بن دينار وثابت البناني ومحمد بن واسع وأيوب السختياني وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا التوراة فتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس فربما قنع اصحاب الحديث راسه واختفى من وراءهم يستمع ذلك فاذا رآه الحسن قال له الحسن بالكم وأنت ما تصنع ههنا انما خلونا مع اخواننا تذاكر والحسن رحمه الله امامنا في هذا العلم الذي تكلم فيه تفقهوا اثره وسبيله تتبع ومن مشكاته تستضيء اخذنا ذلك باذن الله اماما عن امام الى أن ينتهي ذلك اليه وكان من خيار التابعين باحسان قيل ما زال يعجب الحكمة أربعين سنة حتى تكلم بها ولقد لحق سبعين بدريا ورأى ثلثمائة صحابي وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه سنة بيف وعشرين من التاريخ بالمدينة وكانت امه مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انما ارضعته وكان كلامه يشبه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن بقي من وقته من العشرة ثم رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد عثمان رضي الله عنه نيفا وستة وعشرين من الهجرة الى سنة بيف وتسعين وقيل المائة وآخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة أنس بن مالك وبالمدينة سهل بن سعد وبمكة ابو الطفيل وباليمن أبيض بن كمال المازني وبالكوفة ابن أبي أوفى وبخراسان ابن بريدة ودخلت سنة مائة من التاريخ ولم يبق على وجه الأرض عين تطرف رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أقطار الأرض وتوفي الحسن في سنة عشر ومائة رحمة الله عليه وكان أبو قتادة العدوي يقول عليكم بهذا الشيخ فوالله ما رأيت أحدا لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وكانوا يقولون انه كان يشبه هدي ابراهيم صلى الله عليه وسلم وشمايله يعنون ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ونذرت امرأة بالبصرة نذرا ان فعل الله ذلك به ان تنسج ثوبا من غزلها وتكسوه خير أهل البصرة فرأت تمام نذرها فوقت بما نذرت ثم سألت من خير أهل البصرة فقالوا الحسن فأتته بالثوب فقال يا هذه ما أنا به فانما عنوا محمد بن سيرين فأتت محمدا فأخبرته به فردها وقال اضاب الناس في الحسن واخطأ الحسن في ارجعي به اليه فرجعت اليه فكان الحسن رحمه الله أول من نهج هذا العلم وفتق الالسنة

به ونطق بمعانيه وأظهر أنوارَه وكشف به قناعَه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من
إخوانه فقيل له يا ابا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فمن أين أخذته
فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة تراك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد فمن أين
أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أصحابه كان الناس يسألونه عن الخير وكنت
انا أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف
الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما المن عمل كذا وكذا فيسألونه
عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رأى أني أسأل عن دقائق الأعمال
خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وتفرد بمعرفة علوم النفاق وأقر
وأفرد بسر ابن العلم ودقائق الفهوم وخفايا الفتن من بين الصحابة فكان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم
يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة ومن يجيء اليه في العلم الذي خص به ويسألونه عن
المنافقين وهل بقي منهم ممن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فيخبرهم بأعدادهم ولا
يخبرهم بأسمائهم ويستكشفه عمر عن نفسه هل يعلم فيه من النفاق شيئا فيخبره بريئة ثم يسأله
عن النفاق فيخبره من ذلك بما يصلح وأذن له فيه ويستعفي عما لا يجوز أن يخبره فيعفيه في ذلك
وكان عمر ينظر اليه فإن صلى على جنازة صلى عليها وإن ترك الصلوة عليها لم يصل عليها وكان يسمى صاحب
السر وكان كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئلوا عن شيء يقول أحدهم نسألوني عن هذا وصاحب
السر فيكم يعني حذيفة وروينا عن أنس بن مالك أنه لما حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في فضل مجالس الذكر لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن
أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم يكن في مجلس الذكر مثل
مجالسكم هذه يقص أحدكم ويخطب على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد نتذاكر
الإيمان ونتدارس القرآن ونتفقه في الدين ويعدد نعمة الله علينا وقد كان عبد الله بن رواحة
يقول لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون اليه فيذكرهم
العلم بالله والتوحيد والآخرة وكان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه يجتمع
اليه فيذكرهم الله عز وجل وأيامه ويفقههم فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما خرج عليهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيتكلمون فيقعد ابهرهم وأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه
ويقول بهذا أمرت وإلى هذا دعوت وروي نحو هذا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بوب على هذا
مفسرا في حديث جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن فسمى العلم
الايمان ايمانا كما سماه عبد الله بن رواحة لأن علم الايمان ووصف الايمان والعرب تسمي الشيء بوصفه
وتسميه بأصله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثله تعلموا اليقين أي علم اليقين وكما
قال تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي من البكاء فسماه بأصله لأن الحزن أصل البكاء وروي عن رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج يوما فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون
اليه والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما ثم قال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى
فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس ويفقهون في الدين وإنما بعثت معلما ثم جلس
إلى الذين يفقهون الناس ويذكرون الله فجلس معهم وحكي عن بعض السلف الصالح قال دخلت المسجد
ذات يوم فإذا بالفتيين أحدهما يقص ويدعو والآخر يتكلم في العلوم وفقه الأعمال
قال فملت إلى حلقة القصص فجلست اليهم فجاءني عناد فنمت فمتف بي هاتف أو قال لي شخص جلست
إلى هؤلاء وتركت مجلس العلم أما إنك لو جلست اليهم لوجدت جبريل صلى الله عليه عندهم فحقيقة
الذكر العلم بالله وما ذكرنا من علوم الآخرة الأشهى إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أفضل الذكر لا اله إلا الله وقال تعالى فاعلم أنه لا اله إلا الله وقال عز وجل فاعلموا أنما انزل بعلم
الله وأن لا اله الا هو ثم إن العلم من الذكر علم المشاهدة والمشاهدة صفة عين اليقين فإذا كشف
غطاء العين شهدت معاني الصفات بأنوارها وهي من مزيد نور اليقين الذي هو كمال الايمان وحقيقته
فهناك ذكرت الموصوف بشهادة المذكور بنوره وصفته ألم تر الى قوله تعالى الذين كانت أعينهم
في غطاء عن ذكري فمن كانت عينه في كشف من ذكره شهد المذكور عند ما ذكر ووجد
ثم وجد حقيقة العلم بعد نسيان الخلق كقوله تعالى واذكر ربك إذا نسيت فذا الذكر
نسيان ما سواه كما إن حقيقة الايمان الكفر بكل اله سواه كقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت
كشف من ذكره شهد المذكور عنده ها ذكر وثم وجد وكقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله وقال بعض أهل الحديث جاءني رجل من اخواني من أهل المعرفة فقال قد وجدت

من قلبي غفلة فأريد أن تحملني إلى مجلس من مجالس الذكر فقلت له نعم فسمعته يتكلم في علوم العامة
قال فحضرنا عنده واجتمع الخلق والغذ في شيء من القصص والاسرائيليات وفي ذكر الجنة والنار فنظر
إلي صاحبي فقال ليس قد زعمت أن هذا يذكر الله تعالى ويذكر به فقلت نعم هكذا هو عندنا فقال ما
أسمع الا ذكر الخلق فإن ذكر الله قال ثم توقف ساعة ينتظر منه ما يريد من علم المعرفة ومما
يعرفه من شيوخه الصوفية ثم قال فليس الا القصص وأخبار من مضى والتفت إلي وقال قم بنا فانه
لا يسعني الجلوس لأنه لا يريد ذلك فقلت له أما أنا فأستحي أن أخطى رقاب الناس واصنع أنت ما
ترى قال فقام يتخطى الناس حتى خرج . وقد روى الزهري عن سالم عن ابن عمر أنه خرج من المسجد
وقال ما أخرجني الا القاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا
فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر
فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا وحدثونا عن أبي معشر عن خلف بن خليفة قال رأيت سيارا
أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاصا يقص في المسجد فجاءه رجل فقال يا أبا الحكم الناس ينتظرونك في
المسجد فقال ان خيرا مما فيه أنا في سنة وهم في بدعة وقد فعل الأعمش أبلغ من ذلك دخل البصرة
وكان فيها غريبا فنظر الى قاص في الجامع وهو يقول حدثنا الأعمش عن أبي اسحق حدثنا الأعمش عن ابن
وايل قال فتوسط الأعمش الحلقة ورفع يديه وجعل ينتف شعر ابطه فبصر به القاص وقال يا شيخ
ألا نستحي نحن في علم وأنت تفعل هذا فقال له الأعمش الذي أنا فيه أفضل من الذي انت فيه قال كيف قال
الأعمش لأني في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتك قط مما تقول شيئا قال فلما سمع الناس ذكر
الأعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد وأخبرنا عن أبي محمد بن ابي هرون
أن اسحق حدثه قال صليت مع أحمد بن حنبل صلاة العيد فإذا قاص يقص ويلعن المبتدعة ويذكر السنة
فلما قضينا الصلوة وسرنا بعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاص فقال ما أنعم للعامة وان كان
عامة ما يحدثون به كذبا فأخبرت عن محمد بن جعفر أن أبا الحرث حدثه أنه سمع أحمد بن حنبل أيضا
أنه قال ما أحوج الناس الى قاص صدوق لأنهم يذكرون الله والميزان وعذاب القبر فقلت له قد
كنت تحضر مجالسهم قال لا وروينا عن حبيب بن أبي ثابت عن زياد النميري قال أتيت انس بن
مالك وهو بالزاوية فقال الى قص فقلت له يا أبا حمزة ان القاص يزعمون أنه بدعة فقال ليس شيء من ذكر

قيض

الله بدعة قال فقصصت فجعلت أكثر قصصي دعاء رجاء أن يؤمن قال فجعلت أقص وهو يؤمن فقد
كانوا يجعلون الدعاء قصصا وحدث يوسف بن عطية عن محمد بن عبد الرحمن الخزاز قال فقد
الحسن عامر بن عبد الله وهو ابن عبد القيس فقال اذهبوا بنا الى أبي عبد الله فأتاه الحسن فاذا عامر
في بيت قد لف رأسه وليس في البيت الا رمل فقال له الحسن يا أبا عبد الله ما ترك منذ أيام فقال اني كنت
أجلس في هذه المجالس فأسمع تخليطا وتغليطا واني كنت أسمع من مشيختنا ما يروون عن نبينا
صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان أصفى الناس ايمانا يوم القيمة أكثرهم ذكرا في الدنيا وأكثر
الناس ضحكا في الجنة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس رجلا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا فوجدت
البيت أحلى لقلبي وأقرب لي من نفسي على ما أريد منها قال الحسن أما انه لم يعن مجالسنا هذه
انما عنى مجالس القصاص في الطرق الذين يخلطون ويغلطون ويقدمون ويؤخرون وقد قسم بعض
العلماء المتكلمين ثلثة أقسام فوصفهم بأماكنهم فقال المتكلمون ثلثة أقسام أصحاب
الكراسي وهم القصاص وأصحاب الأساطين وهم المفتون وأصحاب الزوايا وهم أهل المعرفة فمجالس أهل
العلم بالله وأهل التوحيد وأهل المعرفة هي مجالس الذكر وهي التي جاء فيها الآثار في الخبر
اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث
ان لله ملائكة سياحون في الهواء فضلا عن كتاب الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا
الا هلموا الى بيوتكم فيأتونهم فيحفون بهم فيجلسون اليهم ويستمعون منهم فيقولون الا فاذكروا
الله تعالى وذكروا بأنفسكم وروينا عن وهب بن منبه مجلس يتنازع فيه العلم أحب اليه من قرية
صلاة لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة وما بقي من عمره وسئل أحمد بن حنبل عن مجالس
الذكر فضلها ورغب فيها وقال أي شيء أحسن من أن يجتمع الناس فيذكرون الله ويعدون نعمه عليهم كما قال
الأبصار وروينا عن علي عليه السلام ما سرني أن الله عز وجل أماتني طفلا وأدخلني الدرجات العلى من الجنة
فقيل لم قال لأنه أحياني حتى عرفته وقال ملك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا
شيئا طيبا قيل وما هو قال المعرفة ثم قال

ان عرفان ذي الجلال لعزة وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء وعليهم من الجنة نور

فهنيئًا لمن عرفك إلهي هو والله دهن مسرور

ليس للعارفين غير رضاك هم أنت والله سولهم يا غفور

وقال بعضهم في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى الجنة ولم يستوحش قيل وما هي قال المعرفة بالله وقال أخزل لن تخليك من المعارف إحدى ثلث خلال تدل عليه هيبة أو جلاوة أو أنس وقال علي ما ساس أخرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم معلقة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح المعرفة وعن شهادة التوحيد فمجالس الذكر هذه قديما كانت لأهل المعرفة وأصحاب معاملات القلوب وعلم الباطن وهم علماء الآخرة وأهل الفقه في الدين وقد قال الله وهو أصدق القائلين فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون فذكر الفقه الذي هو من صفة القلب والخوف الذي هو موجب الفقه وعلم العقل داخل في علم الظاهر والعلم بالله داخل في اليقين كما روي في اخبر اليقين الايمان كله وقد قال تعالى وما يعقلها الا العالمون فجعل العقل وصفا من العلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم اليقين كما أمر بطلب العلم فكان هذا الخبر مخصوصا من ذلك فيكون قوله تعلموا اليقين الخصوص لأن اليقين مقام فوق العلم ويكون قوله طلب العلم فريضة للعموم وفي قوله تعلموا اليقين أمر بمجالسة الموقنين لأن اليقين لا يظهر ولا يوجد الا عند الموقنين فقد أمرهم ولم يقل تعلموا العقول ولا علم الفتاوى وكان علما الظاهر قديما يسمون المفتين ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون فرده الى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين ولولا ان القلب فقيه وان علم الباطن حاكم على علم الظاهر وما فيه من علوم أهل الظاهر وهم علماء الألسنة الى علم الباطن وهو علم القلوب لم يجز ان يدله النبي صلى الله عليه وسلم على غير فقيه ولا من فقيه الى فقيه دونه وقد جاء هذا الحديث بلفظة مؤكدة بالتكرر والمبالغة فقال عليه السلم استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وهذا مخصوص لمن كان له قلب والقى سمعه وهو شهيد وشهد قيام شهيد وعري عن شهواته ومعهوده لأن الفقه ليس من وصف اللسان ألم تسمع قوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سمع شهيد فقه به وذكر الله تعالى في قوله ليتفقهوا في الدين فوصفه وصفين ظهرا عن الفقه أحدهما

النذارة وهو مقام في الدعوة الى الله عز وجل ولا يكون المنذر الا مخوفا ولا يكون المخوف الا خائفا والخايف عارف بالله والثاني الحذر وهو حال من المعرفة بالله وهو الخشية له والفقه والفهم اسمان لمعنى واحد العرب تقول فقهت بمعنى فهمت وقد فضل الله عز وجل الفهم عنه على العلم والحكمة ورفع الأفهام منه على الأحكام والقضايا فقال عز وجل ففهمناها سليمن فأفرده بالعلم عند الذي فضله به على حكم أبيه في القضية بعد أن اشتركهما في الحكم والعلم وقد فضل الحسن بن علي علما الهداية إلى الله الدالين على الله عز وجل وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي عنه منظوما

الناس من جهة التمثيل اكفاء أبوهم آدم والأم حواء

فان أبت فخر من ذوي حسب فانما هو الطين والماء

ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

ووزن كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم اعداء

فمن كان عالما بالله سبحانه فمن أفضل منه وأوزن وأي وزن وقيمة تعرف له إذ كل علم وزنه معلومه وقيمة كل عالم علمه وقد قال عبد الواحد بن زيد إمام الزاهدين كلاما في هذا المعنى نفرد به العلماء بالله ويرفع طريقهم فوق كل طريق أنشدوا عنه

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تشكل مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم فظهرهم عن طريق الحق رقاد

وروينا عن ابن مسعود لما مات عمر رضي الله عنه اني لأحسب هذا الرجل قد ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل له تقول هذا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فقال اني لست أعني العلم الذين يذهبون اليه انما أعني العلم بالله وكذلك كان يقول المتقون زاده والعلما قادة ومجالستهم زيادة يعني ان المتقين زاده الناس كما قال الله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والعلما قادة المتقين اي ايمتهم يقتفون آثارهم لأنه قال الله تعالى واجعلنا للمتقين اماما ففضل العلما على المتقين وجعلهم ايمة لهم فصار المتقون أصحابهم وأخبر بالمزيد في مجالستهم اي مجالستهم زيادة على مجالسة المتقين غير العلماء لأن كل عالم متقي وليس كل متقي عالما كما روي العلما كثير والفقها من

العلماء قليل والحكماء كثير والصادقون من الحكماء قليل وسئل ابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال من يأكل بدينه وقال مرة في رواية الذين يتقلسون ويطيلسون ويطلبون الشهادات وقال فرقد السبخي للحسن يا أبا سعيد ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك أمك فرقد وهل رأيت بعينيك فقيها قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة المداوم على العبادة الورع الكاف عن أعراض المسلمين المعفي عن أموالهم الناصح لجماعتهم فوصف وصف العارفين بألفاظ روي مختلفة عنه وعن غير فرقد وجلت شاعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال قلت لأبي يبلغني انك كنت تختلف الى معروف أكان عنده حديث فقال فقال كان عنده رأس الأمر تقوى الله والزهد وقيل لأحمد رحمه الله بأي شيء ذكر هؤلاء الآية ووصفوا فقال ما هو الا بالصدق الذي كان فيهم قيل له ما الصدق قال هو الاخلاص قيل والاخلاص ما هو قال الزهد قيل وما الزهد فأطرق ثم قال سلوا بشر بن الحرث وقد روت عن بشر رحمه الله في منصور بن عمار حكاية طريفة وكان منصور بن عمار من الواعظين المذكورين ولم يكن العلماء في وقته مثل بشر وأحمد وأبي ثور يعدونه عالما كان عندهم من القصاص وكانت العامة تسميه عالما فحدثونا عن نصر بن علي الجهضمي انه مر يوما مزاحا أو فرط فيه فقيل له تقول هذا وأنت من العلماء فقال ما رأيت أحدا من العلماء الا وهو يمرح فقيل له فقد رأيت بشرا فهل سمعته يمرح قال نعم كنت معه ذات يوم في بعض الدروب فجاء منصور بن عمار يعدو فقال يا نصر الأمير قد أمر بجمع العلماء والصالحين فتراني أن أختفي فدفعه بشر وقال تنح عنا لا يمر جمل شوك فيلقيك علينا فتحترق وهذا كان محمل القصاص عند العلماء فيما سلف حتى ذهب أهل العلم وحملت مجالس الذكر وعلوم اليقين الا من عرف سيرة المتقدمين وطريقة السالفين الذين كانوا يفرقون بين مجالس الذكر وبين القصص ويميزون بين العلماء وبين القصاص وبين علماء اللسان وفقهاء القلوب وبين علم اليقين وعلم العقل لأن الفرق بين العالم وبين القاص أن العالم يسكت حتى يسئل فاذا سئل أجاب بما هيأ الله عز وجل له وكشف له ونطق فيما أجراه الله عليه وعرف ولا يتكلم الا بالأفضل فالأفضل مما يعلم فان كان الصمت أفضل آثر السكوت لعلمه بالأفضل وان لم ير أهلا لعلمه تربص حتى يضعه في أهله ليلا يجهل وأهله منزلة نصيب من مشاهدته ووجد وهكذا قال الله عز وجل فأما

والعاملات

أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ففي ذلك معنيان أحدهما أن أهل الذكر هم العلماء بالله لقوله تعالى ان كنتم لا تعلمون فلا يجوز أن تسألوا من لا يعلم فتزدادوا جهلا والثاني دل أن العلماء سكوت حتى يسألوا فاذا سئلوا وجب عليهم أن يجيبوا لقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر يعني أهل العلم بالله فجعل أهل الذكر لله تعالى علما به فدل أن مجالس الذكر هي مجالس العلماء التي وردت الأخبار بفضلها وفي تدبره أن أهل الذكر هو لا المسمون هم الذين وصل لهم القول لعلهم يتذكرون فما وصل لهم المفصل تذكروا كما وعد فلما تذكروا علموا فعندها أمنوا أن يسألوا وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه وقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر الآية وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال ابن مسعود ان كل من يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون وقال الأعمش ان من الكلام كلاما جوابه السكوت وقال ذو النون المصري حسن سؤال العاقل نصف العلم وحسن مفاتيح قلوب العارفين فأما القاص فانه الذي يبتدئ فيقص الأخبار ويذكر القصص والآثار ولذلك سمي قاصا أي يظهر قصة من سلف فكأنه أثر من مضى ويقتص جمعه ومنه قوله تعالى وقالت لأخته قصيه أي تتبعي أثره وسمي القاص قاصا لتتبعه أثر من مضى وقال مالك بن أنس من اذا له العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه أي من اذا له وضعه يقال أشل هذا واذل هذا أي ارفع ووضع ويقال اذا تكلم بالعلم قبل أن يسأل عنه ذهب ثلثا نوره وقال ابراهيم بن أدهم وغيره سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لأنه يسكت بعلم وينطق بجهل فيقول الشيطان انظروا الى هذا سكوته أشد علي من كلامه وكذلك قيل الصمت زين للعالم وستر للجاهل وعن القسم بن محمد من اكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يسئل عنه ووصف رجل لملك بن أنس فقال لا بأس به الا أنه يتكلم بكلام شهرزي في يوم وقد قيل في معنى ما ذكرنا أن الكلام من الشهوات قال هو الذي يبتدئ به قبل أن يسئل عنه وكذلك هو لعمري ان أنه اذا تكلم بعد السؤال فهو حاجته وربما كان فرضا لقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولقوله عليه السلام من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار فتوعد عليه السلام بالعقاب وقد يكون الابتلاء بالشيء من خفايا الشهوات والشهوات هي من الدنيا وقال بعضهم في وصف الأبدال

أكلهم فاقه وكلامهم ضروره ونومهم غلبه قال هو أن لا يتكلموا حتى يسألوا عن شئ فيجيبوا
وهذا لعمري ضرورة لأن من تكلم بعد أن يسأل فليس بعد لاعبا ولا لاهيا لأن الجواب بعد السؤال
كالفرض ممن له رد السلام كما قال ابن عباس إني لأرى رد الجواب للكتاب واجبا كرد السلام ولا ينبغي
لمسلم أن يسأل عن شئ فلا يجيب عنه إلا لمعنى من المعاني فيه علم وتأديب وقد قال أبو موسى وابن مسعود
من سئل عن علم فليقل به ومن لا يسأل فليسكت وإلا كتب من المتكلفين ومرق من الدين وقد كانوا
يخافون من دخول التكليف عليهم في كل شئ ويعد بعضهم الابتداء بالكلام قبل أن يسأل عنه
أو يرى موضعه وأهله متكلفا وقد قال عليه السلام أمتي برآء من التكلف وفي وصية
ابن عباس للمجاهد لا تكلمن فيما لا يعنيك فإنه أفضل ولا آمن عليك الخطأ ولا تكلمن فيما يعنيك
حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما لا يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت وفي حديث
الأنصاري الذي قال له أمه عند موته هنيئا لك الجنة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتلت في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه في الجنة فلعله كان لا
يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ومن أظهر علما من غير أن يسأل عنه أو نشر في غير
أهله فأنكر سئل عنه وكان عليه مطالبه فيه لأنه قد تكلف إظهاره ومن سئل عن علم
ثم تكلم به لم يكن عليه مطالبه فيمن أنكره وسلم في ظهوره لأنه خرج جوابا للسؤال ومن
هذا كان أسلف المتكلمون في هذا العلم يسكتون حتى يسألوا وكان أبو محمد رحمه الله يقول
العالم يقول ويسكت ويرفع قلبه إلى مولاه فيفتقر إليه في حسن توفيقه ويسأله أن يلهمه
الصواب فأي شئ يسأل عنه تكلم بما فتح له مولاه فجعل العالم بالله في حال سكوته ونظره إلى سيده
محتاجا إلى التوكل متنظرا لوكيله في أي شئ يجريه وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن
المسئلة كأنما تقلع ضرس من أضراسه وقال آخر ليس العالم الذي يجمع الناس فيقضي عليهم
إنما العالم الذي إذا سئل عن العلم كأنما يسقط بالخردل وقد روينا أن رقبة بن مصقلة
قاله للأعمش وقد كان محمد بن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه فيقول إن سوء خلقك
يزهد في كل علم فالتفت الأعمش إليه وقال هو إذا أخمق مثلك إن كان يدع فايدة لسوء خلقي
فقال ابن سوقة لرقبة ويحك إني أجعله بمنزلة الدواء أصبر عن مرارته لما أرجو من منفعته

وقد روي عن علي وعبد الله أيضا أنه من رجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول أعرفوني
وحدثني بعض علمائنا خراسان عن شيخ له عن أبي حفص الشاموري الكبير وكان هذا من نظراء
الجنيد هناك أنه قال إنما العالم الذي يسأل عن مسئلة في الدين فيغتم حتى لو خرج لم يخرج منه دم من
الفزع يخاف أن يسأل عنه في الآخرة عما سئل عنه في الدنيا ويفزع أن لا يخلص من السؤال إلا أن يدري
أنه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء ومن هناك كان ابن عمر يسكت عن تسع مسائل فيجيب في
واحدة ويقول تدرون في أي شئ تريدون أن تجعلوني جسرا تعبرون عليه في جهنم تقولون أفتانا
ابن عمر بهذا وكان إبراهيم النخعي إذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم يجلس من تسأله غيري أو احتجتم
إلي قال وجهدنا الشعبي أن ننسبه إلى سارية فأبى وكان إذا سئل عن شئ بكى وقال احتاج الناس إلي
وكان سفيان بن عيينة نفردي في زمانه بعلوم انفرد بها في وقته وكان يضرب ذلك المثل لنفسه فيقول وينشد

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

وأما أبو العالية الرياحي فكان على الاثنين والثلثة فإذا جاوز الأربعة قام وكذلك كان إبراهيم
والثوري وإن أدهم يتكلمون على النفر فإذا كثر الناس انصرفوا وكان أبو محمد رحمه الله يطلب الخشة
أو ستة إلى العشرة وقال لي بعض الشيوخ كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر وما تم أهل مجلسه
عشرين وحدثت عن ابن سالم أن قوما اجتمعوا في مسجده فأرسلوا إليه بعضهم أن أصحابك قد حضروا
ويريدون أن يسمعوا منك فإن رأيت أن تخرج إليك وكان المسجد على باب منزله ولم يكن يدخل إليه في
منزله فقال للرسول من من أصحابي فقال فلان وفلان وسماهم فقال ليس هؤلاء من أصحابي فقال هؤلاء
أصحاب المجلس ولم يخرج كأنه رآهم عموما لا يصلح لتخصيص علمه فلم يذهب وقته لوقتهم وكذلك
العالم وقوته في خلوته أعز عليه فإن وافق خصوص إخوانه آثرهم على نفسه وكان ذلك من زلل لم فإن
لم يوافق لم يؤثر على خلوته أحدا فيكون مباحا للبطالين وقد كان أبو الحسن بن سالم يخرج إلى إخوانه
فمن رآه موضعا لعلمه يجلس ويذاكرهم ولعمري أن المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع
الإخوان وللعلوس للعلم يكون للأصحاب والجواب على السؤال يصيب العموم وكان عندنا أهل هذا
العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله ويرون
أن ذلك من حقه وأنه واجب عليهم كما وصفهم عليه السلام حتى يودعوه أمثالهم ويزرعوه

ه
الجهر

في قلوب أشكالهم وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تجعلوا
الحكمة في غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرقيق الذي يضع الدواء موضع
الداء وفي موضع آخر من وضع الحكمة عند غير أهلها جهل ومن منع أهلها ظلم ان للحكمة حقا وإن لها أهلا
فأعط كل ذي حق حقه وفي حديث عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من
الجوهر ومن لم يردها فهو شر من الخنزير وقال بعض هذه الطايفة هذا العلم سلوت ونصفه تلاي
أبن تضعه وحدثني بعض الصوفية عن ابن أبي عمران المزين الكبير المكي قال سمعته يقول لأبي بكر
الكاني وكان بذولا لهذا العلم فجعل نهايته وتمامه عن بذله وعن كثرة الكلام فيه الى أن قال أبو عمران
أنه منذ عشرين سنة أسأل الله أن ينسيني هذا العلم قال ولم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام فسمعته يقول ان لكل شيء عند الله حرمة ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير
أهلها طالبه الله بحقها ومن طالبه الله خصمه ٥ وقال بعض السلف اذا اسند الرجل الى سارية المسجد
اليه أو أحب أن يسأل فلا يجلس اليه ولا ينبغي أن يسأل ولم ير في مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلثون رجلا
ولا عشرون رجلا الا نادرا غير لازم ولا دوام وانما كانوا من الأربعة الى العشرة ويضع عشرة وقد
كان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مايتان من عهد الحسن رحمه الله الى وقتنا هذا فهذا
أيضا من الفرق بينهما أن العلم مخصوص لقليل وأن القصص عام للعموم وقال بعضهم كلما خفي علم
الرجل قل أتباعه وقال بعض علمايا كان البصرة مايه وعشرون متكلما في الذكر والوعظ ولم يتكلم في علم
المعرفة واليقين والمقامات والأحوال الا ستة أحدهم أبو محمد بن سهل والصبيحي وعبد الرحيم وعبد
الواحد بن زيد وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه أي ينبغي ان تأدب بصمته
وخشوعه ووزعه ويستدل بذلك كما يتأدب بنطقه ويقتدى بكلامه على انهم كما لا يقولون
الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون أن ذلك من علم الدنيا وانه يحتاج اليه في
أمور الدنيا وهذا من علم الآخرة لأنه من زادها وهذا كما قالوا لأن اللسان ظاهر وهو من الملكوت وهو
خزانة العلم الباطن فقد صار فضل العلم على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وكفضل القلب على
اللسان وقال بعض العارفين من كلم الناس بمبلغ عقله وما يطيقون بقدر حدودهم فقد سخر منهم وقد لم يحقر
الله منهم وكان يحيى بن معاذ يقول اعرف لكل واحد من هؤلاء وأسقه بكأسه والا وقع الانكار فقال

الباطن

بالمعرفة

الميزان وتقول نحن نزن كل له بمكيال عقله ونزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك في أمور الدنيا
وهذا من علم الآخرة لأنه من زادها وهذا كما قالوا لأن اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم
الظاهر والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن فقد صار فضل العلم الباطن على العلم الظاهر كفضل
الملكوت على الملك وكفضل القلب على اللسان وقد كان بشر يقول الحديث ليس من زاد الآخرة وحدث
أنه دفن له بضع عشر ما بين قمطر الى قوصرة كتب وكان لم يحدث منها بكثير شيء وكان اذا هويت في ترك
الحديث يقول انا أشتهي أن احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت ثم قال أنا أجاهد نفسي منذ
أربعين سنة وقال اذا سمعت الرجل يقول حدثنا وأخبرنا هو باب من أبواب الدنيا انما يقول وسمعت ان
وقد كانت رابعة العدوية قلة تقول للثوري نعم الرجل سفين لولا أنه يحب الحديث وقال بعضهم
من تزوج وكتب الحديث أو طلب معاشا فقد زلزل الى الدنيا وقال أبو سليمان الداراني كل من أدرك
العلوم غير العلم بالله فقد استدرك والذي أدرك العلم بالله فقد تدوزك ثم تلى قوله تعالى لولا
ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم أي تدوزك بعلم المعرفة والعراء البعد وهو علم
المعقول وقال تعالى ولولا أن تثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا أي تبتناك لقد كدت تسكن
الى علم المعقول وقال سهل في قوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال لسانا ينطق عنك لا ينطق
عن سواك وفضل العلم بالله وبالايمان على العلم بالأحكام والقضايا كفضل الشهادة على الخبر وقد قال
ليس الخبر كالمعاينة وروى عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه في تفسير ألهاكم التكاثر علم
اليقين كرأي العين وفي هذا الخبر ان من خيار امتي قوما يحكون حمما من سعة رحمة ربهم ويكون مرا
من خوف عذابه أقدامهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة
ويتقربون بالوسيلة فالفتيا من الأخبار والاستفتاء هو الاستخبار ومنه قوله فاستفتهم وقوله
ويستفتونك أي يستخبرونك وتعلم الخبر قد يدخله الظن والشك والمشاهدة بنور اليقين يرفع الظن
ويسقط الشك كما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فاثبت الرؤية للقلب بالعين فرؤية القلب هو
اليقين وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى وفي علم اليقين غنية عن جميع العلوم لأنه
حقيقة العلم وخالصه وليس في جميع العلوم غنا عن علم اليقين لأن الفقر بالشك والحاجة الى اليقين في علم
التوحيد وعلم الايمان أشد من الفقر بالحاجة الى علوم الفتيا وغيرها فلذلك صار الغنا باليقين أعظم من

بالمعرفة

لاستغنا بسائر العلوم ففي ذلك مثل فاتحة الكتاب إلى سائر القرآن كما روينا عن النبي صلى الله عليه
وسلم فاتحة الكتاب جزء من القرآن وليس القرآن كله بجزء من فاتحة الكتاب فكذلك العلم بالله
عز وجل عوض من كل العلوم وليس في سائر العلوم عوض عن العلم بالله من حيث كان في الله تعالى عوض
منها سواه وليس في سواه عوض منه وكل علم موقوف على معلوم مد فعلم اليقين معلومه الله تعالى
ففضله كفضل الله على ما سواه وقد قال بعض الحكماء في معنى ما ذكرناه من عرف الله فماذا جهل
أو جهل الله فماذا عرف فالعلما بالله هم ورثة الأنبياء لأنهم ورثوا عنهم الدلالة على الله والدعوة
إليه ولا قدر لهم في أعمال القلوب وقد قال تعالى ومن أحسن من الله حكما الآية ومن أحسن قولا ممن دعا
إلى الله وعمل صالحا كما قال ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وكما أمره بالدعوة
مشركا معه أتباعه إليه في البصيرة فقال تعالى هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن
اتبعني ويحشرون يوم القيامة مع الأنبياء كما قال تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من
النبيين وكما قال تعالى وجئ بالنبيين والشهداء ثم فسرهم فقال ما استحفظوا من كتاب
الله وكانوا عليه شهداء وقد روينا معناه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما العلما فدلوا الناس على ما جاءت به الأنبيا
وبينوه لهم وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم وبذلوا أرواحهم على ما جاءت به الرسل وعلى الدنيا يحشرون مع
الولاة والسلاطين وقد قال بعض أهل الحديث يحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة
السلاطين وكان إسمعيل بن إسحق القاضي من علما أهل الدنيا ومن سادة القضاة وعقلائهم وكان من أصحاب
الحسن بن أبي الورد وكان هذا من علما الباطن فلما قال إسمعيل القاضي لابن أبي الورد ثم إنه اضطر
إلى أن دخل عليه في شهادة فضرب ابن أبي الورد يده على كتف إسمعيل القاضي وقال يا إسمعيل علم
أجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيرا منه فوضع إسمعيل رداءه على وجهه وجعل يبكي حتى بلله
وعلما الظاهر هم زينة الأرض والملك وعلما الباطن زينة السماء وزينة الملكوت وعلما الظاهر هم
أهل الخبر واللسان وعلما الباطن أرباب القلوب والعيان وقال بعض العلماء لما خلق الله تعالى
اللسان قال هذا معقل فحرزني إن صدقني بجنته ولما خلق القلب قال هذا موضع نظري إن صفا
إلى صانعه وقال بعض الخلف الصالح الجاهل نجوا بالعلم والعالم نجوا بالجهة والعارف نجوا بالله وقال بعض

العارفين علم الظاهر محكوم وعلم الباطن حاكم والمحكوم موقوف حتى يحكم الحاكم فيه وقال بعض
العارفين علم الظاهر إذا اشتكل عليهم العلم في مسئلة لاختلاف الأدلة سألوا أهل العلم بالله عز وجل لأنهم
أقرب إلى التوفيق عندهم وأبعدهم من الهوى والعصبية منهم الشافعي رحمه الله كان إذا اشتبهت عليه
المسئلة لاختلاف أقوال العلما فيها وتكافي الاستدلال عليها رجع إلى علما أهل المعرفة قال وكان
يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي بين يدي المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكيف يصنع
في كذا فيقال له مثلك يا أبا عبد الله في علمك وفقهك تسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وقف على علمناه
وقد كان الشافعي رحمه الله اعتل علة شديدة فكان يقول اللهم إن كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب
إليه المغافري من سواد مصر يا أبا عبد الله لست وأيالك من أهل البلا فسل الله الرضى الأولى أن تسأل
الرفق والعافية فرجع الشافعي عن قوله هذا وقال استغفر الله وأتوب إليه فكان بعد ذلك يقول
اللهم اجعل خيرتي فيما أحببت وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف بن فيروز
الكرخي ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه فكانا يسألانه وقد يروى في خبر قيل يا رسول الله كيف
نصنع إذا جاءنا أمر لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسألوا الصالحين
واجعلوه شورى بينهم وفي حديث معاذ فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اقض بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسوله وفي بعضها اجتهد رأيك
وجاء عن الجنيد قال كنت إذا قمت من عند سري السقطي قال لي اذا فارقتني من مجالس فقلت أخرج فأسأل
أسد المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وزهده على المتكلمين قال فلما
وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعني أنك
إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة السنن والأصول ثم تزهدت وتعبدت فقهت في علم
الصوفية وكنت صوفيا عالما فإذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والجال شغلت به عن العلم والسنن فكنت
إما شاطحا غالطا الجهلك بالأصول والسنن وأحسن أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر وكتب
الحديث لأنه هو الأساس والأصل الذي تفرع عليه العبادة والعلوم وأنت إن بدأت بالفرع قبل
الأصل ضاع الفرع والأصل وقد قيل إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول والأصول هو كتب
الحديث ومعرفة الآثار والسنن فإذا أنت رددت إلى الأصل فقد تخطت عن مرتبة التاهدين

وبين من رجح السلامة فمن مرجح بالزمان بالبقيض وقال الثوري رحمه الله كان
الناس يطلبون العلم بعملوا واذا علموا اخصوا واذا اخصوا هربوا وقال الحاذاهب العالم من
الناس يطلبه واذا طلب الناس هرب منه وقال بعض محال العلم كله ذب عن العلم به والعمل به
والعمل به
لا اختلاف وقال مرة الناس موتى الا العلماء والعلماء كارى الا العاملين والعاملين مغرورون
الا المخلصين والمخلصين على خطر حتى يعلموا بم ختم لهم به وقد كان ذو النون يقول جالس من
تكلمك صمته ولا تجالس من تكلمك لسانه وقد كان الحسن قبله يقول اجلس الى من تكلمك
افعاله ولا تجالس من تخلبك مقاله وقد كانت طايفة يحبون كثيرا من اهل المعرفة للتأديب بهم والنظر
الى هديهم وخلقهم وان لم يكونوا علما لان التأديب يكون بالافعال والتعلم يكون بالمقال وقال بعض
العلماء وجدت الف بفعل او قبح من وعظ الف لواحد بقول ولم يكبر العالم عند العلماء من كان
عالما بعلم غيره ولا حافظا لفقه سواه هذا كان اسمه زاويه واعيا وجاهلا وناقلا وكان
ابو حازم يقول ذهب العلما وبقيت علوم اوعية سوء وكان الزهري يقول كان فلان من اوعية
العلم وفلان وعا للعلم ولا يقول كان عالما وكانوا يقولون حماد الراويه يعنون انه راويا ودخول
الها في الاسم للمبالغة في الوصف كما يقال علامة ونسابة وفي الخبر رب حامل فقه غير فقيه وكان
الفقيه فيهم هو الفقيه بنفسه قليه لا بحديث سواء كما جاء في الاثر وسيأتي ان الناس اغنى قال
نعم الغنى قبل من المال قال او لكثرة الغنى بعلم لان كل عالم بعلم غيره انما صار عالما بمجموعهم
هم العلما وكل فاضل بذكر سواه انما فضل بجماعهم مذكورة فبجماعهم هم الفقها فاذا تركهم
وانفرد بنفسه ولم يرجع الى علم نفسه مختص به فصار في الحقيقة موصوفا بالجهل او بطرق السمع والنقل قيل
العالم بعلم غيره مثل الواصف لمقام غيره ليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالكلام اذ لا حال
له مما يصفه ولا مقام له يرجع الى بصيرة منه مما اشتبه من المشتبه عليه ولا يتحقق بوجه منه في حال
البتة بوجده وانما هو منه اجد بوجد غيره فغيره هو الواحد وشاهد على شهادة سواه فالشواهد
الشاهد كما قال الحسن ان الله لا يعبأ بصاحب رواية انما يعبأ بصاحب فهم ودراية
لم يجز له عقل لم ينتفع بكثرة رواية الحديث وقد انشدنا البعض الحكما في معنى ذلك ٥

ذبت العلم علمان فمصنوع ومجموع ... وما ينفع مجموع اذا لم يك مصنوع

ذبت العلم علمان فمصنوع ومجموع ... وما ينفع مجموع اذا لم يك مصنوع

ذبت العلم علمان فمصنوع ومجموع ... وما ينفع مجموع اذا لم يك مصنوع

كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع ... وكان الجنيد كثيرا ينشد هذه الابيات

علم التصوف علم ليس يعرفه ... الا اخو فطنة بالحق موصوف

وكيف يعرف شيئا ليس يشهده ... وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

ان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتوى بمذهب الواحد من الناس وانتحال
قوله والحكاية عنه في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديما على ذلك كما في القرن
الاول والثاني فهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين ومايه من التاريخ وبعد
وفاة كل الصحابة وكبار التابعين ويقال ان اول ما صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في
الآثار وجروف من التفاسير بملكه عن مجاهد وعطا وأضراب ابن عباس ثم كتاب معمر بن راشد
الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة ومبوبة ثم كتاب الموطا لمالك بن انس في الفقه ثم جمع
ابن عيينة كتاب الجامع والتفسير في اجزاء من علم القرآن والاحاديث المتفرقة وجامع سفيان
الثوري صنفه ايضا في هذه المدة فهذه خمسة كتب من اوايل ما جمع بعد وفاة الحسن وسعيد بن
المسيب وخيار التابعين وبعد سنة عشرين او ثلثين ومايه من الهجرة وقبل سنة ستين ومايه وبعد
القرن الاول وبعد صدر من القرن الثاني وكان العلما الذين هم ايمة هولاء العلماء من طبقات الصحابة
الاربعة والتابعين هم الذين انقرضوا قبل وضع الكتب وكانوا يكرهون كتب الحديث وتصنيف
الكتب ليلا يشتغلوا بها عن القرآن وعن التذكر والتفكر وقال احفظوا كما كنا نحفظ ولا تشتغل
عن الله عز وجل بشيم ولا وشم كما كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وعلية الصحابة عليهم السلم تصنيف
القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال
الناس بالصحف وانكلهم على المصاحف فقالوا انما نزل القرآن بتلقاه بعضهم من بعض تلفظا بالتلقين والاقراء
ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عليه عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة بأن يجمع القرآن في
المصاحف لانه احفظ له ليرجع الناس الى المصحف لما يؤمن من الاشتغال باسباب الدنيا عنه فشرح
الله تعالى صدر ابي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن من الصحف المتفرقة في المصحف الواحد وكذلك
كانوا يقولون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظا هذا لطهارة القلوب من الذنوب وفراغها من
اسباب الدنيا وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة ثم ظهرت

بعد خمسة أسطر وبعد تقضي ثلثة قرون من القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام ولقب المتكلمين بالرأي
والمعقول والقياس وذهب علم المتقدمين وعادت معرفة الموقنين من علم التقوى والفهم
الرشيد والسلف الصالح من خلف من كل قليل نزل في الخلاف إلى هذا الوقت والله المستعان ولا قوة إلا بالله ٥
ولما قتل القراء يوم اليمامة دخل عمر على أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله ان القراء قد أصيبوا والناس
أن يذهب القرآن فلو جمعته فقال كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أشار الصحابة وأشار الكل عليه بذلك فقال والله لو كلفت نقل الجبال لكان أهون علي من ذلك ثم
اختلط الأمر بعد هذا التفصيل في زماننا هذا فصار المتكلمون يدعون علما والقصاص يسمون علماء
والرواة الثقلة يقال لهم علما من غير فقه في دين ولا بصيرة في يقين وروينا عن أبي علية قال كان الحسن
إذا عطا الخراساني يعد الصبح فيتكلم علينا فلجبنا علينا ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا يأتي عطا
ملكان يتكلم به عطا فأنكر صوته رجا بن حيوة فقال من هذا المتكلم فقال انا فلان فقال اسكت فإنكم
أن تسمع العلم الا من أهله وكذلك كانوا يقولون أي أهل العلم بالله أن يسمعوا هذا العلم الا من
أهله الزاهد بن في الدنيا وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا أنه لا يليق بهم واعلم أن
العبد اذا كاشفه الله بالمعرفة واليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون
اذا أفتوا هذا المقام خالفوا من جعلوا عنه العلم وقال ابن عباس ليس أحد الا يوخذ من قوله ويترك
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض السلف من الفقهاء ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فأخذ به ونترك وما جاءنا عن التابعين هم رجال
ونحن رجال قالوا ونقول ولاجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغي للرجل أن يقبل
يعرف اختلاف العلماء أي فيختار منها على علمه الأحوط للدين الأقوى باليقين فلو كانوا يستجيزون
أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان اذا عرف مذهب صاحبه كفاه
ومن قبل أن العبد يسئل عن فيقال له ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك وقال تعالى ٥ قال
الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يدل به أن من اوتي ايمانا ويقينا اوتي علما كما
أن من اوتي علما نافعا اوتي ايمانا وهذا أحد الوجوه في معنى قوله كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
أي قواهم بعلم الايمان فعلم الايمان هو روحه وتكون الهاء عايدة على الايمان لان العلم الذي هو

أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة ومعرفة أداة الصنعة وآلة الصنع لأنه ذو تمييز
وبصيرة ومن أهل التدبر والعبرة فأما الجاهل العامي الغافل فله أن يقلد العلماء والعالم العموم
أيضا أن يقلد عالم خصوص وللعالم بعلم الظاهر أن يقلد من فوقه ممن حصل على علم الباطن فمن تعذر عليه هذا
الطريق الذي هو التفقه في معاني الكتاب والاستنباط منه والتبحر في معرفة السنن والتفقه بها
ولم يكن معه زاد للطريق ولا آلة الصنعة فليعدل الى طريق الجماعة وليأخذ مسلك الجملة فهو أدنى الى
إصابة الحق وأبعد من هوى النفس فليعمل في نوازله بالاجماع فهو الأحوط وليأخذ بالاحتياط ويجانب
ما قارب هواه وليقارب ما بعد من الرخص والتاويل فذلك أسلم لدينه وأصلح لقلبه وأدخل في
الزهد وأشد تثبيتا للعلم وهذا طريق الناصحين لله في الدين ولنفوسهم باليقين ثم درس معرفة هذا
أيضا فجهل فصار كل من نطق بكلام وصنفه لا يعرف حقه من باطله سمي عالما وكل كلام يستحسن زخرفه لا
أصل له سمي علما بجهل السامعين بالعلم أي شيء هو وقله معرفة الحاضرين بوصف من غاب من
العلماء كيف كانوا فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة لمفتوني وصار كثير من كلام الرأي والمعقول
الذي حقيقته جهل كأنه علم للجاهلين فلا يفرقون بين المتكلفين والعلماء ولا يميزون بين
العلم والكلام وقد قلنا أن خصوص الجهال يشتهون العلماء فيتشبهون على جهالتهم في أحوال فأعلم الناس في زماننا
أعرفهم بسيرة المتقدمين وأعرفهم بطرائق السالفين كما قال علي عليه السلام وقيل له
انك خالفت فلانا في كذا فقال خبرنا أتبعنا لهدى الدين وكما قيل لسعد ابن المسيب فقرأنا من
أبيه أو نسأها فقال ان القرآن لم ينزل على ابن المسيب ولا على أبيه فأعلم الناس في هذا الوقت وأورعهم من
التوقف والرشد أشبههم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحي الخلف وكيف وقد روينا معنى ما ذكرنا عن
النبي صلى الله عليه وسلم قيل يا رسول الله من أعلم الناس قال أعرفهم بالحق اذا اشتبهت الامور وقال
بعض السلف أعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس وكما قال الحسن رحمه الله ما ظن امرئ أن أخذنا في
الاسلام رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها
يرضى وايا ها يطلب فارفضوهما الى النار أعرفوا انكاتهم لزيغهم بأعمالهم إن رجلا أصبح في هذه
الدنيا بين مترف يدعوا الى دنياه وصاحب هوى يدعوا الى هواه قد عصمه الله منهما بحي الى السلف
الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتص آثارهم ليعرض أمرا عظيما فكذلك فكونوا وكما روي عن

ابن مسعود وقد جامع هذا الشأن الكلام والهدى وأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها وإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ألا يوشك أن يطول عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها عن أبان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يتعد بها إلى بدعة ٥ وقال بعض الحكماء كلاما منظوما في وصف زماننا هذا كأنك شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور
أبني أن من الرجال بهيئة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله ... فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فاسأل الفقيه تكن فقيها مثله ... من سمع في عمل بعلم يهمر

وكان ابن مسعود يقول حسن هدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال في وصف زماننا هذا باليقين في وصف زماننا بالشك فقال أنكر في زمان خير كم فيه المنازع في الأمور وسيأتي زمان خير كم فيه المنتبث المتوقف يعني لكثرة الشبهات وقال حذيفة أعجب من هذا قال أن معروف هذا منكر لزمان قد مضى وإن منكر كم معروف زمان قد أتى وأنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وكان يقول أيضا يكون في آخر الزمان قوم العالم فيما بينهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون إليه يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيما اليوم المؤمن فيه أذل من الأمة وفي حديث علي عليه السلام يأتي على الناس زمان ينكز الحق تسعة أعشارهم لا يجوز منه يومئذ إلا كل مؤمن نومة يعني صموتا متغافلا أولئك مصابيح العلم وأئمة الهدى ليسوا بالمذاييع المذر عن المتكلمين كثيرا المتظاهرين بالكلام وفي الحديث يأتي على الناس زمان من عرف فيه الحق يخاف قيل فما العمل قال العمل يومئذ لا يسلم فيه إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق وفي حديث

لعله زائد بعض أصله محمود من محمور

أبي هريرة يأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا وفي بعضها بعشر ما يعلم وعن بعض التابعين أنتم اليوم في زمان من ترك منكم عشر ما يعلم هلك وبأتي عليكم زمان من عمل فيه بعشر ما أمر به نجا وقال بعض العلماء يأتي على الناس زمان يكون أفضل العلم الصمت وأفضل العمل اليوم يعني لكثرة الناطقين بالجهل فصار الصمت عملا للجاهل ولكثرة العاملين بالهوى وصار النوم عبادة للبطال الغافل ولعمري إن الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وإنهما أعلى حال الجاهل وكان يونس بن عبيد يقول أصبح اليوم من يعرف السنة غريبا وأغرب منه من يعرفه يعني طريقة السلف فمن عرف طريق من مضى فهو غريب أيضا لأنه قد عرف غريبا وقال حذيفة المزني كتب إلي يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان يقول أيضا ما بقي من يونس به وقال مالك بن دينار مذاكرة العلم فيه معصية قيل له فما ذاك قال لأنه لا يتم أهله وقد كان أبو الدرداء يقول لئن رأوا عيني ما أجنبتم لحاركم وقل فيكم ما لي فيكم وقيل لم يبق فيكم إلا ما كان العالم فيكم كالشاة النطيح وقد كان المتقدمين من علوم يتحرون عليها ويستنصرون تحدثت في زماننا وكان للتحدث معاني وطرائق يسلكونها وبتنا عنها قد خفيت في وقتنا هذا وكان في علم المعرفة مقامات وأحوال يتذاكرون أهلها فيها ويطلبون أربابها قد عفت آثارها عندنا لقلة الطالبين لها ولعدم آلة المتبين فيها وقلة العلماء بها وذهاب السالكين طرقها منها علم طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الإخلاص وعلم آفات النفوس وفساد الأعمال وعلم نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس وبين إظهار النفس شيئا وإخفائها ذلك والفرق بين سكون القلب وسكون النفس والفرق بين خواطر الروح والنفس وخاطر الإيمان والعقل وعلم حقائق الأحوال وعلل طريق الأعمال وتفاوت مشاهدات العارفين ونلوينات الشواهد على المريدين وعلم القبض والبسط والتحقيق بصفات العبودية والتخلق بأخلاق الربوبية وتفاوت مشاهدات العلماء إلى غير ذلك مما لا ندركه من علم الله تعالى ومعرفة معاني الصفات وعلوم المكاشفة بتجلي الذات وإظهار الأفعال الدالة على معاني الصفات وظهور المعاني الدالة على النظر والإعراض والتقريب والإبعاد والنقض والمزيد والمثوبة والعقوبة والاختيار والاختبار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني فصولا وسنما أصولا لا ننبه على فروعها وندل على أشكالها المن وفق لتدبرها وأريد بتذكرها وجعل له نصيبا منها وقال بعض علمائنا أعرف للمتقدمين

النطق

لون

اليقين وحالة المعرفة

سبعين علما كانوا يتجاوزونها ويتعاذقونها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف وأعرف
في زماننا هذا علوما كثيرة من الأباطيل والدعاوى والغرور وقد ظهرت وسميت علوما لم تكن فيما
مضى تعرف قلت هذا كالسراب الذي وصفه الله عز وجل يقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه
لم يجده شيئا الآية وقد كان الجنيد من قبله يتكلم يقول علمنا هذا الذي تتكلم فيه قد طوي بساطه
منذ عشرين سنة وإنما تتكلم في حواشيه وكان يقول قد كنت جالس قوما منذ ثلاثين
سنة يخاورون في علوم لا أفهمها ولا أدري ما هي وما يليت بالا كارفقط كنت أقلها وأجهلها من غير أن
أعرفها وكان أيضا يقول كنا نتحازى مع إخواننا في علوم كثيرة ما نعرف اليوم منها حرفا واحدا
أجد عنها وهذا باب كأنه قد أغلق وردم ولما صنف أبو سعيد بن الأعرابي كتاب طبقات الصالحين
أول من تكلم في هذا العلم وأظهره ثم من بعده من البصريين والشاميين وأهل خراسان إلى أن كان
آخرهم البغداديين فقال وآخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد لقوا زيرى وكانت له صورة
فيه وحقيقة منه وما بقي من بعد الا من يستحي من ذكره وقد سمعت لبعضهم
لا يحل أن يتكلم بعلمنا هذا لأنه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام يكون مواجيدهم
لباسهم ومعبودهم بطونهم وحليهم كلامهم وكان حذيفة بن اليمان يقول إذا سئل
أي الفتن أشد فقال أن يعرض عليك الخير والشر ولا تدري ما تأخذ وما تترك يعني لكثرة
الشبهات كما كان سهل يقول بعد سنة ثلثمائة لا تصح لأحد توبة لأنه يفسد خبزهم ولم يصر في
عن الخبز يعني أن أول التوبة أكل الحلال وقد رؤينا في خبز يأتي على الناس زمان يظلمون فيه ويعمون
يعرفونه يصبح الرجل منهم يدين ويمسي على دين يظل من أمره على غير يقين تسلب عقول أكثر أهل ذلك
الزمان وأول ما يرفع منهم الخشوع ثم الأمانة ثم الورع ويقال أول ما يرفع من الناس الله

باب فيما أحدث الناس فيما بينهم من القول والفعل مما لم يذكر

كان الناس قديما إذا التقوا يقول أحدهم لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما خبر نفسك
في مجاهدة نهاها وصبرها وما حال قلبك من مزيد الإيمان وعلم اليقين وبذل ما خبرك في المعاملة
لله وما حالك في أمور الدين والآخرة هل أردت أم انتقصت فيذاكرون أحوالهم من أمور

الدين ويصفون قلوبهم وأعمالهم في علوم الآخرة ويذكرون ما وهب الله لهم من حسن المعاملة ويتذاكرون
ما فتح لهم من غرائب الفهوم فكان هذا من تعديد نعم الله تعالى عليهم وجميل شكرهم ويكون لهم من ذلك في
المعرفة والمعاملة وكان بعضهم يقول تكثر علومنا ومواجيدنا ما يعبر فيه بعضنا من بعض وما لم يخبر به
أحدنا أخاه إذا التقيا فقد جعل هذا اليوم فتركهم إذا سئلوا عن الخير والحال المتزين وذا أمور
الدنيا وأسباب الهوى ثم يتركوا كل واحد منهم مولاه الجليل إلى عبده الذليل ويتسخط أحكامه
ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه فمثله كما قال تبارك وتعالى ومن أظلم ممن ذكر
بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه وكما قال تعالى إن الإنسان لربه لكنود قيل الكنود بنعمه
يعدد المصايب وينسى كل ذلك جهالة بالله عز وجل وغفلة عنه ومن ذلك قولهم الآن كيف أصبح وكيف
أمسيت هذا محدث إنما كانوا إذا التقوا قالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وفي الحديث من بدأ
بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وإنما حدث هذا من طاعون عمواس الذي كان بالشام من
زرع كان الرجل تلقاه غدوة فتقول كيف أصبحت من الطاعون وتلقاه عشية
الطاعون لأن أحدهم كان إذا أصبح لم يمس وإذا أمسى لم يصبح فبقي هذا إلى اليوم وكان
وكان من عرف جدوته من المتقدمين يكرهه حدثونا عن أحمد بن أبي الحواري قال قال
بكر بن عياش كيف أصبحت وكيف أمسيت فلم يكله وقال دعونا من هذه البدعة قال وقلت
السلف كيف أصبحت فأعرض عني وقال ما كيف أصبحت قولا بالسلم وروى أبو محشر عن الحسن
ون السلام عليكم سلمت والله القلوب فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك الله لين أنت عافاك
الله فإن أخذنا بقولهم جاءت بدعة لا ولا كرامة وإن شاءوا غضبوا علينا ومن ذلك ابتداء الرجل في عنوان
الكتاب باسم المكتوب إليه وإنما السنة أن يبتدئ نفسه فيكتب من فلان إلى فلان قال ابن سيرين
عمر رضي الله عنه كتب إلي أبي ابتدأت باسمه فكتب إلي يا بني إذا كتبت إلي فابدأ باسمك في الكتاب فإن ابتدأت اسمي قبل
اسمك فلا تأت لك كتابا ولا رددت إليك جوابا وكتب العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل نفسه فكتب من العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أول من أحدثه زياد
بعامله العلماء والناس عليه وعدوه من إحداث بني أمية وقد بقي سنة هذا في كتب الخلفاء والأمراء إلى
اليوم على نحو ما مضى فهم يقدمون أسماءهم في كتبهم ومن الإحداث قول الرجل إذا أتى منزل أخيه يا غلام

أو يأجاريه وفيه مخالفة لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أهل التفسير الاستيناس الدق والتنحنح والحاكي يؤذن
أن وراءها إنسانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء أحدكم منزل أخيه فليسلم ثلثا فإن
أذن له فليدخل وإلا فليرجع وكان السلف يقرع أحدهم باب أخيه ثم يسلم ثلثا يقف بعد كل
تسليمة هنيئة فإن أذن له دخل وقد لا يحب صاحب المنزل أن لا يدخل عليه في ذلك الوقت لسبب
له فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ارجع عافاك الله فإني على شغل فيرجع غير كاره للرجوع
ولا موتر ذلك عليه في نفسه وقد يكون قوله ارجع أجب إليه لأنه أفضل له رجاء الزكاة
التزكية لقول الله عز وجل وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فيرجو بارجوعه تزكية الله
إن تزكيته له خير له من دخوله فربما رجع اليوم مرتين أو ثلثا بعد رد صاحبه له وهو يعود لا
لم يوتر في قلبه شيئا وهذا لو فعل بعض الناس من أهل عصرنا هذا لكرهه ولعله أن لا يعود إليه
فلما فقد كان من الناس من لا يستأذن عليهم إلا لهم لا بد منه بل كانوا يتعهدون
مساجدهم ينتظرون خروجهم لأوقات الصلوات إجلالا للعلم وهيبة للعلماء حتى
يد قال ما قرعت على عالم قط بابه كنت أتأنى إلى منزله فأقعد على بابه أنتظر خروجه من قبل الله
ول قول الله عز وجل ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم وقد روينا مثل هذا عن
ابن عباس أن الماء كان ممره وهو نائم على منزل الرجل من الأنصار تسفي عليه الريح فيقول ما يحملك
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أنتظر خروج صاحب المنزل فأسأله عن
رسول الله لو أرسلت إلي لجئتك فيقول لا أنا أحق أن آتيك فيسأله عما يريد من
استفتى أحدهم في المسألة عن حال الرجل وخبره وقد ذكره ذلك تزوج سلمان
أهله خرج إلى الناس كالغد فقال له رجل كيف أنت يا أبا عبد الله قال بخير أحمد الله
وكيف بتت البارحة أو كيف وجدت أهلك فغضب سلمان وقال لم يسأل أحدكم فيما
المسألة ويسأل عما وراء البيوت يكفي أحدكم أن يسأل عن ظاهر الأمر وأما سليمان
فإن رجلا قال له في منزله كيف أنت يا أبا محمد فقال بخير قال كيف حالك قال في عافية فقال
البارحة فصاح يا جارية أيت لي بالفراش والمهاد فنزلت بذلك قال فرشي فقرشت فقال اضطجع

الفراش واضطجع إلى جنبك حتى يسري لخوا كيف بتت البارحة وقد كان الرجل يلقى أخاه فيسأله عن
كل شيء حتى يسأله عن الدجاج في البيت ولو سأله درهما من ماله ما أعطاه وكان السلف رحمة
الله عليهم ما يريد الرجل الذي يلقى أخاه أن يقول كيف أنتم أحياكم الله بالسلام ولو سأله
أن يشاطره ماله لفعل ذلك ومن ذلك قول الرجل لأخيه إذا لقيه ذاهبا في الطريق إلى أين تريد
أو من أين جئت فذكر ذلك وليس من السنة والأدب وهو داخل في التجسس والتحسس في
الأخبار وهذا السؤال يجمعهما وهو خارج من حسن الأدب فقد لا يحب الرجل أن يعلم صاحبه
أين يذهب ولا من أين جاء وروينا كراهة ذلك عن مجاهد وعطاء فإذا لقيت أخاك في طريق
فلا تسأله من أين جئت ولا أين تريد فلعله أن يخبرك فتكرهه ذلك أو لعله لا يخبرك فيشق ذلك
عليك وقد كان الأعمش يقول أدركت أقواما كان الرجل منهم لا يلقى أخاه دهرا فإذا لقيه لم يزده
على قوله كيف أنت ولو سأله شطر ماله لأعطاه إياه ثم أدركت أقواما إذا لم يلق الرجل
أخاه يوما ثم لقيه سأله عن كل شيء حتى عن الدجاج في البيت ولو سأله حبة من ماله لمنعه وقد
كانوا يكرهون بيع المصاحف وشراءها وكان بعضهم ليبيعها أكره منه لشرائها وقد ابتدع
الناس علوما لم تكن تعرف فيما سلف منها علم الكلام والجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على
سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة الرأي والمعقول ومنها إيثار علم العقل والتمييز على ظواهر
القرآن والآثار ومنها إظهار الإشارات بالمواجيد من غير علوم ولا بيان تفصيلها وفي ذلك
تحير للسامعين وإضلال للعاملين وإنما كان العلماء بهذا العلم يظهرون علوم المواجيد ويخفون
الإشارة بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر لأن المواجيد أحوال قلوبهم وكتمها
أفضل وعلومها أنصبة المريدين والعاملين فإظهارها هي الغيبة لهم فأظهروه وأخفوا وجدهم
لأنه سرهم فسلموا من التصنع والدعوى فأعطوا التسامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فعدلوا عن
الوصفين معا وفضلوا في الحالين جميعا فجهل هذا الأن وقد ظهر ضده فكان الضرر أقرب وهي
السلامة أبعد فمن لم يحسن التفصيل ولم يرزق البيان فإنه يحسن الصمت فهو واسع لأن من لم
يتكلم بعلم على سنة ينتفع به فسكوته عن غير شبهة لا يأمن الضرر بها أفضل قال الله عز وجل
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله الآية ومنها إظهار علوم المعرفة بمعاني الرغبة ليتميز راغب

الفقراء ركنًا منهم ولا يجعلون مجلسهم وليصرف اليهم من الاسباب على مقدار لبسهم وأحوالهم وهذا
من أكبر أبواب الدنيا وأضرها على مريد الآخرة وألطفه تمويهًا على الدين ومنها الكلام في الحقيقة
علم الشرع وان الحقيقة تخالف العلم الظاهر والحقيقة هي علم وهي احدى طرفات الشريعة وهم
الشرع عنها فكيف تنافيها وهي التي أوجبته وإنما هي عن تمنه وصنعه وعلم الظاهر الرخصة والتمه
فذلك من الالحاد في الشريعة والولوج بين الكتاب والسنة وقد كان بعض العارفين يقول نظرت
إلى الهوا يعني الشاطحين فاوجدت الاجاهلا مغرورا أو خاسيا حسورا أو مستظهرا بلا شيء ومنها
الكلام في الدين بالوسواس والخطرات عن غير ردها مواجيدها إلى الكتاب والسنة والواجب
معرفة تفصيلها ونفي ما لم يشهد له الكتاب والسنة منها إذ في المواجيد ضلال وغرور وفي
المشاهدات باطل وزور مع دعواهم المحبة وإنكارهم الصفة التي جاءت بها السنة عن غير شهادة
موصوف وادعاءهم المعرفة من غير تعرف معروف ومما احدثوا السجع في الدعاء والتقرب فيه
وما لم يرد الكتاب به ولا نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بل قد كانوا ينهون عن
الاعتداء في الرغبة وخشون مجاوزة ما أخبر الله عز وجل به عز أوليائه من الادعية الجامعة
المختصرة اياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في
الدعاء والطهور وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بدعاء فيه تعمق فيه فقال يا بني إياك والحدث
واياكم والاعتداء في الدعاء وقد قيل في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه الجهر
المعتدين قيل في الدعاء والاعتداء في الدعاء هو ترك ما أخبر الله به عز أوليائه الصالحين من الدعاء
بالمغفرة والرحمة والتوبة ومعنى ذلك من الدعاء المعروف والقول المشهور الى التطوع والتنفل
والتقرب والترفيق ويقال أن العلماء والابدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات ووجدت
تصديق ذلك في الكتاب ان الله تعالى ما أخبر عن عباده من الدعاء في مكان واحد اكثر من سبع دعوات
وهن في أخر سورة البقرة وانما الخبر عنهم بالدعوتين والثلث والأربع الى الخمس في مواضع من
الكتاب متفرقة ومن بعض السلف بقاص يدعو ابتجع في دعائه ويتعمق فقال له ويلك أعلى
الله تبالغ اشهد لقد رأيت حبيبا الفارسي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا حبين خيرين

اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير قال والتاء تكون من كل ناحية وكنا نعرف
اجابة دعائه وبركته وكان أبو يزيد البسطامي يقول اطلب منه وسله بلسان الذلة والافتقار
لا بلسان الفصاحة والانطلاق ومما احدثوا أجرا القرآن على ادائه وتنازع الآيتين الايه وتلقن
الرجل الآيتين في مكان واحد من غير خشوع ولا هيبة وقراءة القرآن يحتاج إلى خشوع وحزن
وسكون ومن ذلك أخذ المقرئ عن الاثنين ولينه قام بقراءة الواحد لسهو القلب
وقيل لابرهيم الحربي ان فلانا أخذ عن اثنين في مكان واحد فقال يحتاج اثنان أن يأخذوا على
واحد ومنها التلحين في القراءة حتى لا تفهم التلاوة وحتى يجاوز اعراب الكلمة مد المقصور وقصر
الممدود وادغام المظهر واظهار المدغم ليستوي بذلك التلاجن والاتيان بأعوجاج الكلم واجانته
عن حقيقته فهذا بدعة ومكروه استماعه وقال بشر بن الحرث سألت ابن داود الحربي
امر بالرجل يقرأ فاجلس اليه قال فيطرب قلت نعم قال لا هذا قد أظهر بدعته ومن ذلك التلحين في
الأذان وهو من البغي فيه والاعتداء وقال رجل من المؤذنين لابن عمر اني لأحبك في الله عز وجل
فقال له لكني ابغضك في الله عز وجل قال ولم يا عبد الرحمن قال لانك تغني في أذانك وتأخذ عليه
أجرا وكان أبو بكر الاجري رحمه الله يقول خرجت من بغداد وما يحل لي المقام بها قد اندعوا
في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي الأذان يعني التلحين وقدم علينا مكة في سنة ثلثين وثلثمائة
ومن جمل ما أحدث الخلف خالفوا به سنن السلف انهم شددوا في أشياء كان السلف يشددون فيها فما
اشبههم في ذلك الا بمثل الخوارج وشددوا في الصغائر من الذنوب وسهلوا وتركوا الجماعة حتى فارقوا
السنة والاثار وقتلوا من غير قصاص ولا تأويل فاسد سهلوا فيها حتى كأنه فرض فيما شددوا فيه مما كان
السلف يسهلونه كتب الاحاديث من أنواع طرقها وتتبع الغرائب من طرقها وتحري الالفاظ فيها وقد كان
السلف يرخصون في أدائها على المعنى دون تتبع اللفظ روي ذلك عن جماعة من الصحابة والسلف
الصالح من التابعين وقال ابن عون أدركت من العلماء ثلثة يرخصون المعاني الحسن وابرهيم
النخعي والشعبي ومن ذلك تجويد الحروف وتحري مقرئي الواحد في جميع احيائه بها حتى
كأنه فرض عليه ومنها التدقيق في القياس والنظر والتبحر في علوم العربية كما قال
ابراهيم بن أدهم اعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الاعمال فلم نعرب فيا ليتنا لحنا في الكلام واعربنا

الأعمال. وذكرت الهرية هذا القسم بن محمد فقال ولها ظن وأخرما بقي وقال بعضهم النحو
بالخشوع من القلب. وقال بعضهم من أراد أن يزدري الناس كلهم فليتعلم النحو وهذا كله
التعمق وشدد وا في الطهارة بالماء وتنظيف الثياب وغسلها من عرق الجنب ولبس الحايض ومن
أرواث ما يؤكل لحمه وأبوا له وغسل يسير الدم ونحو ذلك وكان السلف يرخصون في ذلك
ومما يسهلونه مما كان السلف يعظمونه الغيبة والنميمة والاستماع اليها والعمل على البلاغات
الظن لأجلها وهو أشراك في النميمة والغيبة والاستماع اليها ويشددون في أمر المكاسب
والكلام فيما لا يعني والخوض في الباطل والاستماع والنظر الى الزور واللهو هذا كله
الهوى وتركه ودع الى ما أشبه هذين من الامور وا لدخول الى الحمام بغير ميزر وذلك فسوق
وسئل ابرهيم الحربي عمن يشرب النبيذ ولا يسكر أيصلي خلفه قال نعم قيل فمن دخل الحمام
ميزر قال لا يصلي خلفه وأعظم منه أو مثله دخول النساء الحمام من غير ضرورة ودخول
الحمام بغير ميزر فسوق سئل ابرهيم بن اسحق الحربي رحمه الله الحكاية المتقدمة هذا لأن
النبيذ اذا لم يسكر وامنه مختلف فيه ولأن دخول الحمام بغير ميزر محرم باجماع وكان
ابن عمر يقول الحمام من النعيم الذي أحدثوه وكان بعض العلماء يقول يحتاج داخل
الحمام الى ميزرين والا لم يسلم ميزر على وجهه وميزر على عورته ومن المنكر الذي أحدثوا
الحمام تولي القيم لعورة الرجل المسلم بالنورة ٥

ذكر تفصيل العلوم مع عروفها ومنكرها وذكر ما حدث منها

وقال بعض علماء الخلف العلوم تسعة أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وحسنا
محمودة لم تكن تعرف فيما سلف فاما الأربعة المعروفة فعلم الايمان وعلم القران وعلم
الآثار والفتاوى واما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في القضايا
المعقول بالنظر وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه وعن مجالس القصاص وان بعض
العلماء نعم الرجل فلان لولا أنه يقص وقال بعض هذه الطايفة مثل اصحاب الحكايات
أقل المعرفة مثل القصاص من الفقهاء وقال آخر مثل القصاص من العلماء مثل أهل الذمة

أهل المدن فاما أكل الدنيا بالدين وأخذها على الصلاح وبيع الدين والعلم بالدنيا والتصنع والتزين للعوام
من شيم أهل الحديث وهذا أظهر من أن يستدل على فساده عند من عرف ظاهر العلم وقد سمى هولاء زماننا
الجاهلون علما وجعلهم الناقصون عن الفضل فضلا لقلة معرفتهم بطريق المتقدمين وعلم بصيرتهم بحقيقة
علم الدين واعلم أن الكلام ينقسم على سبعة أقسام العلم منه قسم واجد وسايب السنة لغو مطرح
يلتقطه من لا يعلم ولا يفرق بين ظاهر العلم والجهل والعرب تقول لكل ساقطة لاقطة ولكل قايلة قائلة والسنة
افك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة هذه اسماؤها عند العلماء يفصلون ذلك لما فضل الله عز
وجل لهم من سانه واستحفظهم من كتابه وجعلهم شهدا على دينه وعباده فالقسم السابع من
الكلام هو ما عدا هذه السنة ولم يقع عليه اسم منها مذموم فهو علم وهو نص القران والسنة
أو ما دلا عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسه ومعناه من قول وفعل والتاويل اذا لم يخرج عن
الاجماع داخل في العلم وقد كان من هدي العلماء في قعودهم أن يجتمع أحدهم في قعوده وينصب ركبته
ومنهم من كان يقعد على قدميه وينصب مرفقيه على ركبتيه كذلك كانت شمايل كل من تكلم في هذا
العلم من وقت الحسن الى وقت أبي الفاتيم خيد قبل أن تظهر الكراسي وكذلك روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان يقعد القرفصا ويحتبي بيديه وفي لفظ آخر كان يقعد على قدميه وينصب
مرفقيه على ركبتيه وأول من قعد على كرسي يحيى بن معاذ الرازي وكان بمصر وفي زمن الجنيد
أبو حمزة البغدادي فعاب الأشياخ ذلك عليه ولم يكن ذلك سيرة العارفين الذين تكلموا في علم
المعرفة وايقنوا فان كان جلوسهم انما كان مجلس متربعا التنزيون وأهل اللغة وأبناء الدنيا هي
العلم المفتين وهي جلسة المتكبرين ٥ ومن التواضع الاجتماع في الجلسة وقد كان ابن مسعود يقول انتم
اليوم في زمن الهوي فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابع للهوي وقد جمع الله تعالى بين رونق
العقل ومتعة الدنيا بتسمية الزخرف فقال تعالى وليبوتهم أبوابا وسررا عليها يتكيؤن وزخرفا كما
قال تعالى زخرف القول غرورا فذهب الجاهل بالاستحسان لزخرف القول من المموه من علم الدنيا كمتعة
الجاهل من أبناء الدنيا بزخرف الذهب ذاهبا عن حقيقة الأمر والزخرف ما يموه به على الذهب فيشتبه به
فيحسبه الجاهل والصبي عين الذهب كذلك الزخرف من القول ما يموه ويشبه العلم حتى يستمع من
الجهال علما فلذلك جمع بينهما بتسمية الزخرف وقد قيل ان الزخرف الذهب فما وافق شبه قول الغرور

وقد سئل العلوم فتنا وتنا

بالزهد الذي يذهب بقاؤه وتقل حقيقته عند الناس وأهل الحقيقة الزاهدين إذا شبهه الأنبياء
والصديقون بل رأوه كالجمر والمدى وكان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الفرايض
أقل الفقه فيهم الله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه
الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن يعلمها يقولون حرام وحلال لا في أكثر الأمور إذا رأيت الناس
يقولون مستحب ومكروه وكان مالك بن أنس أيضا كثير الوقوف في الأجوبة إذا سئل وقال
أن يقول لا أدري اسأل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي ألا ترى لقول فلان في العلم
حلال وحرام وقطعه في الأمور يعلمه يعني رجلا من فقهاء أهل الرأي وإلى قول مالك إذا سئل
أحسب أحسب فقال عبد الرحمن ويحك قول مالك أحسب أحسب أحب إلي من قول فلان أشهد
أشهد وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن اسألوهم
السنن فإنهم لا يعرفونها وكان الشعبي إذا نظر إلى ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول
لقد كان القعود في هذا المسجد أحب إلي مما يعدل به فمذ صار فيه هؤلاء يعني أصحاب الأهواء
أبعد على منزلة أحب إلي من أن أجلس فيه وكان يقول ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما
حدثوك عما أحدثوا من رأيهم فاطرحه عليه وقد قال مرة قبل عليه وقد كان السلف يستحبون
البعد عن علوم المعقول وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان مقرونة بالحياء فقال
الحياء والعي شعبتان من النفاق وقد قال أبغض الكلام إلى الله البليغ الذي يتخلل الكلام بلسانه كما
الباقرة للأبلسانها يعني الخشيش الرطب وقال في خبر آخر العي والتشادق على اللسان لا على القلب قال
إن الله عز وجل كره لكم البيان كل البيان وفي الخبر المشهور أن الله عز وجل يبغض الثرثارين
المتفيهقين والمتشدقين فمن غلب هذا الوصف عليه فكان متشدقا بليغا في علم الرأي والمعقول عمي
القلب عن مشاهدة الإيمان وعلم اليقين كان إلى النفاق أقرب ومن الإيمان أبعد وقد قال
أبو سليمان وكان أحد العارفين لا ينبغي لمن ألم شيئا من الخير أن يعلمه حتى يسمع به في الأثر فيعلمه
الله عز وجل إذ وافق ما في نفسه وقال بعض العارفين ما قلت خاطرا قط في قلبي حتى يشهد
لي شاهدان من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كان أبو محمد يقول
أصل حقيقة الإيمان حتى يكون في هذه الأربع إذا الفرايض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب

الفرار الكبير الكلام بشرعة والا
والمتفيهق الذي يتوسع فيه عند الكلام
ويرفع صوته ويتشدق في الفاظه
والمتشدق الذي يرفع الكلام
ويتشدق أي فيه كما في نسخة شرحه

النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الممات وقد كانوا يعيبون على من تكلم بعد طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس بغير ذكر الله عز وجل وكانوا يخرجون المتحدثين من المساجد ولا يبقى فيه
إلا مصليا أو ذاكرا الله عز وجل وقد كان السلف يستعظمون يسير الحدث في الدين وقايع
البدع في الإسلام لعظم الإيمان والسنة في قلوبهم ولعزتهم بحقيقة المعروف وقال عبد
الله بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الإمام يا بني إياك والحدث إياك والحدث وقال سعد
لابنه يا بني وقد سمعه يجهر في كلامه هذا الذي يبغضك إلي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
أو لتي أمتي شيئا من طلاقة في لسانه والله لا قضيت لك حاجة أبدا وقد كان سأله حاجة وقد قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زواحة حين سجع قولا لي بين ثلث كلمات وقال إياك
والسجع يا ابن رواحة فكان السجع ما زاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل
الذي أمره بدية الجنين لما قال كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الأعراب وروي أن عمر أخر صلوة المغرب ذات ليلة حتى
طلع نجم فأعتق رقبة وفعله عمر بن عبد العزيز أيضا فأعتق رقبة استنانا بعمر وهو جد أمه وروينا
أن ابن عمر أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفي الخبر لا تزال أمتي على
مسكة من دينها ما لم يؤخروا صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم تشبها باليهود ولم يؤخروا صلاة
الصبح إلى افتراق النجوم تشبها بالنصرانية وروي أن مروان لما أحدث المنبر في صلاة العيد عند
المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة هو خير
مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم
أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل وزاه صلى العيد وقال الثوري ويوسف بن
أسباط لا تقلد دينك من لا دين له وقال وكيع لأن أزني أحب إلي من أن أسأل مبتدعا عن دينه
وكان أحمد بن حنبل قد أكثر عن عبيد الله بن موسى العبسي ثم بلغه عنه أدنى بدعة فسأله فصدق
ما بلغ عنه فانصرف أحمد وخرق جميع ما حمله عنه ولم يحدث عنه شيئا وقيل له مرة يا أبا عبد
الله أوكيع أشبه بالسلف أم عبيد الله فقال وكيع ولو زنا وحلفوا عن إبراهيم الحربي قال كتبت عن علي بن
المديني جملا ولله علي أن لا أحدث عنه بحرف قيل له يا أبا إسحق فذكر عنه صلاته خلف مبتدع وكان

[illegible] هذه
[illegible] وقد خرج [illegible]
[illegible] عن أبي قلابة لا تجالسوا أهل الكلام ولا تخاصموا أهل الأهواء
[illegible] عن وهب بن جرير [illegible] شعبة
[illegible] معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى أحدكم جنازة فلا يجلس حتى
[illegible] قال [illegible] ثم جئت إلى [illegible] فلم أجد عنه
[illegible] محمد [illegible] شعبة فقال [illegible] وسأله عن حديث فتبعني إلى منزله
[illegible] بعد ذلك [illegible] فلا أسأله عن شيء كان لا يعلم به وهجر
[illegible] عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على
صورته فقال إن الهاء عائدة على آدم عليه السلام فغضب [illegible] وإن صورة كانت لآدم يخلقه
عليه [illegible] إن الله عز وجل خلق على مثال [illegible] أخبر أن الله عز وجل خلق آدم على صورته
[illegible] إليه وحلف أن ما قاله عن اعتقاد وإنما هو رأي رآه وقال القول
ما قلته وهو اعتقادي   وهجر أيضا الحارث المحاسبي في رده على المبتدعة وكان من أهل السنة فقال
إذا رددت عليهم فقد رددت بدعة ببدعة وأيضا فقد حملتهم على التفكر والرأي فتكون السبب في رد
الحق بالباطل   وهجر أيضا يحيى بن معين في كلمة تكلم بها وهو قوله لو أعطاني السلطان شيئا
لأخذته   وقيل لعبد الرحمن بن مهدي إن فلانا يرد على المبتدعة فقال بكتاب الله عز وجل وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال لا بل بالمعقول فقال بئس ما صنع رد بدعة ببدعة   وقال [illegible]
إنه ليس من السنة أن تجادل عن السنة ولكن تخبر بها فإن قبل منك وإلا فاسكت   وحدثني
[illegible] أن جارا كان يجالس أحمد بن حنبل داهية فكان أحمد يقبل عليه ويكرمه فبلغه عنه
أنه طين حائطه من خارج قال فأعرض عنه في المجلس فأنكر الشيخ ذلك فقال يا أبا عبد الله هل بلغك
[illegible] قال نعم طينت حائطك من خارج قال ولا يجوز قال لا لأنك أخذت من طريق المسلمين
[illegible] أصنع قال إما أن تكشط ما طينته وإما أن تهدم الحائط وتؤخره إلى المقدار
[illegible] قال فهدم الرجل الحائط وأخره إصبعا ثم طينه من خارج قال فأقبل

أبو عبد الله كما كان   ومما أحدثوا البيع والشرى على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيئا
ممن قعد على الطريق وكذلك إخراج الرواشن من البيوت وتقديم الفضائل في الأسواق في
الطرقات مكروهة والبيع والشرى من الصبيان مكروه ولأنهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول
ومما كره السلف طرح السنور والدابة على المزابل والطرقات فيتأذى المسلمون بروائحها
وكان شريح وغيره إذا ماتت لهم سنور دفنوها في دورهم   ومثله إخراج الميازيب وصبها في
الطرقات   وكان أحمد وأهل الورع يجعلون ميازيبهم إلى داخل بيوتهم   وكان إبراهيم يقول
أحدهم يكذب مرتين ولا يشعر يقول لا شيء إلا شيء يسير ليس شيء يعني قول الناس للشيء اليسير
الذي لا يوصف بكبير شيء لا شيء واستعظم هذا ورآه كذبا مرتين   وروينا عن عمر رضي
الله عنه أنه قال [illegible] كنت أرثي لك من العمى فصرت الآن أغبطك على العمى قال وكيف قال [illegible] ترى
أبا الصعداء مبتدعا كان بالمدينة   وقيل لعبادة تود أنك بصير قال لا قيل ولم قال على من كنت أفتح
إذ ذاك لو كان في وقت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنظر إليهم   وحدثونا عن
الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لي يقعد إلى القصاص فقال لا تنهه قلت لا يقبل قال
عظه قلت لا يقبل قال اهجره قلت نعم   قال وأتينا بيت أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك
فقال قل له يقرأ في المصحف ويذكر الله في نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت فإن لم يقبل قال بلى إن شاء الله فإن هذا الاجتماع محدث قلت فإن لم يفعل قال اهجره فتبسم
وسأل رجل بشر بن الحارث عن مسألة من علم القلب فتوقف ثم أجابه ثم سأله أخرى من علم المعاملات
فسكت ونظر إليه ثم قال من تجالس من الناس فقال منصور بن عمار وابن السماك فقال الأشبه تسألني عن علم
القلوب ثم تجالس القصاص قال وأعرض عنه حتى قلنا له يا أبا نصر إنه لا بأس به إنه من أهل السنة
وقد كانوا يكرهون الصلاة في المقصورة ويرونها أول بدعة أحدثت في المساجد ويكرهون تزويق
المساجد وتلوين القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا من البدع   وفي الخبر إذا زخرفتم
مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم   وكانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة
الواحدة   وروي أن أنس بن مالك لما دخل البصرة جعل كلما خطا خطوتين رأى مسجدا فقال ما هذه
البدعة لما كثرت المساجد قل المصلون أشهد لقد كانت القبيلة بأسرها ليس فيها إلا مسجد واحد

وكان أهل القبائل يتناوبون المسجد الواحد في الحي من الأحياء واختلفوا في أيهما يصلي إذا اتفق مسجدان
في محلة واحدة فمنهم من قال في أقدمهما وإليه ذهب أنس بن مالك وعدة من الصحابة وكان الحسن يقول يصلي في أقربهما
إليه قال وكانوا يجاوزون المساجد المحدثة إلى العتق ويقال أول ما أحدث من البدع أربع
الموائد والمناخل والأشنان والشبع وكانوا يكرهون أن يكون في البيت غير الخزف في الوضوء
آنية الصفر والنحاس قال الجنيد قال لي السري السقطي اجهد أن لا تستعمل في آنية بيتك
إلا جنسك يعني الطين ويقال لا حساب عليه ومما كره السلف أيضاً تشييد البناء بالجص والآجر
الدرجة الأولى ويقال أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون ويقال هو بناء الجبابرة وكرهوا
النقوش والتزويق في السقوف والأبواب وكانوا يغضون من النظر إلى ذلك غاب
الأحنف غيبة فرجع وقد خضروا سقف بيته وصفروه فلما نظر إليه خرج من منزله وحلف
أن لا يدخله حتى يقلعوه ويعيدوه كما كان وقال يحيى بن يمان وهو من أصحاب الثوري كنت
أمشي معه وهو في طريق فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت إليه فدفعني سفيان حتى جزت فقلت ما يكره
النظر إلى هذا فقال إنما بنوه لينظر إليه ولو كان كل من مر به لا ينظر إليه ما بنوه كأنه أي حتى
أن يكون نظره إليه معاوناً له على بنائه ومما أحدث الناس مما كانوا يكرهونه الثياب
الرقاق مثل العصب ودقيق مصر وكانوا يقولون الثياب الرقاق ثياب الفساق ومن رق ثوبه لعصب نوع من برود اليمن
رق دينه ويقال أول النسك الزي وقال ابن مسعود لا يشبه الزي بالزي حتى يشبه القلب
بالقلب وخطب بعض الولاة وعليه ثوب رقيق فجعل بعض أصحابه يهزأ به ويقول انظروا إلى
أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق ولما جاء عبد الله بن عامر بن ربيعة في ثوبين إلى
أبي ذر وسأله عن الزهد جعل يضرط له في كفه ثم أعرض عنه ولم يكلمه فغضب ابن عامر وشكاه
إلى عبد الله بن عمر فقال له ابن عمر أتيت أبا ذر في هذه الثياب وتسأله عن الزهد وفي الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد وصف نساء يكن في آخر الزمان فقال كاسيات عاريات مائلات
مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البقر يعني المعاجر والأكوار لا يجدن رائحة الجنة فالثياب
الرقاق للنساء أحرم وأغلظ وكان ابن عباس يفسر التبرج أنه منه لبس ما رق من الثياب
وقال في قوله عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال كانت المرأة تلبس ثياباً قميصاً

كان وكذا لا تواري لها عورة مما لا تجوز فيه الصلاة مما يصف أو يشف فكرهوا لبسه وإنما كانت ثياب
السلف السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري من مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب
السحولية والكرابيس والحضرمية وهذه كلها غلاظ كثيفة أثمان خمسة دراهم إلى ثلاثين درهماً وما
بين ذلك ثم أحدث الناس الثياب الرقاق من كتان مصر وقطن خراسان وكان طول مئزر رسول
الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ونصف وثمنه ثلاثة دراهم إلى أربعة دراهم والخمسة وكانت أثمان ثيابهم
القمص من الخمسة إلى العشرة فما بينهما من الثمن ولكن قد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف بلغ
منكراً والمنكر معروفاً وكان ابن عباس يقول لا يأتي على الناس زمان إلا أماتوا فيه سنة وأحيوا
فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيا البدع وإنما قيل منكر لأنه لا يعرف فإذا خفي الحق أنكر فلم
يعرف فوقع عليه اسم منكر وكذلك قيل معروف لأنه مشهور مألوف معروف فإذا أفشي الباطل وكثر
الجهل حتى ألف وعرف وقع عليه اسم معروف وكذلك جاء في الخبر يكثر الجور حتى يولد فيه من لا يعرف
العدل وكان الشعبي يقول يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج وهذا قد أتى كما قال منذ
زمان إن الحجاج ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه في زمانه هي اليوم سنن معروفة وأعمال مستحسنة
يترحمون الناس عليه ويغبطون من أجلها ويحسبون أنه مأجور عليها مشكور له سعيه فيها إلا
أنهم لا يعرفون أنه أحدثها وهم وإن لم يقولوا بذلك قولاً فإن استعمالهم لما أحدث واستحسانهم لما
ابتدع ترحم منهم عليه والترحم هو الصلاة وأيضاً فإنه ابتدع شيئاً من الخير وأدخله في أبواب
الآخرة ثم ظهرت بعده ولاة ابتدعوا بعده بدعاً من الجور وأحدثوا أحداثاً من الفسوق صارت
سنناً بعدهم فوجب بذلك الصلاة عليه إلى جنب ما أظهروا بعده منها هذه المحامل والقباب في
التي خالف بها هدي السلف بالتنعم والرفاهية وإنما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل فيضحون
الشمس وينصبون في سبيل الله عز وجل ويشعثون ويغبرون ويقل أكلهم ونومهم وتكثر رفاهية
الإبل ونقل المشقة والحمل عليها فيكون ذلك ثواباً لهم وأزكى لحجهم وأدنى إلى بقاء الظهر وسلامتها
ويوافقون سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من جميع ذلك مما أدخلهم فيه من بدعته فصاروا
يخرجون في بيوت ظليلة مع الحمل الثقيل على الإبل مما لا تطيق فيكون سبب تلفها وابتدع أيضاً هذه
الأخماس والأعشار وتزويق الآي وخمس السواد وخضرة وصفرة فأدخل في المصحف ما ليس فيه من

الزخرف وكانوا يقولون جردوا القرآن كما أنزله الله ولا تخلطوا به غيره فانكر الناس عليه حتى قال أبو رزين يأتي على الناس زمان ينشوا فيه ناشؤ يحسبون أن ما أحدث الحجاج في المصاحف هكذا أنزله الله بدينه بذلك وحتى نقل الاختلاف أن بعضهم كان يقرأ في مصحف منقوط بحمر لأن بعضا كان يرى القراءة في مصحف منقوط كما نقل أن بعضهم كان يرى شراء المصاحف ويكره بيعها أي فكذلك اذا لم تنقطه أنت فلا بأس أن تقرأ فيما نقطه غيرك وقد كانوا يكرهون أن يأخذوا الأجرة على تنقيط القرآن لأجل أنه مبتدع وقال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر قال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية فقال أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط بالنحو في سجن الحجاج فعجبت منه وكان أول نقط رأيته فأتيت به الشعبي فأخبرته فقال إقرأ فيه ولا تشترطه انت بيدك ومنها انه يجمع القراء والقراء ثلثين رجلا فيأمرون بالمصاحف فتجرد حروف المصحف ويعدون كلماته شهرا ولو رأيتهم عمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم يصنعون هذا بالقرآن يعدون كلمه وحروفه من كل سورة لأوجع رؤوسهم ضربا وهو الذي كرهته الصحابة رضي الله عنهم وقطعوا به على قراء آخر الزمان أنهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده فكان الحجاج أقرأ القراء وأحفظهم بحروف القرآن وكان يختم في كل ثلث وكان أول من أحدث بينهم الحدود ومنها انه ابتدع اخراج الحصى والرمل من المساجد وفرشها بالبواري كما روي أن قتادة سجد فدخلت في عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البواري تؤذي بها المصلين وكانوا يستحبون السجود على الأرض والتراب تواضعا لله عز وجل وتخشعا وذلا إلى غير ذلك من بدعه التي لم يقصد تعديدها ولا جمعها وهي اليوم سنن معروفة وشرائع مألوفة إلى ما أحدث من قبله ومن بعده من آل مروان من الآثار في البلدان مع ما أحدث غيرهم مما يكثر عدده منكر كله عند من عرف المعروف في المقدمين كيف كان وكذلك قراءة الإدانة بدعة لأنه بمنزلة الخلسة والانتهاب والقرآن ينفي أن تقرأ بخشوع وحزن وسكون وقال ابن مسعود يظهر المنكر والبدع حتى اذا غير منه شيء قال غيرت السنة وقال في أخر حديثه أكيسهم في ذلك الزمان الذي يروغ بدينه روغان الثعلب وقد كان أنس بن مالك في سنة ثمانين وأيام الحجاج يقول ما أعرف اليوم شيئا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد غير الا شهادة ان لا إله الا الله قيل والصلوة يا أبا حمزة قال أوليس قد أجدتم فيها

الصلوة ما علمتم وكان يقول للقراء إذا دخلوا عليه مثل يزيد الرقاشي وزياد النميري وفرقد السبخي ما أشبهكم بأصحاب محمد عليه السلم فيفرحون فيقول لهم رؤوسكم والحاكم كما قال المجنون

أما النهار ففي قيامهم وأزين نساءها حيي غير نسائها

وعن جماعة من الصحابة لو نشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوكم لما عرفوا شيئا مما أنتم عليه الا الصلوة في الجماعة وقد كان الحسن يقول صحبت طوايف لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوا أخياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق وقال أبو حازم أدركت القراء وهم القراء حقا لو كان حامل القرآن في مائة رجل لعرف لشدة تواضعه وحسن سمته قد خضعه القرآن واخشعه وأما هؤلاء فوالله ما هم بالقراء ولكنهم الخسر أكذلك وصف بعض السلف قال كنا نشهد الجنازة فلا يعرف صاحب الجنازة ولا ندري من تعزي من شدة حزن القوم قال وكان يبقى أحدهم بعد شهود الجنازة ثلثا لا ينتفع به وقد كان الفضيل يحزن عديله من قراء زمانه فقال واياك وصحبة هؤلاء القراء فانك إن خالفتهم في شيء كفروك وقال الثوري ما شيء أحب إلى من صحبة فتى ولا شيء أبغض إلى من صحبة قاري وكان كثيرا يقول من لم يحسن يتقي لم يحسن يقرأ وكان بشر بن الحرث يقول لأن أصحب فتى أحب إلي من أن أصحب قاريا واياك وصحبة القراء فانهم يدعون عليك غير مدعوم وان تركت الصلوة معهم في جماعة تشاهدوا عليك كل ذلك لأنهم يجاوزون الحد في الشيء ويسرعون الإنكار الى كل شيء لغلبة الجهل عليهم وقلة ما استنبهم للعلم وعمانا العلم وأنهم موصوفون بدقايق الرياء والتصنع للعامة وبالعجب فينكرون غير منكر ويتعصبون بالبغضة والهجر في الشيء اليسير الذي فيه مغتفر وهم غير موصوفين بمحاسن الأخلاق ولا موسومين بالبشاشة والانطلاق اذ فيهم كزازة وتغيض على الناس ولداده وكثرة مقتب لأهل البشر والطلاقة وجنوح على الأغنياء حتى كأنهم بكالون أن زاحمهم أو كانوا يعلمون العبادة لهم فلذلك رفضهم العلماء وذمهم الحكماء إذ قد جعل الله لكل شيء قدرا فمن تعدى حد شيء نقد أفسده لأن العلم يبسط ويوسع وتكون معه الأخلاق الحسنة والآداب والمروة الواسعة والحلم ويضع الأشياء مواضعها من الناس والاتجاوز بالناس المقادير ويستخرج لهم المعاذير وهذا كله من القراء معدوم لا يعرفونه ومن صفة العالم الانقباض في بسط خلق وقد قال الشافعي رحمه الله انقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم فكن بين المنقبض والمنبسط وفي الخبر انكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق حسن وفي لفظ أخر وبشر وبشاشة ومن أخلاق

باب من فضل هذا العلم وشرائف العلوم والتحذير من الاغترار فيه

اعلم أن كل علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك لا اغتراب فيه وحرج على عالمه في ذلك وتمرة العلم الأعلم الإيمان واليقين فإنه لا يتأتى ظهور مشاهدته والكلام في حقائقه الا لمؤمن موقن من قبل أن ذلك من مزيد الايمان وحقيقة العلم والإيقان فهو آيات الله وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله لا تكون للفاسقين وعهده لا ينالهُ الظالمون ومن قبل انه مزيد الايمان وحقيقة للعلم والإيقان عن عظمته وقدرته وكبريائه وجلاله ولا تكون شهادة للزائغين ولا وجد للمبطلين اذ في ذلك توهين لآيات الله وحجته وانتقاص لبراهينه وقدحٌ ودخول الشك في اليقين الذي هو محجة الخاصين واشتباه الباطل بالحق الذي هو وصف أهل الصدق والذين هم أدلته على من أهل ودادهِ والذين تخشى الله سبحانه من عباده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره من علوم الشرع قال الله سبحانه أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقال عز وجل بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين وقال تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال سبحانه وتبينه لقوم يعلمون فهؤلاء العلماء بالله عز وجل الناطقون عن الله جعل لهم أنصبه منه ومكانا عنده ولا يكون ذلك لمن ليس أهلا له ولا حقيقة لأنهم آيات الله وبيناته وشهوده وطرقانه اذ يقول تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مع قوله وكانوا أحق بها وأهلها فنصرهم وأعزهم بما أعزهم وشهد الله بمثل ما شهد لهم وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم نخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وقال بعضهم من لم يكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعرف من شرك أو نفاق في نفسه اليقين ومن عرى من اليقين وجد فيه دقائق الشرك وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم شيء بدعة أو كبر وقال أبو محمد أقل عقوبة من لم يرزق من هذا العلم أن لا يرزق منه شيئا أبدا وانفقوا على الله علم التصديق وأن من كان له نصيب منه فهو من المقربين وفوق أصحاب اليمين واعلم أن علم

العلي الى المولى الأعلى فيفرح بذلك الى مولاه وبطبعه الى خدمة سيده الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر به الى نفسه ولا يعجب بوصفه وهذه طرقات قد درست وانقطع سلاكها الا من رحم ربك والله الموفق

اجلهم اذا ذكر عنده عيب بشيء وقف وفكر في شأنه فان كان فيه مثل ذلك الشيء قطعه الحياء من الكلام في أخيه فكف وان لم يكن فيه ذكر الله وترحم اخاه فشغله الشكر لمولاه إذ عافاه الله فهذه كانت سيرة السلف ويقال في بعض كتب الله عز وجل عجبت لمن قبل فيه الخير ولم يقل فيه كيف يفرح ومن قبل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب واعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين والتقى الشرع على الظن ومن طريقة السلف رحمهم الله مما كانوا يشددون فيه حب المدح وطلب الحمد حتى قال بعضهم لبعض من أحب المدح وكره الذم فهو منافق وقال التوزي كنا اذا قيل لك يا أحمق فرحت وان قيل لك يا عاقل غضبت واذا قيل لك نعم الرجل أنت تفرج فبئس الرجل أنت وقال آخر لا يزال فيكم خير ما لم تر فيكم خيرا وشبه بعض العلماء علامة المنافق بالذي اذا مدح بما ليس فيه ارتاح قلبه لذلك وكان سفيان يقول اذا رأيت الرجل يحب أن يحمده الناس كلهم ويكره أن يذكره أحد بسوء فاعلم انه منافق فهذا داخل في وصف الله عز وجل المنافقين لقوله تعالى ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ينبغي لمن أمن من أهل السنة أن يخالف أهل البدع فهذا مما دخل فيه القراء الذين ذمهم العلماء مما دخل الليل فيه النهار ولعل مغزوا جاء لا يناول الحديث الذي جاء إذا مدح المؤمن ربا الايمان زيادته ونقصانه بالخوف والاشفاق من المكر به والاستدراج وفيه طرق العارفين بالله

يجد ومعرفة الصفات مسائل لسائر العلماء فلا اختلاف في علم الظاهر جحده ولا اختلاف في علم
توحيده لا إله إلا الله وخطأ في علم الظاهر معفو عنه ما كان جحده إذا اجتهد واولى الخطأ في
توحيد شهادة اليقين كفر من قبل أن العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله عز وجل في ذلك
الظاهر وعليهم موافقة الحقيقة عند الله عز وجل في التوحيد ومن ابتدع شيئا زدت إليه بدعته
وكان مسلما عنه ولم يكن حجة لله تعالى على عباده ولا عيبا فيما في بلاده بل كان موضوعا الدنيا
الى يقين ولم يكن دليلا على الله عز وجل ولا امام للمسلمين كما جاء في الخبر المشهور
لما أن الرسل ما يدخلون في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاحذروهم على دينكم وفي الخبر المشهور من أحدث
في ديننا ما ليس فيه فهو رد وقد رونا في حديث غريب من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها ورونا عن عيسى عليه
السلام وقيل له من اشد الناس فتنة فقال زلة العالم إذا زل زل بزلته عالم كثير وقد رونا معناه عن نبينا
صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن وكذلك قال عمر الناس
العالم إذا زل السفينة إذا غرقت غرق معها خلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلين
الصلوة أي انها عند العامة آية يفزع منها وكان ابن عباس يقول ويل لهذه الأمة من الأتباع وويل
للأتباع من العالم يزل العالم زلة فيتبعه عليها فيأثم من الناس وبلغ الآفاق ولا أعلم أحدا أعظم جرما
ابتدع في دين الله فنظر في كتاب الله وفي علم المعرفة بما لم يأذن به الله ثم لم يعبأ بسنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حجة الله على جميع خلقه وطريق مقربيه من عباده فاضل بذلك عباد
الله فان مثل من ابتدع بدعة في دين الله واتخذ وليجة دون الكتاب والسنة وسبط من المؤمنين اجتث
بساعة أموال الدنيا وأزكت شهوات الهوى كمثل من اختزج المظالم بين الناس في الأموال والدماء
الى من ظلم نفسه بكسب الذنوب بينه وبين ربه ان مظالم العباد أعظم وهو الديوان الذي لا يترك الله
التوبة في الدين تعاظم لأنها مظالم الدين ومظالم الرسل وقطع طرقات المؤمنين كهذه مظالم
الخلق ومثله ايضا مثل من أذنب وجحد ذنبه وأخبث لنفسه الى من أذنب وأعتر بذنبه وأعتذ
من نفسه فهو أقرب إلى العفو وأرجى للرحمة من الآخر كذلك من اعتل بالتقصير والتفريط
الآنة اظهر حقيقة العلم ونصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ببيان كتابه وسنة

من المنقول من كلام الشيخ عبد الله بن أحمد الباجي

الإحسن الخاتمة وأولى بالتذارك في العاقبة ممن شرع في دين الله عز وجل وابتدع في الأمة ما يخالف به
الكتاب والسنة وهذا كأنه قد قلب ملة وقد بدل شريعة فهذا بوادر النفاق في قلبه حتى يختم له به
ومثل من ابتدع في الملة مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل من ساء إلى نفسه بالذنوب عن عمى
الملك في قلب دولته وتظاهر عليه في ملكه بالإزالة الى من عصى أمره وقصر في حقه من الرغبة فيه وقال
بعض الحكماء ثلثة لا يحسن من الملك أن يفقرها وليس من الحكمة التجاوز عنها من قلب دولته من عتبه
او عمل فيما يوهن الملك أو يضعه أو جنا في افساد حرمة من حرمه وروينا عن النبي صلى
الله عليه وسلم أن لله ملكا ينادي في كل يوم ألا من هتك حرمة الله خرج من أمان الله وأخرق ثوب
الكعبة ينادي ألا من ضيع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته والآخر على الصخرة ألا من
أكل حراما واستحل محارم الله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وعن علي عليه السلام الهوى شرك
النبي قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ثم قال تعالى أو قال
أوحي إلي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فسوى بين الكذب في الفرية على الله وبين
المشيئة المضاهي للربوبية وكذلك من أعظم المنكر بعد هذا انكار الحق من أهله وردة عليهم بالتكذيب
فقد سوى الله بين التكذيب بالحق وبين ابتداء الكذب على الله في قوله ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا أو كذب بالصدق لما جاءه كما سوى بين الصادق بالحق والمصدق الصدق فقال تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم في
الأجر سواء وقال عليه السلام المستمع شريك القايل ولكن الله تعالى قد جعل من هذه الطايفة من أهل
العلم بالله ردءا على جميع الطوايف من الشاطين والمبتدعين أهل الجهل الذين الهاية عن سبيل المؤمنين بما
أراهم الله من علم اليقين وبما شرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعديل في قوله عدل
العلم من كل خلف يحملون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتحوف الزيغ وأسقطوا
الحكم والمبطلون هم المدعون المبتدعون لأنهم كاذبون والجاهلون هم المنكرون للحق لأنهم
جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعاوي والهوى بنا وقلون الكلام بالمعقول فانكروا غرايب
العلم بما اغتروا به من ظاهر العقل كما زوينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله فلا

من المنقول من كلام الشيخ عبد الله بن أحمد الباجي في اقتضاء الترب والتحرص على الرواة

يحقروا شيئا مما أتاه الله علما فإن الله لم يحقره إذ أتاه وكل مبتدع في الدين إلى ما لم يسبق به إلى القول
السلف الصالح من الصحابة والتابعين بإحسان فهو متكلف مبطل ومحتج بعلم اليقين وهم الراسخون
السنة ويثبتون أهل الآثار ويوثرون نقله الأخبار بما يفضلون من أخبارهم ويستزيدون من آثارهم
لم يجعل للنقلة اليه طريقا ولم تمتد الرواة الى كشف عنه بما أشهدهم الله واستودعهم ونورز
قلوبهم وأيقظهم ينطقون عن الله عز وجل فيما يحدثون عنه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
أيمة الأيه وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكتت عنه
السلف فالكلام فيه تكلف وقال بعض السلف الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه
اكتفى وقال علي عليه السلم عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع عنه
أحدث الناس أيضا الرد على المبتدعة بعلم الرأي والمعقول وقد كان هذا فيما سلف بدعة
المتكلمون به مبتدعة فصار في زماننا هذا علما وفعل الجهال أصحاب المنطق لما لم يكن من
الرد على المبتدع عن الآثار السنن والآثار لا بعلم الكلام والقياس والنظر قيل لابن المبارك من
ان فلانا صنف كتابا يرد فيه على المبتدعة قال بأي شيء بالكتاب والسنة قال لا ولكن بعلم المتقول
فقال أخطأ السنة رد بدعة ببدعة ومجر أحمد بن حنبل الحرث المحاسبي وكان من
العلم لرده على المبتدعة بعلم الكلام وقال له ليس السنة أن يرد عليهم ولا يناظروا انما السنة أن تخبر
بالآثار والسنن فإن قبلوا والا هجروا في الله وقال أيضا اذا رددت عليهم بعض ما يقولون
إلى زد ما جئت به بالقياس والجدل فتكون سببا للرد للحق وكذلك
تكلم بكلام المبتدعة في رد الصفات حين سئل عن الحديث
أدم فغضب أحمد وقال ويله يزعم أن الله خلق أدم على مثاله
ويله فكيف يصنع في الحديث المفسر ان الله خلق أدم على صورة الرحمن
النبي صلى الله عليه وسلم خلق أدم على صورة الرحمن قال خلقه على الأسماء والصفات وقد علمه
الذات من ذلك أن الله قدير والقدرة صفته والمقدور عليه عبده والكرم
تكرم على عبده وعلى هذا المعنى والله أعلم نفسير فرجع عن ذلك أبو ثور واعتذر وقال
السلف أن لا يستمع إلى مبتدع لأنه منكر ولا يرد عليه بالنظر والجدل فإنه بدعة ولكن يخبر بما

سيأتي تأويل هذا الخبر في هذه الكراسة

ويحتج بالأثر فإن قيل فهو أخوك ووجبت عليك موالاته وإن رد وأنكر تركت بدعته
وحقت عداوته وهذا طريق لا يسلكه في وقتنا هذا الا من عرف سيرة المتقدمين وكان من
المتقين وحدث عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا اليه مخذولين
فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء القوم ما نصيب منهم شيئا قد أتبعونا فيقول انكم لا تقدرون
عليهم قد صحبوا نبيهم عليه السلم وشهدوا الفتن بل الكتاب ربهم عز وجل ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون
منهم حاجتكم قال فلما جاء التابعون وانقرض الصحابة بث جنوده فيهم فرجعوا اليه منكسرين
فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان من
آخر النهار أخذوا في الاستغفار فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لا تنالون من هؤلاء شيئا اصحبوا
توحيدهم واتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ولكن سيأتي بعدهم قوم تقر أعينكم بهم تلعبون
بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيئاتهم
حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الثلثة فبثت فيهم الأهواء ونزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها
دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون الى الله قال فتسلطت عليهم الأحداث وقادتهم ابن شاءوا
وقد قال ابن عباس ان للضلالة حلاوة في قلوب أصحابها وقال الله عز وجل أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه الأيه والعلم رحمك الله هو
الذي كان عليه السلف الصالح المقتفى آثارهم والخلف التابع المقتدين بهديهم وهم الصحابة أهل
التمكينة والرضى ثم التابعون لهم باحسان الى يوم الدين من أهل الزهد والنهى والعالم هو الذي يدعو
الناس إلى مثل حاله حتى يكونوا مثله فإذا نظروا اليه زهدوا في الدنيا كما كان ذو النون
المصري يقول جالس من شئت من كلمك حاله لا من كلمك لسانه وقال سهل العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا
ارتحل وقد روينا معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قيل له اي جلسائنا خير فقال
من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله فأما من يطلب
دنياهم حتى يكونوا مثلهم فإذا رأوه اغتبطوا بحالهم فهذا شر منهم لأنه يدعوا الى نفسه لا الى
سيده ولأنه طامع فيهم وهم زاهدون فيه والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء هم الورعون في دين
الله الزاهدون في فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدوة لا علم الرأي والهوى الصامتون عن

تشهت واختلف هل الى يومه أقدمه العلماء الشهداء على الله بل وبل ولا بقوا مبطاجاهل كما روى
تشهت عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل
والأمل وقال يوسف بن أسباط كتب الي حذيفة أما عشت ما طمعت بمن بقي لا تجد لجدا يذكر الله
فإن كان أتاها وكنت مذاكرته معصية وذاك انه لا يجد أهلا قال قلت ليوسف بن أسباط
يحمد ويعرفهم قال ويخفون علينا وليقال ان الأبدال انما انقطعوا في أطراف البلاد واستتروا
بعيد لانهم لا يطيقون النظر الى علماء هذا الوقت ولا يصبرون على استماع كلامهم لانهم عندهم
جهال بالله وهم عند أنفسهم علماء فقد صاروا من أهل الجهل وأهل الجهل على الوصف الذي قال
العالم ان من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة أيسر عليهم
لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا في أطراف الأرض لانهم لا يموتون في الدين ولا يعرون المؤمنين
أنهم علماء لانهم يتعلمون والجهل معترفون وبه معترفون فهم الى الرحمة أقرب ومن المقت أبعد
جهول ولا حول ولا قوة الا بالله وقال العالم أيضا قسوة القلب بالجهل بالعلم أشد من القسوة بالمعاصي
الجاهل بالعلم تارك ومتدع والعاصي بالفعل مقر بالعلم ونقول أيضا ان العلم دواء به تصلح الأهواء
فهو يزيل فساد الأعمال بالتذاكر والجهل داء يفسد الأعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فتصير
سيئات فكم بين ما يصلح الفاسد وبين ما يفسد الصالح وقد قال الله تعالى ان الله لا يصلح عمل
المفسدين وقال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا فهو من أدل دليل على فضائل العلم للعالم
العابد المجتهد وحسبنا الله ونعم الوكيل واعلم ان العبد اذا بان الناس في كل شيء من أحوالهم
انفرد عن جميعهم ولم يألف واحدا منهم ناصبوه العداوة والبغضاء فان فارقهم في بعض دون
بعض فليخالط الأكثر وليفارق أهل الشر فبالحري أن يسلم

ذكر تفصيل الأخبار وسائر طريق الآثار وذكر الرخصة في نظمها

جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أصحابه والتابعين
وما بعدهم رسمنا حفظه وسقناه على المعنى الأيسر اتفق وجوده في أيدينا وقرب تناوله فما
كان من أخبارها طويلا فربما نقلناها من مواضعها وما بعد علينا فلم نقفه أو لم نتبع همما به فما كان

من صواب وحق وبيان فمن تثبيت الله عز وجل وتسديده وتوفيقه وتأييده وما كان من خطأ وعجلة
فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان كذلك روينا عن ابن مسعود في قصته التي قضاها بابل في
لزابة بمنى وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان والتثبت من الله والعجلة والنسيان من
الشيطان يعني بواسطته ولقلة التوفيق ولم أعتبر ألفاظ الأخبار في أكثرها ولم آل عن سياق
المعنى في كله اذ ليس تحسن الألفاظ عندي واجبا اذا أتيت بالمعنى بعد أن تكون عالما بتصريف
الكلام وتفاوت وجوه المعاني مجتنبا لما يكون فيه تحريفا واحالة بين لفظين وقد رخص في سوق
الحديث على المعنى دون سياقه على اللفظ جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وابن عباس وأنس
وأبو الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبو هريرة ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم امام الأئمة
الحسن والشعبي وعمرو بن دينار ومجاهد وعكرمة والنخعي نقلنا ذلك عنهم في كتب سيرهم
بألفاظ مختلفة وقال ابن سيرين كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والألفاظ مختلفة ولذلك
اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه تاما ومنهم من
يرويه على المعنى ومنهم من يرويه مختصرا ومنهم من يعتبر بين اللفظين ويراه واسعا اذا لم يخالف المعنى
ولم يحل البغية وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ولا يحيل البغية ولذلك
وسعهم وكانوا يقولون انما الكذب على من تعمد وقد روينا عن عمران بن مسلم قال قال رجل للحسن
يا أبا سعيد انك اذا حدثت بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود له تخييرا وأفصح به لسانا مني
اذا حدثنا به فقال اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك وقال النضر بن شميل كان هشيم لحانا
فكنوت لكم حديثه كنوة حسنة يعني بالاعراب وكان النضر نحويا ونحن قايلون في جميع ما رويناه
أو كما قيل ونحوه وشبهه ومعناه كذلك قال ابن مسعود في حديثه وكان سليمان التيمي يقول
في كل ما حدث به وقد كان سفيان الثوري يقول اذا رأيت الرجل يسرد في ألفاظ الحديث
المجلس فاعلم انه يقول أحرفوا قال وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد عن حرف في الحديث على لفظه
فقال له يحيى يا هذا ليس في أيدينا أجل من كتاب الله قد رخص لنا القراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف
فلا تشدد وفي بعضها مراسيل ومقاطيع ومنها ما في سنده مقال وان كان المقطوع والمرسل
أصح من المسند اذا رواه الأئمة وكان لنا رسم ذلك في الوضع لعلمنا بأن أحدها انا لسنا على يقين من

ما لم يخالفه للكتاب والسنة بما فيها ما يدل عليها والذي نعين حينئذ لك وفقه
الله والسنة وإن قد سمعناه فإن أخطأنا الحقيقة عند الله عز وجل فذلك منا قط عنك كما قال الأسباط
المسلم وما شهدنا إلا بما علمنا ومكنا للغيب حافظين وفي قولهم إن ابنك سرق فأخطأوا الحقيقة عند
الله عز وجل إذا نهرك فامعذور فهذا لوجه الدليل وهو شهادتهم للصاع مستخرجا من رحل
أخيهم والدليل أن الإخبار الضعاف أنها غير مخالفة للكتاب والسنة فيما نرد بها بل فيها ما يدل
عليها والدليل أن منتهون عن كثير من الخطأ مأمومون بسوء الظن وقد
أمرنا بإحسان الحقيقة ذلك الأمر طريق المعاينة ولا سبيل لها فاضطررنا إلى التقليد والتقليد
بحسن الظن بالنقلة مع ما سكن إليه قلوبنا وتلين له أنفسنا ونرى أنه حق كما جاء في الخبر
وأيضا فإنه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين أنهم خير منا ثم نحن لا نكذب على رسول الله صلى الله
وسلم ولعل التابعين رضي الله عنهم وكيف نظن بهم أن كذبوا وهم وقوفا وقال بعض العلماء وإن
فيه شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوز في قبول الشاهد الواحد للضرورة كشهادة القابلة
ونرون معنا عن أحمد بن حنبل على أنه قد جاءت أحاديث بأسانيد صحاح فكذلك يصلح أن ترد لنا
صحاح بسند ضعيف لاحتمال فيه أن يكون قد روي من وجه صحيح إذ لم يحط بجملة العلم إلا
بعض ما يضعف به رواه الحديث وتعليل أحاديثهم لا يكون تعليلا ولا يرجح عند الفقهاء والعلماء به
جاء مثل أن يكون الراوي مجهولا لا يأتي المحمول وقد ندب إليه وقلة الاتباع له إذا لم يكن
يقسم لم الآية عنه أو يكون غير مثابر للحديث على لفظه ولا يكون معتنيا بحفظه ودرسه أو
بلفظه أو حديث حفظه أو خص به دون غيره من الثقات أو بني عليه لبنا أو شيء منه كلا ما لا
عند الفقهاء علله به بعض القراء من الرواة وإذ بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء أصحا
الأخرة ومن أهل المعرفة بالله وله في الرواية والحديث مذهب غير طريقة بعض أصحاب الحد
فيعمل في روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه الآكار هو حجة عليهم إذ ليس
انتحابه من العلم إذا أصحاب الحديث ممن ضعفه إذا لم يرد مذهبه والحديث الضعيف عند
أثر من الرأي والقياس وهذا مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وأيضا فإن معناه
منه وهو أنه قد رويناه وسمعناه فإن أخطأنا الحقيقة عند الله عز وجل فذلك ساقط عنا كما

ضعف

الأسباط وما شهدنا إلا بما علمنا الآية والحديث إذا نزل وله عصر أو رآه القرون الثلاثة أو كان
مشهورا لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع به حجة وإن كان في سنده قول إذا لم نجد في كتاب
أو سنة وإن لم يشهد له ونخرج تأويله عن إجماع الأمة فإنه يوجب القول والعمل إلا ما خالف الكتاب والسنة
الصحيحة أو إجماع الأمة أو ظهور كذبه فإنا قلنا به شهادة الصادقين من الأئمة وذكر رجل عند الزهري
حديثا فقال ما سمعنا بهذا فقال أكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت به قال لا قال فثلثاه قال
قال فنصفه فسكت فقال بعد هذا من النصف الذي لم تسمعه وقال وكيع لا ينبغي لأحد أن يقول
هذا الحديث باطل لأن الحديث أكثر من ذلك وقال أبو داود قال أبو زرعة الرازي قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف عين طرق كل واحد قد روي عنه ولو جاء حديث أو كلمة
والرواة الحديث رسول الله أكثر من ذلك وقال أحمد بن حنبل كان يزيد بن هرون يكتب عن
الرجل وهو يعلم أنه ضعيف وكان له ذكاء وعلم بالحديث وقال إسحق بن راهويه قيل لأحمد بن
حنبل هذه الفوائد التي فيها المناكير تزين أن نكتب الجد منها فقال المنكر أبدا منكر قيل له فالضعفا
قال قد يحتاج اليه في وقت كأنه لم ير بالكتاب عنهم بأسا وقال المروزي عنه أن الحديث
عن الضعفا قد يحتاج اليه في وقت ومما يدلك على مذهبه في التوسعة أنه أخرج حديثه له في
المسند المأثور عنه الذي رويناه عن أشياخنا عن عبد الله ابنه عنه ولم يغير الصحيح منه وفيه
أحاديث كثيرة يعلم النقاد أنها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم لم أدخلها في مسنده لأنه
أراد تخريج المسند ولم يقصد صحيح السند واستجاز رواياتها وقد كان قطع أن يحدث
الناس في سنة ثمان وعشرين ومائتين في سنة إحدى وأربعين ولم يسمع أحد منه في هذه المدة إلا
ابن منيع جزأ واحدا بعد شفاعة جده أحمد بن منيع وحدثونا عن أحمد قال كان عبد الرحمن بن مهدي
ينكر الحديث ثم يخرج إلينا بعد وقت فيقول هو صحيح قد وجدته قال وأما وكيع فلم يكن ينكر ولكن
يقول إذا سئل عنه لا أحفظه وحدثونا عن ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي قال كان خالي قد خط
على أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت قد كنت خططت عليها قال نعم تفكرت فإذا بي
إذا ضعفتها أسقطت عدالة ناقليها فإذا جاءني بين يدي الله عز وجل وقال لم أسقطت عدالتي رأيتني
أو سمعت كلامي لم يكن لي حجة فهذه الفصول ذكرناها من أصول معرفة الحديث وهو

وأدخلها

شرح مقامات اليقين في احوال المؤمنين

من اعظم العلوم التي تزيد اليقين ومع زيادة اليقين تظهر العلوم والاعمال والمكاشفات والاحوال وهي تنقسم اقساما
التوبة الصبر الشكر الخوف والرجاء التوكل والرضى والمحبة وهذه محبة الخصوص وهي محبة المحبوب

ذكر فضل التوبة وشرح فضائلها

الله سبحانه في ابتداء الامر من خطاب العموم وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون معنى
وجهه الى الله من همومك نفسك ومن وقوفك مع شهواتكم عني تظفر وابقيكم في المعا
معنى بقاه ابقا الله في نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكي تفوز وادخول الجنة وتنجوا من النار
هو الفلاح فقرن بالتوبة ووعد عليها عظيم المثوبة وقال تعالى في البيان الثاني من
المخصوص يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جاء من جعلها الزمان فنصوحا من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة في النصح وقد قرئ

بضم النون فتكون حينئذ مصدر نصحت نصحا ونصوحا فمعناه خالصة لله وقيل اشتقاقه من النصاح
وهو الخيط اي مجردة لا تتعلق بشيء ولا يتعلق بها شيء وهي الاستقامة على الطاعة من غير روغان
الى معصية كما تروغ الثعالب وان لا يحدث نفسه بعود الى ذنب متى قدر عليه وان يترك
الذنب لاجل الله تعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته فمتى لقي
الله سبحانه بقلب من الهوى سليم وعمل خالص صالح على السنة مستقيم فقد ختم له بحسن الخاتمة فحينئذ
ادركته الحسنى السابقة وهذا هو وصف التوبة التي شرط الله معها التكفير للسيئات
وادخال الجنات واخرج بها التائب من جميع الفضوح اذا دخل في التوبة النصوح وهذا بعد هو
التواب المتطهر الحبيب وهو اخبار عمن سبقت له من الله الحسنى ومن ادركه نعمه من ربه رحمة
بها وانقذه من نار السوء فهذا وصف لمن قصد بخطابه اذ يقول تعالى في كتابه ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا
ذنب له وسئل الحسن البصري رحمه الله عن التوبة النصوح ما هي فقال هي ندم بالقلب واستغفار
باللسان وترك بالجوارح وإضمار ان لا يعود وقال ذو النون بن عبد الله الشتري رحمه الله لبس من
الاشياء اوجب على الخلق من التوبة ولا عقوبة عليهم اشد من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم
التوبة قال من يقول ان التوبة ليست بفريضة فهو جاهل ومن نهى عن نهي يقوله فهو كافر وقال التائب الذي
يتوب من غفلته في الطاعات في كل طرفة ونفس وقد جعل علي بن ابي طالب ترك التوبة مقاما في الجهل
وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر فقال في الحديث الطويل ومن عمي عن رشده اتبع الظن وطلب
المغفرة بلا توبة واستكان بلا خشوع فحقوق التوبة التي لا بد منها للتائب ولا يكون تائبا الا به الاقرار
بالذنب والاعتراف بالظلم ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذي كان عقده على اعمال
السيئات واطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه لان الطعمة انما تنبت اللحم على ما عاقت من
الخبائث وحقيقة الندم ان كان حقا اذ لكل حق حقيقة ان لا يعاود الى مثل ما وقع الندم عليه ثم
استفاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهي وحقيقة الاستقامة ان لا يزال دمعها وقع الدموع جاج به
وان لا يعجب جاهلا فيردية وبشغله ثم الاشتغال باصلاح ما افتدى في ايام بطالته ليكون من المصلحين
الذين تابوا واصلحوا اما افسدوا فان الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يضيعه ثم الاستدراك

عقد الاستقامة على الطاعة الى الموت السادسة خوف العقوبة السابعة رجاء المغفرة الثامنة
الاعتراف بالظلم التاسعة اعتقاده ان الله قد زدك عليه وانه عدل منه العاشرة منابعة
الاعمال الصالحة ليعمل في الكفارات لقوله اتبع السيئة الحسنة تمحها وفي جميع هذه الخصال حمل
آثار في بيانها عن الصحابة والتابعين بكثرة ذكرها قال فاذا كل ساعة تمضي على العبد من عمره
الساعة قيمتها الدنيا كلها اذا عرف قيمة ذلك ولذلك قيل ليس لما قد بقي من عمر العبد قيمة اذا عرف وجه
التقدير من الله عز وجل بالتصريف والحكمة وقيل في معنى قوله عز وجل من قبل ان يأتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب قال الوقت القريب ان يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك
الموت اخرني يوما فاعتب فيه ربي واعمل فيه صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول
اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة قال فبلغ الروح الحلقوم فيوخذ بكظمه عند
الغرغرة فيغلق باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الاعمال والاوقات ويبقى عدد الانفاس يشهد فيها
المعاينة عند كشف الغطاء فيجتهد بصره فاذا كان في اخر نفس زهقت روحه فيدركه ما سبق له من
السعادة فتخرج روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة او يدركه ما سبق له من الشقوة فتخرج روحه على
الشك فهذا الذي قال الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن فهذا سوء الخاتمة وقيل هذا هو المنافق ويقال المذهن على المعاصي المصر وقد قال
الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قبل قبل الموت وقيل قبل ظهور
آيات الاخرة وقيل الغرغرة ان تغرغر النفس في الحلقوم لانه تعالى قد حكم ان التوبة بعد ظهور اعلام
الاخرة لا تنفع منه ومنه قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا قيل التوبة هي كسب الايمان واصول الخيرات وقيل هي الاعمال الصالحة من مزيد
الايمان وعلامة الايقان وقد قيل ثم يتوبون من قريب اي عن قرب عهد بالخطيئة ولا يتمادى فيها
ولا يتباعد عن التوبة وتوبته من قريب ان يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا اخر وان يخرج من
السيئة الى الحسنة ولا يدخل في سيئة اخرى وقيل اول من يسئل الرجعة من هذه الامة من لم يؤد
زكاة ماله او لم يحج بيت ربه عز وجل فذلك قوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين وكان
ابن عباس يقول هذه الاية من اشد شيء على اهل التوحيد لقوله تعالى في اولها يا ايها الذين امنوا لا تلهكم

ای محی الشهوات عنها وجدنا فی الاسرائیلیات ان الله عز وجل قال لبعض انبیائه وقد سأله قبول
توبة عبد بعد ان اجتهد سنین فی الاعمال الصالحة ولم یر قبول توبته فقال تعالی وعزتی وجلالی لاشفعن
فیه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلک الذنب الذی تاب منه فی قلبه ومن بقیت حلاوة
المعصیة فی قلبه او نظر الیها اذا ذکرها بفکره خیف علیه العود فیها الا بشدة مجاهدة وکراهة
لها ونفی خاطرها عن سره اذا ذکرها الا بالخوف والاشفاق منها وقال ابو محمد سهل اول ما یؤمر به
المبتدی المرید بالتوبة وهو تحویل الحرکات المذمومة الی حرکات محمودة ویلزم نفسه
الحلوة والصمت ولا یصح له توبة الا بأکل الحلال ولا یقدر علی الحلال حتی یؤدی حق الله فی الخلق وحق
الله فی نفسه ولا یصح له هذا حتی یتبرأ من حرکة وسکون الا بالله وحتی یأمن الاستدراج بالاعمال
الصالحات وبحقیقة التوبة أن یدع ماله حتی لا یدخل فیما علیه ولکن یتوفی ابدا الا یلزم الحال فی
الوقت وجدنا عن سری السقطی انه قال من شرط التوبة ینبغی للتائب المنیب أن یبدأ بمبانیة
أهل المعاصی بنفسه التی کان یعصی الله عز وجل بها فلا ینیلها الا ما لا بد منه ثم الاعتزام علی ان لا یعود
فی معصیة ابدا ویلقی عن نفسه مؤونته ویلقی عن الناس مؤونته ویدع کل ما یضطره الی جزیره ولا یضیع
هوی ویتبع من مضی وینبغی لاهل التوبة أن یحاسبوا انفسهم فی کل طرفة ویدعوا کل شهوة ویترکوا
الفضول وهی ستة اشیاء ترک فضول الکلام وترک فضول النظر وترک فضول المشی وترک فضول
الطعام والشراب واللباس ولا یقوی علی ترک الشهوات الا من ترک الشهوات وسئل یحیی بن معاذ
کیف یصنع التائب فقال هو من غد بین یومین یوم مضی ویوم بقی فیصلحهما بثالث اما ما مضی فللندم
والاستغفار واما ما بقی فبترک التخلیط واهله ولزوم المریدین ومجالسة الذاکرین والثالث لزوم تصفیة
العذاء والدؤب علی العمل ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة الدمع وفی الخبر جالسوا
التوابین فانهم ارق شیء افئدة ومن التحقیق بالتوبة أن یستعظم ذنوبه فانه یقول ان الذنب کلما
استعظمه العبد صغر عند الله یقال اذا استصغار الذنب کبیر کما جاء فی الخبر المؤمن یری ذنبه
کالجبل فوقه خاف ان یقع علیه والمنافق یری ذنبه کذباب مر علی أنفه فأطاره وقد روینا
فی خبر مرسل لیتق احدکم أن یوخذ عند اذنی ذنوبه فی نفسه وقال بعضهم الذنب
الذی لا یغفر لیس کل شیء عملته مثل هذا فهذا کما قال بلال بن سعد لا تنظر الی صغر الخطیئة ولکن

[illegible] وجدنا عن [illegible] ان یجعله [illegible] من عشر منازل [illegible]
[illegible] وان بعض [illegible] یخشی [illegible] وجه ذلک بالهام [illegible]
[illegible] وان [illegible] خرج من [illegible] عبد [illegible] حرکة [illegible] وسوسة
[illegible] فیه فرکب [illegible] وخرج [illegible] وترکه
خروج زوجه [illegible] ما صنعت [illegible] حتی [illegible] عهد [illegible]
[illegible] وجد [illegible] ما [illegible] وان [illegible] ذلک فی قوله تعالی والله
هو [illegible] وعهدهم زعموا فی قوله جل ثناؤه وفوا بعهدی اوف بعهدکم وان عهد الله
[illegible] فقد [illegible] وان ضعه [illegible] حتی [illegible] وفی
[illegible] نفسه من صنع فرض لله خرج من [illegible] عز وجل وعند التوبة تصرح تکفیر
السیئات ودخول الجنات وکان بعضهم یقول متی یغفر الله لی ومتی یدخلنی الجنة واذا تاب علی
وما احوج من جزم التوبة أخوف منی من ان جزم المغفرة وقال الله تعالی ومن أصدق من الله
قیلا وقال تعالی فتاب علیکم وعفی عنکم وقال تعالی فی مثله وهو الذی یقبل التوبة عن عباده ویعفو عن
السیئات وقال بعض العلماء لا تصح التوبة لعبد حتی ینسی شهواته ویکون ذاکرا للحزن لا یفارق قلبه
ذهاب الذنب لا یجد حلاوته وقال بعض علماء اهل الشام لا یکون المرید مریدا حتی لا یلتفت علی صاحبه
الشام معصیة عشرین سنة وقال بعض العلماء من علامة صدق التائب فی توبته ان یسئل الله
حلاوة الطاعة ویفرح بکون الذنب الذی علیه والستر وبحسن اثابته وقال اخر لا تکون
حتی تدفن مزاج محاسن النفس مکان حلاوة موافقتها وقال عارف فوقه لا یحقق بالتوبة
حتی یستحلی مرارة الهوی حلاوة الترک للشهوات والنشلة
الذ جمیل الصبر علی الذه وهو لما اهواه ترکا ترکه
[illegible] عن [illegible] کان یقول منذ اربعین سنة اشتهی ان اشتهی لا ترک ما اشتهی
جزما اشتهی فهذا عبد قد محیت الشهوات من قلبه واثبتت شهوات الطاعات بدلا منها فصار
[illegible] وهذا داخل فی معنی قوله عز وجل نحو الله ما یشاء ویثبت أی یمحو الهوی من قلوب
[illegible] ویثبت فی قلوبهم الخوف والیقین وهو تفسیر قوله تعالی أولئک الذین امتحن الله قلوبهم للتقوی

انظر من عصيت فانما عظمت الذنوب عن عظمة المواجه بها وكبرت في القلوب لمشاهدة ذي
الكبرياء ومخالفة أمره اليها فلم يصغر ذنب عند ذلك فكانت الصغاير عند الخايفين كبايرَ وهو احد
الوجهين في قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله الاية ذلك ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى
القلوب قيل الحرمات تعظم في قلبه فلا ينتهكها ومن هذا قول الصحابة للتابعين انكم لتعملون
أعمالا هي ادق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وقال
الله عز وجل الى بعض أوليائه كم من ذنب قد رأيته منك قد اهلكت في ذنبه امة من الامم فاما انتما
الذنوب وتذكرها فقد اختلف قول العارفين في ذلك فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك
وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وهذان طريقان لطايفتين وحالان لاهل مقامين فاما ذكر
الذنوب فطريق المريدين وحال الخايفين يستخرج منهم بتذكيرها الحزن الدايم والخوف الازم واما انتما
الذنوب شغلا عنها بالاذكار وما يستقبل من مزيد الاعمال فطريق العارفين وحال المحبين ووجه هذا
شهادة التوحيد وهي مقام في التعريف ووجه الاولين مشاهدة الوعيد وهي مقام في التعريف ففي أي
المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حاله ومقام شهادة التوحيد افضل عند العارفين
من مقام شهادة التعريف وان كانت هذه أوسع واكثر الا انها في أصحاب اليمين وفي عموم المقربين
التوحيد اضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهي في المقربين وخصوص العارفين واعلم انه لا يؤمن
اليقين غوى النفس عند تذكر الذنوب نظر القلب اليها بشهوة او ميل النفس معها بحلاوة فيكون
ذلك سبب فتنة فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئته بالنظر الى سببها حركة التوبة
اليها وان كان الأفضل الاتفاق معها ما لم يكن الاتفاق معصية لمجاهدة النفس بالصبر عنها الا
ان ذلك غرر وخطر فترك الاجتماع وقطع الاسباب جملة اسلم وما كان اسلم للمريد فهو
أفضل وفي نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش على ما يفوت من الوقت خوف فوت ثان
وقد كان بعض أهل المعرفة يكره للمريد ان تكون وساوسه للجنة او ما يذكر فيها من النعيم واللباس
والأزواج قال واستحب ان تكون وساوسه ذكر الله وخواطره وهمته متعلقة بالله لا سواه
المريد حديث عهد بتوبة فهو بعناد لطول الاستقامة والعصمة فاذا تذكر نعيم الجنة لم امن عليه
ان يشتهي مثله مما يشاهد في الدنيا من اللباس والطيبات والنساء لان هذا عاجل وذلك اجل

نفسه مثل ما ذكرت من نعيم الاخرة معجلا في الدنيا قال فاذا كان همته الله تعالى كان ابعد له من زينة
الدنيا ولم يحتج الى عدو فيمثل ذلك له من العاجل الى أن يقوى يقينه وتثقل عاداته وتدوم عصمته وقد
اختلف مذهب العلماء أيضا في عبد ترك ذنبا وعمل في الاستقامة ونفسه تنازعه اليه وهو يجاهدها
وفي آخر ترك الذنب ولم يكن على قلبه منه ثقل ولا مجاهدة اي هذين أفضل فقال بعض علماء أهل
الشام الذي تنازعه نفسه الى الذنب وهو يجاهدها افضل لأن عليه مئونة وله فضل مجاهدة ومال
الى هذا القول احمد بن أبي الحواري وأصحاب ابي سليمان وقال علماء البصرة الذي سكنت نفسه عن المنازعة
من شواهد اليقين والطمأنينة فلم يبق فيه فضل لعود ولا طلب لمعتاد افضل ومال الى هذا
القول رباح بن عمرو القيسي وهو من كبار علماء البصريين وقال لو قيس كان هذا اقرب الى السلامة
ولم يؤمن على الأول الرجوع وهذا ايضا كما قال وقد اختلف العلماء ايضا في عبدين أحدهما يسأل عن
شيء من بذل ماله في سبيل الله فتأبت نفسه عليه وثقل عليها ذلك فجاهدها وأخرج ماله وسئل
آخر بذل ماله فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه لها
أيهما افضل فقال قوم المجاهد لنفسه أفضل لأنه اجتمع له الاكراه والمجاهدة فضل الاعمال وذهب
الى هذا القول ابن عطاء واصحابه وقال آخرون الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير اعتراض وله
اكراه افضل قال لأن مقام هذا في سخاوة النفس والتحقق بالزهد افضل من جميع أعمال الأول من الاكراه
والمجاهدة ومن بذل ماله على ذلك ولأن الاول وان غلب نفسه في هذه الكرة لا يامن عليها على كرة ثانية
أو في ثالثة اذ ليس التسخاء من مقامها لأنها كانت محبولة عليه والى هذا ذهب الجنيد وهو كما قال وسئل
أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم تخطر ذلك الشيء بباله او يراه او يسمع به فيجد
الحلاوة ففال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا أن يرجع قلبه الى مولاه
بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعوا الله عز وجل ان ينسيه ذكر ذلك
ويشغله بذكره فان هو غفل عن الانكار طرفة عين اخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن
مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار فيحزن فانه لا يضره وانما تعلق بالذنب ذنوب كثيرة هي أعظم منه مثل
الاصرار عليه والاغتباط به وتسويف التوبة بعده ووجد حلاوة الظفر بمناه او وجد الحزن والكراهة على
تعذر الشروع بعمله او حمل غيره عليه ان كان ذنب بين اثنين او انفاق مال فيه وقيل من اتقى

الثانية

درهما في حرام فقد اسرف واقل ما هي المعصية بين اثنين المن حمل غيره عليها انه لا يأمر بالمعروف كما ينكر
المنكر بيده او بلسانه وهو يقدر عليه وليس هذا وصف المؤمنين والمؤمنات واشد من هذا انه
يغلبه على من رآه به وهذا هو اضعف الايمان وليس وراءه من الايمان شئ واكثر من هذا ذهاب الحياء
والحياء من الايمان وكذلك جاء الخبر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لانه قال الحياء من الايمان والزنا من
الايمان لانه يكشف العورة فيرفع الحياء لان الحياء يستره ثم ترتفع الايمان بارتفاع الحياء واعظم من هذا
ان يكون لواقعة الفاحشة منافيا يامر بالمنكر وينهى عن المعروف وهذا وصف المنافقين قال الله عز وجل
المنافقون والمنافقون الاية نسوا الله فنسيهم اى تركوا امره فتركهم من رحمته وعصمته ثم بصرهم
فاسقا والفاسق ايضا منافق فهذا شاهد اخر للنفاق ولقوله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون
ما انتهك المؤمن اخيه حرمة اعظم من ان يحمله على ذنب ثم يستحله عليه فهذا كله في معصيته واحدة
اثنين ومن ذلك ان يستصغر الذنب ويستهزء فيكون ذلك من الاغترار ومن ذلك المجاهرة به والتظاهر وهذا من الطغيان وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون بيبيت احدهم على ذنب قد ستره
الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله عز وجل ويتحدث بذنبه وربما سئل القاضي بالذنب ليتبع عليها فتبقى سيئات ذنبه ما دام يعمل به ويكون وزره عليه حتى ينقرض من عمل به وقد قيل
اذا مات مات ذنوبه معه ولم يؤخذ بها بعده وطوبى لمن لم يعد ذنبه غيره وقال بعضهم
فان كان لا بد فلا تحمل غيرك على الذنب فتكتسب ذنبين وقد يعيش العبد اربعين سنة ثم
ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها اذ اسنها سنا واتبع عليها الى ان تندرس او تمحى
بها ثم تسقط عنه ويستريح منها ويقال اعظم الذنوب من ظلم من لا يعرفه ولم ير من الشيطان
ان يتكلم فيمن سلف من اهل الدين فهذه المعاني كلها تدخل على الذنب الواحد وهي اعظم منه
قوله تعالى وكتب ما قدموا واثارهم قيل سننهم التي عمل بها بعدهم وفي الخبر من سن سنة سيئة
من بعده كان عليه وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا وكان ابن عباس يقول
الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل قلب
اذا زل مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق الخلق معها وفي خبر اسرائيل ان عالما كان يفتي الناس
ادركته توبة فرجع الى الله عز وجل وعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل

ذنوبك فيما بيني وبينك فقد غفرتها لك واما ما اضللت بما عبادي فادخلتهم في النار فاني لا اغفرها لك
فاما استحلال المعصية او احلالها للغير فليس من هذه الابواب في شئ اما من خرج عن الملة
وتبدل للشريعة وهو الكفر بالله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما امن القرآن من
استحل محارمه وقد سمى الله عز وجل عمله السوء جهلة فقال تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة وقال بل
انتم قوم تجهلون وقال بل انتم قوم مسرفون ويقال ان العرش يمتن لثلاثة اعمال القتل النفس بغير
نفس واتيان الذكر الذكر وركوب الانثى الانثى ويقال لوا غتسل اللوطي بالبحار لم يطهر الا التوبة وفي
التفسير عن جماعة من العلماء ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي قوله عز وجل رجال يحبون ان يتطهروا
قيل من ادبار الرجال ولم يكن في يسير المعصية من الشوم الحرمان الطاعة وفقد حلاوة الخدمة وتقسية
القلب عما كان عليه من الاقبال لكان ذلك عظيما واعظم منه مقت المولى له وابعاده عنه لان
المخالفة لا تقع الا عن مقت واعراض كما الطاعة لا تكون الا بنظر اليه وتقرب له لكان هذا من
العقوبات كما قال بعض علماء المكيين وقد سئل هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من
هم بمعصية وفي خبر من لبس ثوب شهرة اعرض الله عنه وان كان عنده جيبا وروينا في خبر ان
ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة طار ثوب الحلل عن جسده وبدت عورته قال واستحيا الناج والاكليل
من وجهه ان يرتفعا عنه قال فجاء جبريل فاخذ الناج عن راسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه
ونودوا من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت ادم الى حوا وقال هذا
اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب ولم يكن في الاصرار على المعصية من الشوم الا انه كلما اذنب
العبد يكون له عقوبة ان كان سهوا وصحة عوقب بذلك وكان استدراجا وان كان ضيقا وعسرا
كان عقوبة له ولو لم يكن من بركة التوبة الا الاستقامة على الطاعة الا ان كلما يصيب العبد
فهو خير له ان كان سهوا وعافية فهو رفق به وان كان ضيقا وعلة فهو اختبار وخيرة له ولو لم
يكن من شوم الناس ووجد النقص بخالطتهم الا ان المعصية معهم اشد وهي بهم اعظم لتعلق المظالم في
امر الدنيا وشان الدين وقال بعضهم ليست اللعنة سواء اذ في الوعيد ونقصا في المال انما اللعنة
ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله وذلك ان اللعنة هي الطرد والبعد فاذا طرد من الطاعات فلم
تيسر له وبعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن وفي الخبر ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فيه

معان قيل يحرم أجره لوقوعه في المعصية وقيل يحرم الأعمال الصالحة وهي رزق الآخرة لأجل أعمال
الشر وقيل جرمه مختلف العلماء وقال بعضهم يحرم العلم وهو الرزق الذي لا يصلح عمل الآبة لأجل
اقامته على الجهل وهذه كلها عقوبات لأهل عمال السيئات وقد روينا عن ابن مسعود أنه قال
إني لأحسب العبد ينسى العلم بالذنب يركبه ويقال نسيان القرآن من العقوبات والمنع من قراءته
وضيق الصدر بقراءته والاشتغال عنه عقوبة الإضرار وقال بعض صوفية أهل الشام نظرت
الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاستحييت منه فقلت له يا أبا عبد
الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فتبسم في
وجهي وقال لنجدن عقوبتهما بعد سنين فعوقبت بعد ثلثين سنة وحدثونا عن منصور الفقيه قال رأيت
اباعبد الله السكري في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال أوقفني في العرق حتى سقط لحم جنبه
قلت ولم ذلك قال نظرت الى غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة موضوعها للشدة والمشقة فعقوبة
عبد من حيث تشتد عليه فأهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا بعوز الاكتساب وتلاف
الأموال وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للأعمال الصالحة وتعذر فتح
العلوم الصالحة ذلك تقدير العزيز العليم وفي الخبر يقول الله عز وجل ان أدنى ما أصنع بالعبد
اذا آثر شهوته على طاعتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي فهذه عقوبات أهل المعاملات وقد كان فضيل
بن عياض يقول ما أنكرت من شدة الزمان وتغير الاخوان فبذنوبك عوقبت وقد جاء في
الخبر ما أنكرتم من زمانكم ففي أعمالكم وقال بعض العلماء اني لأعرف عقوبة ذنبي في
سوء خلق حماري وقال آخر اني لأعرف ذنبي بسوء أدب ولدي وتسليط زوجتي وقال بعض
اني لأعرف عقوبة ذنبي بتسليط من يراني علي وانما يعرف عقوبة الذنب بحسن التفقد ومراعاة
القلوب ولو ظهر تغير الذنب بعد المعصية على وجه العاصي لاسود وجهه ولكن الله ستر عليه
فغطاء ذلك في القلب مع ما يتراكم فيه حجاب لصاحبه وقسوته عن الذكر وعن طلب الخير والبر وهي
أكبر عقوباته ويقال ان العبد اذا عصى أظلم قلبه ظلمة يؤثر على العقل منها دخان يسد
الإيمان فهو مكان جزء العبد الذي يسوده سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما
التحابه الشمس فلا ... العبد وأصلح انكشف الحجاب فيظهر الإيمان فيما مر بالعلم كما

الشمس من تحت السحاب ومن هذا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل هو الذنب على
الذنب حتى يسود القلب فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا عندها ينتكس أعلاه أسفله اذا
استكمل سواده كما قال الحسن بن العبد وبين ربه حجاب من المعاصي معلوم اذا ... العبد طبع على
قلبه فلم يوفق لخير وفي حديث ابن عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت
المحارم أرسل الله الطابع فطبع به على القلوب بما فيها وقد حدثونا في قصة سلول شرحها ان بعض هذه
الطايفة كان قائما يصلي فخامر قلبه هوى طاوله بفكره حتى تولدت منه شهوة الرجل قال فوجد
جسده كله قال فاستترت في البيت فلم أخرج وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والألوان الغاسلة فلا
يزداد الا سوادا قال ثم انكشف عني بعد ثلثة أيام فرجعت الى لوني الياض قال فلقيني بعض الأبدال فقال
اما استحييت من الله كنت قائما بين يديه فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك برقة فلم رحمك الله بن يدي
الله عز وجل لولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقى الله بهذا الوصف قال فعجبت كيف علم ذلك وهم يطلع
عليه أحد الا الله فذكرت الحكاية لبعض العلماء فقال هذا كان رفقا من الله به وخيرة له اذ لم
يسود قلبه وظهر السواد على قلبه وقال ما من ذنب ينكبه العبد يصر عليه الا اسود قلبه مثل
سواد الجسم لا يجلوه الا التوبة ولكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله تعالى والعقوبة لبيت على قدر
الذنب لكنها على قدر مشية المعاقب فربما كانت في قلبه وهي مراض القلوب وربما كانت في
الجسد وقد تكون في الأموال والأهل والأولاد وقد تكون مؤجلة في الآخرة وهي أعظم العقوبات
وهي لأهل الكبائر الذين ماتوا على غير توبة ولأهل الإصرار والعزة والاستكبار واعلم أن
العلل في الأجسام قد تكون كفارة للذنوب وأمراض القلوب عقوبات وفي الخبر اذا أحب
الله عبدا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا واذا أبغضه أخر عقوبة ذنبه حتى يوافي يوم القيمة كأنه
غير يعني جمارا واعلم ان الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات والفرح
والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا يبالي بما خرج من دينه من العقوبات واعلم ان الحليم لا يوقع
العقوبة ولكن يؤخرها ومن شان الحليم أن لا يعجل بالعقوبة وفي قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة قيل بعثة ... ثين سنة ويقال من
الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي بعضها الا الهم بطلب المعيشة والاحتراز والاهتمام بالمباحات

وهذا مقام المقت أعلى ما يكون عنده الهوى إذ ليس لشهواتها آخرا منتظرا كما ليس لبدأتها
أولا مرتسما فإن لم يقطع ذلك لم يكن لها نهاية فإن شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة
العبادة وإلا عد نفسه بالتصبر والمجاهدة فهذا طريق الصادقين من المريدين وقيل في قوله تعالى
استعينوا بالصبر والصلاة بالله واصبروا أي استعينوا به على الطاعة واصبروا على المجاهدة في المعصية
وقال بعض السلف وقد رويناه عن علي رضي الله عنه أعمال البر كلها إلى جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
كقطرة إلى جنب البحر وعلى هذا الخبر رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعني مجاهدة النفس
وإنما صار ذلك جهادا أكبر لأنه قال أعدى عدو لابن آدم نفسه التي بين جنبيه ولأنه إن قتل عدوه
الكافر دخل الجنة وإن قتله عدوه الكافر كانت له شهادة والنفس لا يحل له قتلها لأنه لم يؤذن له بذلك
ولأنه يملكها وقد تسلطت عليه وأمر بمجاهدتها وجبلت على هواها فإن يقتلها كفر وإن قتلته هلك
فأي جهاد أكبر من هذا وقال سهل الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة صبر عن
المعصية ثم الصبر على الطاعة وفي الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة في بلد وأرسل عبده كلما
إليه فراودته عن نفسه وطالبته نفسه بها فجاهدها واستعصم بالله قال فنبأه الله عز وجل وكان
نبيا في بني إسرائيل وفي بعض القصص لموسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بأي شيء أطلعك
الله على علم الغيب قال بترك المعاصي لأجل الله والجزاء إليه سبحانه أيضا لجعله غاية العطاء لا على قدر
العمل إذا عمل له عبده شيئا لأجله أعطاه أجره بغير حساب ثم لا يستحق التأييد عاده من ذنب فتعذر
له توبته فإن العادة جند من جنود الله تعالى يقال لولا العادة لكان الناس كلهم تائبين ولولا
الابتلاء لكان التائبون مستقيمين ثم إن عمل في قطع معتاد إن كان ذنبا ثم ليصبر على مجاهدة
النفس في هوى إن استولى عليه فهذه الخصال من أفضل أعمال المريدين وأركانها ومعها تلهم النفس المطمئنة
رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف الأمارة بالسوء إلى وصف المطمئنة إلى أخلاق الإيمان وهذا
أجل المعاني في قوله أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى هو
ضد الحق والله سبحانه يحب الحق فصار اجتناب النفس على خلاف الهوى ووفاق الحق لأن محبة الحق من
أفضل الأعمال كما قال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه من أهل الخسر الذين تواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر وهذا أقل اليقين حدثت عن بعض أهل الاعتبار أنه كان يمشي في

مسألة [illegible]

الوجل فان شفى وسمن ثيابه عن سافيه ويمشي في جواب الطريق الى أن زلقت اجله في الوحل فأدركه
في وسط الوحل وجعل يمشي في الحمة قال وبكى فقيل له ما يبكيك فقال هذا مثل العبد كابد
الذنوب وتجاذبها حتى يقع في ذنب منها أو ذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وعلى العبد أن يحذر
الغفلة التي هي كامنة فاذا عرف هذا لم تنقطع ابدا توبته وقد جعل الله أهل الغفلة في الدنيا
الخسران في العقبى فقال تعالى فاولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون والكل
دون غفلة وخسران دون خسران ولا تستحقرن الغفلة فانها أول المعاصي وهي عند الموفقين
الكبائر وقد جعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الغفلة أخر مقامات الكفر وقرنها بالهلكة
وأمال صاحبها عن الرشد ووصفه بالحسرة قال في الحديث الذي روي من طريق اهل البيت رضي الله
عنهم فقام عمار فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بني فقال على اربع دعائم على الجفاء
والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهد الباطل وخبث العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل
الرشد وعزته الأماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يحتسب وقال
العلماء من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله عز وجل سبع سنين لم يرجع اليه ابدا
العلماء كفارة الذنب المعتاد أن تقدر عليه عدد ما أتيته ثم لا تقع فيه فيكون على ترك كذا
وهذا حال الاقوياء من التوابين وليس هو طريق الضعفاء من المريدين بل حال الضعفاء الهرب والبعد
حدث نفسه بمعصية في عدة مهالك نفسه عند وجودها فليعمل المريد في قطع وساوس النفس
والاوقع فيها لأن الخواطر تقوى فتكون وسوسة فاذا كثر الوسواس صارت طرقات العلم
بالتزيين والتسويل وليس العبد اذا كفي مرة شهوة أو وقي مرة الرجوع في معصية دام به ذلك
كل مرة بل قد يبتلى به مرة أخرى ويوكل إلى نفسه وقتا ثانيا فليعمل المريد مع الوقاية في
الوطن الذي لا يأمن فيه الفتنة وليأخذ التائب مع الصيانة في قطع السبب الذي يخوف منه
فان هذا من المجاهدة وكل سبب يدعو الى معصية ويذكر معصية فهو معصية وكل سبب
الى ذنب ويؤدي اليه فهو ذنب وان كان مباحا فقطعه سنة وهو طاعة وهذا من حقائق أعمال
يقال من أتى عليه اربعون وهو العمر وكان مقيما على ذنب فجاوز الاربعين قبل التوبة منه
أبدا الا القليل من المنذرين وفي الخبر المؤمن مفتن توابا وان للمؤمن ذنبا قد اعتاده

الفينة وفي الحديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرين وقد وصف الله عز وجل
المؤمنين بتركه متابعة الذنوب وبدفع السيئة الحسنة في قوله عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة
وجعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدفعون بالحسنة
السيئة فجعل لهم صبرين عن الذنب وعلى التوبة فأنالهم به أجرين وقد اشترط الله على التائبين من
المؤمنين شرطين وشرط على التائبين من المنافقين أربعة لانهم اعتلوا بالحق في الاعمال فأشركوا
بالحق في الاخلاص فضعف عليهم الشرط تشديدا لشدة دخولهم في الحق واعتل غيرهم بوصفه فخفف
عنهم شرطين فقال تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا قوله تابوا أي رجعوا الى الحق من أهوائهم
وأصلحوا يعني ما افسدوا بنفوسهم وبينوا فيما وجبان أدلها بينوا اما كانوا كتموا من الهوى وأخفوا من حقيقة
العلم وهذا لمن عصى بكتم العلم والبس الحق بالباطل وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم وظهر أحكام
التوبة عليهم وقال تعالى في الشرطين الاخرين ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا
الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله لانهم كانوا يعتصمون بالناس وبالاموال
وكانوا براؤون بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والاخلاص لله فينبغي أن يكون توكل
عبد على ضد معاصيه قليلا فقليلا وكثيرا فكثيرا ويكون التائب على ضد ما كان أفسد ليكون كما قال
الله تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين ولا يكون العبد ناسيا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى يعمل الصالحات
ثم يدخل في الصالحين وقد قال سبحانه وهو يتولى الصالحين وهذا وصف التواب وهو المتحقق بالله
الحبيب لله تعالى كما قال سبحانه يحب التوابين أي يتولى الراجعين اليه من أهوائهم المتطهرين له من
المكاره وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله وسئل أبو محمد سهل متى يكون
التائب حبيب الله فقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله الآية ثم قال
الحبيب لا يدخل في شيء لا يحب الحبيب وقال لا تصح التوبة حتى تتوب من الحسنات وكان يقول التوبة من
أفضل الاعمال لأن الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك كثير من الحلال مخافة أن تخرجهم
الى غيره والاستغفار قوت التوابين ومفزع الخاطئين قال الله تعالى الصادقين القائلين استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه وقال تعالى فلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فابتدأ التوبة بالاستغفار وعقب الاستغفار بالتوبة

ن

لعل المراد بذلك ان توبة
عن اعتقاد ان الحسنات
هي المبيحات فلا يصح منها
وانما يعول على كرم الله
ولطفه

الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده أواه ثم ينقل إلى الانقياد ثم البادئ
البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر ولا يستقر هذا في قلب
عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضى زاده والتفويض مزاده والتوكل صاحبه ثم ينظر
الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وكان يقول العبد لا بد له من مولاه
على كل حال وأحسن حاله أن يرجع إليه في كل شيء إذا عصى يقول يا رب أسأت علي فاذا فرغ من المعصية
قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة فاذا عمل قال يا رب تقبل مني ومن أحسن ما يتعبد
الذنب من الأعمال بعد التوبة وحل الإصرار وجائه كفارته الخطيئة ثمانية أعمال أربعة من أعمال
الجوارح وأربعة من أعمال القلوب فاعمال الجوارح أن يصلي العبد ركعتين ثم يستغفر سبعين مرة
ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم يوما واعمال القلوب هي اعتقاد
التوبة منه وجب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ثم يحتسب على الله حسن ظنه
وصدق نيته كفان ذنبه فهذه الأعمال قد وردت بها الآثار وانها مكفرة للزلل والعثار وقد
يشترط في بعضها فيتوضأ ويسبغ الوضوء ويدخل المسجد فيصلي ركعتين وفي بعض الأخبار فيصلي
اربع ركعات ويقال اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال ان ارفع القلم عنه ست
ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها عليه ويقال صدقة الليل تكفر ذنوب
النهار وصدقة السر تكفر ذنوب الليل وفي بعض الأخبار اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها
السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي اخبار متفرقة جمعناها ما من يوم طلع فجره وليلة غاب شفقها
الا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ
خلقوا علموا الماذا خلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لما خلقوا اعملوا بما علموا وفي بعضها بالسوا فذكرا
ما عملوا او يقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا انا بوا مما عملوا فاول ما يجب على العبد ان لا يعصيه بنعمه
لئلا تكون معصيته كفرانا لنعمته وجوارح العبد وماله من نعم الله لأن قوام الإنسان بجوارحه
وثبات جوارحه بالحركة ومنافع الحركة بالعافية فاذا عصى بالنعمة فقد بدلها كفرانا كما قال سبحانه
ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بها على معاصيه فوعد الله التبديل بالعقاب الشديد
فقال ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب فقد يكون العقاب على تبديل

وهو الخلق

على

النعمة بالمعصية معجلا في الدنيا ويكون موجلا في الآخرة وقد يكون العقاب في اسباب الدنيا
يكون في احدى اسباب الآخرة لانها مآله ومثواه وقد يكون فيهما معا وقد تكون نفس المعصية
عقوبة والجهل بالنعمة عقوبة وتضييع الشكر عليها واستصغارها والسكون اليها والذل
والتفاخر والتكاثر بها كل هذه عقوبات ثم يفترض على العبد اذا عصاه الرجوع الى الله
وهو التوبة عقيب وقوفه مع نفسه وهو موافقة الهوى بالخطيئة فناخير للتوبة وهو ان
الذنب ذنبان مضاف الى الخطيئة فاذا تاب من ذنبه واحكم التوبة منه واعتقد الاستقامة
الطاعة ودوام الافتقار الى الله عز وجل في العصمة ثم يتوب ابدا من الصغائر الى الهم والتمني
الخوف والطمع في المخلوق وهي ذنوب الخصوص الى لطرفه والنفس والسكون الى شيء والى
بشيء وهذه ذنوب المقربين حتى لا يبقى على العبد فيما يعلم مخالفة وحتى يشهد له العلم
فيتقي ذنوبه حينئذ من مطالعة علم الله فيه بما استاثر به عنه من علم غيبه يكاشفه به ومن
العبودية وكون الخلقة على تسليط الربوبية بوصفها وكبرها فيكون هذا الخوف مثوبة الى
فزع من علم نفسه الى ما لا يمكن ذكره ولا يعرف نشز من ذنوب المقربين التي هي
اصحاب اليمين لفقد مشاهدتها والجهل بمعرفة مقاماتها عند العموم فيكون حال هذا الفزع
الاشفاق من البعد في كل طرفة ونفس الى وقت اللقاء والخوف من الاعراض والحجب في كل
وحركة في هذه الدار الى دار البقاء وقد رونا في خبر غريب ان الله تعالى اوحى الى يعقوب
السلام ندري لم فرقت بينك وبين يوسف قال لاقال لقولك لاخوته اخاف ان يأكله الذئب
له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له فهذا على معنى قول يوسف عليه السلام
اذكرني عند ربك قال فانساه الشيطان ذكر ربه الآية فهذا مما يعتب على الخصوص من
الى ما سوى الله وانما حرم بعض النبيين المزيد ولم يجدوا حلاوة التوبة لتركهم وهم
بترك حسن القيام بشهادة المراقبة وذلك يكون من قلة احكام امر التوبة ولو قال
التوبة من الذنب الواحد واحكموا حال التواب من الصادقين في التوبة لم يعدموا من الله
لانهم محسنون فهم في تجديد قال الله عز وجل ستزيد المحسنين فاذا رأيتك مستقيما
التوبة عاملا بالصالحات ولم يحلك على مزيد من ميراث يوجد حلاوة او حسن خليقة او

اوخاصيه معرفة فارجع الى باب المراقبة او موقف الرعاية فتفقدها واعلم حالتها فمن قبلهما
اوتيت . وقد قال بعض العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن ممن امر
التوابين ولا تغفل عن التفقد وتجديد التوبة عند اد بار الصلوات فانما يدخل الحسنات على الشمال
من حيث لا يعلمون من ترك التفقد ومشاهد النفس بما يعلمون واعلم ان حقيقة توبة كل ذنب تسعة
اعمال لا يكون العبد توابا يحبه الله ولا تكون توبته نصوحا التي شرطها الله وفسرها التوبة الآن حكم
العبد تسع توبات من كل ذنب اولها ترك العود الى فعل الذنب ثم يتوب من القول به ثم يتوب من
الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعي في مثله ثم التوبة من النظر اليه ثم التوبة من الاستماع
الى القائلين به ثم التوبة من الهمة به ثم التوبة من التقصير في حق التوبة من ان لا يكون ازاد به وجه
الله خالصا بجميع ما تركه لاجله ثم يشهد تقصيره عن القيام بحق الربوبية لعظيم ما يشهد المزيد من كبرياء
الله وعظيم كبريائه فكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة مشاهدته ويكون
استغفاره لما ضعف قلبه ونقص همته عن معاينة شاهده لعلو مقامه ودوام مزيده واعلامه وانهابه الى
العارف ولا غاية لوصف ما هو عليه عاكف ولا وصف يحمل النكرة دقيق بلائه ولا يكبر عن التوبة شيء
من دونه ولكل حال من مقام توبة ولكل شهادة ومكاشفة قربة فمن حال التائب المنيب الذي هو من
الله مقرب وعند حبيب وهذا مقام مفتن تواب اي مختبر الاشياء مبتلى بها الى الله تعالى عنها راجع
اليه منها ناظر اليه بها لينظر مولاه اينظر بقلبه اليه او اليها او يطلب اياه هنا منها او اياها فعليه
من كل شاهدة لسواه ذنب وعليه في كل سكون لسواه عتب كماله في كل شهادة علم ومن كل اظهار في
الكون حكم فذنوبه لا تحصى وتوباته الى الله عز وجل لا تقضى فهذه حقيقة التوبة التصوح وصاحبها
مسلم ووجهه الى الله محسن من نفسه مستريح ودينه عند الله تعالى مستقيم ومقامه وحاله من
الله سليم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب كل مفتن تواب ثم ان الذنوب على
سبعة ضروب بعضها اعظم من بعض كل ضرب منها مراتب في كل من تتبعها بقية من المذنبين معاص تعتلها
العبد من معاني صفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب الحمد والمدح ووصف العز والغنا فهذه
مهلكات وفيها من العموم طبقات ومعاصي تكون من معاني اخلاق الشياطين مثل الحسد والبغي والحيلة
والخداع والامر بالفساد فهذه موبقات وفيها من اهل الدنيا طبقات ومعاصي تكون من ضد

سنة وهو ما خالفها من البدعة والأحداث المبتدعة وهذه كبائر منها ما يذهب الإيمان ويثبت النفاق
ومنها ما هو كبائر لبدع وهي أسفل عن الملة نقدرية والمرجئة والرافضة والإباضية والجهمية
وهم الذين لا يقولون بخلق ولا ذم ولا حكم في تعدي الحدود وهم زنادقة الأمة ومعاصي متعلقة بالزنا
منها بقي مظالم في الدين والإلحاد بهم عن طريق المؤمنين وهو ما أضل به عن طريق الهدى وأزاغ به
الناس وجر فيه من الكتاب وتأويله من السنة ثم أظهر ذلك ودعا إليه فقبل منه واتبع عليه وقال
العلماء لا توبة لهذه المعاصي كما قال بعضهم في القاتل لا توبة له للإخبار بثبوت الوعيد وحق القرآن
والضرب الخامس من المعاصي ما تعلق به من مظالم العباد في الدنيا مثل الأعراض والأموال والأبشار
والكذب والبهتان فهذه موبقات ولابد فيها من القصاص للموافقة بين يدي الحاكم العادل والله
منها قضاء فاضل لأن يقع استحلال أو يسألها الله من أرباحها بكرمه ويعوض المظلوم من عليها
جانبه وجاء في الخبر الرواية ثلثة ديوان لا يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فأما
الديوان الذي يغفر فهو ذنوب العبد بينه وبين الله عز وجل وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله
وأما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد يترك المطالبة به والضرب السادس من
ما كان بين العبد وبين مولاه من نفسه إلى نفسه متعلقا بالشهوات والجري في العادات وهذا
والى الغفران أقربها وهذه على ضربين كبائر وصغائر فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجبت
الحدود والصغائر ما دون ذلك إلى نظرة وخطرة والتوبة النصوح تأتي على جميع ذلك بعموم قوله
عز وجل فتاب عليهم وعفى عنهم وباخباره عن حكمه إذ يقول عز وجل ثم تاب عليهم ليتوبوا وقوله
قوله عز وجل إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد
الآية هكذا قراءة أهل الشام بنصب الفاء والتاء وإن لبعيبه من التوبة إذا كانت غفران الذنوب
عن النار ونحن لا نرث بدية الوعيد على أهل الكبائر بل نجعلهم في مشيئة الله عز وجل ونجوز نجاوز الله
أصحاب الجنة كما جاء في الخبر في أو جهنم أن جازاه وكما قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم
ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقد قال الله عز وجل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فلم يجد للمغفرة دنيا غير الشرك وترك المسلمين في مشيئته وقد يحتج المحتج بقوله
في ترك قبول التوبة المبتدع أن الله احتجر التوبة عن كل مبتدع بدعة وهذا مخصوص لمن لم يتب

حكم عليه بدرك الشقاء الأترى أنه لم يقل إن الله احتجر قبول التوبة عمن تاب إنما أخبر عن حكم الله فيمن لم
يتب بأن الله حجب التوبة عنه وهكذا أيضا يقول إن القاتل إذا كان قد سبق له سوء الخاتمة بأنه يموت على غير
توبة وكذلك المبتدع إذا جعل اسمه في أصحاب النار ثم كان القتل والبدعة علامة ذلك أتما جميعا ممنوعان
من حقيقة التوبة وإنما محتجزة عنهما فأما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهبت له التوبة النصوح فإنها لم
تحتجز عنه وإن الله تعالى يعفو عنه بما وهب له من التوبة لقوله عز وجل ثم تاب عليهم ليتوبوا ولقوله تعالى
عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ثم إن الناس في التوبة على أربعة أقسام في كل قسم طبقة
لكل طبقة مقام منهم تائب من الذنب مستقيم على الإنابة لا يحدث نفسه بالعود إلى معصية إيثارا
جنانه مستبدل بعمل سيئاته صالح حسناته فهذا هو السابق بالخيرات وهذه هي التوبة النصوح ونفس
هذا هي المطمئنة المرضية وفي الخبر المروي في مثل هذا سير واسبق المفردون المستهترون بذكر
الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا والذين يلي هذا في القرب عند عقد التوبة ونيته
الاستقامة لا يسعى في ذنب ولا يقصده ولا يحبه ولا يهتم به وقد يبتلى بدخول الخطأ عليه من
غير من قصد منه وتمحن بالهم والألم فهذا من صفات المؤمنين يرجى له الاستقامة لأنه في
طريقها وهو ممن قال الله عز وجل يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة
ونفسه هي اللوامة التي أقسم الله بها وهي من المقتصدين وهذه الذنوب تدخل على التفوس من معاني
صفاتها وغرائبها وأوابل نشأتها من نبات الأرض وتركيب الأطوار في الأرحام خلقا من بعد
خلق وأخلاط الأمشاج بعضها ببعض ولذلك عقبه بقوله عز وجل هو أعلم بكم إذ أنشأكم من
الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ولذلك نهى عن تزكية النفس المنشأة من الأرض والمركبة في
الأرحام بالأمشاج والأعوجاج فقال تعالى فلا تزكوا أنفسكم فهذه وصفها عند إنشائها ولذلك
وصف الله عز وجل مشيج خلقه بالابتلاء بقوله عز وجل إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا وشرح هذا يطول ونخرج إلى علم تركيبات النفوس ومجعول فطرها وقد ذكرنا
أصوله في بعض الأبواب من هذا الكتاب ومثل هذا معنى الخبر المؤمن مفتن توابا لمسلة تقي
أحيانا وتميل أحيانا فإذا رأى هذا العبد على نفسه ومقته لها عن معرفته بها وترك نظره وسكونه إلى غير
أن أظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لأنه من تدبر الخطاب في قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم الآية

والعدل والإيقان فقال بني الإسلام على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال علي بن
أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد إذ لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر
له ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر في العلو والفضل إلى مقام اليقين وقرنه به وكذلك قال
الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فأخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه من أوتي نصيبه منهما لم يبال ما فاته وأخبر أن الصبر كمال الأجر ففي
حديث شهر بن حوشب الأشعري عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قل ما أوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن
تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلي من أن توافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني
أخاف أن تشتجر عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر
واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا بأحسن
ما كانوا يعملون وفي حديث ابن المنكدر عن جابر سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال
الصبر والسماحة وقد قال الله أصدق القائلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فضاعف أجر الصابرين على كل عمل ثم رفع جزاء الصبر فوق
كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد فدل ذلك أنه من أفضل المقامات وجمع للصابرين ثلاثا فرقها على جمل
أهل العبادات الصلاة والرحمة والهدى بعد البشارة في الآخرة والعقبى وكان عمر رضي الله عنه يقول
نعم العدلان ونعمة العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يعلى به
العدلين على البعير فيكون كعدل ثالث وقد أخبر الله سبحانه أنه مع الصابرين ومن كان الله معه
غلب فقال الله تعالى واصبروا إن الله مع الصابرين واشترط الصبر لإمداده بجنوده ولنصره بأيده في
قوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة والصبر عن
المعصية ثم الصبر على الطاعة ثم قال في معنى قوله تعالى واستعينوا بالله واصبروا أي استعينوا بالله عز
وجل على أمر الله واصبروا على آداب الله وقال لم يمدح الله أحدا إلا من صبر للبلاء والشدة فبذلك سمي عليه
وكان نفوس الصالحين في المؤمنين قليل والصادقون في الصالحين قليل فجعل الصبر خاصية الصدق والصابرين

[illegible] هو من [illegible] ثم يعود في الذنب ثم
[illegible] وتوبة ثم يعود في الذنب
[illegible] الاستقامة
[illegible] أظهر مقامه لأن الهوى يحركه
[illegible] لأنه يتوب حالا ثم يعود ولم يقدم المتعمد فضلا عن
[illegible] لاستقامة بحسن عمله ولكن هذا شيء وقد خاف عليه الإحباط
[illegible] وهذا ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه
فيعفو فيبقى الأولين فهذا حين أن ينقلب عليه وصف النقص فيحق عليه الإحباط
القول وإن لم نقف له على نص يجري له كل كتبه ويعفى كل فقيه فيدركه بمنه سابقة
المقتضين لأنه قد تكفل بفضل رحمته والبعد الرابع أشد البعد جلالا وأعظمهم
ولا نفهم من أنه يجب ولا يجب ثم يتبع الذنب مثله وأعظم منه ويقيم على الإصرار
نفسه به متى قد زل عليه ولا يتوب توبة ولا يعقد استقامة ولا يرجوا ويعد الحسن ظنه ولا خاف
عن شيء عمله وهذا هو حقيقة الإصرار ومقام من العتو ولا يستكبر وفي مشاهد الخبر
المتوعدون قد مالوا إلى النار ونفس هذا هي الأمانة وروحه ابدا من الصالحات والخيرات فرأيته وكان
على مثل هذا سوء الخاتمة لأنه في مقدمتها وسالك طريقها ولا يبعد منه سوء القضاء وقد
السقاء ومثل هذا قيل من سوف الله تعالى بالتوبة أكذبه وأن للتوبة خروج من الذنب إلى
الطائفة من عموم المسلمين وهم في مشيته رب العالمين نعوذ بالله مما يبعد منه ونسأله من فضله
برحمته ما يقرب إليه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

باب شرح مقام الصبر وأوصاف الصابرين وهو الثاني

فلما جعل الله عز وجل القدر من أمة المتقين وتم كلمته الحسنى عليهم في الدين فقال سبحانه وتعالى
منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا
نبيه الله صلى الله عليه وسلم وأن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا وقال بعض الصحابة ما
جعل الله من الشفاء والغناء في النوم والصبر وقال ابن مسعود الصبر نصف الإيمان وقرنه بالجهاد

خصوص الصادقين وكذلك الله تعالى صدق الصادقين قد رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل
الصبر مقاما في الصدق ان كانت الاوصاف المنسوبة نعتا واحدا للمسلمين وكانت الواو مدخلة واذا
مقامات والواو للجمع فقد حصل الصابرون فوق الصادقين والقانتين اعني في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات وفي حديث
عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال
عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم قال نشكر في الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى
بالقضاء قال مؤمنون ورب الكعبة فالصبر نقيض على عملين أحدهما لاصلاح للدين الا به والثاني هو
أصل فساد الدين ثم يتنوع الصبر فيكون ضابزا عن الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وروينا
في معنى هذا عن علي رضي الله عنه انه لما دخل البصرة واستقام له الامر دخل جامعها فجعل يخرج القصاص
ويقول القصص بدعة لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد صاحبيه فانتهى الى حلقة شاب جوادها فجاءه
يتكلم اليهم فاستمع اليه فاعجبه كلامه فقال يا فتى اسألك عن شيئين فان خرجت منهما تركتك تتكلم على
الناس والا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال سل يا امير المؤمنين فقال اخبرني ما صلاح الدين وما
فساده فقال صلاحه الورع وفساده الطمع قال صدقت فتكلم فتكلم ان تتكلم على الناس فقال الله
الشاب كان الحسن البصري رحمه الله وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر
واحد وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر بالحكم والرضى بالقدر واعلم ان الورع اول الزهد وهو باب من
أبواب الآخرة والطمع اول الرغبة وهو باب كبير من أبواب الدنيا واستشعار الطمع من حب الدنيا وحب
الدنيا اصل كل خطيئة ويقال اول معصية عصي الله بها الطمع وهو ان آدم عليه السلام طمع في الخلد
فاكل من الشجرة التي نهي عنها وابليس طمع في اخراج آدم عليه السلام فوسوس اليه الشيطان وانتفاء
اسم المعصية لانهما عز وجل بالطمع ثم اقترفا في المطموع فيه وفي الحكم فذوزك آدم عليه السلام فوزين
اليه لرجائهما عز وجل بالطمع ثم اقترفا في المطموع فيه وفي الحكم فذوزك آدم بحسن ما بقيه من الثوب
ابليس ما سبق عليه من الشقوة والطمع هو تصديق الظن ولذلك وصف الله به عدوه في قوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيئا وقال تعالى في وصفهم ان نظن الا ظنا
وما نحن بمستيقنين فمن صبر على الطمع ليفي الخلق اخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدين

ادخله الصبر في الزهد ومن طمع في تصديق الظن الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب
حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين وقال بعض العلماء ما كنا نعد ايمان من لم يؤذ فيحتمل الاذى ويصبر
عليه ايمانا وقد فعل الله ذلك بالمؤمنين اختبارا وأخبر ان ذلك ليس منه عذابا وانما هو فتنة لمن اراد فتنته
وبلاء من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وآية لهم وصار رحمة للموذى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله يعني اياه أي ليس ذلك عذابا مني انما هو رحمة باطنه
فهو كقوله تعالى وأما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا أي لم اهنك بالفقر
كما لم اكرم الآخر بالاكرام والنعم وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي امره به
فقال عز وجل اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فضله عليه صلى الله عليهما وفي الخبر عن
بعض السلف يوتى يا شكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى يا صبر اهل الارض فيقال له انى
أن يجزيك جزاء هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت فحق
عليك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن ابي الجميع بعض الخلفاء قال فيه
ان احق من عرف حق الله فيما أخذ منه من عظم حق الله عنده فيما أبقى له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك
والباقي بعدك هو الماجور فيه واعلم أن اجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون
به وفي خبر ما من عبد الا يعطى اجره بحساب وجد الا الصابرون فانهم يجازون فيه بغير ميزان ولا حد
وجاء في الآثار ان ابواب الجنة مصراعان يأتي عليهما زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل فيه الا
الصابرون يجازون بغير ميزان ولا حد واهل البلايا في الدنيا واحد بعد واحد وقد قال الله في جزاء
المخلصين اولئك لهم رزق معلوم وقال في جزاء الصابرين انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قيل في
التفسير يعرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر اشد شيء على النفس واكرهه وامره على الطبع وأصعبه
ومعه يكون الادب وحسن الخلق وفيه الالم والكظم وعنه الذل واللين ومنه التواضع وفيه يكون كف
الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وهذه من عزائم الامور التي تضيق منها اكثر الصدور وفيها اكراه
النفوس وحملها على الشدة والبوس وقد جاء افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ولذلك اختص الله على
المتقين والصادقين الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم واكمل به وصفهم واعمالهم
بهم فقال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم عنى

[illegible] توجب المحبة
[illegible] الطاعة وصبرًا
[illegible] بحبس الأدب في معاملة [illegible]
[illegible] ذلك ما يوجب
[illegible] ومن فوق الناموس
[illegible] ومن الصبر حبس النفس عن
الحق وعكوفها عليه بمعاملة اللسان والقلب والجسم وبذلك وصف الله المؤمنين الذين عملوا
الصالحات واشترط لصلاح أعمالهم الصبر فقال سبحانه وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر والخسر الذي
لنا من خلقه في خسر إلا من كان من أهل الصلاح والصبر وعظم الصبر وفرده بإعادة التواصي به
الصبر حبس النفس على عبادة الخالق وصبرها على القناعة ومنع الرزق ومن الصبر كف الأذى عن
الخلق وهو مقام العدل دليل دخل في قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان ومن الصبر الصبر على
وإعطاء أهل الحقوق حقوقهم الأقرب فالأقرب وهذا مقام المتقين يدخل في قوله تعالى وإيتاء ذي القربى
الأقرب فالأقرب ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الأمر الفاحش في العلوم وعن المنكر وهو ما أنكره
العلماء والصبر عن البغي وهو التطاول والعلو بالإسراف في أمور الدنيا ومجاوزة الحد بالكبر [illegible]
فهذه ستة معان جامعة لمعنى الصبر ثلاثة منها الصبر على وهي الأولى العدل والإحسان وإعطاء
الصبر عن ثلاثة وهي الفحشاء والمنكر والبغي وكان ابن مسعود يقول أجمع آية في كتاب الله الأمر والنهي
الآية قال الله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا فأتم أجرهم حتى وصفهم بالصبر وما أكرم ورزقهم
.. صفهم حتى مدحهم بالصبر فالصبر يحتاج إليه قبل العمل ومعه وبعده يحتاج إليه في أول العمل
أن يصبر على تصحيح النية بعزم العقود والوفاء بها حتى تصح الأعمال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله عز وجل وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
الله الإخلاص لأن الله عز وجل قدم الصبر على العمل فقال الذين صبروا وعملوا الصالحات إلا الذين
ليأتي العمل حتى يتم ويعمل لله لقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر
عنه وترك التظاهر به والنظر إليه ليخلص من السمعة والعجب فيكمل ثوابه كما خلص من الريا لقوله تعالى

أطيعوا الله والرسول ولا تبطلوا أعمالكم ولقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى   وقال بعض
السلف لا يتم المعروف إلا بثلاثة بتعجيله وتصغيره وكتمه   ومن الصبر حبس النفس عن المكافاة على الأذى توكلا على
المولى ومنه قوله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا صبر الخصوص
وقد قال بعض أهل المعرفة ولا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى   وقد ذكر
الله عز وجل ذلك في قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وفي قوله تعالى ودع
أذاهم وتوكل على الله وفي قوله تعالى واتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وهذا هو أول الرضى والمقام
الثاني من الرضى والصبر على الأحكام وهو صبر أهل البلاء الأمثل فالأمثل بالأنبياء لقوله صلى الله عليه
وسلم نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل ولقوله تعالى في المجمل ولربك فاصبر ثم فسره في
الكلام في المفسر فقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا   ومن الصبر حبس النفس على التقوى والتقوى
اسم جامع لكل خير فالصبر معنى داخل في كل باب فإذا اجتمعا للعبد فهو من المحسنين وما على المحسنين من
سبيل ومنه قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى لتبلون في
أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا
وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا على الأذى وعن المكافاة وتتقوا عن الاعتداء والمجاوزة فلا
تجاوزوا فإنه أفضل كما قال تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله
تصار ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم قال تعالى ولمن صبر وغفر فالأول أعني المكافاة والا
بالحق من العدل والثاني أعني العفو والصبر من الفضل وهو الإحسان وهذا هو مقام المخبتين قيل هم
الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لأهل هذا المقام هو التقوى والصبر معنيان
أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد إلا بصاحبه فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر
أفضل الأحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات إذ الأتقى هو الأكرم عند الله والأكرم على الله هو
الأفضل وقد شرف الله الصبر بأن أضافه إليه بعد الأمر به فقال واصبر وما صبرك إلا بالله وقال تعالى
ولربك فاصبر وإن كان كل شيء به وكل عمل صالح له ولا يصف الله عبدا ولا يثني عليه حتى يبتليه فإن صبر
وخرج من البلاء سليما مدحه ووصفه وإلا بين له كذبه ودعواه   وقيل لسفين الثوري ما أفضل
الأعمال قال الصبر عند البلاء   وقال بعض العلماء وأي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله عز وجل

[illegible]

[illegible] وحسن الصبر قال تعالى [illegible]

[illegible] وذكر من خلال ذلك [illegible] أو صبر عن ذلك وإنه تعالى مدحه ووعد [illegible]

[illegible] والصبر على [illegible] ومن الصبر صبر على العوافي أن لا يحرص على مخالفته والصبر على [illegible] والصبر على [illegible] ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر وعلى الشدائد والضر وقد قال [illegible] البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الأصديق وقد قال سهل رحمه الله تعالى العافية أشد من المصيبة على البلاء وكذلك قال الصحابة لما فتحت الدنيا قالوا من العيش الخفي فصبروا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الإخبار بالسراء وهو ما سر على الاختبار بالضراء وقد قال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء فمدحهم بوصف الصبر في الحالتين [illegible] نفوسهم ومخاوفهم وشقوتهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا [illegible] أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لأن فيهما ما يسر وما يشغل عن الذكر وقال إن من أزواجكم وأولادكم [illegible] هذه الكلم فيحذرهم أن تشغلهم الأزواج والأولاد بما يفرح به فيوافق فيهم الهوى ويخالف [illegible] ومن هذا الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه [illegible] أنه للحسن بعد ما نزع من صلبه فمه فمه في فيه فمص فمه ثم قال صدق الله إنما أموالكم [illegible] إن لم أر بأني هذا أملك نفسي أن أخذه في هذا عنه لأولى الأبصار وروي عنه في [illegible] الولد مجبنة محزنة هذه مصادر الحزن والبخل والجبن أي بحملها حب الأولاد والأموال على ذلك فمن صبر على السراء وهي العوافي والغنى في الأموال والأولاد وغير ذلك وأخذ الأشياء [illegible] حقها ووضعها فهو من الصابرين الشاكرين لا بد لا بد عليه أهل البلاء والفقر [illegible] الزهد فقد جمع الله عز وجل بين ما سر وضر وجعلهما في وصف المتقين ومدحهم بالإحسان

مجودهم

مهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ومن الصبر كتمان المصايب والأوجاع وترك الاستراحة إلى الشكوى مما نزل بك وهو الصبر الجميل قيل هو الذي لا شكوى فيه ولا إظهار وروينا عن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلثة أوجه صبر على أداء فرايض الله وصبر على محارم الله وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فمن صبر على أداء فرايض الله فله ثلثمايه درجة ومن صبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمايه درجة وهذا يحتاج إلى تفسير لم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لأنه أفضل من الصبر على المحارم والصبر على الفرايض لأن الصبر على أداء دينك من أخوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وإنما فضل المقام في اليقين على مقام الاسلام ومن ذلك ما روي من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون به علي مصيبات الدنيا فأحسن الناس صبرا في المصايب اقواهم يقينا وأكثر الناس جزعا وسخطا في المصايب اضعفهم يقينا وأكثرهم حبا للدنيا ومثل هذا حديث سلمة بن وردان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بني له في أعلى الجنة ومن ترك المرا وهو مبطل بني له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بني له في ربض الجنة فقد علمت أن ترك الكذب وترك المرا مبطلا أفرض وأوجب فينبغي أن يكونا أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب والمرا بالباطل يتركه المسلمون فأما المرا والبعد محق صادق ثر لا يمارى زهد في النظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا الموقنون وهم خصوص المقربين فمقامهم من اليقين والزهد وايثار الصمت والخمول على الكلام والشهوة به فضل وهو من اليقين فضا زهد الموقن في مقامه أفضل من عموم المومنين الذين يتركون الكذب والمراء وان كانا أبلغ وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه ومن الصبر اخفا اعمال البر ومنع النفس الفاكهة والتمتع بذلك واخفا المعروف والصدقات فان كتمه من الأدب مع ان لا سلامتي في الاعلان وسر والساجة في الاخبار وكل اخفاوه افضل وأزكى وأحب الى الله تعالى وقيل هو من سنور البر أعني هذه الثلثة اخفا الأوجاع والمصايب والصدقة أي ذخاير النفيسة عند الله تعالى ومن الصبر صون الفقر واخفاوه والصبر على البلاء حتى تلقاه وأفضل الصبر على الله حيا منه وتسليم اليه فيما قضاه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الانهام ومن حسن تدبير الاقسام وشهود المشية لها والحكمة فيها والقصد

لابتلاء وهو احق في قوله تعالى ولربك فاصبر وفي قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
عبد الله رضي الله عنه وعين من الآية اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القدر وروى
القضاء وبقال ان علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضى وهذا مقام العارفين
الصبر على المصيبة في الصدمة الاولى فانه يقال ان كل شيء يبدو اصغر ثم يكبر الا المصيبة
تبدو اكبر ثم تصغر لعظم الثواب منها عند هاول كبرها قبل صغرها وهي صدمة القلب اول
امرها فينظر الى نظر الله فيستحي فيحسن الصبر كما قال تعالى فانك باعيننا وهذا مقام التوكل والله
اعلم على اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف المقدور والآيات داخل في حسن الادب مع الله
وهي من معنى الحياء من الله عز وجل وهذا لطريق المحبين لله عز وجل وهو من حقيقة الزهد ومن
الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد والرياسة وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث
الصبر في ثلث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضى بقضاء الله
خيره وشره ومن الصبر حبس النفس على الخمول والتواضع والذلة ايثارا لاخرة على الدنيا
الى الله عز وجل دون الخلق وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعاني اوصاف
الربوبية تسليما للالهية واستسلاما للاحدية فلا يخرجنك قلة الصبر عن ذلك الى التبرم
من ذلك فترل قدم بعد ثبوتها ومن الصبر صبر على العيال في الكسب والانفاق عليهم وهو
الاذن منهم فان في العيال طرفا الى الله عز وجل ادناها الاهتمام بهم واعلاها الرضى عن
عز وجل والتوكل عليه فيهم واوسطها الانفاق وحبس النفس عليهم واعلم ان فضيلة
العباد في شيئين قلة الصبر عما يحبون وقلة الصبر عما يكرهون وقد قرن الله عز وجل
بالخير والمحبة بالشر فقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو
شر لكم وجد الصبر وهو اوله فريضة بمثل اول الاخلاص والصبر ايضا جملة من الايمان
لان المراد اذا كان بيد غيرك لم يكن الا الصبر له والشيء اذا كان بايتك لم يكن الا الصبر عليه والا انقطع ذلك القليل واصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن
الجزاء ممن صبرت له على ما صبرت عليه لانه لو قوي يقينه كان الاجل من الوعد عاجلا اذ الواحد صادقا فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد الا باحد معنيين شاهد او

وهو حال المؤمنين فان شهد العوض غنى بالصبر وان نظر الى المعوض حمله النظر وجعل بعض العارفين
الصبر على ثلثة معان وانه في اهل مقامات ثلث فقال اوله ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية
الرضى بالمقدور وهو درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهو درجة الصديقين وقد جمع
القدماء من السلف الصبر على ثلثة انواع فروي عن الحسن وغيره على ثلثة معان صبر عن المعصية وهو
افضلها وصبر على الطاعة وصبر على المصايب وهذا داخل في جمل ما فرقناه ومجمل ذلك ان الصبر فرض
وفضل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان امرا او ايجابا فالصبر عليه وعنه فرض وما كان حثا
وندبا فالصبر عليه او عنه فضل والمتصبر غير الصبور هو مجاهدة النفس على الصبر وحملها عليه وغيرها
فيه وهو العمل للصبر والتصنع للصبور بمنزلة التزهد هو ان يعمل في اسباب الزهد ليحصل الزهد
والزهد والصبر هو التحقيق بالوصف وذلك هو المقام ولا يخرج العبد من الصبر كراهة
النفس ولا وجد المرارة والالم بل يكون مع ذلك صابرا لان هذا وصف البشرية ما بانية في طبعها
ولا يكون حاله الكظم عن الشكوى وفي التخلق بخلق المولى لان عدم ذلك وفقده هو
الرضى وحقيقة التوكل وهذان من اعلى مقامات اليقين وفقد فضايل اليقين لا يخرج عن حد
الصبر والذي يخرج عن حد الصبر ضده وهو الجزع ومجاوزه الحد من العلم واظهار التسخط وكثرة
الشكوى وظهور الذم والتبرم ومن رياضة النفس على الصبر وهو مقام المتصبرين زجر
المريدين ان تكون الانفس الامارة بالسوء اذا جنحت بك الى فضول الشهوات او نازعتك الى مطالبة
متقدمي العادات ان تمنعها جانحها من كل شيء فيشغلها منع الحاجة ووجود الفاقة مما لا بد منه عن
طلب فضول الشهوة فاذا رضتها بالمنع ومنعتها محبوبها بالصبر على الملال انقادت لك بالصبر عن فضول
الشهوات فتكون تاركة لشهوة بعوض عاجل من مباح وتكون صابرة عن فضل شهوة لما
منعتها من مثال الفاقة وتاركة للهوى طمعا في نوال الحاجة من الغذاء وهذا من ابر ابواب
الرياضات للنفوس الطامحات وفيه فضل الاقوياء من المتصبرين الذين لم تستجب لهم نفوسهم بالصبر
والصلاة ولم تنقد بالجوع والظمأ فاما الضعفاء من اهل الطبقة الثالثة لا من الاولين اهل الصلاة
والصوم ولا من هؤلاء فانهم لا يصبرون على تصبر النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة
فرياضة هؤلاء لنفوسهم ان يعطوها من كل حرام معناه من الحلال ومن كل شهوة مملكة وصفها

من شهوة مقصدة لمسكن نفوسهم بذلك في حبسها عن المحرمات وتقطع شهواتها وزادك
الموبقات فهذا تطمين نفوس الضعفاء وقد اختلف الناس في الصبر والشكر أيهما أفضل والمرجح
الترجيح بين مقامين لان في كل مقام طبقة متفاوتين والمحققون من أهل المعرفة يقولون انه لا يمكن
عبد في مقام بالتواء لابد أن يكون أحدهما أعلى لتفاوت مشاهد الوجه وقد قال الله سبحانه
أصدق من الله حديثا ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن
اهدى سبيلا قيل أفضل وأقرب طريقا وظاهر الكتاب والسنة يدل على تفضيل الصبر لقوله
يوتون اجرهم مرتين عاصبروا والشاكر يوتى اجره مرة واحدة والصابر يوتى اجره من غير حساب
الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجا وقد قال الله تعالى وللمن خاف مقام
جنان وقد اتفق أهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجا من حيث اتفقوا على فضل العلم
العمل فالصبر حال من مقامه الخوف فعرف حال الصابر في الفضل من مقامه والشكر حال من
الرجا كذلك يعرف حال الشاكر من مقامه ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم
الذي ذكرناه قيل من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم
وذكر الحديث المتقدم وفي مناجاة ايوب ان الله تعالى أوحى اليه يا أيوب اني أبتلي
نشترك للصابرين ديوان توبيخ ولا نظروا الى حد الصراط ولا روعهم نقص الميزان ذاك
بيان أخص من تفضيل الصبر
الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس أشق مع قول الله
انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب لان قول العرب انما هو تحقيق لوصف ونفي ما عداه
بيان أخص من تفضيل الصبر
قد رفع علي رضي الله عنه الصبر الى أربع مقامات من مقامات اليقين وجعلها دعائمه
قبة فوقها فقال في حديثه الطويل الذي وصف فيه شعب الايمان والصبر على أربع دعائم على
الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلى عن الشهوات ومن أشفق من
النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات
فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها كلها توجد عنده وتحتاج اليه في جميعها وجعل الزهد أحد
أركانه وقد جعل الله عز وجل الصبر حال التقوى ورفع المتقين في الاكرام درجات فقال الله تعالى
وقال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم فأكرم وأتقى فوق أن يقال أكرمكم المتقون لان أكرم
واتقى يدل على تفاوت فمن كان أتقى كان أكرم عند الله ومن كان أصبر على ما يوجب التقوى كان
أتقى واعلم ان الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه حال في الصبر حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن الى الصبر على المكاره ليدخل الجنة ويحتاج الى صبر عن
الشهوات حتى ينجو من النار فأما تفضيل التفضيل فهو على ثلثة أوجه أحدها أن المقامات
أعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونا مقامين فمن كان مقامه
الصبر كان حاله الشكر عليه فهذا أفضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله
الصبر عليه فحاله من مقامه فقد صار الصبر مزيدا للشاكر في مقامه الوجه الثاني من
التفضيل المقربون أعلى من أصحاب اليمين والصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب
اليمين فان قيل فإذا كان الشاكرون من المقربين فأيهما أفضل قيل فقد قال بعض العارفين
ان الشيئين لا يتفقان في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعاني لطايف اللطيف بمثل ما
انفرد من الوجوه بلطايف الصنعة مع استوا الادوات وتشابه الصفات فأفضلهما حينئذ هو
أعرفهما لانه أحبهما الى الله وأقربهما منه وأحسنهما يقينا لان اليقين أعز ما أنزل الله عز وجل
وجه آخر من بيان التفضيل
نقول ان الصبر عما يوجب الشكر أفضل وان الشكر على ما يوجب الصبر افضل فهذا يختلف باختلاف
الاحوال تفسيره ان الصبر عن حظ النفس من النعم والترفه أفضل ان كان عبد حال النعمة والصبر عن
النعيم والغنى مقام في المعرفة وهو أفضل لان فيه الزهد المتبع على تفضيله وان الشكر على
الفقر والبلاء والمصايب أفضل ان كان عبد حال البلاء فالشكر عليه مقام له في
المعرفة فهذا حينئذ أفضل لان فيه الرضى المتفق على فضله ٥

نوع آخر في الاستدلال على فضل الصابر على فضل الشاكر وتفضيل الصبر

الصابر العارف أفضل من الشاكر العارف لأن الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى فمن قضى
الشكر على الصبر في المعنى فكأنه فضل الغنى على الفقر وليس هذا مذهب أحد من المسلمين
انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا الخلق إلى نفوسهم من ذلك لأن من فضل
الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفي هذا تفضيل الأرذل
والاغنياء على الزاهدين والفقراء وتخريج ذلك الى تفضيل ابنا الدنيا على ابنا الآخرة وانما فضل
الصبر على الشكر في الجملة والمعنى لأن الصبر حال من مقامه البلاء وأهل البلاء هم الأمثل فالأمثل
بالانبيا ولأن الصبر ابعد من اهوا النفوس واشد في مكارهها وأبعد لطبايعها وأشد مباينة
يلايمها فاذا سكنت معه ووجد عندها كان أعجز لوصفها وأعجب في طمأنينتها فيه وحسن
والطمأنينة وكانت راضية مرضية وأيضا فان الله تعالى امر بالصبر وبالغ فيه بالمصابرة
بالمرابطة في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قيل في أحد الوجوه ربطوا
عليهما فهذه ثلثة أوامر في مكان واحد معنى الصبر فهذا يدل على تعظيمه للصبر ومحبته
فمن وجد فيه ذلك كان أشد تعظيما لشعاير الله عز وجل ومن كان اتقى لله كان أكرم عند
الله لقوله تعالى ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب ثم قال تعالى ان أكرمكم عند
اتقاكم والصبر ايضا مقام أولي العزم من الرسل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي
وباها الله بهم عنده فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وايضا فان العزم
أعلى من الرخصة. وقيل في معنى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قيل شدايده
وقد جعل الله الصبر من العزايم في قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور
الله عز وجل عباده في الشكر وأفرد لنفسه الصبر فينبغي أن يكون المفرد للفرد أعلى من
العبد فقال تعالى اشكروا لي ولوالديك وقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من
الناس لم يشكر الله ولم يشكر في الصبر من خلقه أحدا فقال تعالى ولربك فاصبر
لحكم ربك وقد سئل الجنيد رحمه الله عن غني شاكر وفقير صابر ايهما أفضل فقال

مدح الغنى الوجود ولا مدح الفقير العدم وانما المدح في الاتنين فيما منهما بشرط ما عليهما فشرط
الغنى يعجبه فيما عليه اشيا تولم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الانسان فايما بين لله تعالى بشرط
ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها اتم حالا ممن متع وبقيت صفته وهذا نقل كلام جنيد رحمه
الله وكان أبو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك فقيل ان جنيدا دعا عليه فلحقه ما أصابه من
الابتلا منها قتل أولاده وتلاف ماله وزوال عقله اربع عشر سنة وكان يقول دعوة الجنيد
أصابتني ورجع عن قوله في تفضيل الغنى على الفقر فصار يفضل الفقر ويشرفه فاما المسألة
التي سئل عنها بعض العلما القدما عن عبدين ابتلى احدهما فصبر وأنعم على الآخر فشكر
فقال كلاهما سوا قال لأن الله تعالى اثنى على عبدين احدهما صابر والآخر شاكر بثنا واحد
فقال تعالى في وصف أيوب عليه السلم نعم العبد انه أواب وقال في وصف سليمن نعم العبد انه
أواب في قول هذا رحمه الله غفلة عن لطايف الأفهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام اذ عند
بين ثنا الله على أيوب عليه السلم في الفضل ثنايه على سليمن عليه السلم ثلثة عشر معنى وشركه
سليمن بعد ذلك في وصفين آخرين وافرد أيوب عليه السلم بفضل ثنا ثلثة عشر أول ذلك قوله
تعالى في أول مدحه واذكر فيه كلمة مباهاة باها بها ايوب خير رسوله المصطفى وشرفه
وفضله بقوله واذكر يا محمد فأمره بذكره والاقتدا به كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من
الرسل قيل هم أهل الشدايد والبلايا مثل أيوب عليه السلم فرضوا بالمقادير ونشروا بالمناشير فكانوا
سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم واسحق ويعقوب وهو لا آبا الأنبيا وأفاضلهم كقوله عز وجل واذكر
في الكتاب ابراهيم واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار يعني أصحاب
القوة والتمكين وأهل البصاير واليقين ثم رفع ايوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوة لهم
ثم ذكره اياه وذكر به ثم قال عبدنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه
وبينه لام الملك فيقول عبدا لنا فالحقه بنظرايه من أهل البلاء في قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب وهم أهل الابتلاء الذين باهاهم الأنبيا وجعل من ذريتهم الأصفيا فاضاف أيوب
اليهم في حسن الثنا وفي لفظ التذكرة به في الثنا ثم قال تعالى نادى ربه فأفرده بنفسه تعالى
لنفسه وانفرد له في الخطاب لوصفه وقال مسني الضر وانت أرحم الراحمين فوصفه بموالجة

المهمة ولطف مناجاته وظهر له بوصف رحمته فاستراح اليه به فداواه فشكى اليه واستعفاه
فأشبه مقامه مقام موسى ويونس في قولهما سبحانك لا اله الا انت سبحانك ثم وصفه بالاسى
له فعله لاستخراجه وجعله سببا لتسفيد قدرته ومكانا لمجازي حكمته ومفنى
لحاجته ثم قال بعد ذلك ووهبنا له اهله فزاد على سليمان عليه السلام في الوصف اذ كان بين من وهب
لاهله وبين من وهب له اهله فضل في المدح لانه قال في وصف سليمان عليه السلام ووهبنا لداود
السلم سليمان فاشبه فضل ايوب في ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون لانه قال في مدح موسى
وتفضيله على اخيه هرون ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وكذلك قال في مدح داود عليه السلام
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد فوهب لموسى اخاه كما وهب لداود ابنه فأشبه مقام ايوب مقام داود
في المباهاة والتذكرة به لنبيه صلى الله عليه مقام داود عليه السلم لانه قال في وصف داود
لنبيه عليه السلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال تعالى في نعت
ايوب واذكر عبدنا ايوب ثم قال تعالى بعد ذلك كله رحمة منا فذكر نفسه ومنا
عند غيره بشره بفاله وتعرضهما ثم قال تعالى وذكرى لاولي الالباب فجعله اماما للعقلاء
لاهل البلاء وتذكرة وسلوة من الكروب الاصفيا ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد
نفسه سبحانه لعبده ووصل اسمه باسمه حبا له وقربا منه لان النون والالف في وجدناه اسمه
والهاء اسم عبده ايوب ثم قال تعالى صابرا فوصفه بالصبر فاظهر مكانه القوة وخلقه خلقه
تعالى في اخر الاوصاف نعم العبد انه اواب فهذا ان اول وصف سليمان عليه السلام هاهنا اشركه
الثاني اذ ايوب بما تقدم من المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء من قوله تعالى واذكر عبدنا
الى قوله تعالى نعم العبد انه اواب من اقران عظيم عند اهل العلم والتبيان وجعل في اوله
سليمان انه وهبة لابيه فصار حسنة من حسنات داود واشتمل قوله تعالى نعم العبد انه
اواب على اول وصفه واوسطه وهو اخر وصف ايوب صلى الله عليهما على جميع الانبياء
وقد بين في خبر اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه من الله تعالى
اعجاب عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي بعض الاخبار اول من يدخل الجنة اهل البلاء
زاد ايوب عليه السلم بعموم هذه الاثار لانه سيد اهل البلاء وامام اهل الصبر والثنا

ذكرنا ما

ولم نقصد بما ذكرناه التفضيل بين الانبياء لانا قد نهينا عن ذلك وانما اظهرنا فضل الثناء المستودع
واستنبطنا باطن الوصف المكرر في قصة ايوب على قصة سليمان مما ظهر الينا من فهم الخطاب
وتدبر معاني الكتاب وعلم الله المقدم وهو اعلم واحلم وقد ندبنا الى الاستنباط قول الرسول صلى
الله عليه وسلم اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه ولان في ذلك عز الاهل الصبر والبلاء وتقوية لقلوبهم
وتعريف لسوابغ نعم الله عليهم واظهار لبواطن النعم وتنبيه على لطائف الكلام وترهيد في الدنيا وترغيب
في طريق اهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء فما من ذلك تفضيل المبتلى على بلائه رضي بحكم مولاه
وتسليما لمر قضائه على المنعم عليه الشاكر نعمائه اذ النعم ملايمة للطبع موافقة للنفس ولا تحتاج
الى كد النفس بالصبر عليها ولا حملها على المشقة بالرضى بها والبلاء مكابر للطبع نافر منه
النفس فيحتاج الى حمل ومشقة فيه وما كرهت النفس فهو خير وافضل ولا
سبيل اليه الا بسكينة من الله تعالى وتصبر عليه بقوة منه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين

قال الله سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن الشكر بالايمان ورفع
بوجودهما العذاب وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وقال عبد الله بن مسعود الشكر نصف الايمان وقد امر
الله سبحانه بالشكر وقرنه الى الذكر في قوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون وقد عظم الذكر بقوله تعالى ولذكر الله اكبر فصار الشكر اكبر لاقترانه
به ورضي بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكروني اذكركم متصل
بقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كما ارسلت
ارسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا لي العرب تكتفي من مثل بالكاف كما اكتفت
من سوف بالسين وفي قوله تعالى سنوتيهم وسنستدرجهم وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه
الا العلماء بالله وقد رويانا في اخبار ايوب عليه السلم ان الله سبحانه اوحى اليه اني رضيت
بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل وفي احد الوجوه من قوله تعالى لئن شكرتم

المتلوّ به ولطيف المناجاة وظهر له بوصف الرحمة فاستراح اليه به فناداه فشكى اليه واستغاث به
فأشبه مقامه مقام موسى ويونس في قولهما سبحانك لا اله الا انت تبت اليك ثم وصفه الا انه
له وأهله لكشف الضر عنه وجعله سببا لتمهيد قدرته ومكانا لمجاري حكمته ومفتاحا لاجابته ثم قال بعد ذلك ووهبنا له اهله فزاد على سليمان عليه السلام في الوصف اذ كان من وهب له
لأهله وهب له أهله فضلا في المدح لأنه قال في وصف سليمان عليه السلام ووهبنا لداود
سليمان فاشبه فضل ايوب في ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون لأنه قال في مدح موسى
وتفضيله على أخيه هرون ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال في مدح داود عليه السلام
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد فوهب لموسى اخاه كما وهب لداود ابنه فأشبه مقام ايوب
في المباهاة والتذكرة به لنبيه صلى الله عليه مقام داود عليه السلم لأنه قال في وصف داود
لنبيه عليه السلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال تعالى في نعت
أيوب واذكر عبدنا أيوب ثم قال تعالى بعد ذلك كله رحمة منا وذكرى لأولي الالباب فجعله اماما للعقلاء
عند غيره تشريفا له وتعظيما ثم قال تعالى وذكرى لأولي الالباب فجعله اماما للعقلاء
لأهل البلاء وتذكرة وسلوة من الكروب الأصفياء ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد
نفسه سبحانه لعبده ووصل اسمه باسمه جبالة وقربا منه لأن النون والالف في وجدناه اسمه
والها اسم عبده أيوب ثم قال تعالى صابرا فوصفه بالصبر فاظهر مكانه القوة وخلقه خلقهم
تعالى في اخر الأوصاف نعم العبد انه أواب فهذا ان أول وصف سليمان عليه السلام هاهنا اشركه
الشارع ايوب بما تقدم من المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء من قوله تعالى واذكر عبدنا
الى قوله تعالى نعم العبد انه أواب من القرآن عظيم عند أهل العلم والتبيان وجعل في أوله
سليمان انه وهبة لأبيه فصار حسنة من حسنات داود واشتمل قوله تعالى نعم العبد انه
أواب على أول وصفه وأوسطه وهو اخر وصف ايوب صلى الله عليهما وعلى جميع الانبياء
وقد روي في خبر اخر الانبياء دخولا للجنة سليمان بن داود لمكان ملكه من الدنيا
أخبرني عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي بعض الاخبار أول من يدخل الجنة أهل الاموال
زاد ايوب عليه السلم بعموم هذه الآثار لأنه سيد أهل البلاء وامام اهل الصبر والابتلاء

ذكرا ثانيا ح

ولم نقصد بما ذكرناه التفضيل بين الأنبياء لأنا قد نهينا عن ذلك وانما أظهرنا فضل الثناء المستودع
واستنبطنا باطن الوصف المكرر في قصة أيوب على قصة سليمان بما ظهر لنا من فهم الخطاب
وتدبر معاني الكتاب وعلم الله المقدم وهو أعلم وأحلم وقد ندبنا الى الاستنباط قول الرسول صلى
الله عليه وسلم اقرأوا القرآن والتمسوا غرايبه وأنى في ذلك عذر لأهل الصبر والبلاء وتقويه لقلوبهم
وتعريف لسوابغ نعم الله عليهم واظهار لبواطن النعم وتنبيه على لطايف الكلام وترغيب في الدنيا وترهيب
في طريق أهل البلاء الذين هم الأمثل فالأمثل بالانبياء فما من ذلك تفضيل المبتلى على بلايه رضي بحكم مولاه
وتسليما لمر قضايه على المنعم عليه الشاكر نعمايه اذ النعم ملايمة للطبع موافقة للنفس لا يحتاج
الى كد النفس بالصبر عليها ولا حملها على المشقة بالرضى بها والبلاء مكابر للطبع نافر منه
النفس فيحتاج الى حمل ومشقة فيه ومكابدة النفس فمو خير وأفضل ولا
سبيل اليه الا بتكلفة من الله تعالى وتصبر عليه بقوة منه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين

قال الله سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن الشكر بالايمان وزع
بوجودهما العذاب وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وقال عبد الله بن مسعود الشكر نصف الايمان وقال مر
الله سبحانه بالشكر وقرنه الى الذكر في قوله فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون وقد عظم الذكر بقوله تعالى ولذكر الله أكبر فصار الشكر أكبر لاقترانه
به ورضي بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لأن قوله تعالى فاذكروني أذكركم متصل
بقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كما ارسلنا
أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا لي العرب تكتفي من مثل بالكاف كما اكتفت
من سوف بالسين وفي قوله تعالى سنوتيهم وسنستدرجهم وهذا تفضيل للشكر عظم الايمان
الا العلما بالله وقد روينا في اخبار ايوب عليه السلم ان الله سبحانه أوحى اليه اني رضيت
بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل وفي احد الوجوه من قوله تعالى لأقعدن

الهامش ح

لهم صراطك المستقيم قال طريق الشكر فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل إلى الله عز وجل
العدو في قطعه ولولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما ابغضه ابليس اللعين في قوله ولا
أكثرهم شاكرين ولذلك قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وكما قال ولقد
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقد قطع الله سبحانه بالمزيد مع الشرط
يستثن فيه فاستثنى في خمسة احوال في الاغنا والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة
تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا
تعالى يرزق من يشا ويغفر لمن يشا ثم قال تعالى يغفر لمن يشا ويعذب من يشا
تعالى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا وحتم بالمزيد عند الشكر من غير استثنا
تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فالشاكر على مزيد والشكور على نهاية من المزيد وهو ان
يكثر شكره على القليل من العطا ويتكرر منه الشكر والثنا على الشي الواحد
وهذا خلق من أخلاق الربوبية والمزيد هو الى المنعم بجعله ما شا فافضل المزيد حسن
الاوصاف وأول المزيد اشهاد النعمة انها من المنعم بها من غير حول ولا قوة الا به
المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد اخلافا ويكون
يكون في الاخرة وتثبيت عند فراق العاجلة وقد جعل الله عز وجل الشكر مفتا
أهل الجنة وختام تمنيهم في قوله الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال تعالى وآخر دعوا
الحمد لله رب العالمين فلولا أنه أحب الاعمال اليه ما بقاه عليهم لديه وقد روي
ايوب عليه السلم ان الله تعالى أوحى اليه في صفة الصابرين ذاك عبد اذا اصابه السلام اذا
ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى أزيدهم
الفضل فاول الشكر معرفة النعم أنها من المولى وحده لا شريك له فيها والمنة
اذ قد أخفى ذلك عن نفسه لأنه هو الاول في كل شي لا شي معه ولا ظهير اذ
الضر والسر أمنه واليه جارين على عباده فقال تعالى وما له فيهما من شرك
الشرك الخلط والظهير المعين ثم قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجارون وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو

س
من قرآه اعل الشام

ظهر الله عن س

بمسسك بخير فهو على كل شي قدير وقال تعالى في جمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالاسباب مع مجتمعا
والاواسط مع شهودها انما هي حكمة المنعم واحكامه وظروف العطا واثار المعطي لا يؤثر في
الحكم بها والجعل لها حكما ولا جعلا يعني ولا الحكم ولا جعل أنها محكومات فكيف تحكم ومجعولات فكيف
تجعل لا حاكم الا الله وحده ولا يشرك في حكمه أحدا وهذا الحرف من مقرا أهل الشام أبلغ وأوكد
لأنه تخرج عن الامر لأنهم قرأوه بالتا وجزم الكاف ولا تشرك في حكمه أحدا فالاسباب
احكام حق واواسط حكمه فمشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطي عند العطا حتى ترى النعمة
منه والعطا عنه هو شكر القلب أن الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه او صف
اللسان وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأمرنا باقتنا الشكر واتخاذه لا في
الاخرة عوضا من اقتنا المال في الدنيا فقال في حديث ثوبان وعمر جين نزل في الكنوز ما نزل
سأله عمر رضي الله عنه أي المال نتخذ فقال ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وفي
اخبار داود وموسى عليهما السلم يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة
ثانية من نعمك وفي لفظ أخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك فأوحى الله تعالى
اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر أخر اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت منك
بذلك شكرا وشكرا للسان حسن الثنا على الله وكثرة الحمد والمدح لله واظهار انعامه
واكرامه ونشر ايادية واحسانه وأن لا تشكوا الملك الى المملوك ولا المعبود الجليل الى
العبد الذليل وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف أصبحت فقال بخير فاعلا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم السوال ثانية كيف انت فقال بخير فاعاد عليه ثالثة كيف
انت فقال بخير أحمد الله واشكره فقال هذا الذي أردت منك يعني اظهار الشكر وانما كان
السلف يسألون عن أحوالهم اذا التقوا ليستخرجوا بذلك حمد الله تعالى وشكره فيكونون شركا
في ذلك لأنهم سبب ذكر فمن علت انه يشكو مولاه ويكره عندك قضاءه اذا سألته عن حاله
فلا تسأله فتكون انت السبب في ذلك وشريكه في جهله وما اقبح بالعبد ان يشكو المولى الذي
ليس كمثله شي والذي بيده ملكوت كل شي الى عبد مملوك لا يعتد على شي ومنه كل شي

سبب ذلك

ومن الشكر أن يشكر الله على اليسير لأن القليل من الحبيب كثير ولأن الله تعالى حكيم في
حكمه وقدرته فإذا عرف وجه الحكمة في المنع مع القدرة على العطاء صار المنع عطاء والبلية
ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالباطل
والتشرف بهم وأن الطمع والتذلل والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذل قليل وخسة
الذل للعزيز الحميد أحسن من الذل للحبيب وقبح الذل للذليل كقبح الذل للعدو وقد قال الله تعالى
إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الآية
في معناه إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والعباد هي الخدمة والطاعة فمثل
يحسن بالعبد المقبل أن يظهر فقره وفاقته إلى غير مولاه الذي بيده تدبيره وتوليه لأنه يظن
بحاله يستمعه ويراه فهو أعلم بما يصلحه منه وقال عز وجل في مثله ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الأرض فعلى المؤمن أن يشكر في القبض والمنع كما يشكر في العطاء والبسط ثم يشهد
بقلبه شهادة يقين أن وصفه وصف العبودية وحكمه حكم العبد محكوم عليه بأحكام
وأنه لا يستحق على الله شيئا وأن الله تعالى يستحق عليه كل شيء فالعبد خلقه وصنعته
صانعه ومالكه فإذا شهد العبد هذه المشاهدة رأى من الله تعالى كل شيء فرض منه
ولم ير له على الله شيئا فلم يتتبع لله منه بشيء ولم يطالب مولاه بشيء فكثر الذكر وحسن الثناء
النعمة وجميل النشر هو شكر اللسان لأن معنى الشكر في اللغة هو الكشف
يقال كشر وشكر بمعنى واحد إذا كشف عن ثغر فظهره فيكون إظهار الشكر
باللسان حسن الثناء وكثرة الذكر للمنعم ودوام الحمد كما جاء في الخبر ليس شيء من الأذكار
كما يضاعف الحمد وفي الحديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال
فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلثون حسنة ليس الحمد أعلى من التهليل
لفضل مقام الشاكر وعن بعض السلف قال الحمد لله زد الرحمن وقد افتتح به كل
الكتاب وفي الخبر أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ويكون الحمد
الشكر وغلبته في القلب شكر القلب ويكون شكر الله لعبده كشفه له ما ستر
واظهاره له ما حجبه عنه من العلوم والقدر وهو المزيد فيفيده ذلك حسن معرفة

مشاهدة منه وكله يرجع إلى معنى الكشف والإظهار وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل فهو
أن لا يعصيه بنعمه من نعمه وأن يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه فيكون قد كفرها
كما قال سبحانه بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه فالحق لا يقدرون على تبديل
نعمة الله ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المضمر معناه لأنه أمرهم بالطاعة بالنعم
فخالفوا فعصوه بها فكان ذلك تبديلهم لنعمه ومثله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون المعنى
تجعلون شكر رزقكم تجعلونه تكذيبا رسل الله وهذا من المحذوف أيضا ومن في قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم أنه وتجعلون شكركم فهذا ظاهر البيان ومعناه ومن سلب النعمة
الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب أي يعاقب من كفر النعمة فضيع شكرها بمعصيته
بما يأتيه بزوالها وكذلك قوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد
قيل إن كفرتم النعمة فقد يكون العذاب في الدنيا تبديل النعمة عقوبات وتغييرها هوانا
ومذلات وقد يكون العذاب مؤجلا كقوله تعالى إن عذابها كان غراما قال طالبهم على النعيم بالشكر
فلم يكن عندهم فأغرمهم ثمن النعيم فحبسهم في جهنم وقد قال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ثم قال تعالى وذروا ظاهر الإثم وباطنه ففيه تنبيه لأولي الألباب الذين وصل لهم
القول ليتذكروا أي يذروا ظاهر الإثم شكرا لظاهر النعم ويذروا باطن الإثم شكرا لباطن
النعم وظاهر النعم عوافي الأجسام ووجود الكفايات من الأموال وظاهر الإثم أعمال الجوارح من
معاني حظوظ النفس وباطن النعم معافاة القلوب وسلامة العقود وباطن الإثم أعمال القلوب
السيئة مثل الإصرار وسوء الظن وبيات السوء قال مطرف بن عبد الله بن الشخير لأن أعافى فأشكر
أحب إلي من أن أبتلى فأصبر لأن مقام العوافي أقرب إلى السلامة فلذلك اختار جل الشكر على
الصبر لأن الصبر حال أهل البلا وقد روينا عن الحسن البصري معنى ذلك قال الخير الذي لا شر فيه
العافية مع الشكر والصبر عند المصيبة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر
وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعافيتك أحب إلي ومن الشكر الأعمال الصالحة
وبالعمل فسر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم الشكر للمنعم فقال تعالى اعملوا آل داود شكرا
أي للشكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا لما هو يتعبد في اجتهاده

ملح

وقيامه حتى تورمت قدماه فأخبر أن المجاهده وحسن المعاملة شكر المستعمل والمنعم وقال
ألا أكون عبدا شكورا فالقلب المعرفه بأن النعم من المنعم لا غير وشكر العمل كلما وهب الله لك نعمة أو أصلحا
أحدثت له عملا ثانيا شكرا منك للعمل الأول فعلى هذا يتصل الشكر وتدوم المعامله وأول الشكر
العارف أن لا تعصيه بنعمة من نعمه فتجعلها في طاعة المولى فأما شكر الشاكرين فهو أن تطيعه
بنعمه فتجعلها في سبيل المولى وهذا شكر جملة العبد وحقيقه الشكر التقوى وهو اسم يستوعب جميع
العبادات التي أمر الله تعالى عباده في قوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون ثم عبر عن حقيقة شكر بتقواه وأخبر أن التقوى هو الشكر فقال تعالى
فاتقوا الله لعلكم تشكرون وفي الشكر مقامان عن مشاهدتين أعلاهما مقام الشكور وهو
الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدايد والآلاء ولا يكون كذلك حتى يشهد ذلك نعما
الشكر وهذا مقام في الرضى وحال من المحبة وبهذا المقام يصدق يقينه وحقيقه زهده
الله تبيه نوحا عليه السلام فقال تعالى انه كان عبدا شكورا في التفسير كان شكر الله عز وجل
على كل حال من خير أو شر أو نفع أو ضر وفي الخبر ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فيقوم
فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على كل حال
آخر على السراء والضراء وقد قال بعض العلماء في قوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال
العوافي والغنا وباطنة البلايا والفقر وهذه نعم الآخرة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم
الا عيش الآخرة والمقام الثاني أن ينظر العبد الى من دونه ممن فضل عليه في أمور الدنيا
أحوال الدين فتعظم نعمة الله عليه بسلامة قلبه ودينه مما ابتلى الآخر وتعظم نعمه الدنيا عليه
أغناه الله وكفاه فيما أحوج الآخر والجاه اليه فتشكر على ذلك ثم ينظر الى من فوقه
الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان وحسن اليقين فيمقت نفسه ويزري عليها ويناقش نفسه
من الاحوال ممن هو فوقه ويرغب فيها فاذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت
المدح جميعا وقد رويتا معنى ذلك في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر
الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله شاكرا صابرا ومن نظر في الدين
الى من هو فوقه ونظر في الدين الى من دونه لم يكتبه الله لا صابرا ولا شاكرا وقد شرحنا هذا

الرضى فكرهنا اعادته هاهنا وكل وصف يكون شاكرا بد ويكون الشكر مقاما له فيه
فان كفران النعمة يلزم بضده لان الكفر ضد الشكر ومن كباير النعم ثلث من جهلها أضاع الشكر
عليها ومعرفتها شكرا العارفين أولها استنار الله عز وجل بقلوبهم عن الابصار ولو ظهر
للعيان لكانت معاصيهم كفرا لانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي جناح بعوضه ولانه كان يظهر
بوصف لا يستطيعون معه من المعاصي وراء هذا سر الغيوب فكانوا يكفرون بالمواجهة ولما كان
لم في الايمان به من عظيم الدرجات مالهم الآن لانهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب
فرفعتهم الدرجات بحسن اليقين فبذلك مدحهم الله ووصفهم والنعمه الاخرى اخفا القدر
والايات عن عموم الخلق لانها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولو ظهرت لهم
لكانت خطايا هم الصغاير كبايرا مع معاينة الايات ولما وضعت لهم على أعمالهم الحسنات كما هي
الآن للايمان بالغيب والنعمه الثالثه تغييب الآجال عنهم اذ لو علموها لما كانوا يزدادون ولا
ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة واحدة فان ذلك مع علمهم بالاجل أشد مطالبة لهم وأوقع للحجة
عليهم فأخفى ذلك عنهم معذة لهم من حيث لا يعلمون ولطفا بهم ونظرا لهم من حيث لا يحتسبون
ثم بعد ذلك من لطايف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض وستره عند الصالحين منهم لولا
ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم أيات يعرفون حتى يكون الجاهلون
على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم
عليهم ولحبطت اعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر
الرجا وحسن الظن بالغيب من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات الموذين لهم عن المعاجلة
لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله وجليل قدرهم ففي ستر هذا نعم عظيمة عن الصالحين في نفوسهم
من سلامة دينهم ولقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرون لشعاير الله من
أهلهم اذ كانوا اساؤا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب كما قال في
الخبر من أذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا أتاب لوليي وعن بعض السلف في معنى
هذه النعم التي أوجبنا الشكر في اخفايها ان الله حبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا
لعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا لعل غضبه فيه وحبا ولايته في عباده

عز وجل

المؤمنين فلا تخف ولا تحزن وامنن على أحدهما أعلى من الآخر
أولها شكر الزاجين وهو حسن المعاملة لما أملوه وزجوه من ظواهر النعم فعلموا رجاء اتمامها فان الله
المسارعة والمسابقة الى الأعمال الصالحة شكرا لما ابتدأهم به وخصهم دون سائر خلقه وأعلامها
شكر الخائفين وهو خوف شوائب الخاتمة والاشفاق من درك الشقاء لحكم السابقة فكان خوفهم
دليلا على اغتباطهم بموهبة الايمان وكان اغتباطهم يدل على عظيم قدر الاسلام في قلوبهم وتقرير
مكانه عندهم فعظمت النعمة به عليهم فمعرفتهم بذلك هو شكرهم فصار الخوف والاشفاق طريقا
الشكر للرزاق وقد جعل الله ذلك نعمة وكل نعمة تقتضي شكرا في قوله تعالى قال رجلان من الذين
انعم الله عليهما وقال بعض المفسرين أنعم الله عليهما بالخوف ولم يشكر العبد مولاه الا أنه تعالى
الأوصاف والأخلاق التي هي صفاته وأخلاقه من نهاية الكرم والجود الذي لا غاية له ومن
التفضل والاحسان الذي لا نهاية له فلما كان الله تعالى لهذه الأخلاق المرجوة والصفات
أن يشكر العبد لأجله سبحانه لأجل نعمه وأفعاله وهذا شكر المحبين اذ لو كان الله تعالى على
الصفات والأخلاق التي عرفه بها العارفون ولا بد لهم منه أي شيء كان يصنع العباد وأي حال
كانت تكون فله الحمد كله وله الشكر كله ولا ينبغي ذلك الا لكرم وجهه وعز جلاله
لم يزل على ما هو الآن ولا يزال أبدا على ما كان من الأوصاف الكاملات والنعوت التامات والأسماء
الحسنى والأمثال العلى ومعرفة هذا هو شكر العارفين ومشاهدته هو مقام المقربين
هو لله هو لأجل الله سبحانه ودعاهم لا التمجيد والتقديس وأعلمهم الاجلال والتعظيم لأجل العلم
وشواهد تجلي الصفات والنصيب من مشاهدة معاني الذات وو صف هذا لا يوصف وشرحه بالمقول
لا يعرف وهو داخل في مشاهدة قوله تعالى لمن شهد سر الكلام اذ يقول تعالى ليس كمثله شيء وهو
المشاهدة اغتبط موسى عليه السلام بالربوبية وأنس بالتقريب وابتسط بالتمكين فقال له ما ليس كمثله
الله تعالى وما هو قال لي مثلك وليس لك مثل نفسك قال صدقت يا موسى يعني لي أنت على هذه
الأوصاف التي هي غاية للطالبين ولا مزيد عليها للراغبين وليس لك كأنت اذ ليس كمثله شيء وانا
اله الا أنت ومن غوامض النعم الشكر على هذه المعاني ما روي عن عمر وصرفه من فضول الدنيا
أقل للشغل والاهتمام وأيسر للحساب ثم قال ما ابتلى به غيرك من الدنيا مما شغله به عنه وتلهيه

دونه ففي صرف الدنيا عنه وابتلاء غيره بها نعمتان عليهما شكر ان وكذلك اذا رأى مبتلى في دينه بصفات
المنافقين أو مبتلى بنفسه بأخلاق المتكبرين على جميع ذلك نعما من الله عليه اذ لم يجعله كذلك لأنه قد كان
هو ذاك لولا فضل الله ورحمته فيجب بكل ما وجه به الى غيره من الشر أو صرف عنه من الخير نعما عليه
بمثل ما وجه اليه من الخير وصرف عنه من الشر لأن النفوس كنفس واحدة في الأمر بالسوء والمشية
والقدرة واحدة فقد رحمه بما صرف عنه من السوء فذلك من فضل الله ونعمه عليه فمعرفته بذلك
شكر منه له وأكثر عقوبات الخلق لقلة الشكر على النعم وأصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب
الجهل بالنعمة طول الغفلة عن المنعم وترك التفكر في نعمه والتدبير لآياته ومننه وقد أمر بذلك في
قوله تعالى فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قيل نعمه وقال تعالى في المفسر واذكروا نعمة الله عليكم وما
أنزل عليكم من الكتاب والحكمة فاذا جهل العبد النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكرها واذا لم
يشكر عليها انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان ما ادعا وأيضا فان لم يشكر النعم جملة
بما لم يؤمن عليه كفرها فان كفرها أدركه العذاب الشديد للوعيد الا أن تداركه نعمة من ربه ومن
أفضل النعم وأجلها نعمة الايمان به ثم الرسول عليه السلم ثم القرآن ثم أن جعلنا من خير أمة أخرجت
للناس وقبل ذلك وهي أول نعمة عقلناها أن جعلنا موجودين دون سائر المعدوم وما ثم أن جعلنا
حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون سائر الحيوان ثم أن جعلنا ذكرانا دون سائر
الأناث ثم تصويرنا في أحسن تقويم ثم هوانا القلوب عن الزيغ عن السنة ومن الميل الى دواعي النفس
الأمارة ثم صحة الأجسام ثم كثيف الستر وحسن الكفاية للحاجات ثم صنوف ما أظهر من
الأزواج للأقوات ثم تسخير الصنعة لنا مما بين الأرض والسماء فهذه امهات النعم وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وكان سهل يقول خص بمعرفة النعم ومعرفة عظيم علم الله عز وجل وستره الصديقون
وقال الله أصدق القائلين وأحسن الواصفين وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور
رحيم فمتى النعمة بوصفيه اللذين هو لهما أهل من المغفرة والرحمة ثم قال أيضا ان الانسان لظلوم
كفار فكان أعظم في النعمة وأوسع في الكرم والمنة على وصفي الانسان اللذين هو لهما أهل من
الظلم والكفر فهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة والعبد أهل لما وصفه مولاه اذ
انه مجود عليه بقديم ما به تولاه فنعمته أطاعه العاملون ومن نعمته جازاهم ونعمته عصاه

الجاهلون ومن نعمته ستر وحلم عنهم ومن النعم الصحة والفراغ هما اول نعيم الدنيا واصول
أعمال الآخرة وبهما تكون المعايش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من
الناس الصحة والفراغ وقال فضيل بن عياض عليكم بمداومة الشكر على النعم فكم نعمة زالت عن قوم
ثم عادت اليهم وقد يروى في خبر ما غيطت نعمه على قوم فعادت اليهم وقد يروى في خبر ما غيطت
نعمة على عبد الا حسنت جوائح الناس اليه فمن تمام ان نعم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال الله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم قبل لا يغير نعمته عليهم حتى يغيروا ما بكفرهم
تضييع شكرها فيها قهرها بالغير ويقال أن تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة وكل عرق في جسمه
في تسكينه وتحريكه وفي كل عظم أربع نعم وبكل مفصل سبع نعم وفي كل نفس نعمتان وفي كل دقيقة
تأتي عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثنى عشر جزأ من شعيرة والشعيرة جزء من ثلاثين
جزأ من شاعه وفي اخبار موسى عليه السلام يا رب كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي
نعمتان ان لينت أصلها وان طهرت راسها وقد جاء في الأثر من لم يعرف نعم الله عليه الا في مطعمه
ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وهذا من سوابغ العوافي والكفايات والوقايات وقال
أن في باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف التي في ظاهره وان في القلب من النعم أضعاف ما في
الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله والعلم وحسن اليقين به اضعاف نعم الأجسام والقلوب
فمدة كلها نعم مضاعفة على نعم متزادفة لا يحصيها الا من انعم بها ولا يعلمها الا من خلقها الا
من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه
وكثرة تردده وتزايده ويقال ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة
من السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والجواهر والاعراض والأفلاك والليل والنهار وغير
ذلك مما يكابل الذي يكابل الماء من الخزائن فيفرغه على السحاب ثم تحمله السحاب فترسله ثم الرعد والبرق
والملكان اللذان يسوقان السحاب والرياح والبهائم وبنو آدم ومعادن الأرض الى غير ذلك
الخباز فاذا استدار رغيفا طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنايع فما ظنك
كلها في تكميله رغيف وفي حصوله فكيف بما وراء ذلك فعلى العبد في كل نعمة شكر
ان طولب بشكر نعمة واحدة على حقيقتها هلك الا أن تداركه رحمة من ربه فتعمه الرحمة

غيطت ما احسنت
وفي نسخة نعمة على
مغبون نعمة على
قوم وجعت اليهم

مغبون فيهما كثير

النعمة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال
هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وحدثونا ان عابدا عبد الله ستين سنة فأرسل
الله ملكا يبشره بدخول الجنة برحمة الله فجش في نفسه بل بعلي فاطلع الله على ذلك منه فأوحى
الى عرق ساكن من عروقه أن تحرك عليه فاضطرب لذلك وانقطعت عبادته وذهبت
أعماله شغلا منه بنفسه فأوحى الله الى العرق فسكن فرجع العبد الى عبادته فأوحى الله عز وجل
اليه انما قيمة عبادتك عرق واحد سكن من عروقك وروينا معناه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوصف آخر أن رجلا عبد الله سبحانه وتعالى ستين عاما فيأمر الله به الى الجنة برحمته
فيقول بل بعملي فيقول الله تعالى ادخلوا عبدي الجنة بعمله قال فيمكث في الجنة ستين عاما فيأمر
الله عز وجل به أن يخرج ويقال له قد استوفيت ثواب عملك قال فسقط في يديه وندم فنظر أقوى شيء
كان بينه وبين الله عز وجل فاذا هو الرجاء وحسن الظن فيقول يا رب اتركني في الجنة برحمتك
لا بعملي قال فيقول الله تعالى ادعوا عبدي في جنتي برحمتي وحدث عن رجل شكى ان بعض أهل
المدينة فقره وأظهر غمه لذلك وجزنه فقال له ابشر ترك اتاك أعمى ولك عشرة آلاف قال لا
قال فيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال
لا قال فيسرك انك أقطع اليدين او الرجلين ولك عشرة آلاف قال لا قال فما تشتهي أن تشكو مولاك
وله عندك عروض بخمسين الفا وهذا كما قال بأن في الانسان فيم هذه الاشياء من الجوارح
فوق ما ذكره من المال لانها دياث جوارحه اذا قطعت وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض
الفقراء المقربين اشتد به الفقر حتى أحرجه وضاق به ذرعا قال فرأى في المنام كأن قائلا يقول
تود لو انا أنسيناك سنون الأنعام وأن لك الف دينار فقال لا قال فسنون هود قال لا قال
فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيم مائة الف وأنت تشكو الفقر وهكذا جاء في الخبر تغنوا
بالقرآن أي استغنوا به ومن لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وان القرآن هو الغنى الذي لا فقر معه
ولا غنى بعده ومن آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استخف بما أنزل الله ومن لم يتغن
بالقرآن فليس منا وفي الخبر الجمال كفى باليقين غنى والكرم من هو الى اليقين وقيل لبعضهم
ما النعيم قال العافية قيل رأيت السقيم لا عيش له قال رددنا قال لغنا عن الناس فاني رأيت

وفي نسخة

الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الأمن فإني رأيت الخايف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فإن
الهرم لا عيش له قيل زدنا قال ما أجد مزيدا وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في
الدنيا قيل الشباب وقيل الفراغ وقيل الأمن وقيل العافية وفي قوله تعالى وعصيتم من بعد
ارأكم ما تحبون قيل العوافي والغنا وقد جاء في خبر من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه
عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وعن بعض السلف يقول الله تعالى لا
أغنيته عن ثلث لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وعن طبيب يداويه وعن مال يأتيه
أخيه وفي مناجاة أيوب عليه السلام انك الله تعالى أوحى اليه ما من عبد لي من الآدميين الا وهو
ملكان فاذا شكر على نعمايَ قال الملكان اللهم زده نعما على نعمك فإنك أهل الشكر والحمد
الشاكرين فيها وزدهم شكرا وزدهم من النعماء وكفى بالشاكرين يا أيوب علوا الربه عند
وعند ملايكتي فأنا أشكرهم وملايكتي تدعو لهم والبقاع تحبهم والآثار تكتب
لي يا أيوب شاكرا وإلى ذاكرا ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكرك
أنا أوفق أوليايَ لصالح الأعمال وأشكرهم على ما وفقتهم واقتضيتهم الشكر ورضيته منهم
فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندي من
الي في وقت حاجته ولم يتضرع بين يدي الا في وقت عقوبته وذكر الكلام بطوله وقد يقول
الشاكرين بوصف الصالحين والمقربين لعالمين وهذه الأوصاف الثلثة من أعلى مقامات
المؤمنين قال الله عز وجل وقليل من عبادي الشكور كما قال الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم وكما قال تعالى في وصف المقربين ثلة من الأولين وقليل من الآخرين
الله تعالى ما يعلمهم الا قليل وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله وسلم
الله العافية فما أعطي عبد أفضل من العافية الا اليقين فضل العافية على كل عطاء وقرن
العافية لان بالعافية تم نعيم الدنيا وباليقين وجود نعيم الآخرة فباليقين فضل في
العافية كفضل الدوام على الاخر والعافية سلامة الأبدان من العلل والأسقام واليقين
الأديان من الزيغ والأهواء فهذه نعمتان تستوعبان عظيم الشكر من العبد كما اشتملت
القلب والجسم جميع النعم من الملك ومن أقوى المعاني في قوله تعالى يوم لا ينفع مال

الا من أتى الله بقلب سليم قيل سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى وبوجود عافية اليقين في
القلوب عدم الشك والنفاق وهي أمراض القلوب كما قال تعالى في قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية
القلب ايضا من الكبائر كما قال تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض يعني الزنا ويقال ما من مصيبة الا ولله
تعالى فيها خمس نعم أولها أنها لم تكن في الدين والثانية اذ لم تعظم أكبر منها والثالثة أنها كانت عليه
لا له فقد نفدت واستراح منها والرابعة انها عجلت عليه في الدنيا ولم تؤجل في الآخرة فتعظم والها
ان ثوابها خير منها وفي قوله عز وجل ان الانسان لربه لكنود قيل شكوا المصايب وينسى النعم ولو
علم ان مع كل مصيبة عشر نعم سوى اجرها وزيادة قلت شكواه ثم ان المصايب لا تخلو من ثلثة
اقسام كلها نعم من الله تعالى اما أن تكون درجة وهذا للمقربين أو تكون عقوبة وهذا للكافة من
المسلمين فتعجيل العقوبة في الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طرايق للشاكرين ومن أفضل
النعم عند العلماء نعمة الايمان ثم دوامه لان دوام الشيء نعمة ثانية لانه حكم ثان عن شيء ثاني
الارادة منه بحكم الاظهار يوجب دوام المظهر كان الشيء يظهر بارادته ثم يبقى كما لم يكن
الا أن يحكم سبحانه حكما ثانيا بنعمة ثانية فالثبات والدوام اذا لم يرد دوام السموات ودوام
الأرض ما دامتا ولو لم يرد ثبات الجبال ما ثبتت كذلك لو لم يرد دوام الايمان وثباته في
القلوب بعد الكتب لظهر بالكتب ثم آتاها وترجع القلب الى الكفر ولكنه انعم نعما لا تحصى بدوامه
وثباته في القلب ثبت ومنه قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت أي يمحوا ما لا يشاء ثبوته ويثبت ما يحب
ولا يستطيع العبد شكر نعمة الايمان ومعرفة بداية التفضيل وقديم احسانه من غير ندم من
العبد ولا استحقاق بل بفضل الله وبرحمته وهذا احد الوجوه في قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره
اي لا يقضي ابدا شكر ما امره الله من نعمة الاسلام التي هي أصول النعم في الدنيا والآخرة ولا أقل
للعبد فيها ولا شفيع كان له الى الله عز وجل بعائم دوام ذلك فيه ثبات مع الطرفة والالتفات بمدده
منه نعم مترادفة ومن هذا قوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أي قواهم بمدد
يثبته ويقويه وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب أي ثبت القلوب أي على الايمان ومقلبها في الشك والشرك
ثبت قلبي على طاعتك ومعرفة هذه النعمة اللطيفة العظيمة يهتج من القلب سؤال الخاتمة

صح
كفضل الدوام

لمشاهدة شرعة تقليب القلب بالمشية وذلك مزيد شكرها وهذا داخل في معنى قوله
الله عليه وسلم اجتهدوا الله لما اسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به ايضا فان افضل
الايمان به والمعرفة به وغذاؤه لنا دوام ذلك ومزيده بروح منه وتثبيتا عليه في
الاحوال اذ هو اصل الاعمال التي هي كمال النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب
الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشاء والضلال كما يقلب نيابنا في الاعمال اي شيء كان
اي شيء كنا نفعل وباي شيء كنا نطمئن ونرجو فهذا من كبار النعم ومعرفته ومزيد
الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة واداء الايمان انه عن كسب
استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان انه
الله كفرا وقد جعل الله تعالى الخيرات من كسب الايمان وليس لنا فيما يكسبنا الخيرات
الله تعالى من علينا أن هدانا للايمان وجعله سببا يكسب لنا باحسانه الاحسان كما
أو كسبت في ايمانها خيرا قبل التوبة وقبل الصالحات كلها كسب الايمان ومن النعم
توفيقا للحسنى وتيسيرنا لليسرى وصرف الكفر واخلاق الكفر واعمالهم وتزيين الايمان
الينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة الى ما لا يحصى من نعمه فشكر ذلك
الايمان وهب ايضا وانعم به من المعرفة بذلك والمعونة عليه والحياء من تتابع النعم ومن الشكر والمعرفة
الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والاعتراف بما اعطى من حسن الثناء وجميل الشكر
المنعم على غير استحقاق من العبد بل مضاف الى نعمه هو من الشكر وحسن التواضع بالنعم
فيها شكر وشكر الخالق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لانهم ظروف العطاء واسباب المعنى
المولى وهو من الشكر وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم
القبول وتكبير صغيرها وتعظيم حقيرها من الشكر لان طايفة هلكت باستصغار
وجود المنافع جهلا بحكم الله واستصغارا لنعمه فكان ذلك كفرا بالنعم ومن الناس من
افضل من الشكر وليس كذلك التفضيل بينهما عند اهل التحصيل من قبل ان كل تمام
المومنين والترجيح بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم في اليقين والمشاهدة
الصابرين افضل من بعض الشاكرين لفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين افضل

الصابرين لحسن يقينه ومشاهدته ولكن تفضيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات انا نقول والله
اعلم ان الصبر عن النعيم افضل لان فيه الزهد والخوف وهما اعلى المقامات وان الشكر على المكاره
افضل لان فيه الرضى والبلاء وان الصبر على الشديد والضر افضل من الشكر على النعم والسر من قبل
ان الصبر عن المعاصي بالنعم افضل من الطاعة بها من المجاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار
البلاء عنده نعمة وهذا افضل لانها مشاهدة المقربين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر
الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يعني الاقرب شبها بنا فالاقرب فترفع اهل البلاء اليه ووصف
نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم امثل كان هو
الافضل فكل مقام من مقامات اليقين يحتاج الى صبر والى شكر واحدهما لا يتم الا بالآخر لان
الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن
الله بينهما ووصف المومنين بهما فقال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فذكر الشكر بلفظ
المبالغة في الوصف على وزن فعول كما ذكر الصبر على وزن فعال فقال صبار وهو وصف للمبالغة
ايضا ولذلك اقتسما الايمان نصفين كما جاء في الخبر الصبر نصف الايمان واليقين
الايمان كله لان اليقين اصلهما عنه يوجد الايمان لان الشاكر أيقن بالنعمة منه وأيقن بما انجز وعده من المزيد فشكر
كما أيقن الصابر بمسه بالبلاء وأيقن ثواب الصابرين فصبر ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٥

شرح مقام الرجاء ووصف الراجين

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله سبحانه الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقال
جل قدره وكان بالمومنين رحيما وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفي قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم ولا يبالي وفي الاخبار المشهورة قبض قبضة فقال هولاء الى الجنة ولا ابالي والمعنى والله اعلم
ان رحمتي وسعت كل شيء فليس يضيق هولاء عنها ولا ابالي بدخولهم فيها ويكون هولاء ايضا في
الجنة ولا ابالي باعمالهم السيئة كلها وقال الله في وصف المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال تعالى في وصف

المتوكلين الا اللهم ان ربك واسع المغفرة وقال تعالى مخبرا عن الملائكة الحاملين حول العرش
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض وأخبر سبحانه ان النار أعدها لمن
وانه خوف بها أولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله
به عباده يا عباد فاتقون ومثله قوله سبحانه واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال عز وجل
فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الأشقى الذي كذب وتولى وقال تعالى في عفوه عن الظالمين وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في امته حتى قال
أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا ترضى محمد صلى الله عليه وسلم وواحد من امته في النار وقال
محمد بن علي يقول انتم أهل العراق تقولون ارجى آية في كتاب الله قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى ان الله عز وجل وعده أن يرضيه في أمته وفي حديث ابي بردة عن أبيه عن أبي
موسى الأشعري أمتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل عقابها في الدنيا الزلازل
والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي رجل من النار فقيل هذا فداك من
النار وروينا في لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الامة بيهودي أو نصراني الى جهنم فيقول
هذا فداؤك من النار فيلقى فيها وفي خبر الحي من فج جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروينا في
الخبر ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم تريد أن أجعل حسابا متك اليك فقال الهي
انت خير لهم مني وكان الثوري يقول ما احب أن أجعل حسابي الى بوي لأني أعلم ان الله ارحم
بي وخير لي منهما وروينا في خبر سلمة بن وردان عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي ليلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى
الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا أجعل حسابهم الى غيري ليلا ينظر
مساويهم أنت ولا غيرك وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم
اما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرايع وأما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت
منها حسنا حمدت الله عز وجل عليه وما رأيت سيئا استغفرت الله لكم وروينا في الأثر

اذا تاب العبد من ذنوبه انسا الله ملائكته وبقاع الأرض معاصيه وأبدل له حسنات فتقول
الملائكة وبقاع الأرض طوبى لك من عبد صالح لم تعص الله وكذلك يقال ان المؤمن اذا عصى ستره
الله عن ابصار الملائكة كي لا تراه فتشهد عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كريم
العفو فقال له جبريل عليه السلام تدري ما تفسيره يا كريم العفو هو أن عفا عن السيئات بر حمته
ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام
النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقد أخبرنا الله تعالى انه قد
أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا وهذا دليل على دخول الجنة فقال تعالى وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا وقد أشركنا في اتمام النعمة مع رسوله صلى الله عليه وسلم فنحن نرجوا ان يجمع لنا الوصف
الآخر بفضله فقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك فنرجوا
المغفرة بسعة رحمته وفي خبر علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله عليه فالله أكرم
ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله أعدل من ان يثني عقوبته على
عبده في الآخرة وفي لفظ آخر لا يذنب عبدي في الدنيا فستر عليه الا غفر له في الآخرة وعن بعض
السلف كل عاص فانه يعصي تحت كنف الرحمن والكنف من الانسان حضنه ما بين يديه وصدره قال فمن
ألقى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح وبقال ان من افتضح في الدنيا بذنب فهو
كفارة له لا يفضح به في آخرته وبقال اذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله عز وجل للملائكة
انظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له
وروينا عن بعض العلماء ان العبد اذا كان مستغرقا في مشيه يرفع يديه يدعو فيقول يا رب فيتعجب
الملائكة صوته فاذا قال الثانية يا رب تعجبت الملائكة صوته فاذا قال العبد الثالثة يا رب تعجبت
الملائكة صوته فاذا قال العبد الرابعة يا رب يقول الله عز وجل حتى متى تحجبون صوت عبدي عني قد علم
عبدي أن ليس له رب غيري يغفر الذنوب اشهدكم اني قد غفرت له وفي حديث آخر لو
أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السما غفرتها له ما استغفرني وتجاني وفي لفظ
آخر لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة ما لم يشرك بي شيئا وفي الحديث
ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا

كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه عملا حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو
أمين عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع تسع حسنات فيرفع
السيئة ويقال ان الله تعالى ألقى في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب
الشمال مع انه أمره عليه فاذا عمل العبد حسنة فرح بها ملك اليمين فتكتب له بفرحة حسنات وورد
في حديث انهن ملك اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فان تاب محي من صحيفته فان عاد كتب عليه
فان تاب محي من صحيفته قيل لي متى يا رسول الله قال لي ان يستغفر الله ويتوب ان الله لا يمل من
المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل
أن يعمل بها فان عملها كتبها عشر حسنات ثم ضاعفها الله عز وجل الى سبع مائة ضعف فاذا هم
بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة وورد احسن عفو الله تعالى وجاء في
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا أصوم الا الشهر لا ازيد عليه ولا أصلي الا الفرض
ازيد عليهن وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوع ابن انا اذا مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الجنة فقال يا رسول الله معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت لسانك
اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينك من اثنتين النظر الى ما حرم
الله وأن تزدري بهما مسلما وروينا عن بعض السلف الصالح قال ان الله عز وجل شرف الكعبة وعظمها
ان عبدا هدمها ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله عز وجل قيل ومن اولياء الله
المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت الله يقول الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
الخبر المشهور عن عبد الله بن عمر وابي هريرة وكعب انه نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وما
أعظمك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك وفي الخبر عن الله تعالى من أهان لي وليا من أوليائي
فقد بارزني بالمحاربة وأنا الثائر لوليي في الدنيا والآخرة وفي أخبار يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل أوحى اليه تدري لم فرقت بينك وبين يوسف هذه المدة قال لا قال لقولك
اخاف ان يأكله الذيب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذيب ولم ترجني له ولم نظرت الى غنمه
دون نظرك الى وجه أخيه ولم تنظر الى حسن ظنك بي ومن سبق عنايتي بك أني جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين
ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أكمل الباخلين فالرجاء هو اسم لقوة الطمع في الشيء بمنزلة القوة

ل: ذكر المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار وورد تكرير شرحه في اوايل الكتاب

اسم لقوة الحذر من الشيء ولذلك اقام الله الطمع مقام الرجاء في التشبيه واقام الحذر مقام الخوف
فقال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا خوفا وطمعا وقال تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من
أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الايمان لا يصح الا بهما كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء من له
أدنى جناح الطائر ولا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن من لا يرجو من آمن به وخافه وهو مقام حسن
الظن بالله وجميل التأميل له ولذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته فقال لا يموتن
أحدكم الا وهو حسن الظن بالله وفي حديث جابر من استطاع منكم ألا يموت الا وهو حسن
الظن بالله فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ولأنه قال عز وجل
أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه
بالله الا أعطاه ذلك لان الخير كله بيده أبدا اذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما بظنه لأن
الذي حسن ظنه هو الذي أراد أن يحققه له وقد ذم الله قوما وصفهم بالهلاك وظنوا به ظن السوء في قوله
تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم الآية وتلا الحسن هذه الآية فقال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ربكم عبدي عند ظنه بي وأنا معه اذا دعاني ولذلك دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الرجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك فقال أجدني اخاف ذنوبي وأرجو رحمة
ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجى وأمنه مما يخاف ولذلك قال
علي رضي الله عنه للرجل الذي أطار عقله الخوف حتى أخرجه الى القنوط فقال له يا هذا يأسك من رحمة
الله أعظم من ذنوبك وصدق رضي الله عنه لأن اياس من روح الله عز وجل الذي يستريح اليه
المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله تعالى التي يرجوها المبتلى بالعيوب أعظم من ذنوبه وهو
أشد من جميع عيوبه لأنه قطع شهادته على صفات الله المرجوة وحكم على كرم الله تعالى بصفته
المذمومة فكان ذلك من أكبر الكبائر وان كانت ذنوبه كبائر ومكاجاة في التفسير ولا تلقوا بأيديكم
الى التهلكة قال هو العبد يذنب الكبائر فيلقي بيديه ولا يتوب يقول قد هلكت لا ينفعني عمل فيهوا
عن ذلك ألا ان الرضى مقام جليل وحال نبيل لا يصلح الا للكمل من أهل العلم والحياء وهو حال يخول عليهم
بعد مقام الخوف يرقون من الكرب ويستريحون اليه من مقاساة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم
يعرف الرجاء ومن لم يقم في مقامات الخوف لم يرتفع الى مقامات أهل الرجاء على صحة وصف ورجاء كل عبد

من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوه من معنى ما كان كوشف به من صفات محوفه فإن
أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنات وما فيها من الأوصاف الحسان وهذه مواهب
الأبرار وهم أصحاب اليمين وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل
العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة بحكم الكبر والجبرية رفع من
المقامات إلى مقام المحبة والرضى فرجا من معاني الأخلاق واسماء الكرم والاحسان والفضل
واللطف والامتنان ومن علامة صحة الرجا في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لما لحق بن جاشع
فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت الرجاء والرجاء
ترويح الخائفين ولذلك سمت العرب الرجا خوفا لأنهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ومن هذه
أن الشيء إذا كان لازما للشيء أو وصفا له أو سببا منه أن يعبروا عنه به فقالوا ما لك لا ترجو لله وقارا
وهم يريدون ما لك لا تخاف وعلى هذه اللغة جاء قول الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أجمعوا على
تفسير ما لكم لا تخافون لله عظمة وهو ايضا أحد وجهي تفسير قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما
الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلثة أيام وبقال ثلث ليال ومنه قول الله تعالى
عن قصة واحدة فقال آيتك ألا تكلم الناس ثلثة أيام الا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليله والليلة لا
تنفك عن يومها أخبر عن احدهما بالآخر لأن أحدهما متصل بصاحبه فصار كشيء واحد كما سمت
الليل والنهار أحدهما لبسة للآخر مندرج فيه لا يظهر الا أحدهما بقدرة الله وحكمته لتفاوت
أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما فإذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله وإذا ظهر
الليل استتر النهار بحكمة الله وهو حقيقة ايلاجه احدهما في الآخر وتحقيق تكوير أحدهما على
الآخر وكذلك حقيقة الرجا من الخوف من معاني الملكوت إذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وإذا ظهر
أحكام الخوف عن مشاهدة التجلي بوصف محوفه فسمي العبد خائفا لغلبته عليه وبطن الرجاء خوفه
وإذا ظهر الرجا كان العبد راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء عن مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجوه
العبد به لأنه الأغلب عليه وبطن الخوف في رجائه لأنهما وصفان للإيمان كالجناحين للطائر فالمؤمن

الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف بن الشخير لو وزن خوف
المؤمن ورجاؤه اعتدلا فهذا أصل حقيقة معرفة الرجاء وصدق الطمع في المرجو فللمؤمنين في
اعتدال الخوف والرجا مقامين أحدهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات
المخوفة والأخلاق المرجوة والثاني مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدايع الأحكام وتفاوت
الأقسام من ذلك أنه أنعم على الخلق بفضله وعن كرمه اختيارا لا إجبارا فلما أعلمهم ذلك رجوا تمام
النعمة من حيث ابتدأها ومن هنا طمع المجرمون في المغفرة لما ابتدوا بالايمان فقالوا انا نطمع أن
يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين أي من حيث جعلنا أول المؤمنين به فرجوه منه وقدم
الله عبدا أو جده نعمة ثم سلبهما فأيس من عودتها عليه فقال تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة
ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ثم استثنى عباده الصابرين له الصابرين عليه فقال تعالى الا
الذين صبروا وعملوا الصالحات وروي عن لقمان انه قال لابنه خف الله خوفا لا أمن فيه مكرة
وارجوه أشد من خوفك قال وكيف أستطيع ذلك وإنما قلب واحد قال أما علمت أن
المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر المعنى ان الخوف والرجا وصف للإيمان لا
يخلو منهما قلب مؤمن فصار كذي قلبين حينئذ ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات في كل
طبقة طايفة منهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فمن هنا رجاؤهم لأنفسهم ولغيرهم من
المؤمنين اذ قد أعطاهم فرجوا ان تم عليهم نعمته وأن لا يسلبهم تفضيل ما به بدأهم ومن الناس
من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهو موضع خوفهم عليهم وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم
الله عن علمه السابق فيهم ومن الناس من يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومنهم من يعيش كافرا
ويموت كافرا فهذان الحكمان أوجبا رجاء هم الثاني للمشرك اذا رأوه فلم يقطعوا بظاهر قبوح
أيضا خوف هذا الرجا خوفا ثانيا ان يموت على تلك الحال وان يكون ذلك حقيقة علم الله منه فعلم
المؤمن هذه الأحكام الأربعة ورثة الخوف والرجا معا فاعتدل حاله بذلك لاعتدال ايمانه به وحكم
على الخلق بالظاهر ووكل إلى علام الغيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهر من التنزيل برجاء الله ما
بطن عند الله من الخبر ولم يشهد لنفسه ولا لغير بظاهر الخير بل يخاف أن يكون قد استتر عند
الله باطن شر الا ان حال التمام أن يخاف العبد على نفسه ويرجو الغير لأن ذلك هو وجد

المؤمنين من قبل أنهم متعبدون بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم العباد
بسلامة الصدور وتسليم ما غاب إلى من إليه تصير الأمور ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم
لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملاوم عليها ولا يحتجون لها لباطن الإشفاق منهم عليهم والخوف
التزكية منهم لهم فمن قلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه محتجا
لا يما للثانية فما لهم فهذه من أخلاق المنافقين فاعرفوها ثم إن للراجي حالا من مقامه وعلامة
على لامة من رجائه فمن علامة الرجاء عند مشاهدة المرجو مداومة المعاملة وحسن التقرب
إليه وكثرة التحبب بالنوافل بحسن ظنه به وجميل أمله منه وأنه يتقبل صالح ما أمر به تفضلا
منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا استحقاق منا وأنه أيضا يكفر سيئ ما عمل
احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لأخلاقه السنية وألطافه الخفية لا من حيث
الظن به كما قال سفين رحمه الله من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد تاب عليه ورجا غفر الله له
قال لأن الله عز وجل عير قوما فقال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقال
الله تعالى في مثله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أي هلكى ففي دليل خطابه أن من ظن ظنا
كان من أهل النجاة وقد جاء في الأثر من أذنب ذنبا فأحزنه ذلك غفر له ذنبه وإن لم يستغفر
الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض وفضل فعلى العبد فرض أن يرجو مولاه وعلى الله وذلك
من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره إلى صفات نفسه ولومه وقد كان سهل يقول من سأل الله شيئا
فنظر إلى نفسه وإلى أعماله لا يرى الإجابة حتى يكون ناظرا إلى الله تعالى وحده وإلى لطفه وكرمه وجوده
موقنا بالإجابة ولعمري إن من سأل الله ورغب إليه في شيء ورجاه وهو ناظر إلى نفسه وعمله فانه غير
مخلص في الرجاء لله شركه في النظر إليه وإذا لم يكن مخلصا لم يكن موقنا ولا يقبل الله عز وجل إلا
دعاء الآمن مخلص موقن وإذا شهد التوحيد ونظر إلى الوحدانية فقد أخلص وأيقن وهكذا جاء في الخبر
إذا دعوتم فكونوا موقنين بالإجابة فإن الله لا يقبل إلا من مؤمن ومن دعاء دعا به من استعمله الله تعالى بالدعاء له فقد فتح له بابا من العبادة وفي الخبر الدعاء نصف العبادة فما أولى
يعطيه من دعائه إن يكون ذلك حسنه منه يضعف له عشرا إلى سبع مائة ضعف وأعلاه أن
يدخر له عنده في الآخرة ما هو خير له من جميع الدنيا ومما فيها مما لم تخطر على قلبه قط ويكون ذلك

دعوتم

حسن نظر من الله له واختيارا ووسط ذلك أن يصرف عنه من البلاء الذي هو لو كان عليه كان صرفه
أهم عليه وأجب اليه مما يسأل فيه وفي أخبار موسى عليه السلام يا رب أي خلقك أنت أشد عليه سخطا
فقال من لم يرض بقضائي ومن يستخيرني في أمر فإذا قضيت له كرهه ذلك وفي الخبر الآخر انه قال يا رب
أي الأشياء أحب اليك وأيها أبغض فقال أحب الأشياء إلي الرضى بقضائي وأبغضها إلي أن تطرن نفسك
وروينا عن نبينا عليه السلام انه قال للرجل الذي قال أوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك وفي
الخبر الآخر انه نظر إلى السماء صلى الله عليه وسلم وضحك فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن
في كل قضائه خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن إن قضى عليه بالضراء رضي وكان خيرا له وإن قضى عليه بالسراء
رضي وكان خيرا له ومن حسن الظن بالله أن لا تتهمه في قضائه ومن حسن الظن به لطيف الخفي له وهو
من قوة الطمع فيه وهذه أحوال الراجي وفي الخبر حسن الظن بالله من حسن عبادة الله كما
روينا في تفسير قوله عز وجل فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أن الكلمات التي تلقاها آدم عليه
السلام أن قال يا رب هذا الذنب الذي أصبته كان من قبل نفسي أو من شيء سبق في علمك قبل أن تخلقني
فقال تعالى بل شيء سبق في علمي قبل أن أخلقك فقال يا رب فكما كتبته علي فاغفره لي فذلك قوله
التي تلقاه الله تعالى اياها وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة ما منعك
إذ رأيت المنكر أن تنكره فإن لقن الله العبد حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فقال قد
غفرت لك وفي الخبر المشهور إن رجلا كان يداين الناس فيسمح عليهم ويتجاوز عن المعسر فلما لقي
الله ولم يعمل قط شيئا من الخير فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك قال فغفر له برجائه وظنه ثم تتفاوت
الراجون في فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا التنصيب الأعلى من القرب والمجالسة والتي لمعاني
الصفات مما عرفوه وهذا عن نهاية علومهم به وأصحاب اليمين من الراجين رجوا التنصيب الأوفر
من مزيده والفضل الأجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وشرعة
السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعود
وتقربا إلى الرحمن الودود ومنه قول أصدق القائلين وأحسن الواصفين إن الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرة والمجاهدة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه في الله ومن الرجاء كثرة

للاستخارة دعاء مأثور يذكر في الصلاة الآخرة المرجو

التلاوة لكلام الله تعالى وأقام الصلوة التي هي خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية قليلا وكثيرا
وأن لا يشغل عن ذلك تجارة الدنيا كما وصف الله تعالى المخبتين من الراجين اذ يقول تعالى ان الذين
يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الراجين
القنوت في ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافي الجنوب عن المضاجع لما في
القلوب من الخاوف ولذلك وصف الله الراجين بدلا في قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فنبه أهل الرجاء والحذر والعمل
التهجد آناء الليل على ما حصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما
وهذا مما حذف خبره اكتفاء بما بعد وصفيه اذ في الكلام دليل عليه فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند
المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يحل في قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى يحمد عنده
الا وصاف الايمان بالله والمهاجرة اليه والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن وأقام الصلاة والانفاق في
الله ثم السجود آناء الليل والقيام والخوف مع ذلك كله فهذا جملة صفات الراجين وهو أول أحوال الموقنين
ثم تتزايد الأعمال في ذلك ظاهرا وباطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الأنوار والعلوم ومكاشفات
الغيوب بالأوصاف المرجوة وفصل الخطاب ان الرجاء والخوف طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء
الى مقام العلم والرجاء طريق العمال الى مقام العاملين وقد وصف الله تعالى الراجين مع الأعمال
الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظيم الغبطة فقال تعالى والذين يؤتون ما
آتوا وقلوبهم وجلة وقال عز وجل مخبرا عنهم في حال وفاتهم وأعمالهم انا كنا من قبل في أهلنا مشفقين
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
من قبل ان الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء ضارعه الخوف أن ينقطع به دون النجاة وقال
أهل العربية في معنى قوله عز وجل قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي للذين لا يعاقبون
عقوبات الله فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يخافه ولا يرجوه فكيف كون فعله بمن يرجوه وقال
وبعضهم يقول وترجون من الله ما لا يرجون أي تخافون منه ما لا تخافون فلولا انهما عند العلماء
كشيء واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الأنس بالله في الخلوات ومن الأنس به الأنس
بالعلم بالله والتقرب من الأولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدر والروح

عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الأعمال والمسارعة
اليها والحب لأهلها والحزن على فوتها والفرح بذكرها ومن ذلك الخبر المأثور من سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والخبر الآخر خيار أمتي الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا
أساءوا استغفروا والأنس المؤمن على يقين من أمره وبصيرة من دينه والخوف والرجاء وصف الموقن
بالله فهو اذا عمل حسنة أيقن ثوابها لصدق الوعد وكرم الموعد واذا عمل سيئة أيقن الكراهة
لها وخاف المقت عليها لخوف الوعيد وعظمة المتواعد من قبل ان دخوله في الطاعة دخول في
محبة الله عز وجل ومرضاته لما دل العلم فهذا رضي الله في الدنيا فكيف لا يسره ذلك ومن قبل أن
دخوله في المعصية دخول في سخط الله ومكارهه مما دل عليه العلم فذلك الذي يسوءه لأن سخط
الله اليوم معاصيه وسخطه غدا تعذيبه كما ان رضاه غدا ثوابه وهذا وصف عبد من ارد
مكاشف بعلم اليقين ومن هذا حديث زيد الخيل اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم جئتك أسألك
عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله
واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وأيقنت ثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه
فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أراد لك الأخرى لهيأ لها ثم لا يبالي في أي أودية هلكت
ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة
القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن بربه في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل وقال بعض
العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرق لثياب الموحدين من نار الشرك لحسنات
المشرك ولما احتضر سليمان التيمي قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله عز وجل حسن
الظن به وكذلك لما احتضر الثوري الوفاة جعل العلماء حوله يرجونه وجلى عن أحمد بن حنبل
انه قال لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن فلولا أن الرجاء لله وحسن
الظن به من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في أواخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى وكذلك
قيل ان الخوف أفضل ما دام العبد حيا فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل وقد كان يحيى بن معاذ
يقول في مقامات الرجاء اذا كان التوحيد ساعة يحيط ذنوب خمسين سنة فتوجد خمسين سنة
ماذا يصنع بالذنوب وقال أبو محمد سهل رحمه الله لا يصح الخوف الا لأهل الرجاء وقال مرة

اليأس مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو
عند العلماء أول مقامات المحبة ثم يعلو في المحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وقد روينا
عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث في الرجاء لا يصلح ذكرها لعموم الناس ولكن نذكر من ذلك
ظهر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله بها عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول
انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم وفي حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خلق الله خلقا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي
المشهور عن معاذ ان الله تعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق خلقه أن رحمتي تغلب غضبي وفي الاخبار
المشهورة عن معاذ بن جبل وأنس بن مالك من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قولا
اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ومن كان في قلبه مثقال
ذرة من ايمان دخل الجنة ولو لم يعلم الكافر سعة رحمة الله ما يئس من رحمته أحد وقد قال الله
تعالى في حسن عفوه عن أكبر الكبائر بعد ظهور الآيات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا
عن ذلك وقال الله تعالى في خطاب لطيف لأوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه فيهم وجريان مشيته عليهم
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم عزيز لا يوصل اليه الا به حكيم
حكم على مشيته في عباده كيف شاء ثم يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي كما أجرى على من قتلهم
العالمين مقالة الكافرين فلم يضرهم مع تفضيله لهم اذ قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال
أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم انه هو الغفور الرحيم اي ان وصفه المغفرة والرحمة
ان خلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه وروينا معناه عن ابرهيم بن أدهم قال خلا ان الواحد
ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى
أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابرهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون
ذلك فاذا عصمتكم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن رحمه الله يقول لولم يذنب المؤمن لكان
طيرانا ولكن الله عز وجل قمعه بالذنوب وقد جاء في الخبر لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من
الذنوب قيل ما هو قال العجب ولعمري ان العجب من صفات المتكبرين وهو حبط الاعمال

وهو من كبائر أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية وان يبتلى العبد الشهوان بعشر شهوات
من شهوات النفس خير له من أن يبتلى بصفة من شهوات النفس مثل الكبر والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب
الذكر لأن هذه من معاني صفات الربوبية ومنها أخلاق الابالسة وبها أهلك ابليس وشهوات
النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم فاجتباه ربه وهدى وقال يوسف بن الحسين مختنا فأعرض
عنه وأذرى عليه فالتفت اليه المخنث فقال له وأنت أيضا يكفيك مايك فقال له وأي شئ تعلم بي قال
لأن عندك انك خير مني فاعترف يوسف بقوله وتاب واستغفر الله وكان بعض الراجين من العارفين
اذا تلى هذه الآية أيه الذين التي في سورة البقرة يستر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها
فقيل له في ذلك انها ليس فيها رجاء ولا ما يوجب الاستبشار فقال لي فيها رجاء عظيم فقيل له وكيف ذلك فقال
ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه قليل من قليل ثم ان الله تعالى
احتاط لي في ذلك ودقق النظر لي بأن وكد ذين بالشهود والكتاب وأنزل فيه أطول آية في كتابه ولو
فاتني ذلك لم أبل به فكيف يكون فعله في الآخرة التي لا عوض عنها عن نفسي فيها وكذلك كان بعض
الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجو من ذلك بوادي
الجود والاكرام والاحسان مما لم يحتسبه في الدنيا قط وقد كان الجنيد يقول اذا بدت عن من
الجود ألحقت المسئ بالمحسن وعلى ذلك جاء في الخبر ليغفرن الله عز وجل يوم القيمة مغفرة ما خطرت
قط على قلب احد حتى ابليس ليتطاول رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تسعة وتسعين رحمة أظهر
منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الناس فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا
كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى تلك التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحم منها لطباق
السموات والأرضين فلا يهلك على الله الا هالك وقال بعض العلماء ان الله تعالى اذا غفر لعبد في موقف
القيمة ذنبا غفر ذلك الذنب لكل من عمله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وابشروا واعلموا
أن أحدا لن ينجيه عمله وفي لفظ آخر ما منكم من يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت يا
رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان أخبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وفي لفظ آخر أترونها للمصلين المتقين لا هي للمخاطين
الملوثين وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبي موسى وقد بعثهما واليين على اليمن فأوصاهما فيما أمرهما

فقال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا فعلم المؤمنين بكرم الله وخفي لطفه ولطيف منه
لا يقعدهم عن تأميله ولا يقصر بهم عن رجائه وعن حسن ظنهم به ولا يقوي عليهم الخوف فيخرجهم الى الاياس
من رحمته لاجل علمهم بحبوبيته وكبريائه من قبل ان المحبوب هو المحبوب فمحبته توئسهم وترجيهم وهيبته
تزعجهم وتخيفهم فخوفهم في لذاذة ونعيمهم بالحب في مهابة فهم في مقام الخوف والمحبة معتدلون وهم
العلماء متمكنون وفي مشاهدة المخوف والمحبوب مستقيمون وهذا المقام هو وصف العارفين
الموقنين وهو اهل كمال الايمان وصفوة خصوص ذوي الايقان اذ قد عرفوا ان الله تعالى كامل الاوصاف
لا يعتورون نقصان في وصف دون وصف وأن الرحمة بسعة العلم كما ان العلم بسعة القدرة
شهد وا من وصفهم لما سمعوا من كلامه انه كان عليما قديرا كذلك قال ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما وقال رحمتي وسعت كل شيء فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث كن شيئا وقوله تعالى
فسأكتبها للذين يتقون معناه خصوص الرحمة وصفوها لا كنهها اذ لا نهاية للرحمة لانها صفة الرب
الذي لا حد له ولانه لم يخرج من رحمته شيء كما لم يخرج من رحمته وقدرته شيء لان جهنم والنار
الكبرى وغيرها ليس كنهه عذابه ولا كليته بعدده فمن ظن ذلك به لم يعرفه ولانه انما اظهر من
عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه اظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون
اظهار اكثر مما اظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغي لهم ان يعرفوا فوق ما ابدا لان نهاية تقديره
وسعيه من نهاية ملكه الذي هو قايم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يليق
للخلايق اظهار ذلك وذلك ايضا عن تعالي صفاته وبهما معاني اسمايه المتناهيات ولا سبيل الا كشف ذلك
من الغيب سبحان من لا نهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا امد لسلطانه وكذلك شهدوا اما سمعوا من
قوله تعالى انه كان حليما غفورا فعلموا ان المغفرة على سعة الحلم كما الحلم بسعة العلم فلما رأوا
عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره املوا جميل عفوه وكذلك يقال ان
حملة العرش يجاوبون بالصوات سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك قال ابن
من العارفين قوم من السمع للكلام نحو علومهم بمعاني الصفات فكل صاحب مقام يشهد من مقامه
من حيث شهادته فاعلاهم شهادة الصديقين ثم الشهدا والصالحين ثم خصوص المومنين فيه الذين
عليه ومنه نظروا اليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل بن عبد الله يقول

ص
لا يعتريه

المحسن يعيش في سعة الرحمة والمسيء يعيش في سعة الحلم فصفاته تعالى كاملات فمن شهد ترجيح بعضها
على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصوره علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه
المراد به دون طريق الصديقين من الاقوياء فعاد ذلك على العبد فصار مقاما له في القرب والبعد
تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة في الدين من العزائم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يوخذ برخصه كما يحب ان يوخذ بعزايمه وفي لفظ
آخر ابلغ من هذا واكد ان الله يحب ان تقبل رخصه كما يكره ان توتى معاصيه وقد روينا عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله وخير الدين
ايسره وقال هلك المتنعمون هلك المتطوعون وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة
وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة وقال سبحانه ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم واستجاب للمومنين في قولهم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا
الاية فقال قد فعلت فهذه العلوم هي اسباب قوة الرجاء من غير اغترار مما روي عن الله تعالى
انا الى الرحمة والعفو اقرب مني الى العقوبة وفي الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم ما
ينفرهم ويشق عليهم وفي كلام لعلي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله
ولا يومنهم مكر الله واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام وغيره من انبيايه عليهم السلم احبني واحب
من يحبني وحببني الى خلقي قال يا رب هذا انا احبك واحب من يحبك فكيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالخير
الجميل واذكر الاي واحساني وذكرهم ذلك فانهم ما رأوا مني الا جميل وروينا في تفسير قوله
عز وجل يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه قال اوحى الله الى نبيه عليه السلم ان احببت ان اجعل
امرامتك اليك قال يا رب انت خيرلهم مني قال اذا لا اخزيك فيهم ورأى ابان بن ابي عياش في النوم
بعد موته وكان من اكثر الناس حديثا بالرخص وابواب الرجاء فقال اوقفني ربي بين يديه فقال ما
حملك على ان حدثت عني بما حدثت به من الرخص قال فقلت يا رب ازدت بذلك ان احببك الى خلقك
فقال قد غفرت لك وفي حديث ربعي بن خراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد
الموت فقال لما مات اخي سجي عليه بثوبه والقيناه على نعشه قال فكشف الثوب عن وجهه واستوى
قاعدا فقال اني لفيت بي فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رأيت الامر ايسر مما

تطئون ولا تغترّوا وإن محمدًا صلى الله عليه وسلم ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم قال ثم طرح نفسه فإذا هي كأنت حصاة وقعت في طشت فجلناه ودفناه ورأى يحيى بن أكثم في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا قال فأخذني من الرعب والفزع ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عني فقال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك أنك قلت تبارك وتعاليت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقد كنت أظن أن تغفر لي فقال عز وجل صدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت أنت قال فغلقت واليست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت يا لها فرحة وفي الخبر أن داود عليه السلام سأل ربه أن يشدد على الناس ويقنطهم فيقول الله تعالى له يوم القيمة اليوم أوبسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي وفي الحديث أن رجلين تواخيا في بني إسرائيل فكان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان هذا العابد ينهاه وينزجره فيقول له دعني وربي أبعثت علي رقيبا حتى رآه يوما على كبيرة فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله عز وجل له يوم القيمة أتستطيع أن تحذر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد وأنت قد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وأخرته وروينا في معناه أن لصا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا يمشي إلى جانبي فضم نفسه وتقدم إلى عيسى فمشى إلى جانبه فبقي اللص خلفه قال فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام قل لهما يستأنفان العمل فقد أحبطت أعمالهما أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما أوثق على نفسه قال فاخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه وروينا عن سفيان بن عيينة الجذع أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ بعض الغنم على عنقه حتى الصق الجبين بالقدم فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك قال فأوحى الله إليه تتألاني عبادي فأني قد غفرت له وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزلت ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم قال فترك الدعاء عليهم قال فهدي الله عامة أولئك إلى الإسلام

رحمه الله صح

ان جبريل الذي يقف في صلاته
وغيره عليهم هم ملائكة احياء من بني
عليهم أهل وذكران وعبدة
بني ادم فيدعوهم الإسلام
فقتلوا رسله وامروا على كفرهم
فقنت يدعو عليهم شهرا في صلوات الخمس
ثم ترك القنوت اربع سنوات ولم ير بعضنا
السبب اورده البيهقي في سننه
وغيره من ابه انتهت

والأحاديث التي توجب الرجاء وحسن الظن أكثر من أن تجمع ولم نقصد جمعها وإنما دللنا بقليل من كثير ونبهنا بعقول ذوي البصيرة وقد جاء في الخبر المشهور أن النبي صلى الله عليه لما قال لأصحابه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم إلى الصعدات تلذمون صدوركم وتجارون إلى الله قال فأوحى الله إليه لم تقنط عبادي قال فخرج إليهم فبشرهم وشوقهم وقد روينا في حديث أنس أن أعرابيا قال يا رسول الله أخبرني من بلى حساب الخلائق غدا قال النبي صلى الله عليه وسلم الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه يتولاه أم يوليه غيره قال لا بل هو بنفسه يتولاه فتبسم السائل فرحا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مم تبسمت قال فرحا وسرورا قال أن الكريم إذا حاسب ضاحك وإذا قدر عفا فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهلل وجهه وقال فقه الأعرابي ورب الكعبة ولا كرم من الله تعالى لأنه أكرم الأكرمين وقد قال الله سبحانه في فهم هذا المعنى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك فبنبه العبد مع اغتراره على كرمه وذكرهم مع جهله حسن تسويته إياه مدلة على نعمه وروينا عن الضحاك أن العبد ليدنو من ربه عند العرض فيقول له عبدي أتحصي عملك فيقول الهي كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للأشياء فيذكره الله جميع ذنوبه في الدنيا في شاعتها فيقول أنت عبدي مقر بما عرفتك وذكرتك فيقول نعم سيدي فيقول الله عز وجل أنا الذي سترتها عليك في الدنيا فلم أجعل للذنوب رائحة توجد منك ولم أجعل في وجهك شيئا وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بإيمانك وتصديقك المرسلين وروى عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال يا محمد إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل فالله تعالى مع كرمه أولى ان لا يعاتب من عفا عنه قال فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم قال فبعث الله لهما ميكائيل عليه السلام فقال ربكما يقرئكما السلام ويقول لكما كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي ومن الرجاء شدة الخوف إلى ما شوق إليه الكريم وشرعة التنافس في كل تفنين ندب إليه الرحيم فأما الرجاء الذي يتوهمه جهلة الناس من الإقامة على المعاصي والإنهماك في الخطايا وهو يرجو المغفرة وينتظر الكرامة فليس هذا برجاء عند العلماء لأن الرجاء مقام اليقين وليس هذا وصفا للموقنين

لكن هذا اسمه اغترار بالله وغفلة عن الله وجهل بأحكام الله وقد تمدح الله قوما ظنوا مثل هذا
وأصروا على حب الدنيا والرضى بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردي من الناس
وتوعدهم شديد البأس في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى ويقولون سيغفر لنا فالأخبار في حقيقة الرجاء تتردد مثل المغترين اغترارا وتزيد
المستدرجين بالستر والنعم خسارا وهو مزيد للتوابين الصادقين وقرة عين المحبين الخالصين وسرور
لأهل الكرم ولجة وروح وارتياح لذوي العصمة والوفاء ينتصع به كرمهم ويشتد عنده جاههم
وتروج به كروبهم وتنال اليه عفوهم فهؤلاء الراجون حقا وهذه أعلامهم ولمثل هؤلاء تذكر
الأسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوى المؤيدين
بخدمة المولى ومن الرجاء تحسين الأخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح عنهم
ولطيف المداراة لهم تقربا الى الله بذلك وتخلقا باخلاقه ورجاء ثوابه وطمعا في تنجز وعده واتباعا
لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الرجاء ترك الهوى المردية والشهوات المطغية ويحسب ذلك
الله نفيس الذخائر العالية في ذلك وروينا عن معمر عن الحسن انه قال انما علا الناس على قدر
ظنونهم بربهم فاما المؤمن فاحسن بالله الظن وأحسن العمل واما الكافر والمنافق فأساء بالله
الظن وأساء العمل قال الله سبحانه وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم الآية ومن الرجاء
الطاعات وحسن الموافقات ينوي بها ويسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب
وهب له من حسن الظن كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة
الفردوس الأعلى فانه لا يتعاظمه شيء وفي الأثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة
فاذا دخلا الجنة رفع أحدهما على صاحبه فيقول الآخر يا رب ما كان هذا في دار الدنيا بأحد من
عبادك مني فرفعته علي في عليين فيقول الله تعالى انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وكنت
انت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله وروينا في الخبر ان رجلا يخرج من النار
بين يدي الله فيقول له كيف وجدت مكانك فيقول يا رب شر مكان فيقول ردوه الى
مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى اي شيء تلتفت فيقول يا رب لقد رجوت
أن لا تعيدني اليها بعد اذ أخرجتني منها فيقول الله عز وجل اذهبوا به الى الجنة وقد قال الله تعالى

في الدرجات العلى

في وصف قوم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه وكذلك ندب المؤمنين الى طلب القرب في قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فهذه جمل أحكام
الرجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء وأوصاف الراجين وهو عند
الله من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الأوصاف فله مقام من الرجاء ومقامات اليقين لا تزيل
بعضها بعضا ولكن تتدرج بعضها في بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته ووصف ما غلب
عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها وقام بحكم الله فيه نقل
الى سواه وكان المقام الأول له علما والثاني الذي اقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لأنه سره وعبر عن
العلم لانه قد جاوزه فصار علانية ومقام الرجاء هو جند من جنود الله يستخرج من بعض العباد
ما لا يستخرج غيره لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان وقبل
وتطمئن بمعاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها
ذلك ويوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه أنفسها ومثل الرجاء من الأحوال مثل
العوافي والغنى ومن الناس من يقبل قلبه وتجتمع همته عندهما ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما
كما قيل عن الله عز وجل ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ومن
عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك اني أدبر عبادي بعلمي
اني بهم عليم خبير فكذلك من عبادي من لا يصلحه الا الرجاء والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون

شرح مقام الخوف ووصف الخائفين

قال الله سبحانه وتعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقال عز
وجل انما يخشى الله من عباده العلماء فجعل الخشية مقاما في العلم حقق العلم بها والخشية حال من مقامها
الخوف والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهو وصية الله للأولين والآخرين
ينتظم هذين المعنيين قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون وقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقوله
الآية قطب القرآن مدار الكتاب عليها والتقوى سبب اضافة الله تعالى اليه تشريفا له ومعنى

وصله به وأكرم عباده عليه تعظيما له فقال في هذين المعنيين لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال تعالى إن أكرمكم عند الله اتقاكم وفي الخبر إذا جمع الله تعالى الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أدامهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس إني أنصتّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فانصتوا إلى اليوم فانما هي أعمالكم تردّ عليكم يا أيها الناس إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم فلا أنساب يومئذ بينكم ولا يتساءلون فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي إن أكرمكم عند الله اتقاكم وأبينكم الا إن فلان بن فلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي إن المنقول قال فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلهم الجنة بغير حساب والخوف الله مقام العلم وقد جمع الله للخائفين ما فرّقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهذه جمل مقامات أهل الجنان فقال هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي خبر موسى عليه السلام أما الخائفون فلهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه فأفردهم من غير مشاركة بالرفيق كما جمعهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الأنبياء في المرتبة من قبل أنهم وزنة الأنبياء العلماء قال الله سبحانه فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ثم قال في وصف منازلهم وحسن أولئك رفيقا يكون رفيقا بمعنى رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كانهم واحد وقد كرّر هذا مقاما في المحبة من علو عليين لقول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته وقد خيّر بين البقاء في الدنيا والقدوم على الله فقال أسأل الرفيق الأعلى ثم جاء في خبر موسى عليه السلام فأولئك كلهم الرفيق الأعلى أنهم مع الأنبياء بتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وشرّف مقامهم فوق كل مقام بطلب الله صلى الله عليه وسلم لذلك فالخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان وهو علم لوجود الإيمان وهو سبب الحذر من كل نهي ومفتاح كل طاعة وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها آفاتها إلا مقام الخوف أبو محمد سهل كمال الإيمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال من ترك العلم كسب الإيمان والخوف كسب المعرفة وكل مؤمن بالله خائف منه ولكن خوفه على قدر قربه فخوف الإسلام اعتقاد البراءة لله تعالى وتسليم القدرة والسطوة له والتصديق بما أخبر الله به من عذابه وما تهدد به من عقابه وذل الفضيل إذا قيل لك تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك وصفه

الخائفين وشكى واعظ إلى بعض الحكماء فقال الأمر إلى هؤلاء أعظهم وأذكرهم ولا يرتدعون فقال وكيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله مخافة وقد قال تعالى في تصديق ذلك سيذكر من يخشى وتجنبها الأشقى أي يجتنب التذكرة الأشقى فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمة التذكرة فأما خوف اليقين فهو مشاهدة ما آمن به من الصفات وقد جاء في الخبر إذا دخل العبد في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله تعالى الا مثل يفزعه ويروعه إلى يوم القيمة فأول الخوف الموصوف الذي هو نعت الموصوفين من المؤمنين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرقيب في كل حين والورع عن الإقدام على الشبهات من كل شيء من العلوم بغير يقين بها ومن الأعمال بغير يقين فيها وفي خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقشته الحساب وفتشته عما في يديه الا الورعون فاني أستحيهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب فالورع حال من الخوف ثم كف الجوارح عن الشبهات وفضول الحلال من كل شيء خشوع قلب ووجوم اختبات ثم تحبس اللسان وخزن الكلام أن لا يدخل في دين الله ولا في العلم ما لم يشرعه الله عز وجل في كتابه أو لم يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم تنطق به الآية من أهل العلم ما لم يكن أصله موجودا في الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ما ليس له به علم خوفا من المسألة عنه ولا يدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه وأن ينصح نفسه لله عز وجل لأنها أول الخلق ثم ينصح الخلق لله فيبتدئ بالنصح في أمور الدنيا والآخرة ثم يعقبه في أسباب الدنيا لأن أمور الآخرة أهم والتزود للمنقلب أثر وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء منه وهو أعلى مقامات المريد يستبين أحكام ذلك من معنيين هما جماع العبد أن يحفظ رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان وأن يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو أول الحياء وكل من لم يستعمل قلبه في يديه ويجعل الخوف حشو إرادته لم ينج في خاتمته ولم يكن إماما للمتقين عند علوم معرفته فأما خوف الخصوص فهو أن يجمع ما لا يأكل ولا يبني ما لا يسكن ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يغفل ولا يفرط عما إليه يرتحل وهذا هو الزهد وهو حيا أهل الحياء من مقربي المؤمنين وقد جاء معنى ما ذكرنا في حديثين أحدهما عام والآخر خاص وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بالخوف للخاتمة ولا يتكل على علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت ولا بسبب من الأعمال وإن جلت لعلمه بتحقيق الخواتم فقد قيل إنما يوزن من الأعمال خواتمها

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين عاما حتى يقال انه من أهل الجنة
وفي خبر حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار فيدخل
يأتي في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول
شرك في التوحيد الذي لم يكن متحققا به وشك في اليقين الذي لم يكن في الدنيا مشاهدا له
بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله التي
فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه او تحامزها وجده فتكون هي خاتمته التي تخرج روحه عليها
وهذا هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يكون
عند مفارقة الروح الجسد وقال عز وجل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وقد جاء في الخبر حتى
يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بعمل أهل النار وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي
وتكون قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت من القلب الى اللهوم وهذا هو شبر وفواق ناقة ما بين
الحلبتين وقيل شوط من عدوها بين شبر بن وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجه التوحيد
الى وجه الضلال والشرك عند ما يبدو اله من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو اله من
الله ما لم يكن يحتسب وأكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلث طوايف من الناس أهل البدع والزيغ
الذين لا ايمان لهم مرتبط بالمعقول فأول به تظهر لهم من قدرة الله عز وجل يطيح عقله عند شهوده
ايمانه ولا يثبت لمعاينتها كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح والطبقة الثانية هم أهل
الكبر والإزكار لآيات الله وكرامات لأوليائه في حياة الدنيا لأنه لم يكن لهم يقين
الإيمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلثة أصناف فمنهم
في سوء الخاتمة وجميعهم دون تلك الطبقتين في سوء الخاتمة لأن سوء الختم على مقامات ايضا كما
النفاق والشرك في عمر الحياة منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل إلى نفسه وعمله ناظرا والثاني
المعلن والمصر المدمن تتصل بهم المعاصي الى آخر العمر ويدوم تقليبهم فيها الى كشف الغطاء
الآيات تابوا الى الله عز وجل بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يأتي منهم فلا تقبل توبتهم
تقال عثرتهم ولا ترجى عبرتهم وهم من أهل هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وهم مقصودون بقوله تعالى وحيل بينهم وبين ما

ومعنون بقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما رأوا بأسنا فضوض الآية للكفار ومعناها ونحوها لأهل الكبائر من ذوي الاصرار من حيث
اشتركوا في سوء الخاتمة مع بقاء وقسم في مقاماتها تظهر لهم شهوات معاصيهم ويعاد عليهم تذكرها
لما في قلوبهم من الذكر والخوف حتى يختم لهم بمشاهدتها فهذه الأسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوي
الألباب في الخوف وقد كان ابو محمد سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف الابتلاء
بالكفر وكذلك قال ابو يزيد البسطامي قبله اذا توجهت الى المسجد كأني في وسطي زنار اخاف أن يذهب
الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات هذا لعلمهم
بسرعة تقلب القلوب في قدر الغيوب وقد رويا معنى ذلك عن عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين
انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وقد كان عبد الواحد بن زيد يقول ما
صدق خوف خائف قط فظن أنه لا يدخل النار وما ظن انه يدخل النار الا خاف ان لا يخرج منها ابدا وقد
قال الحسن البصري امام العلماء قبلهم يقول يخرج من النار رجل من النار بعد ألف عام ويا ليتني ذلك
الرجل هذه السنة خوفهم من الخلود في الأبدية قال فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي والعدو يدخل على
العارفين من طريق الإلحاد في التوحيد والتشبيه من اليقين والوسوسة من طريق الذات ويدخل على
المريدين من طريق الآفات والشهوات فلذلك كان خوف العارفين أعظم فاروا حهم معلقة بالسابقة
ماذا سبق لهم من الكلمة في قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت هناك مشاهدتهم ومن ثم
قرنهم لأنهم لا يدرون ما سبق لهم قدم صدق عند ربهم فيختم لهم بمقعد صدق فيكونون ممن قال
الله فيهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ويخافون ان يكونوا قد حقت عليهم
الكلمة فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ولا تنفعهم شفاعة كما قال تعالى ولا هم افمن حق عليه كلمة
العذاب ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من قمة هذه الآية
معناها تخويف لأولي الأبصار وقال بعض علمائنا في قوله عز وجل وإياي فارهبون اي فاتقون عموم اي فيما
نهيت عنه وإياي فارهبون اي في السابقة وهذا خصوص وقد توقع بعض العارفين خوف
المؤمنين على مقامين فقال قلوب العارفين معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعري ماذا ختم لنا به
وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ترى ماذا سبق لنا منه وهذان المقامان عن مشاهد

أحدهما أعلى وأنفذ من الأخرى الحالين أجدهما أتم وأكمل فهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الأبرار أي ما يرغب فيه الأبرار فهو عندهم فضايل قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب وقد حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مولاه الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو يعمل في بطالة لا أجر لها ولا عاقبة قد نظر إليه نظرة بعد فهو يزداد بأعماله بعدا فإذا انقطعت الآجال وانتهت الأعمال تناهى في الإبعاد فحل في دار البعد فهذا كما قال الحكيم

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء

بل كيف يصنع من أقصاه خالقه فليس ينفعه طب الأطباء

وعن مشاهدة هذا المعنى كان خوف الحسن البصري وحزنه لعله بأنه لا يأتي بما يفعل فخاف أن يقع في ترك المبالاة يقال أنه ما ضحك أربعين سنة وكنت إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد مدت عنقه تضرب فإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها وإذا سكت كأن النار فتحت بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفر لك فأنا أعمل في غير معمل فنحن أحق بهذا من الحسن رحمه الله وقد كان من فوقه من الصحابة رضي الله عنهم يتمنون أنهم لم يخلقوا بشرا أعلاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول وددت أني مثلك يا طير وعمر رضي الله عنه يقول وددت أني كبشا ذبحني أهلي وأبو ذر رضي الله عنه وددت أني شجرة تعضد وعايشة رضي الله عنها تقول وددت أني كنت خيضة ونسيا منسيا وفي مسعود كذلك يقول يا ليتني كنت رمادا في طبقة يكثر عددهم ونحن في ارتكاب الكبائر نفوسنا بالدرجات العلى والقرب من سدرة المنتهى ونسينا أن أبانا آدم أخرج من الجنة بعد أن دخلها بذنب واحد ونحن لم نرها بعد فنحن كما قيل نضرب في حديد بارد وفي الخبر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفورا من عصافير الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفي لفظ آخر لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره ولعل ذكر البعد في الإبعاد الذي هو بمعنى القرب في قوله عليه السلام شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة وإذا الشمس كورت لأنك إذا وقفت على البعد العادي ألا بعدا لعاد ألا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفي الأخرى إذا وقعت

لمشاهدة

الواقعة ليس لوقعتها كاذبة أي وقعت السابقة لمن سبقت له وحقت اللاحقة بمن وقعت به وصدقت الكلمة بمن حقت عليه خافضة رافعة خفضت قوما في الآخرة كانوا مرفوعين في الدنيا حين ظهرت الحقايق وانكشفت عواقب الخلايق وأما سورة التكوير فيها خواتم المصير وهي صفة القيامة لمن أبقن وفيها تجلى معاني الغضب لمن عاين أخر دكك وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم أو خير يصلح للنعيم وتعلم إذ ذاك أي أهل الدارين تكون وفي أي المنزلتين تحل فكم من قلوب تقطعت حسرات على الإبعاد من النار بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت صاعدات زافرات عن بقيتها بمعاينة النيران نصيبها وكم من أبصار خاشعة شاخصة لمشاهدة الأهوال وكم من عقول طايشة الزلزال وجدنا عن بعض علمائنا قال رأيت كأني دخلت الجنة فلقيت فيها ثلثمايه نبي فسألتهم ما أخوفكم كنتم تخافون في الدنيا فقالوا إلى سؤالك عنا فالخاتمة هي من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا عليه توقف ولا نهاية لمكر الله لأن مشيته وأحكامه لا غاية لها ولا نهاية ومن ذلك الخبر المشهور أن النبي وجبريل عليهما السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله تعالى إليهما تبكيان وقد آمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك فلولا أنتما علما مكرنا ولا نهاية له لأن حكمه لا غاية له لم يقولا لا ومن يأمن مكرك مع قوله قد أمنتكما ولكان قد انتهى مكره بقوله ولكانا قد وقفا على آخر مكره ولكن خافا من بقية المكر الذي هو غيب عنهما وعلما أنهما لا يقفان على كنه غيب الله إذ هو علام الغيوب فلم يحكما بظاهر القول لعنايته بهما وفضل نظره إليهما ولأنهما على مزيد من معرفة الصفات إذ الكثر عن الوصف والظهار القول لا يقضي على باطن الوصف فكانهما خافا أن يكون قوله قد أمنتكما مكرا منه أيضا بالقول على وصف مخصوص على حكمته قد استأثر بعلمها نحتبر بذلك حالها وينظر كيف يملان بعتادا منه لها به ولأنه لا يدخل تحت الأحكام ولا يلزمه ما حكم به على الأنام ولا يخبر صدقه بالقول ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق إن بدل الكلم هو تبديل معناه لأن كلامه قايم به فله أن يبدل منه ما شاء بما شاء وهو الصادق في الكلامين العادل في الحالين

[illegible] لأنه لا يحكم عليه ولا يحكم له منه فيه لأنه قد حجر [illegible] العلوم والعقول التي
[illegible] لا من جهة النقوة ولا من جهة العقول التي هي مواطن الاجتهاد والاقدام وفي مشاهدة
[illegible] دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال المتوحد ويمثل هذا المعنى وصف
الله موسى عليه السلام بقوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى بعد قوله تعالى لا تخف
[illegible] معكما سمع وأرى فلم يأمن موسى عليه السلام أن يكون قد استرعته في عينه واستلبت في نفسه
[illegible] لهذه المقالة لمعرفة موسى بحكمة وباطن وجنته ولعلمه أنه لم يعطه الحكم الذي
[illegible] عليه مقهورا خوفا خوفا ياجئ أمنه أمنا يا حكمة تأتي فقال تعالى لا تخف أنك أنت
الأعلى فاطمأن إلى القول ولم يكن إلى الإظهار الأول لعلمه بسعة علم أنه هو علام الغيوب
التي انهايته لها ولأن القول الحكام والحاكم لا يحكم عليه الأحكام وإنما تفصل الأحكام
[illegible] العلام ثم يعود على المحكوم بما أبدا ولأنه جلت قدرته لا يلزمه ما ألزم الخالق الذي
[illegible] الحكم ولا يدخل تحت مجاز العقل والعلم تعالى عز ذلك علوا كبيرا عند من عرفه وأجله وعظمه
عن معارف من جهله ومن هذا قول عيسى عليه السلام إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما
في نفسي ولا أعلم ما في نفسك لما قال له أأنت قلت للناس ولا حل لنا أن نكشف حقيقة ما فصلنا
[illegible] ولا بد أن نشرح ما رمزناه في خطاب خشية الإنكار وكراهة تفاوت علم أهل
الأسباب المعاز لا أن يسأل عنه من أقيم فيه وأريد به من ذوي القوة ويكشفه علام الغيوب
في سرائر القلوب فحينئذ تقع المعرفة ويذهب الإنكار لمعاينة الإيقان
فحينئذ يتلوه شاهد منه والله الموفق لمن يشاء من عباده لما يشاء من التوفيق

[illegible] العارفين

علمهم بأن الله تعالى يخوف عباده بمن يشاء من عباده الأعلين يجعلهم نكالا للأدنين ويخوف
العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه فعند الله
في علمهم أن سبحانه قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل بالشهداء
الشهداء خوف بهم من الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله أعلم

وراء ذلك كله وقد أخرج جماعة من الملائكة وعظ بهم النبيين وخوف بهم الملائكة المقربين فصار
من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويفا وتهديدا لأولي الأبصار وهذا داخل في وصف
من أوصافه وهو ترك المبالاة بما أظهر من العلوم والأعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام
ولا نظر أحد من أهل الأحوال إلى حال ولا أمن مكر الله عالم به في كل حال كيف وهو يقول إن عذاب
ربهم غير مأمون لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فأعلمهم أن من خاف في الأمن حتى يخرج
من دار الخوف إلى مقام أمين فهذا خوف لا يقوم له شيء وكرب لا يوازنه مقام ولا عمل لولا أن
الله تعالى عدله بالرجاء لأخرج إلى القنوط ولولا أنه روحه بالأنس لأدخل في الأيأس ولكن إذا كان هو
المعدل وهو المروح كيف لا يعتدل الخوف بالرجاء ولم لا يمتزج الكرب بالروح والرضى حكمه
بالغة وحكم نافذ بعلم سابق وقدر جار بحقيقته ما شاء الله لا قوة إلا بالله ومن شهد ما ذكرناه
علم عن مشاهدة توحيده لمن أشهد فأقل ما يفيد علم هذا للخائفين ترك النظر إلى أعمالهم ورفع
السكون إلى علومهم وصدق الافتقار في كل حال ودوام الانقطاع بكلهم فيكون هذا
التخويف سبب نجاته من هذه الوقايع إذ قد جعل الله التخويف امنه من التخويف بالأخذ
بالمفاجاة وسببا للرأفة والرحمة لمن ألبسه إياه وهو أحد الوجهين في قوله تعالى أفأمن الذين
مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في
تقلبهم فما هم بمعجزين ثم قال أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم وليس يصلح أيضا
أن يكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة لأن ذلك يكون عن حقايق معاني الصفات
التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدايع الأفعال وغرايب المآل وأعادت الأحكام على ما
أظهرها وجعل لها ممن خفت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معاني هذه الشديدة من الصفات
فبودين ذلك منا إلى كشف باطن الأوصاف وهذا غير مأمور به ولا مأذون فيه لأنه لا يجب فلم
يؤمر به ولأنه لم يسح فلم يؤذن فيه فإن أقام الله عبدا مقام هذه المشاهدة أغناه بالمعاينة عن الخبر
وأحسبه بالمجادثة عن الأثر وذلك هو العلم النافع الذي يكون العلام معلمه وذلك هو الأثر
اللازم الذي يكون الجاعل موثره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ولا يجعل للعلماء أيضا كشف علامات سوء الخاتمة فمن رأوها فيه من

الجمال لأن لها علامات جلية عند المكاشفين بها وأدلة عند العارفين بما خيفه المشرفون عليها
ولكنها من سر المعبود في العباد وخبيئه في خزائن النفوس لم يطلع عليها إلا الأفراد وقد ستر
ذلك وغطاه بسعة رحمته وعلمه وستخرج ذلك الحب يوم تبلى السرائر عند غضبه وسطوته فما له من قوة من عمل ولا ناصر من علم وقد قال تعالى أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض
إنه كان غفورا رحيما فمن حكمته غفره ومن رحمته ستره وقال الله الذي يخرج الخبء في
السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما يعلنون فهذه العلوم التي ذكرناها توجب حقائق
المخاوف وهي سر الملك وخبء الملكوت على أن للعبد عند الموت علامات ليست تخفى على
العارف سوء الخاتمة بها المشاهدة لها وللاحياء علامات عند المكاشفين على الاطلاع بوقوع
بها سوء الخاتمة منهم وهذا علم مخصوص به من أقيم مقام المكاشفات عن مشاهدة حقيقة من
ذات وهو سر علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل القلوب لأن الكشوف تتنوع
أنواعا من المعاني فمنه كشف معاني الأخبار ومنه كشف بواطن الأشياء المستورة بظواهر
الأحكام فهذا من سر الملكوت ومن معاني كشف الجبروت وقد جاء في الخبر القدر سر
الله فلا تفشوه فهذا خطاب لمن كوشف به وجاء في خبر آخر القدر سر الله فلا تفشوه
هذا نهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبع نفسك
علم ما لم تكلف علمه ولا تسأل عما لم يحل من علمك ولم يوكل إليك فلو لم يطلع الأولياء عليه لما
قيل فلا تفشوه ولأنه إذا علمه لم ينفعه علمه شيئا وإنما ينفعه علم الأحكام والأسباب لأنها
طرقات وبمثل مخاطبة المؤمنين خاطب نبيه في هذا المعنى من قوله تعالى لنوح عليه السلام
حين قال إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق لأنه قد كان وعده نجاة أهله فقال سبحانه إنه
ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم أي دعاؤك ومسألتك لي إجابة
من عملك ولم أكله إليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه وارحمه وإن العبد عند موته
آخر ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء عن بصره وجوه كثيرة قد اتخذت من دون
الله أو أشرك بها مع الله كلها تزين وغرور فإن وقف القلب مع أحدها أو زين له بعضها أو تقلب
قلبه في شيء منها عند آخر أنفاسه ختم بذلك فخرج روحه على الشك أو الشرك وهذا هو سوء

الخاتمة وهو نصيب العبد من الكتاب في السابقة عند خلق الأزواج معدومة في الأشباح في
الآباد والأزال قبل اظهار الأكوار والأدوار فشهدتها الأرواح هناك غرورا ووقفت معها وقد
زورت لها زورا رسوم القلوب في التخطيط قبل خلق الأجسام لها وقبل تجليها بكشيف الهياكل عند
ظهورها في الوجود وقبل افامتها بشاهد العقل لكن بشاهد الأولية بدت ومعنى القيومية وجدت
وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت هاهنا فظهرت الآن عند الفراق بما كانت شهدت في التلاق
واعترفت في الآخرة بما كانت نطقت في الأول وخرجت الروح على ما شهدت وهذا كان خبر
السابقة التي أدركت الأرواح في الأجسام عند الخاتمة ومن ذلك جاء في الخبر يأخذ ملك الأرواح
النطفة في يده فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوي أم معوج ما رزقه ما عمله ما أثره ما خلقه
قال ثم تخلق الله على يده كما قال فإذا صور قال يا رب انفخ فيه بالسعادة أو بالشقاوة
فلذلك خرجت الروح بما دخلت به فأما إن كان من المقربين ففرح وريحان وجنة نعيم
وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين
فنزل من حميم وتصلية جحيم كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق
القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون إن الذين حقت عليهم كلمات
ربك ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ويلهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين فهذه الآي وظاهرها وردت في
السوابق والخواتم وفيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم وهي من أي المطلع لأهل الاشراف
على شرافات العرش والأعراف وقال بعض العارفين لو علمت أحدا على التوحيد خمسين
سنة ثم حالت بيني وبينه استطعانه فما لم أقطع له بالتوحيد لأني ما أدري ما ظهر له من التقلب
وقد كان أبو محمد يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطرة وهمة
يخافون البعد من الله وهم الذين مدح الله فقال وقلوبهم وجلة وقال لا يصح خوفه حتى يخاف من
الحسنات كما يخاف من السيئات وقال أعلى الخوف أن يخاف من سابق علم الله فيه والحذر
أن يكون منه حدث خلاف السنة جره إلى الكفر وقال خوف التعظيم ميراث خوف السابقة

وقال بعض الخائفين لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الجنة لاخترت الموت على الإسلام قبل ولم قال لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من المشاهدة بين باب الدار وبين باب الجنة ورويناعن زهير بن نعيم النمري قال ما أكثر همي من ذنوبي إنما اخاف ما هو أعظم من ذنوبي أخاف أن أسلب الإيمان فأموت على غيره ورُوي ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل من الناس إذا مر وجده فجاءه أبو الدرداء فقال أنشدك الله ما الذي يحملك على أن تعتزل الناس قال إني أخشى أن أسلب ديني وأنا لا أشعر قال أترى في الحي مائة خائف قال فثنيت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن السمط وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو الدرداء يقول بالله ما أجد أمن على إيمانه أن لا يسلب إيمانه عند الموت إلا سليبة وقد كان بعض علمائنا يقول من أعطي التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله إذ كان التوحيد في نفسه لا يتبعض ولما احتضر سفيان الثوري جعل يبكي ويجزع فقيل له يا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال وعلى ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال أن لقي الله بأمثال الجبال من الخطايا وقد كان بعض العلماء يقول لو أني أيقنت أني يختم لي بالسعادة كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس في حياتي أجعله في سبيل الله وحدثني بعض إخواني عن بعض الصادقين وكان خايفا أنه أوصى بعض إخوانه قال إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإذا عاينت فانظر إلى فإن رأيتني قد مت على التوحيد فأعمد إلى جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على جميع صبيان أهل المدينة وقد قال عرش المنفلتي وإن رأيتني مت على غير التوحيد فاعلم الناس أني قد مت على الشرك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة ليلا يلحقني الرياء بعد الموت فأكون قد غررت المسلمين قال فقلت من أين أعلم أنك قد مت على التوحيد أو على الشرك فذكر له علامة تظهر من بعض الأموات لم يحب ذكرها قال فكنت عند رأسه أنظر إليه كما أمرني حتى عاين فرأيت علامة حسن الخاتمة والموت على التوحيد قد ظهرت منه وفاضت روحه فنفذت وصيته كما أمرني ولم أحدث بذلك الا خصوص إخواني من العلماء وذلك أن العبد مما عمل في حياته من خير أعيد عليه ذكره عند فراق الحياة ووقفت مشاهدته فيه عند آخر ساعة من عمره فإن استعلى ذلك بقلبه أو استهواه بنفسه وقف معه فحسب عليه عملا له فكان ذلك

خاتمته وكذلك ما عمل من خير أعيد ذكره ومشاهدته فإن عقد عليه بقلبه أو أحبه وقف معه فحسب له عملا فكان ذلك حسن الخاتمة به وقال بعض العلماء في قوله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال ليبلوكم بتقليب القلوب في حال الحياة بخواطر الذنوب وفي حال الموت بالجاد التوحيد فمن خرجت روحه على التوحيد ونفذت البلاوى كلها الى المبتلى فهو المؤمن وذلك هو البلاء الحسن كما قال تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فهذه المعاني من العلوم أوجبت خوف الخائفين من علماء الله فيهم فلم ينظروا معها إلى محاسن أعمالهم لحقيقة معرفتهم بنقصهم وهذا الخوف هو ثواب علمهم مما يعلمون فلما سلموا من مطالبة ما يعلمون وصحوا على العلم ظهر لهم خوف علم الله فيهم نعمة من الله عليهم فكان ذلك مقاما لهم كما قال عز وجل قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قبل بالخوف والمقام الآخر لأصحاب اليمين دون هؤلاء خوف الجنايات والاكتساب وخوف الوعيد وسوء العقاب وخوف التقصير عن الأمر وخوف مجاوزة الحد وخوف سلب المزيد وخوف حجاب اليقظة بالغفلة وخوف حلوف الفترة بعد الشرة عن المعاملة وخوف وهن العزم بعد القوة من الاستقامة وخوف نكوث الهمة ونقض التوبة وخوف عود العادة بالشهوة وخوف اطلاع الله عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح أعمالهم فيعرض عنهم ويمقتهم وهذه كلها مخاوف وطرقات أهل المعارف وبعضهم أعلى من بعض ويقال ان العرش جوهرة تتلألأ ملأ الكون فلا يكون العبد على حال من الأحوال الا أطبع مثاله في العرش على الحال التي يكون عليها فإذا كان يوم القيمة ووقف للمحاسبة كشف له عن صورته من العرش فرأى نفسه على هيئته التي كان عليها في الدنيا فذكر فعله بمشاهدته نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل وصفه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمه استعملها صالحا بعد أن كان قد ابتلاه بهواه فيفخر الآن بعمله وينسى ما قدمت يداه ولم يخف أن يعيده فيما كان فيه كما قال في قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ٥

ومن الخوف خوف النفاق

وقد كان السلف الصالح من الصحابة وخيارا التابعين يخافون ذلك وكان حذيفة يقول كان

الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا حتى يلقى الله عز وجل
اني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وكان يقول تاتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان
حتى لا يكون للنفاق فيه مغمز ابرة وتاتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان
مغمز ابرة افرأيت ان صادف موت العبد هذه الساعة التي يمتلئ فيها قلبه بالنفاق اليس يموت منافقا
فهذا من شدة الخاتمة وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي
أدق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وفي لفظ آخر
الموبقات وقد كان الحسن يقول لو اني اعلم اني برئ من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه
الشمس وقيل لا يعتري من النفاق الا ثلث طبقات من المؤمنين الصديقون والشهداء والصالحون
وهؤلاء هم الذين مدحهم الله وألحقهم بالانبياء وقيل من أمن النفاق فهو منافق وكان بعضهم
يقول علامة المنافق أن يكره من الناس ما يأتي مثله وأن يحب على شئ من الجور وأن يبغض كل
من الحق ومن اذا امدح بالبر فيه اعجب بذلك وعلامات النفاق اكثر من أن تحصى يقال
سبعون علامة والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اربع من اصولها تشعب منها
الفروع فقال أربع من كن فيه فهو منافق حقا وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت
خصلة واحدة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد
أخلف واذا أؤتمن خان واذا خاصم فجر وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الأمراء
فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا كلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث آخر انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال له أرأيت
لو كان الحجاج حاضرا أكنت تكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ما قيل ان فقراء اصحاب حذيفة ينتظرونه فكانوا
يتكلمون في شئ من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فقالوا
فقد كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعظم من هذا ما كان الحسن
البصري يقول ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل
والمخرج فذلك النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين أوجب الخاتمة

على المؤمنين خشية مقت الله وخوف خبوط الأعمال ومن ذلك ما كان ابن مسعود يقول ان
الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه فيرجع الى منزله وليس معه دينه شئ يلقى الرجل فيقول
انك لذيت وذيت ويلقى الآخر فيقول انك لأنت وأنت ولعله لا يخلو امنهم بشئ وقد سخط الله
عليه يعني به التزكية بما لا يعلم والمدح لمن يستحق الذم واختلاف قلبه ولسانه ففي هذا سخط
الله عز وجل وفوق هذه المخاوف خوف سلب الايمان الذي هو عندك في خزانة المؤمن وهو مما تفضل
الله به عليك يظهره كيف شاء ويأخذه متى شاء لا تدري اهبة وهبه لك فيبقيه عليك بكرمه
أو وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك هو فيأخذه اذا الايحالة بعدله وحكمته وقد اخفى حقيقة
ذلك واستأثر بعاقبته وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول مع الخاتمة
خوفا واخطارا كما كان ابو الدرداء يحلف ما احد أمن من ان يسلب ايمانه الا سليبه أفرأيت الوقت
الذي قال حذيفة رضي الله عنه يأتي على القلب ساعة فيمتلئ نفاقا حتى لا يكون فيه الايمان مغمز
ابرة ان صادف الموت ذلك الوقت وكان هو آخر وقت اليس تخرج روحه على النفاق وكذلك
تقليبات القلوب في معاني الشرك وتلويحات الشكوك وافق ذلك الوقت الوفاة كان خاتمته
عند لقاء مولاه وانما سميت الخاتمة لأنها اخر عمله وآخر ساعة من العمر وخاتم الشئ آخره ومن
ذلك قوله تعالى وخاتم النبيين أي آخرهم ومثله ختامه مسك وخاتمة مسك أي آخر الكأس
من المثل يكون مسكا ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع بقية المعرفة
المبتدأة تكون مستند زجاجها كما قال بعض العلماء ان الله اذا أعطى عبدا معرفة فلم يعامله
بها لم يسلبه تلك النعمة ولكن يقاسيه فيه حجة عليه ليحاسبه على قدرها ولكن يقطع عنه المزيد
وقد يقسي قلبه ويجري عينه وذلك من النقصان الذي لا يعرفه الا أهل التمام لأنه يمنعه
منه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يغتر به ويفتتن به عند الخلق وقال ملك بن دينار قرأت في
التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فبكى متى شاء وقد كانوا يستعيذون بالله
من بكاء النفاق وهو ان يفتح للعبد ألوان البكاء ويعلن عنه باب الخشوع وقد كانوا يتعوذون بالله من
وجأ الأباهم عشا يكون وكانوا يقولون أيضا استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما
هو قال أن تبكي العين والقلب قاس وقالوا كم من عين جازية وقلب قاس فلأن يعطى العبد رقة

قلب في جمود عين خير من أن يعطى دموع عين في قسوة قلب ورقة القلب عند أهل القلوب هو
خشوعه وخوفه فمن أعطاه هذا في قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينه ومن أعطاه بكاء عين
وحرمه خشوع القلب فقد مكر به وهذا هو حقيقة المنع وعدم النفع وفي خبر أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النكاثر فبكوا الا عبد الرحمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لم يبك عيناه فقد بكى قلبه وفي خبر آخر أنه قال لما ذكر عثمن رضي الله عنه ذكر أن
بكاه في ساقية يعني طول القيام قيل لعبيد الله بن شميط كان أبوك يبكي فقال كان علة يبكي
وقد وصف الله تعالى الباكين ان البكاء يزيدهم خشوعا فاذا زاده البكاء تفاخرا وكبرا
علمنا بذلك عدم الخشوع في القلب وكان تصنعا وعجبا لخفايا آفات النفوس فأعلى المخاوف
السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول ما بكائي وعمى من ذنوبي وشهواتي الا انها
أخلاقي وصفاتي لا يليق بي غيرها انما بكائي وحسرتي كيف كان قسمي منه ونصيبي حرم
الأقسام وفرق العطا بين العباد وكيف كان قسمي منه البعد فهذا الذي ذكرناه هو حال
العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وهم أبدال النبيين وأئمة المتقين أولوا القوة والتمكين وقال
قال بعض علمائنا وسئل هل يعطى الله أحدا من المؤمنين من الخوف مثقالا فقال من المؤمنين
من يعطى من الخوف وزن جبل قيل فكيف تكون حالهم يأكلون وينكحون وينامون قالوا نعم
يفعلون كل ذلك والمشاهدة لا تفارقهم والمأوى يظلهم قيل فاين الخوف قال يحمله حجاب
المعذرة بلطيف الحكمة ويستر القلب تحت الحجاب في التصريف بصفات البشرية فيكون هذا
العبد مثل المرسلين من الأنبياء وهذا كما قال لأن مشاهدة التوحيد بالتصريف والحكمة
بالقيام بالأحكام وذلك ان نور الايمان في القلب عظيم لو ظهر للقلب لاحرق الجسم وما
اتصل به من الملك الا انه مستور بالعقل مغطا بالعلم لايقاع الأحكام وايجاب التصريف فيها والذي
يجري مجاري الغايات من مجاني القدر والصفات ان الأنوار المحجوبة بالأسماء والاسماء محجوبة بالأفعال
والافعال محجوبة بالحركات فتظهر الحركة بالقدرة وهي غيب من وراء ستر كذلك يظهر التصريف
بالحكمة عن نور الايمان وأنوار الايمان مستورة من وراء ستر وقال بعض العارفين لو كشف وجه
المؤمن للخلق عند الله لعبدوه من دون الله ولو ظهر نور قلبه للدنيا لم يثبت له شيء على وجه الأرض

بن عوف فقال بعضهم
لم يكن عبد الرحمن

فسبحان من ستر القدرة ومعانيها بالحكمة وأسبابها حلما منه ورحمة وتطريقا للخلق اليه
للمنفعة وفي قراءة أبي مثل نور المؤمن فلولا أن نوره من نور ما استجاز ابدال الحرف بغير معناه
وقد كان أبو محمد سهل يقول الخوف مباينة النهي والخشية الورع والاشفاق الزهد وقال دخول
الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه الى الزهد ودخوله على العامل يدعوه إلى
الاخلاص وقال أيضا الاخلاص فريضة لا تنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد لان من خاف
ترك وقال من أحب أن يرى خوف الله في قلبه فلا يأكل الا حلالا ولا يصح علم الرجاء الا للخائف
وقال الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى ان أكثر التأنيث يدعى بالمحبة يريد بهذا أن فضل الخوف على
الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهذا كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال وفضل
العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
من علم أحب الي من فضل من عمل وخير دينكم الورع قال وقلت لابن مسعود اي العمل أفضل قال
العلم أفضل فقال انما سألتك عن العمل فقال ان مع العلم بنفعك قليل العمل ومع الجهل لا ينفعك
قليل العمل ولا كثير وأعلم ان الخوف عند العلماء على غير ما يتصوره أوهام العامة وبخلاف
ما يقدرونه من القلق والاحتراق أو الولهة والانزعاج لأن هذه مخطرات واحوال ليست من
العلم في شيء والخوف عند العلماء انما هو اسم لتصحيح العلم وصدق المشاهدة فاذا أعطى عبد حقيقة
العلم وصدق اليقين سمي هذا خائفا فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم من أخوف الخلق لأنه
كان على حقيقة العلم وقد كان حاله السكينة والوقار والتمكين والتثبيت في الأحوال
ولم يكن وصفه القلق والانزعاج ولا الولهة والاستهتار قد أعطى اضعاف عقول الخليقة
وعلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم فكان صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي كأنه
أعرابي ومع الصبي بمعناه ومع المرأة في نحوها يقارنهم في علومهم ويخاطبهم بعقولهم ويظهر منه
مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الأنس به ويوفيهم حقوقهم من التذكر منه وليلا تعظم
هيبته في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة فيه لا يفطنون لها وترحمة
منه قد جبل عليها تعلم ذلك من العليم الحكيم فلذلك قال له وانك لعلى خلق عظيم قيل على
أخلاق التربية لا يظهر من حاله ونصيبه شيئا لقوة التمكين وفضل العقل ولا يتظاهر بشيء لحقيقة

الزهد والخشوع والتواضع ولا يظهر عليه شئ لمكان القوة ورسوخ العلم والحكمة فيه وعلى منهاجه وسنته وصف العارفين وقد قال بعض أهل المعرفة من طالب الخلق بعلمه وخاطبهم بعقله فقد نحتهم حقوقهم منه ولم يقم بحق الله فيهم وقال بعض العلماء لا يكون الرجل إماما من حيث الناس بكل علمه وأظهر لهم نصيبه وكان ابن معاذ يقول لا تخرج أحدا من طريقه ولا تخاطبه بغير علمه فتشعب ولكن اعرف له من نهره واسقه بكأسه وسئل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق فقال العارف لا يستوحش منه ولكن قد يهاب ومما يدلك على أن الخوف من أسماء العلم أن في حرف أبي بن كعب في قوله تعالى فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا في قراءته فخاف ربك أن يرهقهما طغيانا وكفرا وقال يحيى بن زياد في كتاب المعاني معناه فعلم ربك وروينا هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنهما

بيان ثاني معنى الخوف

والخوف أيضا من أسماء المعاني فوجوده بانتفاء ضده فإذا عدم الأمن من القلب من كل وجه من أحوال الدنيا وأمور الآخرة فلم يأمن مكر الله في كل الأحوال في تصريف أحكام الدنيا وتقليب جزاء القلوب والنفوس وجوادث الشهوات وايثار طبايع العادات ولم يكن إلى العرف ولا الاعتياد ولم يقطع بسلامته ومن آمنه في شئ كان هذا خوفا وسمي العبد بفقد الأمن من جميع ذلك خائفا وهذا مستعمل فاش في كلام العرب ومذهبهم يقول أحدهم أخاف من كذا أدام الله أمنه وأخاف أن يكون ذا إذا تحقق علمه وقيل لبعض العلماء ما بال العارف يخاف في كل حال فقال لعلمه أن الله عز وجل قد يأخذ في جميع الأحوال ثم إن الخايفين بعد هذا طرقا ووجوها من قبل الخوف المقلق والإشفاق المزعج والوجل المحرق وهي مجاوزات الطرق الشاغلة التي هي محاج للأئمة القاصدة وفيها متأوه ومهالك ينكب عنها السياق والصفوة المختارة إلا أنه قد سلك بعض العباد والزهاد فيها وأزيد بعض العارفين بها ليست بمفضلة كل ذلك عند العلماء ولا بمستفاض فيها مغبوط عليها عند العارفين لأنها قد تخرج من طرقات المسالك إلى مفاوز المهالك وإنما أزيد ببعضهم التعريف لها والاطلاع عليها ومنهم من أزيد منه آلينه والوله فيها إلا أنها أشهر في استماع العامة وأعجب وأهول عند العموم

ذكر تفضيل ذلك

ان للخوف سبع مفايض يفيض إليها من القلب فإلى أي مفيض فاض من القلب إليه أتلف صاحبه به الا ما استثنيه وقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة وهي أرق صفاق الأدمة وهي باطن البشرة فيحرقها فيقتل العبد وهؤلاء هم الذين هم تون من الغشي والصعق وبدواتي الوجد وهم ضعفا العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيحرق العقل فيتيه العبد وتذهب المال والسقط المقام وقد يحمل الخوف السحر وهو الرية فينقبها فيذهب الأكل والشرب حتى يسل الجسم ويشف الدم وهذا لأهل الطي والجوع والاصفرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدايم ويحدث الفكر الطويل والسهو الذاهب وفي هذا المقام يذهب النوم ويدوم السهر وهذا من أفضلها وفي هذا الخوف العلم والشهادة وهو من خوف العالمين وقد يقدح الخوف في الفرايص والفريصة هي اللحمة التي تكون على الكتف يقال للحم الكتفين الفريصتان وجمعها فرايص ومنه الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفريصتان من اللحم وهو أرق لحم الحيوان فمن هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدو الخوف من القلب فيغشى القلب فيحمي سلطانه لقهر سلطان القدرة محو الشمس اذا برزت أقمر للبادي الذي يبدو على السر من خزاين الملكوت فيضعف حمله العقل فيضطرب لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد من الفرار لضعف صفته وذلك أن أجزاء الإنسان وان كانت مفترقة في الصفات للحكمة فهي كشئ واحد يجمعها لطيف القدرة باظهار المشية فأسفل البنية منوط بأعلاها فاذا اضطرب اعلاها مال أسفلها وهذه الطايفة أشبه بالفضل وأوصف بالعلم وقد سلك في هذا الطريق كبار المعلا ورفعا أهل القلوب وقد كان هؤلاء في التابعين كثير منهم الربيع بن خثيم وأويس القرني وزرارة بن أوفى ونظراؤهم من الأخيار رحمة الله عليهم وقد كان ذلك يصيب بعض أهل البيت منهم جعفر بن محمد ولم ينكر هذا عليه أصحابه مثل عمر وابن مسعود وحذيفة كيف وقد كان عمر رضي الله عنه يغشى عليه حتى يضطرب مثل البعير ويسقط من ذي قيام وقد كان ذلك يلحق سويد بن حذيم وكان من زهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن أمر الاجناد بعثه عمر واليا على أهل الشام فكان يوصف له من زهده وشدة فاقته ما يعاتبه عمر في ذلك ويبعث اليه بالمائة والأربع مائة من الدنانير ليستنفقها فكان يخرج ذلك ويفرقه على الفقراء فكتب اليه أهل الشام يذكرون ثانه وكان يغشى عليه في مجلسه ولم يعرف ذلك أهل الشام فسأله عمر عن ذلك الذي يصيبه اذا تحدث فأخبره بما يجد من مشاهدته فعرف عمر رضي الله عنه ذلك وعذره وما زاده ذلك الا خيرا فكان يكرمه ويعرف له فضله وكتب الى أهل الشام ألا تعنفوه في أمر قد عهوده وقد كان أقوى الأقوياء وهادي الهداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يغشى عليه نزول الوحي في الأحيان ويعطى ويتربد وجهه وينخر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي ولكن كان هذا يصيبه في ضرب واحد من الوحي اذا تنزل الروح عليه ولبسه لبسة يغشى قلبه في باطنه لان الوحي على أربعة أضرب ضربان متصلان هذا أحدهما وضربان منفصلان ومن كل واحد يلحق العلماء أهل القلوب الناظرة والشهادة الحاضرة وشرح هذا بطول وليس يعرفه الا من سلك طريقه ولا يشهده الا من ذاق حقيقته ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام في صورته بالأبطح فصعق ورؤي جمزه عن جمز الذئب أعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله ومن أصدق من الله قيلا وخر موسى صعقا وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيحرق الشهوات فيحمل العادات ويحمد الطبع ويطفئ شعل الهوى وهذا أحمد المخاوف وأعلاها عند أهل المعارف وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف الأنبياء والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف فان جاوز الخوف هذه الأوصاف فقد خرج وجاوز قدره لأنه اذا حرق الشهوات فلم يبق شهوة ومحى الأهوية فلم يترك هوى تبعه العبد من مجاوزة الحد الخوف خرج به الخوف الى أحد ثلثة معان خير لها أن يسري الى القنوط فيحرقها فينلف العبد فيكون له شهادة وليس هذا محمودا عند علماء الخائفين في باب الخوف والمشاهدات الا انه قال بعض العلماء ما شهد أبدا بأعظم أجرا ممن مات وجدا وهذا أوصاف ضعف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وأوسطها ان يعلو الخوف الدماغ فيذيبه فتنحل عقده العقل لذوبه فتضطرب الطبايع لانحلال عقده العقل فتحترق المزاجات لاضطرابها ثم تحترق الصفرا فتحول سوداويكون من هذا الوسواس والهذيان والتوه والوله وذلك أن الدماغ جامد وهو مكان للعقل هو مركب عليه معقود فيه فاذا اختلطت المزاجات اشتعلت فيذهب شعلها الى الدماغ فأحرقه وأذابه فحل معقل العقل الذي مكانه محل الدماغ وسلطانه بصفاء القلب الظاهر منزلة الشمس الطالعة محلها الفلك العلوي وشعاعها على الأرض كذلك العقل محله المخ وسلطانه في القلب وفي هذا المقام الطيش والهيمان وهذا مكروه عند العلماء وقد اصاب ذلك بعض المحبين في مقام من المحبة فانطبق عليهم ومنهم من فزع ذلك عن قلوبهم فشري عنهم وقد كان أبو محمد يقول لأهل التقلل الطاوين المتقشفين احفظوا عقولكم فانه لم يكن ولي لله ناقص العقل والمعنى الثالث وهو شرها في مجاوزة الخوف هو أن يظلم الخوف ويقوى فيذهب الرجاء اذا لم يواجه بعلم الأخلاق من الجود والكرم والاحسان الذي تعدل المقام وتروح كرب الحال فيخرجه ذلك الى القنوط من رحمة الله والأيأس من روح الله فدخلت عليهم هذه المشاهدة من قبل العدل والانصاف بمعيار العقل فجاوزت بهم علم وصفه بالكرم وخفي الألطاف فتعدت بهم الحدود من قبل قوة نظرهم الى الاكتساب وتكرر بحكم الشهادة الأسباب ورجوعهم الى نفوسهم في الحول والاستطاعة واثباتهم تحقيق الوعيد عليهم خاصة لانهم له والحكم على الباكر الراجع بعقولهم وعلومهم عن غير تفويض منهم الى مشيته ولا استسلام لقدرته ولا تاميل أحد معاني صفاته الحسنى الذي تعمر جميع صفاتهم السوء فظهرت سيئاتهم الثواني أمامهم فحجبتهم عن المحسن الأول ولم يعلموا أنهم باحسانه اليهم أشاؤا وبسبق علمه فيهم نفذوا وأن قلمه لم يلن بأيديهم اذ جرى بما عليهم وان قهره قدرته وسلطان جبروته أظهر منهم من خزائنه ما فيهم بذلك على حجة ما ذكرناه أن أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عباد ان والعسكرين فكان مذهبهم القدر والقول بمقدار من القادرين وفعل من فاعلين فاشتلوا بالاعتماد على الأسباب وبالنظر الى أوليه الاكتساب فحجبهم ذلك عن المقدر الوهاب فهربت مولاهم من الأمن والاعتزاز بالله فوقعوا في أعظم من الأيأس والقنوط من رحمة فصاروا في كبائر المعاصي من خوفهم منها فشابهوا كمثل الخوارج خرجوا على الأمة بالسيف لانكار المنكر فوقعوا في انكر المنكر من تكفيرهم الأمة وانكارهم السلطان وهذا من أبدع البدايع وهو لاكلاب أهل النار وكان أبو محمد سهل يقول

الراجين من المحبين كمثل الروحانيين المقربين وأصل الرجاء وتفضيله ان عند العلماء بالله من عظيم الرجاء
ما يضاهي عظيم الخوف فيعدل لهم البنية ويحكم بين المقامين بالسوية فلا يبدوا على قلوبهم بادي من الخوف عن
مشاهدة وصف من الصفات المخوفة بكرهم الاطلاع طالع وزاه من عظيم الرجاء اشهر طلعا من الاخلاق اللطيفة
يروحهم ولا يطرا على قلوبهم طارئ من الخوف تعزبون منه الا بدا عليه بادي من الرجاء يأنسون به اليه فتعدل
صفاتهم وتستوي مقاماتهم عن معاينة معاني صفاته لاستواء كمال ذاته فتكون قلوبهم كلسان
الميزان بين الخوف والرجاء ويكونون كالطائرين بين جناحيه عن شهود البلاء والتمام فيعمل الخوف
الرجاء ويستوي الرجاء على الخوف ويفيضان معا في سعة القلب وقوته فيغنيان فيه لانه قوي لقوي
ويستوي الرجاء فيه لانه قوي لقوي واسع بواسع وقادر بمقتدر وينفرد الهم عن المعنيين فيقف
بمشاهدة منفرد فيحكم عليه بما افرد به ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم بك اصول وبك
اقول وبك اصول ومن هذا الاثر المشهور عن الله تعالى لم تسعني سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي
المؤمن اللين الوادع وقال بعض السلف ما لبس المؤمن لبسة احسن من خشوع وسكينة وهذا
حالان عن الخوف وكذلك امر لقمان ابنه ان يكون فقال خف الله خوفا لا يأمن فيه من رحمته
وارجه رجاء لا امن فيه مكره ثم فسره مجملا فقال المؤمن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو
بالاخر معنى ذلك ان المؤمن ذو وصفين عن مشاهدتين لان المؤمن الاول والشاهد الاعلى ذو
وصف مخوف مثل البطش والسطوة والانتقام فاذا شهد العبد ما امن به من هذه الصفات خاف
من عرفه بها والمعروف ايضا هو المالوف ذو اخلاق مرجوة من الكرم والرفق والرحمة
فاذا شهد العبد ما امن به من هذه الاخلاق رجا من شهده منها فصار العبد لو صفيه الرجاء والخوف
عن معنى شهادتيه المخوفة المرجوة عن وصفي مخوفه ومرجوه صار كذي قلبين كانه يرجو
بقلب ويخاف بآخر وانما هو شهادتان في قلب واحد لانهما مقامان لقلب واحد عن مشهود مخوف
ومرجو واحد فهذا تفسير قول لقمان وهو صفة المؤمن ذي الايقان كما قيل لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لاعتدلا الا ان الخايف يوصف بما غلب عليه من الحال عما قوي عليه من المشاهدة ويوصف
الراجي بمقامه ويوصف الراجي بما غلب عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوي الخوف في مقامه
ولا كنه للمخوف تعالى ولا نهاية للمرجو سبحانه فاما الشهيد المؤمن العالم المقرب فالحالين جميعا يوصف مع

هل مدح كمدحه او حزن جمع بين نعمه وكمونه فهذا ضد الوجوه في مجاوزة الحزن
حزنه وهو من بعد جلوده الله وامره فلا جعل الله حزنه فذ ومن بعد جلوده الله
طمأنته صدق الرجاء واعتدال الخوف له من جمعه بالله ومحو ما سوى الشيء كالتقصير
خوفه معتدل بين الخوف والرجاء والخوف المتلف للنفس بلوب والمزيل للعقل بلوب خير من هذا الامر
الذي هو القنوط الا ان هذا مذهب للعلم ومسقط للمقام موقع في الكبائر على ان هذين المقامين
خوف ليس فيهما علم ولا مشاهدة على الكشف وانما هو قوة وجد مراد به الى الف النفس ومحو العلم
من عبد منه خوف الكرب خاصة من الملاك اهل الكرب والقلق لانهم لا يقلون في الله
التي يعاملون به كالمؤمنين بل الحل ملك مقام معلوم لا ينتقل منه انما يمدون من ذلك المقام
مدد لا يهابه لانه يوم القيمة ولكن ولكن يحمل خوفهم قواهم وتثبت بمشاهدة وصف الخوف
صفاتهم فلا يقلقون لانهم يمدون بالقوي ومعصومون من الموت بحفظ اجالهم على ان من يطيش عقله
ويتوله قلبه ويسيح في تيه ومنهم من يلبه فلا يزيد وجهه شيء الى يوم القيمة ومنهم من يفزع
الفزعة فلا يرتد اليه طرفه ولا عقله الى الحشر ومنهم من يصعق صعقة فلا يزال في ضرة واجلة
الى نفخة الصور ومنهم من يصعق فلا يعقلون حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم يقولون
يكشف عنهما تغشاها سألوا المقربين من الروحانيين واستفهموا الحاضرين الناظرين وهم حملة
العرش اولوا المحبة والانس عن فهم الكلام قالوا الحق وهو العلي الكبير فمثل هؤلاء الطائفين
مثل الخالصين من المؤمنين الذين قال الله تعالى اولئك لهم رزق معلوم ومثل الاقوياء من الطائفين
امام الصابرين والمتمكنين مثل الصابرين الذين يوفون اجرهم بغير حساب فعلما الموقنين يتقلون في مقامات
اليقين من مقام خوف الى مقام رجاء مثله فاذا عملوا في هذه المقامات بمقتضى احكامها
الى ما فوقها من مقام رجاء هو اعلى منه ومن حال خوف الى حال خوف اشرف منه ثم يتقلون
الاشفاق الى حال الاشتياق ومن اجوال الوجل والاحتراق الى مقام التملق والطمأنينة
الفزع الى مقام الانس ومن الابعاد والتهويل الى مقام الرضى والمحبة فهذا مكان فضلهم عما
به مقامه فلم يجاوزه من العموم ومن استتر بحاله وظله فلم يقطعه الى ظل ممدود فوقه فلم يتع
الى محل رفيع اعلى منه فمثل الخايفين من المؤمنين مثل الكروبيين من الملايكة ومثل

التي ذكرناها آنفا بل كان منه الحزن الدائم والألم اللازم والخشوع القائم وهذا
المنكسر وحال العبد المخبر وصار مزيد العالم الخائف من الله كشوف اليقين
المقربين فكان القريب لديه موجودا وصار الحبيب عنده مطلوبا لأنه من المكتسب
ولأنه قد صار عنده من أهله وروينا أن عليا رضي الله عنه قال لبعض الخائفين وقد نا
الخوف إلى القنوط ما أصارك إلى ما أرى فقال دنوبي العظيمة فقال ويحك ان رحمة الله أعظم من
والخوف جند من جنود الله عز وجل قد تستخرج من قلوب المريدين والعابدين ما لا يستخرجه الرجا
وتستجيب له القلوب المرادة بنهايات الزهد وحقائق التوبة وشدة المراقبة وقد يفعل الله
عز وجل جميع ذلك بأهل الرجاء والمحبة في مقامات الرجاء يستخرجه منهم الكرم والحياء والحب
والوفاء وأكثر ما يستخرجه الخوف من الخائفين والخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ثم
يشتمل على خمس مقامات في كل مقام ثلث طبقات فالمقام الأول هو التقوى في هذا المقام
المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثاني هو الحذر وفي هذا المقام الزاهدون والورعون
والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفي هذا الطبقات العالمين والعابدين والمحسنين
والمقام الرابع هو الوجل وهو للذاكرين والمحبتين والعارفين والمقام الخامس هو الإشفاق
وهو للصديقين وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات
لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لأجل العقوبات كما جاء في الخبر أوحى الله عز وجل إلى داود
عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري والسبع انما تخاف لوصفه بالبطش والسطوة
فالبأس وجمه من الكبر والهيبة لا لأجل ذنب كان من الإنسان إليه وكذلك الهاوا من
الرجاء العظيم والنصيب الأوفر على معنى خوفهم ما لا يسع العموم أن يذكر فطلبهم بخايهم وحسن
ظنهم بمولاهم لا يصفه الأهم ولا يعرفه سواهم جمل ذلك أنصبه القرب ونعيم الأنس وروح
اللقاء وسرور التملق وحلاوة الخدمة وفرح المناجاة ولذة المصافاة وارتياح المحادثة
وروح المعاينة فلهم منه تجلي معاني الصفات وظهور معاني محاسن الأوصاف ما لا تعلم نفس ما
أخفي لهم من قرة أعين وأصحاب اليمين اظهار نعيم الأفعال ومواهب العطاء والأفضال هم
درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقال بعض العارفين من عبد الله بالرجاء دون

[illegible] جمع [illegible] ثم جعله وصف [illegible] وحال الكامل [illegible]
[illegible] صدق لأنه فاجر صدق فيخرج عن أن يقال مخلص
[illegible] أنه قد أشهد القرب
[illegible] ثم لا نفصله إلى درجات
[illegible] وجود هم فيه وعدمهم عنده لأن الخوف والرجا فاضا
[illegible] فقد دخل فيه فقد دخل فيه محب خائف راج عارف
[illegible] أو فرشي لأن كل هاشمي قرشي ولا عكس
[illegible] فلان علوي فلم يحتج إلى أن تقول هاشمي والله
[illegible] أو هاشمي أو قرشي
[illegible] علوي غير حسني وقرشي غير هاشمي وعربي غير قرشي
[illegible] فعارف أو محب فقط فعارف أو محب هو اسم التام والكمال الذي يفوق ويحوي
[illegible] كل الأسباب كقولك علوي حسني هو اسم التام والكمال الذي يفوق كل الأسباب
[illegible] مقام فحقيقته معناه عارف بالمعروف الذي هو
[illegible] عارف وعمومه عندنا جنسه أن يكروه فان يعرف اليهم أو عرفوه
[illegible] طريق الخائفين لأنهم متفاوتون في القرب والاقتراب ومتفاوتون
[illegible] متفاوتون في التعرف والتعريف فالمؤمنون من الشهداء هم المقربون من
[illegible] منهم من القرب لاقتراب ومن التقرب للتقريب ومن التعريف التقرب
[illegible] التالف لأن مقامهم من القرب لعالي الطريق الأقرب والتقرب وأول الحب والمحبة
[illegible] التالف والتعريف وهؤلاء لأبرار ومن أفضل طرق الخائفين ما سرى خوفه إلى
[illegible] فاجتمع شمل الهوى وأخذ نار الشهوات فسقطت له اثقال المجاهدة وخفت عنده مؤنة
[illegible] وجلت معه حلاوة الطاعة فقد حلاوة المخالفة وسكنت النفس بالطمأنينة لمعاينة
المشاهدة واجتمع الهم بالحق عند زوال تشتته بالهوى والخلق وظهر نعيم الزهد والرضى لبيان
الصدق والإخلاص ثم تسكن الخوف في القلب بعد ذلك فلم يجاوزه فيتعدا الحد إلى بعض الناس

الخوف تاه في مفاوز الاغترار ومن عبد الله بالخوف والرجاء استقام في محجة الاذكار وقال مكحول الضبعي في معناه الا أفرط فيه من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبد الله بالرجاء فهو مرجئ ومن عبد الله بالمحبة فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف والرجاء فهو موحد

كتاب شرح الزهد وأخبار الزاهدين

وقد سمى الله تبارك وتعالى أهل الزهد علما بقوله عز وجل اذ وصف قارون فخرج على قومه في زينته إلى قوله وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا فيلهم الزاهدون في الدنيا وقال عز وجل أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فقيل على الفقر وشدائد الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أي عن الدنيا ثم قال تعالى في مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد أجران بصبره على الفقر ووجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده وعلى هذا تأويل الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في أحدهما يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم خريفا وقال في الخبر الآخر يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام بأن الفقير غير الزاهد يدخل الجنة قبل الغني المصلح بخمس مائة عام وهؤلاء هم خصوص الفقراء وأن الفقير غير الزاهد يدخل الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا لأجل فقره فقط وهم عموم الفقراء فصار الأغنياء مفصولين بالفقراء اثنين معا وأن جملة الفقراء يدخلون الجنة قبلهم لمكان غناهم كان في الدنيا وأن عموم الفقراء من أهل الدنيا وأبنائهما موقوفون للحساب ومطالبون بالانفاق والاكتساب بالخبر الثالث الذي فيه النار فإذا أكثر أهلها الأغنياء واطلعت في الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء وفي معنى الخبر الآخر فقلت أين الأغنياء قال حبسهم الجد وقد سمى الله الفقراء الزاهدين محسنين بقوله حبسهم السبيل فقال عز وجل ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ثم قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ثم نص على الذكر من عليه الحجة والمطالبة فقال تعالى انما السبيل على

ان محل الوجوب فهل للخبر فالمراد بقوله حبسهم الجد فالمراد بقوله الماسك عنهم السبيل والمنع لا الجد وهو جامع المانع ... سمي استحقاق ايراد المانع منع المحتوم على الخروج

الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعني النساء وعلى هذا المعنى جاء تفسير قوله تعالى انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل الزهد في الدنيا فصار الاحسان مقام الزاهدين وهو وصف اليقين كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فهذا يعني على اليقين وهو المشاهدة ولعمري ان الزهد حال الموقن لأنه مقتضى يقينه وقد يحتج متوهم بفضل الأغنياء على الفقراء عند بقوله تعالى مخبرا عن الفقراء توانوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم أن هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء إلى تمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال عز وجل وسنزيد المحسنين فكان مزيدهم الحزن والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون حتى يسترهم الله بأنهم محسنون لما قال ما على المحسنين من سبيل وعطف بهم عليهم في المعنى وأيضا فلم يكن ندمهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى يمدحهم بصبرهم على الدنيا ويذم الدنيا اليهم لكن كان حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقرا بسد له يده الى فقرهم فعلى الانفاق وحقيقة الفقر منه كان حزنهم فهذا فضل ثان للفقراء الا على الجمع والادخار والموضع الأعلى الذي فضل به الفقراء من هذه الاية عند أهل الاستنباط والتفكر هو مشاركتهم لرسول الله صلى الله عليه في حاله ووصف الله رسوله بمثل حالهم في قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه ثم نعتهم بمثله لأنهم هم الأمثل فالأمثل به فقال تعالى لا يجدوا ما ينفقون فمن كان برسول الله أمثل فهو الأفضل كيف وقد زوينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفة للمؤمن في الدنيا الفقر فجعل تحفة له من دون التحفات المباركات مع الخبر المشهور الفقر على المؤمن أزين من العذار الحسن على خد الفرس الجواد والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الأنبياء عليهم السلام وطريقة علية الصحابة والأصفياء وقد روينا في الخبر آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليه السلام لمكان ملكه وأخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لمكان ملكه لأجل غناه في الدنيا ولا أعرف في الأمة أفضل من طائفتين المهاجرون وأهل الصفة وجميعا مدحهم الله بالفقر فقال سبحانه للفقراء المهاجرين للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله فقد وصفهم بالفقر على أعلم الهجرة والهجرة

والله تعالى لا يمدح من يحب الا بما يحب ولا يصفه حتى يحبه وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل في التفسير ايهم ازهد في الدنيا واشدهم لها تركا وزوينا
في قوله عز وجل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وقيل في الخبر الهما
الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا فيها فاحذروهم على دينكم وجاء في الخبر لا ترال
الا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ اخر ما لم يؤثروا
دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين وفي خبر عن
اهل البيت اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له
اهلا ولا مالا وفي اخبار اهل الكتاب اوحى الله الى بعض اوليائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني
فاصبت عليك الدنيا صبا ويقال ليس عمل من اعمال البر يجمع الطاعات كلها الا الزهد في الدنيا وعلى
الصحابة تابعنا الاعمال كلها فلم نجد في امر الاخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال بعض التابعين
لصدر من التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا
خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وفي وصية لقمان لابنه واعلم ان
اعون الاشياء على الدين زهادة في الدنيا ويقال من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله عز
وجل ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وفي خبر اذا زهد العبد في الدنيا فقربوا
منه فانه يلقى الحكمة وقال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وزوينا في
الاثار جمل هذه الاخبار من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته
وجعل فقره بين عينيه ولم يات من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له
همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال الله تعالى في معنى
ذلك من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في
الاخرة من نصيب وقد روينا في خبر قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل مخموم القلب
مصدوق اللسان قلنا يا رسول الله ما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا
بغي يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الاخرة والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله
وضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة وفي دليل خطابه ان شر الناس الذي يحب الدنيا ان

الراغب فيها هو المحب لها والاقتنا لها والاستكثار منها علامة الرغبة فيها كيف وقد جاء نصا ان اردت
ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبب محبة الله فينبغي ان يكون الزهد من افضل الاحوال
اذ المحبة من اعلى المقامات وينبغي في دليل الكلام ان من رغب في الدنيا فقد بغض الله الذي
لا يقوم له شيء ولا يطمع طامع في محبة الله وهو يحب الدنيا لان الله تعالى مقتها وفي خبر ما نظر
اليها منذ خلقها يقول لها اسكني يا لاشيء انت واهلك في النار وفي الخبر يقول الله تعالى يوم
القيمة للدنيا ميزوا ما كان منها لي والقوا سائرها في النار وكذلك روينا في الاثار الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وفي لفظ اخر وما اوى اليه فمثل الدنيا مثل
ابليس لعنه الله خلقه الله للبعد واللعنة ليتسلى به ويسلي به وهلكه وبهلك به وقد
اشهد ذلك بعض الملكاشفين فقال رأيت الدنيا في صورة جيفة ورأيت ابليس في صورة كلب
جاثم عليها ومنادي ينادي من فوق انت كلب من كلابي وهذه جيفة من خلقي وقد جعلتها
نصيبك مني فمن نازعك شيئا منها فقد سلطنك عليه فالمؤمن هذا انما مكانه فمن تمكن في شيء
منها تسلط العدو بالمكانة منه بقدر ما اصاب منها وقد كوشف بعض الاولياء بها في صورة
امرأة ورأى اكف الخلق منها ممدودة اليها وهي تجعل في ايديهم شيئا قال فقلت له ما هو قال ثم
يلتذ وطابعه تمر عليها مكتوب في الايدي لا تطيعهم شيئا وكوشف مورق الجعل بها في صورة
عجوز شمطاء دنيا بيه سمج عليها الوان المصبغات وانواع الزينة قال فقلت اعوذ بالله منك فقالت
ان اردت ان يعيذك الله مني فابغض الدرهم وكذلك جاء في الخبر الدنيا موقوفة منذ خلقها
الله بين السماء والارض لا ينظر اليها فتقول يوم القيمة اجعلني لادنى اوليائك نصيبا فيقول الله
اسكتي يا لاشيء فاني ما ارضاك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وقال بعض السلف الدنيا دنيئة
وادرى منها قلب من يحبها وفي اخبار موسى عليه السلام ان لم تلق الفقير بمثل ما تلقى به الغني
فاجعل كل علم علمتك تحت الارض واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت
الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وزوينا عن بعض علمائنا في اخبار داود عليه السلام انه قال
لاجلي خلقت ادم لاجل محمد وخلقت ما خلقت لاجل ولد ادم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله
حجبته عني ومن اشتغل منهم بمن سقت اليه ما خلقته لاجله وكان عيسى عليه السلام يقول الدنيا

اليك عنا يا خنزيرة وقد زوينا هذا القول عن يزيد بن ميسرة وكان من علماء أهل الشام قال كان
أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا لها اسما شرا من هذا سموها قال فكانت اذا اقبلت قالوا
دنيا قال اليك عنا يا خنزيرة لا حاجة لنا بك انا قد عرفنا إلهنا معناه قد عرفناه بالابتلاء بك لينظر
كيف نعمل بالزهد فيك والاثرة له وعرفناه ايضا بالمقت لك فوا فقناه في ذلك وعرفناه ايضا فاقبلت
فلوثنا إليه وأعرضت عما سواه وكذلك كان الحسن يصف اشباحه كان احدهم يعرض عليه المال
الجليل فيقال له خذه فاستعن به فيقول لا حاجة لي فيه أخاف أن يفسد قلبي علي فهذا كان له قلب صالح
راعاه فخاف تغيره كذلك رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر بجدي ميت اجرب فقال
أترون هذا هان على أهله قلنا يا رسول الله من هوانه القوه فقال الدنيا اهون على الله من هذا على أهله
وفي لفظ آخر انه قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم قلنا لا أيانا وأي شيء يسوي هذا فقال للدنيا اهون
من هذا عليكم وكذلك أخبر بالغاية في قلتها وعدم قيمتها بقوله لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وضرب المثل في تنبيها وانقلابها على أهلها ما بكم
بقوله للأعرابي أرأيت ما تأكلون وتشربون ألستم تبطئون وتفرجون وتبردون قال بلى يا رسول
الله قال أي شيء يصير ذاك قال أما علمت يا رسول الله قال ليس يقعد أحدكم خلف بيته فيجعل الله
أنفه من تحت رجله قال نعم قال الله سبحانه جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم وكذلك قال الله
عز وجل وفي أنفسكم أفلا تبصرون وروينا في تفسير مواضع الغائط والبول وعن علي
رضي الله عنه الدنيا جيفة فمن طلبها فليصبر على مزاحمة الكلاب وقال الله عز وجل وما الحيوة الدنيا
الا متاع قال بعض أهل اللغة يعني جيفة سمعتها عن الأصمعي عن بعض العرب يقول منتن
اذا تغير وأنتن وقد كان للحسن يقول لما أهبط الله آدم إلى الدنيا كان أول شيء عمل فيها
أجذم وروينا عن ابن عباس عن آدم عليه السلام انه نظر الى ما خرج منه فاذا هو ريحه فاعقبه
لذلك فقال له جبريل عليه السلام هذه ان ايحة خطيئتك فشهد العقلاء عن الله عز وجل الدنيا الى
مورثة كيف فلم يدخلوا فيها الا ضرورة كلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان أفضل وشبه
بعضهم جيفة فلم ينالوا منها البلغة فكلما تقللت من الجيفة كان خيرا وقال وهب بن منبه قرأت
في بعض الكتب ابن آدم ترى دنياك تزيد اذا ترك الدنيا طال عناؤك وفي بعض كتب الله عز وجل

ابن آدم أنا بتركك اللازم فلا تؤثر علي ما منه بد وقال بعض الخبرين عن الله انه أوحى الى الدنيا
اخدمي من خدمني وانصبي من خدمك وقال آخر وقد رويناه مسندا ان الله تعالى أوحى الى الدنيا
تمرري لأوليائي حتى تكون زعبتهم فيما عندي واحلولي لأعدائي حتى يكرهوا لقائي وفي
حديث عائشة رضي الله عنها من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
فهذه الآثار كلها قاصمة لظهور ابناء الدنيا مشحمة لعين محبيها وأضدادها من الأخبار الحسنى في فضل
الزهد وتشريف الفقر رافعة لرؤوس الفقراء الصادقين وقرة عين للصالحين لله عز وجل
الزاهدين فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وأصل الرغبة في الدنيا
ضعف اليقين لأن العبد لو قوي يقينه نظر بنور الأجل فغاب في نظرة العاجل فزهد فيما غاب
وأجبت الحاضر فاترما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولولاه أرضى وقدم ما يفنى وانقطع الى ما
يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن لأن الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل ألم تر
الى وصفه تعالى لابراهيم عليه السلم وليكون من الموقنين قال لا أحب الآفلين والموقن مأمور
باتباع ملة ابراهيم لقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أي عليكم ملته واتبعوا ملته في كل
عمل فمن لم يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير ومن لم ير ذلك أجب لا شيء فلم يكن قيمته في
العلوم وعند الأعلين شيئا ولين يكمل عبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أي شيء هي

ذكر ماهية الدنيا أي شيء هي

قد قال الناس في الزهد اشياء كثيرة ونحن غير محتاجين الى ذكرها لو لم يبينها الله عز وجل
وأغنى بكتابه الذي جعل فيه الغناء والشفاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحبل
المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى في غيره أضله الله وقال الله عز وجل وما اختلفتم
فيه من شيء فحكمه الى الله وقال تعالى فهدى الله الذين لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فقد ذكر
الله عز وجل في كتابه ان الدنيا سبعة أشياء وهو قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من
النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم قال
ذلك متاع الحيوة الدنيا فوصف حب الشهوات بالتزيين ثم نسق الأوصاف التسعة على الحب

لما ثم اشار لها بقول ذلك فاذا اشار الى الكاف والكاف كناية عن المذكور والمتقدم واللام
والام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا وان
هذه الدنيا هي الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى الاصل من هذه الجمل فرد
جميعها فقد اجبت جملة الدنيا نهاية المحبة ومن احبت اصلا منها او فرعا من اصل فقد احبت بعض
الدنيا وجا من تدبر الخطاب ان الحاجات في هذا المصالح الاجسام ليست من الدنيا اذ كانت الدنيا
الشهوات والشهوات ما زاد على الحاجة من كل شيء وفي الاسرائيليات ان ابرهيم الخليل صلوات
الله عليه اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه منه شيئا فلم يقرضه فرجع فاوحى الله اليه يا
ابرهيم لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخشيت ان اسألك منها شيئا
فتمقتني فاوحى الله اليه ليست الحاجة من الدنيا ثم سمعنا ان قد زد هذه السبعة الاوصاف الى
مكان اخر الى خمسة معان فقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال فهذه الخمسة هي وصف من احبت تلك السبعة ثم اختص الخمسة في معنيين من
هذين السبعة فقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ثم رد الاثنين الى وصف واحد وعبر عنه
بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح ان يكون كل واحد منهما هو الدنيا
فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه اللذين هما اللعب واللهو هو الهوى اندرجت السبعة
فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل
قوله فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو
الدنيا لان النهي عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فقد
الزهد كانت الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بايثاره للدنيا فصار الدنيا
هي طاعة الهوى وايثاره في كل شيء وصار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى مفسرا للدنيا فينبغي ان يكون
الزهد مخالفة الهوى من كل شيء واما المعنى الاخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى
فجعله دنيا ايضا فوجب البقاء لاجل متعة النفس وذلك استنباطا من قوله تعالى وقالوا ربنا لم
كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالشفار
والفناء بين الصفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت اخر وهو اجلنا بالموت لا القتل وهذا هو حب

البقاء ففسرت حب البقاء بانه هو الدنيا فقال قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى فانكشف
الناس وافتضح المنافقون وابتلى المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون في سبيله
صفا كانهم بنيان مرصوص وعندها ربح الذين هم لانفسهم واموالهم بايعوهم وخسر الذين احبوا
الدنيا بالاخرة مشترون لما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما
اشتراها باعوها وقال تعالى في المشترين الخاسرين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة يعني رغبوا
في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الاخر اذ باعوه فمن اشترى ثلثين سنة اربعين سنة بالف
الف وبابد الابد فما ربحت تجارته وما اهتدى سبيله فهذه تجارة من ربح في حياة دنياه فاشترى بقاء
الابد فقد صار بايعا للحياة الغالية بما استبدل به من شراء ضدها فهذا تدبر قوله تعالى اشتروا
الحيوة الدنيا اي باعوا الحيوة العليا وذلك الاول تجارة من باع حيوة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه
الله عز وجل منه فعوضه دارا واسكنه عنده جوارا فقد ربحت تجارته وهدي سبيله لما باع
حيوة عشرين ثلثين سنة بحيوة ابد الابد فهذا ربح تجارة الاخرة الزاهدين في الدنيا وذلك خسر
تجارة الدنيا الراغبين في الهوى فشتان بين التجارتين افاعظم حسرة الفوت على من ما ربحه
الزاهدون بعد الموت وكان الناس مستورين باظهار الزهد في البقاء ومظنون بهم حب الباقي
الاعلى حتى نزلت الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة الاية حتى نزلت يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كانوا قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا اي شيء محبته لفعلناه
فلذلك قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا ولذلك قال من مسعود ما كنت احسب ان فينا احدا يريد الدنيا حتى نزلت منكم من يريد
الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وكذلك قال له رسول الله حين نزلت ولو انا كتبنا عليهم
ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل الذي كان يفعل ذلك فاذا كان حب لقاء
البقاء هو الدنيا فينبغي ان يكون حب لقاء الباقي هو الزهد في الدنيا هو الزهد في
البقاء فمن زهد في الحياة الدنيا الفانية في مالها الجموع باجمعها للنفس والانفاق في سبيل الله فقد
زهد في الدنيا ومن زهد فيها احبه الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك صار

على نبينا وعليه
صلى الله عليه وسلم

الجهاد أفضل الأعمال لأنه حقيقة الزهد في الدنيا ولأن الله يحب من زهد في الدنيا لأن المال يحب الأجل البقاء فمن أحب البقاء زهد في المال لأنه فصار الغنى تابعا للنفس فدخل الزهد في الدنيا في الزهد في النفس فالزاهد في نفسه حبيب لربه والراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربه ومنه الخبر الذي جاء من مات ولم يجاهد ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق وبه كشف الله الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب فقال سبحانه فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم تهدد ووعيد أي ولهم العذاب وقرب منهم ثم قال تعالى طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر حقت الحقائق كذبوا وتكذبوا فلو صدقوا الله أي في الوفاء لكان خيرا لهم وهذا من الكلام المضمر المختصر فلذلك أشكل فهمه والبقاء والحياة اسمان بمعنى وكذلك يجعل الله الدنيا وصفا للحياة وتكون الدنيا هي الحيوة ونعتها الدنيا نعت مؤنث لدخول الهاء في الاسم التي هي إحدى علامات التأنيث فصارت الحيوة هي الدنيا وصار قوله الدنيا نعتها بالدناءة ولو كان الاسم مذكرا مثل البقاء نعته مذكر فقال الأدنى وقد قال الله تعالى في مثله يأخذون عرض هذا الأدنى فالأدنى للمذكر دنيا والدنيا تأنيث أدنى كالأعين والأعمى والأشعث تذكيره عينا وقنوى وشعثا والعرض اسم لما يعرض ويقل بقاؤه فمن أحب ذلك فقد أحب الدنيا بحبه الأدنى وهذا يرجع إلى أصل حب الحياة لأنه إنما يريد العرض الأدنى لأجل الحياة فصار حب البقاء لأجله يريد عرض الأدنى هو الدنيا وصار حب العرض لأجل البقاء من الدنيا فإن من هذا الذي ذكرناه أن حقيقة الدنيا حب البقاء بطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لأجل البقاء فدخل أحد هذين في الآخر لأن حب البقاء لأجل المتعة هو من الهوى هو صفة النفس الأمارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عبيش النفس إنما يكون لحب البقاء لأن العبد لو أيقن بالموت ساعته لآثر الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لزهد في العرض الأدنى فصار حب البقاء من الهوى وصار إيثار الهوى لحب البقاء فكان ذلك حقيقة الدنيا وكان أقصر الناس أملا للبقاء أزهدهم في الدنيا حتى لا يدخر شيئا لغد لأنه عنده غير باق إلى الغد وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملا لأن رغبته اشتدت فيها وحرصه كثر عليها لامتداد أمله في الحيوة فيها إذ لو قصر أمله لغد لاختار الفقر حينئذ واختيار الفقر هو الزهد

أي بنصب منهم طاعة وقول معروف صح

الذي

النفس

بيان آخر الزهد الذي هو شيء هو

قال الله سبحانه وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فهذه تسمية إياهم بالزهد ليحققهم بالمعنى يحتاج أن يكشفه ليكون من تحقق بمعنى ذلك زاهدا قوله تعالى وشروه بثمن باعوه العرب تقول شريت بمعنى بعت لأنهم يقولون ابتعت بمعنى اشتريت فلما باعوه وخرج من أيديهم صاروا زاهدين كذلك العبد إذا باع ماله ونفسه من الله عز وجل وخرج من هواه إلى سبيل مولاه فهو من الزاهدين ولذلك قال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة كما قال تعالى وفي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فإذا كان الغرض واحدا وهو الجنة ذكر المعنيين كان بيع النفس والمال وإخراجهما لله عز وجل بمعنى النهي عن الهوى فيهما الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه أعني المال فاستبدال ذلك بضده من إخراج الهوى من النفس وإدخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا وليس ذلك من أمر النفس الأمارة بالسوء لأن هذا نهاية الخير فصار نهيا لها عن الهوى الذي هو اقتناء المال للجميع والمنع وهذا هو الدنيا لوصف النفس الأمارة بالسوء لأن هذا حينئذ سوء كله فمن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرجومة لأمرها بالسوء وإذا لم تكن مرجومة لم يكن صاحبها بائعها وإذا لم يبعها لم تكن مشتراة فلا يكون صاحب هذه النفس الجامعا للمال مانعا له راغبا في الدنيا محبا لها وليس هذا صفة المؤمن

وصف آخر من البيان والتفضيل

لما حقق الله الزهد بفناء النفس وإخراج المال بذكر المبيع والمشتري في قوله تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكان الزهد هو ترك طاعة الهوى وبيع النفس بنهيها عنه من المولى وكان العوض من ذلك الجنة كان الزاهد هو الذي باع نفسه منه طوعا قبل أن تخرج نفسه إليه كرها وكان الله هو المحبوب له القريب منه فصار البعد حجابا له عن القرب من عنده وإذا كانت الدنيا هي طاعة الهوى وحب الحيوة الدنيا لمتعة النفس الشهوانية كان

الراغب في ذلك أمنا لمكر الله عز وجل مشتريا بالحيوة الدنيا بايعا بذلك الحيوة العليا فلم يكن مجاله وكان من المبعدين عنه بسوء اختياره وحق عليه الخسران والجحيم في الآخرة لأنه ضد الزاهد المقرب الظافر بدار القرب في جوار الحبيب القريب

بيان آخر من حقيقة الزهد

الزهد يكون بمعنيين إن كان الشيء موجودا فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه والزهد فيه مع تبقيته للنفس لأن ذلك دليل الرغبة فيه ألم تر إلى إخوة يوسف هموا بالزهد فيه بقولهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ولم يسمهم الله زاهدين وتكلموا بالزهد فيه بقولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ولم يسموا زاهدين وأرادوا الزهد فيه لقولهم أرسله معنا غدا نرتع ونلعب ولم يتحققوا بالزهد فيه وعزموا على الزهد فيه وأجمعوا عليه ولم يسمهم الله زاهدين مع قوله تعالى مخبرا فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب لأن هذا كله من الزهد ومقدماته قد يلتبس ويشكل على من لا يعرف حقيقة الزهد فيظنه زهدا وليس هو زهد لأنه في أيديهم فلما أخرج من أيديهم واعتاضوا منه سواه حق زهدهم فيه فقال تعالى مخبرا عن حقيقتهم وشروه بثمن بخس أي باعوه وكانوا فيه من الزاهدين وكذلك الثوب تهم ببيعه وتريد بيعه ويغلب على قلبك بيعه فلا تكون زاهدا فيه ولكن تكون موصوفا بالإرادة لزهد حتى تبيعه وتعتاض منه فحينئذ حق زهدك فيه وعلى دليل الخطاب قوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين أن من أخرج الشيء من يده طوعا ونفسه تتبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشيء وادعت نفسه الزهد فيه بالإرادة والهمة فلا مقام له في الزهد لأن الإمساك علامة هو الرغبة والرغبة ضد الزهد فكيف يوصف بالشيء وضده في حال قائمة فالممسك للشيء المتوهم الزهد فيه بإظهار ذلك من نفسه بأحد وصفين إما أن لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفي شهوة النفس والمخرج الشيء عن يده المخرج قلبه عنه هو المتحقق بالزهد فيه وهو الذي وصف الله تعالى به إخوة يوسف والممسك للشيء المغتبط به الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المحتج بالرغبة فيه وهذا وصف عزيز مصر في يوسف لما اشتراه فحققه الله بالرغبة فيه لاقتنائه له فقال مخبرا عنه بعد شرائه أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك وصف امرأة فرعون في رغبتها في موسى عليه السلام بقولها قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا فكذلك كل من أمل شيئا وادخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه أبدا

بيان آخر من مستنبط من الكتاب

اعلم أن زهد إخوة يوسف عليهم السلام في أخيهم قد كان يقارب زهدهم في يوسف لأنه كان نظيره عند أبيه وقد كانوا هموا بالزهد فيه أيضا ليخلو لهم وجه أبيهم منهما ألم تسمع إلى قولهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا وكذلك جاء في الخبر أنهم أرادوا أن يلقوا معه أخاه في الجب حتى ألقى نفسه على يهوذا وشفع فيه ومنعه منهم وكان شديدا منهم مهيبا فيهم وقد قيل إنه استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه سلوة للشيخ الكبير لا تفجعوه بهما ولا تفقدوه إياهما معا فوهبوه له ثم إن الله تعالى لم يقل مع إرادتهم لذلك وهمهم به وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل أنهم لم يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في أخيه لأنه كان في أيديهم لم يخرجوه فكذلك أنت إذا كان الشيء موجودا عندك وأنت ممسكه لنفسك ثم توهمت أنك زاهد فيه بخواطر الإرادة أو لإرادة الزهد فقد كذبت على نفسك بتسميتك إياها زاهدا أو كذب وجدك على العلم جهلا منك بربك أو موهت على غيرك ممن لا يعرف الزهد رغبة منك أيضا في الدنيا حتى تخرج الشيء الذي تظن أنك زهدت فيه وتعتاض منه محبة الله عز وجل وطلب مرضاته أو ما عنده من الثواب فحينئذ يكون زهدك فيه على العلم وعند العلماء فتكون صادقا وهناك وصفك الزهد بالزهد وسماك الزاهدون زاهدا فأما إذا لم يكن الشيء موجودا فإن زهدك فيما لا تملك لا يصح وكذلك لم يصح زهدك فيه ولعله لو كان موجودا لتغير قلبك به وتقلب فيه إذ ليس الخبر كالمعاينة لأن الخبر قد يشتبه ويوهم والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم ولكن قد يكون لك مقام في الزهد في العدم بقيامك بشرطه وهو أن لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقده أو تكون مغتبطا بعدمك مسرورا بفقرك يعلم الله من غيبك ويطلع على سرك أنك لا تفرح بوجوده لو وجدته وإن قلبك قانع بالله راض عن الله التي هي العدم من الدنيا فإذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا وكان لك بأحد هذه المعاني ثواب الزاهدين وإن لم تكن للدنيا واجدا وهذا زهد الفقراء الصادقين وهو الاستخفاف للفقر والتذكر لمعناه وقد قال بعضهم حقيقة الفقر أن يكون مغتبطا بفقره وخائفا

أن سلب الفقر كما يكون الغنى مغتبطا بغناه يخاف الفقر وكما كان ملك بن دينار اذا قيل له زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فزهد فيها فأما أنا ففي أي شيء زهدت

باب ما جاء في الزهد أي شيء هو

الزهد ايضا تقليل الدنيا وتقصيرها واحتقارها بالقلب واستصغارها من ذلك الخبر الذي جاء ساعة يوم الجمعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي في آخر ساعة قال وجعل يزهدها أي يقللها أي يقرب وقتها ويدنيه من الغروب والمعنى الآخر في الخبر الثاني من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لما نزلت آية الأمر بالصدقة لمناجاة الرسول فقال له كم ترى أن نجعل عليكم من الصدقة مقدمة للمناجاة فقال شعيرة من ذهب قال انك لزهيد أي مقلل مصغر للدنيا لكم نجعل عليهم دينارا وزهيد كأنه معدول من زاهد للمبالغة في الوصف بالزهد كما عدل عالم وقدير ورحيم من عالم وقادر وراحم للمبالغة في العلم والقدرة والرحمة وتعالى الله أن تضرب له الأمثال فقوت الزهد الذي لا بد منه وبه تظهر أوصاف الزاهد وبنفصل به عن الراغب هو أن لا يفرح بموجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ من كل شيء لحاجة ولا يتناول لعلة إلا سد الفاقة بأقل ما يقع به القيمة وأول ما تحصل به الكفاية وأول الزهد دخول في الآخرة بالقلب ثم وجود حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى وكل من ترك المعصية كما ترك الطاعة رجع اليها وكل من ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها وخالص الزهد اخراج الزهد من الدنيا من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الموجود على الاستصغار له والاحتقار والتقلل وهو أن الدنيا عنده وصغرها في عينه فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا في زهده لرغبته في مزهده وبهذا يكمل الزهد وهو لبه وحقيقته وهذا في الأحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا الزهد لأجل النفس ولا الرغبة للزهد في الزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين وزهد هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس على الزهد فيه وهذا زهد المؤمنين وهو العمل بالزهد إذ كان الزهد عمل الايمان فالايمان قول وعمل وكذلك الزهد عقد وعمل فعقده خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة في القلب والعمل بالزهد اخراجه عن اليد في سبيل الله معتاضا منه ما عند الله من وجهه أو قرب جوانه في داره فإن لم تكن الدنيا موجودة فإن ترك الأسف عليها وقلة الحرص فيها وتخزن القلب مع العدم وفضاءه بيسير القسم يحسب للعبد زهدا الآن ذلك حال الفقير فاذا أقام بحكمه لم يجب عليه أكثر من القيام به والورع من الزهد كما الزهد من الايمان والحياء والايمان في قرن واحد كما جاء في الخبر اذا نزع أحدهما تبعه الآخر وزوي في ذلك حديثا من أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والا ارتحلا وقال ابراهيم بن أدهم قد حجبت القلوب بثلثة أعطيه فان كشف للعبد اليقين حتى ترتفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فأنت معجب والمعجب محبط العمل وقال الله عز وجل ومن أصدق من الله قيلا لكيلا تأسوا على ما فاتكم يعني من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم يعني منها وهذان الوصفان أتم ما في الزهد من أعطى احداهما تبعه الآخر لأن الذي يأسف على ما فاته من الدنيا هو الذي لم يفرح بما أتاه منها فالذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاته وهذا وصف عبد غير متملك لملك وسيد يجد فلم يحكم زينت ونعت عبد مؤمن محب وقد شغله مشاهدة الآخرة عن الفرح بما تمتع الدنيا وقد رغبه معاينة العاقبة عن الاشتغال بما يفنى وفي اجل الوجوه في قوله تعالى وانه هو أغنى وأقنى قيل أغنى أهل الآخرة بالله وأغناهم عن الدنيا بالآخرة وأقنى أهل الدنيا من الدنيا أي جعل لهم قنية ومتجرا وعدة كما وصف من ذمه في قوله عز وجل جمع مالا وعدده أي قال هذا عدة لكذا وهذا عدة لكذا فتمدد ذا المال فقد حصل من ذلك ان الزهد في المال عدته الله عز وجل هو كنز وذخر فطوبى له وحسن مآب زوى عن النبي صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا ولقي بالموت واعظا وهذا جملة وصف الزاهد الموقن الذي هو المرتبة التي يقصد قد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا علامة لحقيقة الايمان وقرنه بمشاهدة الايمان في قوله لحارثة عرفت فالزم عبد نور الله قلبه لما قال انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فاتقد بالزهد فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وهبها وكانت بالمنة عند الله

بعرش ربي يا زرا وهذا يدل ان حقيقة الزهد استواء الاشياء فيكون وجودها كعدمها واستواء
المدح والذم كما ان الزهد حقيقه الايمان ويدل ان المشاهده ميراث الزهد اذ وصفها بالبعد
واشد من هذا الخبر الاخر الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد من علامة شرح الصدر
بالنور وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لانه هو التحقق بالاسلام ففسر قوله
عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح قال ان
النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فهذا هو الزهد جعله
شرطا لحقيقة الاسلام واشد من هذين الخبر الثالث الذي فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في
الدنيا فقال استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن
ومن يعمل ما لا تأكلون ومعنى هذا تمام ايمان الوفد الذين سألهم فقال أتدرون فقالوا مؤمنون قال وما علامة
ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمواقع القضاء وترك الشماتة بالاعداء
اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا
تنافسوا فيما عنه ترحلون فهذا هو الزهد جعله تكملة ايمانهم وعلو مقامهم وأعلمهم من الله ما
الخبر الرابع الذي جعل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد من شرط الاخلاص للتوحيد
حديث رويناه عن ابن المنكدر عن جابر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من قال لا
الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول
الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا وطلبها واتباعها وقوم يقولون قول
الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا إله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة فلذلك قال
علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاما في الصبر ونجعل الصبر عمده الايمان في حديثين رويناهما
أولهما في الحديث الطويل الذي رواه عنه عكرمة وعتبة بن حميد واللجارث الاعور وقبيصة بن
الاسدي في مباني الايمان انه على أربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق
الى الجنة سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار زجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت
المصايب ومن ترقب الموت سارع الى الخيرات والخبر الاخر في الصبر الذي جعله عمود الايمان

الصبر

يهدم الايمان بعدمه قوله والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا
ايمان لمن لا صبر له وروينا في خبر مقطوع الشحام من اليقين ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة
يدخل الجنة من شك فمن هذا الحديث مفسرا للخبر المجمل النجي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من
النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار فسره بهذا الخبر بأي معنى يكون النجي قريبا
من الله قريبا من الجنة وبأي معنى يكون البخيل بعيدا من الله قريبا من النار لا لأن البخل من الشك فالسخا
وصف الزاهد لا يكون الزاهد الا سخيا والبخل وصف الراغب ولا يكون الراغب الا بخيلا ولا يكون
البخيل زاهدا لان الزهد يدعوا الى اخراج الشيء والبخل يدعوا الى امساكه ففقس السخاء زهد وعين
البخل رغبة ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الاسم فمن جاد بماله لأجل الناس كان زاهدا في الدنيا لوجه
الله ووقع اجره على الله ومن جاد بماله لأجل الناس كان زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء لكراك
لنفسه ولأجل هواه ولا اجر له عند الله اذ لم يكن من عمال الله عز وجل فبطل اجره لانه عمل لنفسه كما
قال ابن المبارك الفتوة كالقراءة ما وجدت بينهما فرقا الا في شيء واحد ما حذرت القراء شيئا الا تحذره
الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد
كان استاذه سفين الثوري قبله يقول من لم يحسن تفتى لم يحسن تقرأ اي من لم يعرف أحكام
التفتي فيقوم به حتى يستحق وصف فتى لم يكن يحسن أوصاف التقرئ حتى يوصف بانه قارئ ثم
ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على
الحق بأن يخرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس وجعل بالزهد عليها فيكون له مقام في
الزهد ينال به البر ويستوجب مدحا من البر والمتزهد غير الزاهد وهو الذي تصنع للزهد وتعمل
أسبابه من التقلل وزثاثة الحال في كل شيء فمثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه
الصبر ويصابر بها على العلم فيكون له مقام من الصبر وصفوه الزهد انتظار الموت وقصر الامل الا ان
فيهما ترك الادخار وتحسين الاعمال وقال ابن عيينة حد الزهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند
البلاء قال بشر بن الحرث الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وكذلك
قال بعض الحكماء اذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه واذا هربت من الناس فاطلبه وقيل لبعض
من يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال قاسم العوني

الزهد في الدنيا هو الزهد في الحرف لأنه دنياك بقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وقال
الفضيل بن عياض الزهد هو القناعة فكأن الدنيا عنده هو الحرص وكان أبو سليمان الداراني يقول
الدنيا كلها شغل عن الله فإن الزهد هو سلامة التفرغ لله وقال من تزوج أو طلب الحديث أو طلب
معاشا فقد ركن إلى الدنيا وكان يقول إنما الزاهد من تخلى من الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فأما
من تركها وتبطل فإنما طلب الراحة لنفسه وكان داود الطائي يقول كلما شغل عز الله من
أو مال فهو عليك مشؤم وقال أبو سليمان قوله تعالى ألا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي
ليس فيه غير الله وقال إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة وقال الثوري
الزهد قصر الأمل وقال أويس إذا خرج يطلب فقد ذهب الزهد وكان أبو محمد يقول أول
الزهد التوكل وأوسطه إظهار القدرة وقال لا يزهد العبد زهدا حقيقيا لا رجعة بعده
الا بعد مشاهدة قدرة وأول القدرة عندي أن يشهد ما سمع من كلام القادر المزهد إذ يقول
تعالى وما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فالحلية الذهب والفضة وهما قيم الأشياء
اللذان ملكا النفوس ونكتا الرؤس والمتاع ما سواهما من معادن الأرض فإذا شهد العبد الذهب الذي هو
سبب الدنيا وأجله أشرك من أشرك وبجلاله أزيتك من أزيتك ولو قوع حلاوته في القلوب وقع من
وقع فإذا شهد جوهر الذهب والفضة زبدا زائلا على وجه الما لا نفع فيه ولا غنية به ولا فيه له زهد
فيه حينئذ زهدا صادقا فكان زهده معاينة لا خبرا وكان من الموقنين حقا الذين وصفهم
الحق بالحق في قوله عز وجل إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا فالزيادة
الإيمان ثم قال تعالى وعلى ربهم يتوكلون فالزهد يدخل في التوكل ثم قال تعالى فاتخذه وكيلا وأمر
على ما يقولون فالتوكل يوقف على الصبر فكأن هذا قد سمع كلام الله فعقله فأبلغه مأمنه إلى
المقام الأمين في جنات وعيون واستحق وصف الله بالإيمان ذا الذي القرآن بحقيقة الإيمان قال
تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وذلك أن هذا الزبد تشبيه من الله
وجل لما ضربه للحق والباطل فالمثل هو الما والزبد مثل الحق ونفعه وبقاؤه بالما ومثل الباطل
وذهابه وقلة نفعه بالزبد ثم شبه الذهب للذهاب عن الحقيقة بالزبد تشبيه مماثلة لا تشبيه مجاز
لتقارب زبد مثله والمماثلة مستقصاة ثم قال تعالى كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم

الحسنى أي الجنة والبقا وقال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء هم المزبدون للحياة
الدنيا وزينتها الراضون المطمئنون بها ليس لهم في الآخرة إلا النار فسبحان من نضر وجوه الأبصار
وسبحان مقلب الليل والنهار وسبحان من كل شيء عنده بمقدار يبصر ما لا تبصر كما يقدر على ما
ما لا تقدر خص المشاهدين بمعنى من مشاهدته كما خصهم بالإحاطة بشيء من علمه فأحاط علمهم
بما شاء كما أحاط لهم ما شاء فكان الذهب والفضة عندهم زبدا طافيا تقرقه الرياح فيكون فوق الماء
متجافيا وهما من معادن الجبال فكانت الجبال عندهم أمواجا ثابتة ياتيان ساكنة بتسكين تحتها
جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء وصارت الأرض بحرا عجاجا تضطرب بالأمواج
فيظهر بينهما من المدن والقفار والاستواء والاعوجاج من كل شيء موزون بمقدار كالحيتان في الماء
والغثاء على السيل ذلك بظهور حكمته وخفي قدرته ولطيف صنعه ودقيق صنعته ذلك لشهود
نعمته والقيام بشكره جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه إن ربي لطيف
لما يشاء فاجتمع الفرق وارتتق الفتق وغاب كل متفرق ونطق وكان عرشه على الماء ليبلوكم فهذه
مشاهدة أهل الآخرة وهي أعلى من زهدهم في الدنيا وافترق الجمع وانفتق الرتق وظهر من الماء كل شيء
ظاهر واستتر الغطاء وجد التفصيل وحكم الحسبان بالتحصيل كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي أفلا يؤمنون هذه مشاهدة أنباء الدنيا هي أعظم عليهم إذا يتقطوا من رغبتهم وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فهذه مشاهدة اليوم عند الموت
فيعظم عليهم بالحسرة الفوت وقد فرغ للخصوص من نصيبهم مشاهدته فهم ناظرون إلى المستقبل المزيد
مشغولون به عن العبيد قايمون بشاهد الحق لهم مشهورون بشهادة أيامهم ظاهرا وباطنا ولطيفا
ومستترا ومعروفا ومنكرا والله غالب على أمره الآية فما غلب عليهم لم يظهر وما غلبه عليهم
أيام قهر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر ٥٠

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زايل

وقال الحق والحق يقول سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير
وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقد كان ابن عباس يقول لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم قيل وكيف

الذي روى أن النبي عليه السلام أنشد هذا البيت أنا وروى أنه أنشده على غير نظمه ووزنه إذا الشعر لا ينبغي له فقال الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم زايل لا محالة

قال كنتم تكثرونها وإنكاركم لما كفرتم بها وفي لفظ آخر لو فسرت الآية التي في سورة التكاثر لرجمتموني بالحجارة معناه لكفرتموني لأنهم لا يقتلون إلا كافرا عندهم وكان يقول وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه قال في كل شيء اسم من أسمائه فاسم كل شيء من اسمه فالله أسماء الله وصفاته وأفعاله باطنا وظاهرا بحكمته فغابت السموات السبع والسبع في السبع العلى والسبع السفلى الماطوي نفس الهوى وغاب العلى والسفلى في ملكوت العرش والثرى لما طوى الملك النفس وغاب العرش والثرى في جبروت الأعلى لما محي طي الطي وحضر الأزلي الأول إذ غاب الحدثان الثاني الظاهر الباطن الآخر حين بطن الظاهر الثاني وصار العبد شهيدا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم شيء ما خلا الله باطل وأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فهذه شهادة أهل الله تعالى غابت فيها الشهادة الأولى كما غيبت تلك الأولى شهادة أهل الدنيا وكشف هذا المقام وإظهار هذه الشهادة لا يحل إلا لشهيد ذي مقام في الصديقين عند الله كما قال الحكيم لقد دقت معانيه فغابت عن الأبصار إلا للشهيد وهم أولوا المطلع في القرآن الذين سلموا من هو المطلع في العيان وإفشاء سر الربوبية معصية وإعلان سر السر كفر ولكن يحتاج هذا الزاهد أن يشهد المزهود منزله الزهد إن لم يبلغ نظره شهادة المزهد الأحد ليكون من أهل السمع والشهادة فينسى بذكره قلة معارفه والعادة ويكون عند الله شهيدا له أجره ونوره كما قال الشاهد والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم فكيف يكون شهيدا من لم يشهد وضد شهادته بل كيف يشهد الأزلية بغير نورها أم كيف تقوم فيه شهادته من لم يشهد بل كيف قيوميته بغير نور وجدانيته فإن لم يقرب من هذا المكان فكان كما قال الله أو ألقى السمع شهيد فسمع من كان هو الى جنب القرب بعيد ويكون من أهل العيان والفكر كقول الله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي تتفكرون في فناء الدنيا وزوالها وفي بقاء الآخرة ودوامها فيؤثرون الباقي الدائم ويرغبون فيه على الزائل الفاني فيه لأن ما يكون آخره فناء فكأنه لم يكن وما يكون آخره بقاء فكأنه لم يزل فأشبه أوله آخره في البقاء ولذلك قال العليم الحكيم والآخرة خير وأبقى فوصفها لبقائها في المآل بوصفين من صفاته كما قال تعالى والآخرة خير وأبقى لأنه قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فنسب الدنيا إلينا ليدلنا بها أنها أهل الفناء وليزهدنا فيها وأضاف الآخرة إليه ليرغبنا فيه لأنه أهل البقاء وليرغبنا فيها فإذا شهد العبد بعين قلبه ويقين إيمانه ما صدق به ما عقله بنى هو قيم سمعه وإدراك خبر ما بقي من آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل كان من المتفكرين في هذه الآية المشاهدين لها وممن تلاها حق تلاوتها فأمن حقيقة الإيمان وزهد في الدنيا حقيقة الزهد ورغب في الآخرة حقيقة الرغبة وكان من أولي الأيدي والأبصار أي ذوي القوى في الدين والبصائر في اليقين فلما أبصر بقواه عبر الدنيا الى الله فكان زاده التقوى كما قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي تذكرون الفرد ففروا إلى الله أي من الأشكال والأضداد كما قال تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار فعبر لما أبصر عندها كان ممن أخذ الكتاب بقوة قيل يعمل به وقيل بيقين فيه وقيل بجد واجتهاد فكان من المحسنين الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة وتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض الآية فقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وويل لمن تلاها ومسح بها سبلته وذلك أن السموات والأرض عبر بهما عما وراءهما من درجات الجنان ودركات النيران وهو الملكوت أي الملك الباطن والملك الكبير فكشف هذا ما علا وسفل وأحاط بهما من العرش والثرى لمن تفكر فيهما ثم كشف ذلك له ما وراءه من العزة فجاوزت الأفكار الملكوت لما شرحت القلوب بأنوار اليقين الى الجبروت والأفق الأعلى فنفذت أبصار المتفكرين بقواها الى مشاهدة ذلك وثقبت أنوار يقينهم معاينة ما أحاط بذلك وهو ما ذكرناه آنفا مما لم يظهر كشفه كنهو ما نبه الله عز وجل العباد بما يشهدون الى ما وراءه مما به أيقنوا وللمؤمنين مشاهدة للدنيا قريبة دون هذه من طريق العقول يشهدون أنها عفو به كما قيل ما فيحت الدنيا لعبد إلا مكرا به ولا نويت عنه الا نظرا اليه وسمعنا في أخبار آدم عليه السلم انه لما أكل من الشجرة نجر كتف معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجهولا في شيء من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها فقال فجعل يدور في الجنة فأمر الله سبحانه ملكا يخاطبه فقال قل له أي شيء تريد فقال له آدم أريد أن أضع ما في بطني من أذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه على العرش أم على السرر أم على الأنهار أو تحت ظلال الأشجار وهل ترى ها هنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا قال فتلطف الله له بهذا المعنى

فأهبطه إلى الأرض وقد نغص الله فاكهة الدنيا وغيرها بحشو البعر والتفل ليزهد فيها وأخبرأنها
مقطوعة ممنوعة لير غب في الدائم الموهوب وكان بعض العلماء يقول ما سطع لي من زينة من زخرف
الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي جزوف عنها فمذ وعناية من الله لمن وليه من أوليائه المقربين
منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها فاول
كوشف بعاقبتها لم يشته هوة زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل
فاة حش ظاهرها جص وباطنها نتن وقال ملك بن دينار اتقوا الشحاذ فانها تسجر قلوب العلماء
الدنيا فمن حرص على الدنيا بالباطن فقد قل نفسه فان قوى حرصه عليها واشتد عشقه لها قتلها
قال الله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم وقال تعالى في قوله
بصده اياه عن سبيل الله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله فهكذا مثل ابن آدم المغتر الجاهل بعاقبتها المنهمك فيها مثل دود القز لا يزال ينسج
نفسه حتى يقتلها فيروم الخروج من نسجه فلا يجد له مخلصا فيموت في نسجه وزوينا استعجل اصحاب القز قبل
ان يفرغ من نسجه فيقتلونه خيفة ان يقع في عيب ليلا يخرج منه فينقطع عليهم ما كان نسجه من
القز فيحما نسجه من القز ليتخرج الطاقة صحيحة وهلك هو فيه هكذا مثل من جمع ما لا لم يدر
اما لوزته أو لغيرهم تمتع فيه من أخذه وهلك جامعه به يوم القيمة وزوينا في اخبار عيسى
عليه السلام انه مر في سياحته ومعه طايفة من الحواريين فاذا بذهب مصبوب في الارض فوقفوا
ثم قال هذا القاتول فاحذروه ثم عبر واصحابه فتخلف ثلثة لأجل الذهب فاقام اثنان وبعثا
الى واحد شيئا منه يشترى لهم من الطيبات من اقرب الامصار اليهم فوسوس اليهما العدو وقال
لهما رضيان ان يكون المال بينكما ثلثا اقتلوا هذا فيكون المال بينكما نصفين فاجمعا على قتله
اذا رجع اليهما فال وجا الشيطان الى الثالث فوسوس اليه ارضيت لنفسك ان تأخذ ثلث المال
اقتلهما ليكون المال كله لك فال فاشترى شيئا فجعله في الطعام فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه
فجعلا يكلان الطعام فلما فرغا ماتا جميعا فرجع عيسى عليه السلم من سياحته فنظر اليهم
حول الذهب والذهب بحاله فعجب اصحابه وقالوا ما شان هولاء فاخبرهم بهذه القصة وقيل ان
المبارك من الناس قال العلما قيل فمن الملوك قال الزهاد وزوينا عن ابن المسيب عن ابي ذر قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره
داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلم وزوينا في الخبر الدنيا دار من لا دار له
ولها يجمع من لا عقل له وكان الحسن البصري يقول زنات سبعين بدريا كانوا والله فيما احل الله لهم
أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ أخر كانوا بالبلاء والشدة تصيبهم أشد فرحا منكم
بالخصب والرخا لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا اخياركم قالوا ما هولاء من خلاق ولو رأوا اشراركم
قالوا ما يؤمنون هولاء بيوم الحساب قال وكان أحدهم يعرض له المال من حلال فلا يأخذه يقول
اخاف ان يفسد على قلبي فمن كان له قلب حفيظ من فساده وخاف من فتنته وابعاده وعمل في
صلاحه وازشاده ومن لم يكن له قلب فهو يتقلب في ظلمات العمى فربما انقلب على وجهه خسر
الدنيا والاخرة أو يكون من أهل الرضى بالدنيا واهل الغفلة عن آيات الله فيكون قد رضي بلا
شئ واثره على ما ليس كمثله شئ كوصف من اخبر الله تعالى عنه في قوله سبحانه رضوا بالحيوة الدنيا
واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون فيستحق الاعراض من الحبيب ويستوجب المقت من
القريب كمثل من أمر بالاعراض عنهم وترك القبول منهم اذ يقول عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا أي مجاوزا لما نهى عنه مقصرا عما امر به وقيل مقدما الى الهلاك يعني
الله رسوله أن يوسع نظره الى أهل الدنيا متعالم واخبر أن ما اظهره من زهرة الدنيا فتنة
لهم واعلمهم ان القناعة والزهد خير وأبقى بتنظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى قال القناعة
والزهد ويقال قوت يوم بيوم وقال تعالى انما مثله بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين يعني
القناعة وقيل الحلال وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من
النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وانفسه عندهم لأنها مجمع الغنم واللبن
واللبن والولد والوبر وهي الرواحل التي مثل النبي صلى الله عليه وسلم بها مثل خيار الناس فقال الناس
كم من مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والابل والراحلة التي تجمع هذه الاوصاف للخمسة من الابل قليل فيهم
العشار التي ذكرها الله واذا العشار عطلت أي تركوها أهلها وهزوا للرحل قيام الساعة

كتبه

ملح

شغلا بنفوسهم عنها قال فأعرض عنها صلى الله عليه وغمض عينيه فقيل له يا رسول الله هذه أنفس
أموالنا لا ننظر اليها فقال قد نهاني الله عز وجل عن ذلك ثم تلى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به
أزواجا منهم الآية وفي حديث عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والدرهم قال فقلنا فما نتخذ قال فقلنا نهانا الله عز وجل عن كنز الذهب
والفضة فأي شيء ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا
شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته وروينا عن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وقد قال له رجل احملني معك في سياحتك فقال اخرج
من ملكك والحقني قال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغني الجنة أو قال بعجلة
له لو أمرتنا نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا وابنوا بيتا على الماء قالوا كيف يستقيم بنيان على
الماء قال فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا وقال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى لا يحب الله
لعبادة الله ولا يبالي من أكل الدنيا وكان بشر بن الحرث يقول عبادة الغني تشبه رقصة
على مزبلة والفقير العابد مثل عقد جوهر في جيد الحسناء وقال لا يحسن التقوى الا زاهد
وروينا في قصة لقمان لابنه وهو يحذره من أجل العدو وإذا أجل من قبل الفقر فأخبره أن الغني
أطاع الله والفقير من أنهمك معصيته واذا شهى اليك الغنى فاخبره انه لا يحسن جمع الغنى
وكان الثوري يقول لا يحسن قراءة الا زاهد وقال بعض السلف أبا أهل العلم بالله أن يسألوه
الحكمة والوعظ الا من الزاهدين في الدنيا وقالوا ليس أهل الدنيا لذلك بأهل ولا ليبين
وروينا عن عيسى عليه السلام فيما أوحى اليه يا ابن مريم اترك الدنيا لذلك بأهل ولا ليبين
زعبنه الى ما عند الله اكتف بالبلغة من الدنيا ليكفيك منها الخشن الخشن يحق قوله
انما أنت يومك وساعتك مكتوب عليك ما أخذت من الدنيا وفيما أنفقته فاعمل على ما حبيت
فانك مسئول عنه لو رأيت ما وعدت الصالحين لزهقت نفسك وكان عيسى عليه السلام يقول
حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب يعني اعجابه وكبره وملء البيت
النفيس يعني قوتها واجتماعها حق أقول لكم كما لا يلذ المريض بطيب الطعام كذلك
العبادة من أحب الدنيا ومن الزهد في الدنيا ترك الملبس المنيع والمنظور اليه المرتفع

الشهوات من لطائف الطعام والتفنن في الشهوات التي يرغب فيها المتنعمون وترك الزينة والفاخر من
الآلة والأثاث الذي يتنافس فيه المترفون وأن يكون الشيء الواجد يستعمل في أشياء كثيرة كذلك
كان سيرة السلف في الآثار وهو من التقلل كما ان الدنيا يستعملون للشيء الواحد أشياء
كثيرة وهو وصف من التكاثر وذلك من أبواب الدنيا وقال بعض السلف أول النسك الزي وقال
بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه وقال ابن مسعود لا يشبه الزي حتى يشبه القلب القلب
وفي الخبر المشهور البذاذة من الايمان قيل هو التقارب في اللباس وفي الخبر المفسر من
ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله خيره الله من حلل الجنة أن يختار أيتها شاء وفي لفظ
آخر من ترك زينة ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجه الله كان حقا على الله أن يدخره
له من عبقري الجنة في خاتم الياقوت ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قباء استقوه شربة
لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله
وأتى عمر رضي الله عنه بشربة ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال أعزلوا عني حتاها وأوحى الله عز وجل
إلى نبي من أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما
هم أعدائي ولما خطب بعض ولاة الشام على منبر الكوفة قال بعض الصحابة انظروا إلى أميركم يلبس
الناعم وعليه ثياب الفساق فقلت وما كان عليه قال ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة
الى أبي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر رجله على فيه وجعل يضربه فغضب
ابن عامر فأتى ابن عمر فقال ألم تر الى ما لقيت من أخيك ابن ذر قال وما ذاك قال جعلت أتكلم في
الزهد فأخذ بفمي فقال ابن عمر أنت صنعت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في
الزهد وقال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس لكيلا
يتبين الغني الا يزري بالفقير فقره ولقد عوتب رضوان الله عليه في لباسه وكان يلبس الخشن من
القطن فيه قبيصة ثلثة دراهم خمسة دراهم وربما قطع ما فضل عن أطراف اصابعه ويقول هذا أدب
الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلمون وأتت برود من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها
في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا بردا ثم صعد المنبر يوم الجمعة فخطب الناس في حلة
منها والحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد وكان ذلك من أحسن زيهم فقال ألا تسمعون

ألا تسمعون ثم وعظ الناس فقام سلمان فقال والله لا نسمع والله لا نسمع قال وما ذاك قال لأنك أعطيت
ثوبا ثوبا وزحت أنت في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم ثم قال عجلت أبا عبد الله رحمك الله
إني كنت غسلت ثوبي لك الخلق واستعرت برد عبد الله بن عمر فلبسته معي برد هذا فقال سلمان قبل
الآن حتى نسمع ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وان
فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشعث جافيا فقيل له انت الأمير وأنت هكذا فقال نهينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا أن نخفي أحيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان لزورك
أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص وانكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع وكان عمر
يظولفوا أي تزودوا على أخلاق العرب رضي الله عنه يقول اخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا وإياكم وزي العجم كسروي وقيصر
وتشفف اهل البادية وتمعددوا علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
فيه معنيان احدهما انه امر بالغلظ
والجفاء ومنه قيل للغلام اذا شب وقوي
انه قد تمعدد قال الراجز
ربيته حتى اذا تمعددا
وصار نهدا كالهزر صلندا اجردا
وقيل تمعددوا بمعيشة معد وهي
العيش العارية
وهو نوابذ بها أي الفوز والارباح
والاخيار

من هذا كله ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
ويتشدقون بالكلام ولما قدم عمير بن سعد اميرا حمص على عهد عمر قال له ما معك من الدنيا يا عمير قال
عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي أحلب فيها
وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة يعني السطيحة قال فما كان
بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال له عمر رضي الله عنه صدقت رحمك الله وروينا في
عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوما يصلون
جمعا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا من خوف عذابه موؤنتهم على الناس خفيفة وعلى الله ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقيدتهم عند العرش رواه
أبو الدرداء لما وصف الأبدال قال قلت له كيف لي أن أكون بهذا الوصف وأبى أن أكون
مثلهم فقال يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون في أول ذلك وأوسطه إلا أن تزهد في الدنيا فتصل
الآخرة بقلبك فتعمل لها وروينا في الخبر ان الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال
الثوري وفضيل جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت
وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وهذا موجود في ظاهر الخبر المنقول عن عيسى عليه السلام وروينا
عن نبينا أيضا صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ففي تدبره ان بعضها رأس كل طاعة وكذلك

كان بعض السلف يقول كفى بدنيا لا يستغفر منه حب الدنيا وأشد من ذلك ما رواه سفين عن يحيى
بن سليم الطايفي رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا عبد الله عبادة أهل السموات والأرض
ولقيه محبا للدنيا لأقامه الله تعالى في الموقف مقاما شهره بين الخلايق ألا إن فلانا بن فلان قد
أحب ما أبغض الله وقدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح فيه لبن وعسل فوضعه على
الارض وأبا أن يشرب وقال اني لا أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى وقال يحيى بن جابر
الطائي قال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على ما يؤثر
أبدا ولا املأ جوفي من طعام أبدا قال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلينظر الى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا أعرض الله عنه حتى
ينزعه وان كان عنده حبيبا وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند
العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وأنا أصلي فأدعه يجوز وبمر بعض
هؤلاء من أهل الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته فلا أدعه يجوز وقال بعضهم ما رأيت الغنى في مجلس
قط أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري وقال أخرجنا اذا
بالنا سفين الثوري تمنينا أنا فقراء لما نرى من اقباله عليهم واعظامه لهم وقال بعضهم قومت
ثوب سفين الثوري ونعليه درهما وأربعة دوانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها
ما خدمنا وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر
اليك قال وعددنا في قميص عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة عشر رقعة من أدم وكان بعض
العلماء يقول كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله وقال أبو سليمان الداراني الثياب ثلاثة ثوب
لله وثوب للنفس وثوب للناس فالذي لله ما استرعيته وأديت فيه الفريضة والذي للنفس ما
طلبت لبشه وبقاءه والذي للناس ما طلبت جوهره وحسنه ثم قال وعسى يكون الثوب الواحد لله
وللنفس وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته أربعين درهما
ويعده سرفا وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان
المتقدمون من الصحابة أثمان أزرهم اثنى عشر درهما وكانوا يلبسون ثوبين ثوب قيمته نيف وعشرين
واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة الى دينار وكان طول

ازارة ازيعه اذرع ونصف واشترى سراويلا بثلثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صنع
وكانت تسمى حلة لانها ثوبان من جنس واحد وربما لبس برد يمانيين او نحوليين من هذه الغلاظ قال
الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات وقد لبس يوما واحدا ثوبا سيراء من حلة
قيمته مائتا درهم فكان اصحابه يلبسونه ويقولون يا رسول الله انزل عليك هذا من الجنة فجاء ذات يوم وقد
قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بقبول هديته ويلبسه ثم نزعه وارسل
الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وقد يكون لبسه ايضا
توكيدا للتحريم بعده كما لبس خاتما من ذهب يوما واحدا ثم حرمه على الرجال وكما قال ابن عباس
رضي الله عنهما في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فانما اشترطته صعد المنبر فحرمه فهذا يكون
للتحريم وكما ابيح المتعة ثلثا ثم حرمها لتوكيد امر النكاح وقد يحتج بمثل هذا علما الديانة
بها لنفوسهم ويدعون الناس منه اليهم ويظهرون الدعوة الى الله ناوكا متشابه الاحاديث كما
تاول اهل الزيغ متشابه القران على اهوائهم ابتغاء الفتنة وطلبا للدنيا لان حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم على معاني كلام الله فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فضلا بالدنيا
الدنيا واهل الاهواء على الحكم الثابت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى مثل ما ذكرنا
وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها اعلام فلما سلم قال شغلني النظر الى هذا
الى ابي جهم وايتوني بانبجانيته يعني كساءه فاخذ لبس الكساء على الثوب الناعم ورأى علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسل به الى فلان وجاء من سفر فقالت
فاطمة رضي الله عنها فراى علي بابها سترا وفي يدها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو ذر
تبكي فاخبرته بجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من اجل الستر والسوارين فقال
الستر وباعت السوارين بدرهمين ونصف وتصدقت به فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ودخل عليها وفرشت له عايشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان نام على عباءة
مثنية فما زال يتقلب ليلته حتى اصبح فقال اعيدي لي عباءتي لخليفة ونحي هذا الفراش
اسهرني الليلة وكذلك انه دنانير خمسة او ستة عشا فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من
الليل قالت عايشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بن

الثوب
السوار

لو لقي الله وهذه عنده وكانت شراك نعله قد انخرق فابدل شراكا جديدا فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا
الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس خاتما فنظر اليه نظرة وهو على
المنبر فرمى به ثم قال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظره اليكم واخذ صلى الله عليه نعلين جديدين
فاعجبه حسنهما فخر ساجدا فقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما
فدفعهما الى اول مسكين رآه وامر عليا فاخذ لهما نعلين سبتين قال فرأيته وقد لبسهما نعلين
جردا وبين يعني معطوفة وقال الله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احيى سنتي فليستن بسنتي وفي الخبر المشهور عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقد كان ابو محمد سهل يقول من علامة حب الله حب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا الا ما اخذ منها
الازاد او بلغة وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها ان زدت اللحوق بي فاياك ومجالسة
الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وقال صلى الله عليه ان اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة من كان
على مثل ما انا عليه من الدنيا وكان يقول اللهم اجعل رزق محمد واله قوتا يوم بيوم وقال لا
يعذب الله عبدا جعل رزقه في الدنيا قوتا وقنع به وفي لفظ اخر وصبر عليه وقال ما من احد
غني ولا فقير الا ود في القيمة ان رزقه كان في الدنيا قوتا وروينا عنه انه قال اللهم من احبني
واجاب دعوتي فاقلل ماله وولده ومن ابغضني ولم يجب دعوتي فاكثر ماله وولده واكثر غنيمته
وكانت هذه دعوة الصحابة على من مقتوه وروي في الخبر نقصان الدنيا زيادة الاخرة وزيادة
الدنيا نقصان الاخرة وفي الخبر ما اعطى احد من الدنيا شيئا الا نقص من درجته وان كان عند
الله كريما وقال ابراهيم الخواص في وصف المدعين وقوم ادعوا الزهد في الدنيا ولبسوا الفاخر من
الثياب يموهون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل ثيابهم وليلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء
اي فيحتقروا ويعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتساع العلم وانتم على السنة وان
الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق فمتى
وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق والجوا الى المضايق وكل هولاء اكلة الدنيا
بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم

شرح التسهيل والمراد ذلك الاشارة الى
في اصل المتن وهي الاخرة وهي ما ثبت
عليها

كان الهي عليه الله يقول في دعائه اللهم
عوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا
ي اعضاء من الاعضاء
ن الواقع والصلة انا الكلام
شكل بالكسرة وقيل انا الله
بحبس الدمع وعدم البكاء

فادعوها جاهلا لأنهم مايلون الى الدنيا متبعون للهوى والأخبار في فضايل الفقر وفضل الفقراء
وفي ذم الدنيا ونقص الأغنياء أكثر من أن تذكر ولم نقصد جمعها ولا الاستدلال بها وفي
الزهد ترك فضول البنيان وأن لا يبني عاليا ولا مشيدا ولا من الطين الا ما يحتاج اليه وقيل أول بدعة
حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموايد وأول شيء ظهر من طول الأمل التدرز
والتشييد يعني درز الثياب وانما كانت تشتل شتلا والبنيان بالجص والآجر وانما كانوا
يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الأثر يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود
اليمانية ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بالجص والآجر فكبر وقال ما كنا
نظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي يا هامان على
الطين يعني به الآجر فقال أول من بنى بالآجر والجص فرعون وأول من عمله هامان ثم سمعها الناس منه
هو الزخرف والتشييد لأن الجص هو التشييد وذكر بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال
أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من زهوص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن وقال
أصحاب السعف خيرا من أصحاب الزهوص وكان أصحاب الزهوص خيرا من أصحاب اللبن وقد كان
من يبني مرارا دانه في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله ولزهده في تقانة البنيان وكان منهم من
أوغر ان نزع بيده أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده كما كان وكانت بيوتهم من الخشب
والجلود وعلى ذلك العرب بلاد اليمن الى اليوم ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنبذة معلاة
لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل
عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالموضع فلم يرها فسأل عنها فأخبروه فدعا له بخير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى
ما يكفيه كلف يوم القيمة أن يحمله وفي الخبر كل نفقة يوجر الرجل عليها الا ما أنفق في
الماء والطين وروينا عن بعض السلف اذا مقت الله مال عبد سلط الله عليه الماء والطين
وقال يحيى بن أكثم كنت امشي مع الثوري في طريق فنظرت الى باب مشيد فقال لا تنظروا اليه
أبا عبد الله ما يكره من النظر فقال اذا نظرت اليه كنت معونا له على بنايه لأنه انما بناه
اليه لما عمله وفي قوله عز وجل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا

الرهوص من تاسيس البنيان

قيل جبت الكثرة والرياسة والتطاول في البنيان ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكى
اليه ضيق منزله اتسع في السماء وهو احد الثلاثة ليس وكان شكا بناء السلف فأمه وبسطه وخمسة أذرع
وسبعا فقال الحسن لهكنت اذا دخلت بيوت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف
وقال عمرو بن دينار اذا علا العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك الى أين يا فاسق الفاسقين وقيل
ان الزهد لا ينقص من الرزق شيئا ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا الرزق
الزاهد من الآخرة على هذا الوصف من جزمان نصيبه من الدنيا وجمايته على الكثير منها والتوسع
فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنا والتوسع فيها رزقه من
الآخرة والدرجات العلى بحسن اختياره من الله عز وجل وحيطته كما حدثونا عن بعض العلما أن
بقالا جاءه فقال اني كنت أبيع في محلة لا بقال فيها غيري فكنت أبيع الكثير ثم فتح علي بقال
آخر فهل نقص ذلك من رزقي شيئا قال لا ولكن زيد في بطالتك عن البيع ولعل بطالا يحتاج
لتوسعة وهواه ويمر على أهل الدنيا ممن سولاه فيقول ان الزهد في الدنيا لم ينقص لي من رزقي شيئا
قد صح لي مقام مع التوسع والاستكثار على الشبع والرفاهية والاستيثار لأني انما أكل رزقي
وأخذ قسمي فلي في الزهد مقام وفي الرضى والتوكل قدم أو يقول ان الزهد قد صح مع التكاثر والزينة
يزخرف به على من لا يعرف الزهد ويغر بمقاله من لا يعرف طرايق الزاهدين ولعله ممن يأكل
الدنيا بالدين أو يزخرف القول ويشبه العلم على الغافلين فمثله كما قال علي رضي الله عنه للخوارج
حين قالوا لا حكم الا لله فقال كلمة حق أريد بها باطل وصدق رضوان الله عليه انهم أرادوا بذلك
اسقاط حكم الأيمة وترك الطاعة للسلطان كما أراد القابل انما اكل رزقي وأخذ من الأشياء قسمي
الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتذار عند الجاهلين بخفة لوبهم اياه ولا يعلم المغرور بذا أن المغرور
انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم النقص والبعد وبوصف الرعبة والحرص
لأن السارق والغاصب انما يأخذ رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله عز وجل
يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء وحسن التوفيق وهو اختيار
من المولى فقد حرم المدعي لذلك رزقه من الزهد وخير نصيبه الأوفر من حب الفقر ونقص
حظه الأفضل من الآخرة اذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف فيه وصرف اليه سببا لنقصان

مرتبته من طرائق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا وما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع
الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه ان كان صادقا فيها غير كاذب على وجه ما
له عن علوم العارفين المعصومين واستدرج بعلمه هذا لأنه علم من علوم الدنيا يفنى بفنائها لا ثمرة له
الباقية مكرمة فيه وعدل به اليه عن علوم المخايفين ومشاهدة الورعين الزاهدين الذين نظروا
الحلال في الورقيق وصدقوا القول في ترك الرغبة بالعمل الزهد طلبا للتحقيق وان كان كاذبا
مشاهدته ظالما لنفسه بما ادعاه من وجده فهو من أولياء الشيطان ومن أئمة المضلين ومن آباء الذين
الثقافلين رغبة في الدنيا وزهدا في طريق السلف لوجود الطمع وعدم اليقين فقد مكر بهذا العبد
عن علوم الموقنين وحقايق مشاهدتهم على هذا الوصف الذي اريد به والذي يقلب فيه وهو لا
يشعر بالمكر ولا يعرف الاستدراج بالنعم وأنى له بعلم ذلك والله تعالى يقول سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون وقال الله تعالى ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فيها هيهات ان يعطل المكار
لما مكر به أو يعلم المستدرج ما درج فيه لأن الماكر اللطيف الماكرين والمدرج أخبث
الماكرين نعوذ بالله من الاغترار بعلم الاظهار ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق ومثل ما ظهر في
الآثار وكثرت الأخبار ان مثل الدنيا والآخرة كمثل ضرتين ان أرضيت أحدهما أسخطت الأخرى وهما
بمنزلة المشرق والمغرب ان من استقبل أحدهما استدبر الآخر وانهما بمنزلة قطبي الرحى
أحدهما بانقصان الأخرى وكان عمر رضي الله عنه يقول والله انهما لا بمنزلة قدحين كل
أحدهما في صح أحدهما فالهوى الا أن تفرغ الأخرى يعني انك ان امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت
الآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا وان كان لك
قدح الآخرة يكون لك ثلث نصيب الدنيا وقال بعض السلف مثل من زهد في الدنيا مع الشهوة
كمثل من يغسل يديه من الغمر بسمك ومثل من يتعبد وهو يطلب الدنيا مثل من يطفي النار
وكان بعض الزاهدين من أهل الشام يتكلم عليهم فان زجا بن حيوة فيهم فحضر
فاحتبس عليهم يوما وقد اجتمعوا فتكلم عليهم مؤذن الجامع فأنكر صوته زجا بن حيوة فقال من
هذا فلان قال اسكت عافاك الله فانا نكره أن نسمع الوعظ والزهد الا من أهله وفي لفظ
اسكت فانا نكره ان نسمع الوعظ الا من أهل الزهد وقال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى أبواب

أهل الدنيا فان رنق أمواهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقلب الأموال بمضرة حلاوة الايمان
وروينا في الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم ويقال ما من يوم ذر شارقها الا وأربعة أملاك
ينادون في الأفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهما بالمشرق يا باغي
الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول
الثلاثة في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا الطول الحساب وقال
بعض العلماء ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليجعل أنس المطيعين به وبلغنا أن من دعاء أبي بكر رضي
الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف فيه دليل أن
الكفاف وهو الحاجة من كل شيء ليس من الدنيا وانما يقال الزهد في فضول الحاجات وهو الشهوات
وقال بعض العارفين ما من شيء الا وهو مطروح في المزابل الا الفقر مع المعرفة فانه محزون مختوم عليه
لا يعطى الا لمن طبع بطابع الشهداء وقد حجب عنها بعض أهل الدنيا لانقسام بتفضيل الغني على
الفقر تأويل الخبر ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا عند أولي الألباب في تأويل الخطاب معنية
الفقر الا انهم قيل لهم في أول الكلام ان يعلنم كذا لم يستبقكم لحد هن قلكم ولم يذركم أحد بعدكم
فثبت هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح لانه معصوم في قوله كهو معصوم في فعله
فما جاء بعده يكون محمولا عليه ولم يصح أن ينقلب لانه اخبار عن شيء لا يجوز الرجوع عنه فلما فضل
الأغنياء ما أمر وا به الفقراء وقف الفقراء في قول الرسول لنظرهم الى مزيد الاغنياء عليهم في الظاهر ورجعوا
الى الرسول يستفتون منه ما أخبر به فقال لا تعجبوا فان الذي قلت لكم كما قلت وهو فضل
الله يؤتيه من يشاء فانتم ممن شاء أن يؤتيه فضله فصح تأويلنا هذا وبطل تأويلهم بدليل قول الرسول صلى
الله عليه وسلم الأول فان قوله الثاني مواطيا لقوله الأول ولم ينقض الأول بالآخر ووجه آخر
أبين من هذا في دليل ما قلناه مكشوف في الحديث المفسر الذي رويناه عن اسمعيل بن عياش عن محمد
ابن دينار عن عمران عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير قالوا موسر من
المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا ولبئس هو قالوا فمن خير الناس قال مؤمن مقتر
يعطي جهده فهذا نص في تفضيل الفقر فمن فضل الغنى بعده فقد عاند السنة وأحسن حالة الجهل
بالآثار قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء تفضيل لا تخصيص لان المشيئة عموم ولم يقل من

يحب لأن الدنيا من فضل الله ألم تسمع الى قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فمن الناس من سأل الله من فضله الدنيا ثم قال وآتاهم من كل ما سألوه الله من فضله فأباح لهم السؤال وردهم اليه في كل حال وقد جاء في الخبر ان خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال لبلال اتق الله فقيرا تلقاه غنيا قال وكيف لي بذلك يا رسول الله قال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ مع الخبر المشهور الذي دعا فيه لنفسه أن يحييه الله مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره في زمرة المساكين كل ذلك تفضيل للفقر وتشريف للفقراء مع قوله يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وذلك خمس مائة عام وزوينا عن عيسى عليه السلام انه قال اني لأحب المسكنة وأبغض التأه وان في المال داء كبيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن الله عز وجل وقد زوينا في الخبر يقول ابليس لن نحوا الغنى مني من أحد ثلث خصال أن أحب اليه المال فيكسبه من غير حله أو يضعه في غير حقه أو يمنعه من حقه فلو لم يعلم العدو أن الفقر أفضل الأحوال ما قعد على طريقه وقد قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر الخبير عنه سبحانه فقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر أي يخوفكم به فجاء القادرون فسلكوا الطريق الى الآخرة واطرحوا تخويف العدو بحول الله وقوته وقبل الأغنياء المغبطون بغناهم تخويف الله فجانبوا الفقر وحاق بهم مثل السوء من قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافوني فقبلوا تخويف الشيطان وخالفوا رب الرحمن فكانوا كما قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير الآية فلو لم يكن من فضل الزاهدين الا انهم توسطوا الطريق الذي هرب الناس منه وأمنوا بالتوكل على الله والرضى عنه ما خافه ابناء الدنيا وقد روي لابن عباس انا نجد في التوراة ان الفقير المصلح خير من الغني المصلح فقال ابن عباس ما على الله شيء أحب الى الله من الفقير اذا كان مصلحا وقيل كان أحب شيء الى عيسى عليه السلام ان يقال له يا مسكين وزوينا في الخبر عن عطاء عن أبي سعيد الخدري يا أيها الناس اجملوا في الطلب فان العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بني من الأخلاق عباد الذين زهدوا في الدنيا من يزهد في الدنيا يرغب فيما عند الله ومن يرغب فيما عند

الله يعمل لله ومن يعمل لله يأجره الله وقال الحواريون يا روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما نصوم ونذكر الله كما أمرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي أنت فقال أخبروني كيف تتمنى للدنيا فالوا انا نحبها فقال ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وفي خبر آخر أنه رفع حجرا فقال أيما أحب اليكم هذا أو الدينار والدرهم فقالوا الدينار قال فانهما عندي سواء وكان يقول من شر الغنى ان العبد يعصي ليستغني ولا يعصي ليفتقر وقد ذكر هذا بعض مكاتبنا في كلام منظوم فقال

يا غاويا للفقر يبغي الغنى عيب الغنى أكبر لو تعتبر
انك تعصي لتنال الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر

ومر عيسى عليه السلام في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له عيسى فمر جيفي اذا نمت وأوحى الله تعالى الى نبيه استحيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي قال يا رب ومن المنكسرة قلوبهم قال الفقراء الصادقون وزوينا عن موسى عليه السلام انه مر برجل نائم على التراب وقد جعل تحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بشملة عباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت أني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وقد كان احمد بن عطاء وهو من المتأخرين يفضل الغنى على الفقر لشبهة دخلت عليه وهو ان بعض الشيوخ سأله عن الوصفين أيهما أفضل فقال الغنى لأنه صفة للحق قال له الشيخ فالحق غني بالأسباب والأعراض فانقطع ولم ينطق بحرف وهذا كما قال الشيخ لأن الحق غني بوصفه فالفقر أحق بهذا المعنى لأنه غني بوصف الايمان لا بالأسباب لانفراده عنها فهو الأفضل فأما الغنى فهو مشتت مجتمع بالأسباب فهو مفضول وقد خالفه الخواص وكان فوقه في المعرفة فقال في كتاب شرف الفقر والفقر صفة للحق أي صفة منه للطلق يصف بها الفقراء فوافقنا في التأويل بهذين انه تعالى من الأشياء منفرد وما اشبه هذا المعنى الذي استدل به ابن عطاء في الجهل والخطأ الا بدليل بعض علمائنا الظاهرية فانه استدل بتفضيل حال الغنى بقوله عز وجل ووجدك عائلا فأغنى قال فقد تمدح اليه وتحمد عنده بالغنى ومن ظن ان الله تعالى فضل نبيه بالغنى بالدنيا فقد جهل ان الله تعالى أمنه من نقص رسوله صلى الله عليه وسلم رفعته وانما أغناه بوصفه لا بالأسباب وهو أعلى

باب ماهية الدنيا وكيفية الزهد وتفاوت الزهاد

اعلم ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما ذا من قلبه من الشهوات فمن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض ومن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذا هو الزهد المفضل ويرجع ذلك الى حفظ حواجز حمه التي هي أبواب الدنيا منه طرقها اليه فالزهد في محرماته زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد في شبهاتها زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالها من فضل حاجات النفوس وزهد الزاهدين به يصفو ايقينهم وزوياه في حديث عمر بن ميمون عن الزبير بن العوام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق عن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب وكان ابو محمد يقول في فضائل الزهد وأعلى مقاماته لا يتم زهد عبد حتى يزهد في هذه الثلاث في الدرهم الذي يريد أن ينفقه في أبواب البر يتقرب الى الله عز وجل في ذلك ويزهد في الثياب الذي يستر بدنه في الطاعات ويزهد في فضل قوته الذي يستعين بها على العبادة ويستوي عنده المدح والذم وانما قال هذا لان حقيقة الزهد عنده من أفضل المقامات كلها لانه كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعمالهم وقال لا بواني الفقيه احد أفضل من دين زهد عالم ورع وقال ايضا لا ينال الزهد الا بالخوف فمن خاف ترك فجعل الزهد مقاما في الخوف رفعه عليه وقد روى مسروق عن ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه يقع على غاية معارفهم بدقايق ابواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن يزهد في كل شيء ويتورع عن كل شيء للنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كما روي عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما انتفع رأسه من الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم اليس تزعم انك قد زهدت في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي قد وطأته تحت رأسك من بين شيء هو قال فرمى عيسى عليه السلام بالحجر وقال هذا لك مع ما ترك من الدنيا ثم وضع رأسه في التراب ومثله روينا عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه لبس المسوح خشن جلده فسألته امه ان ينزع مدرعة الشعر ويلبس مكانها جبة من صوف ففعل فأوحى الله

الله تعالى من أن يجعل غناه من الدنيا ورضاها له وانما المعنى فأغنى عن الدنيا بما أعطاه من الآخرة أنه أغناه بالدنيا ووجه أخر من الغلط الذي دخل عليه من جهة المعنى الذي ذكره لانه كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فينبغي أن نفضل المنكسر الجبار ومن أحب المدح والحمد لان ذلك كله صفة الحق فلما اجتمع أهل القبلة على ذم من كان ذلك وصفه كان من وصف بالغنى بهذا معناه ولان الغنا صفة الحق مقترنا بالعز والكبرياء وينبغي أن نسلم صفات الحق للحق ونبرأ منها ايانا ولا نشارك فيها فيبطل قول ابن عطا بصحة قول الرسول عليه السلام يقول الله تعالى العز ازاري والكبرياء رداي من نازعني أحدهما قصمته في النار وقد خالفه أيضا ووافقنا من لا يشك الخاص والعام فضل معرفته أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله فقال من أحب الغنا والبقا والعز فقد نازع الله صفة وهذه صفة الربوبية تخاف عليه الهلكة فاذا ثبت ذلك كان الفقر أيضا افضل لانه وصف العبودية فمن جعل وصفه فقد تحقق بالعبودية وأوصاف العبودية هي أخلاق الايمن وهي التي أحبها الله من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها وأوصاف الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين المتكبرين من العز والكبر والبقا والغنى فالغنى مضاف مضموم اليها وكان الحسن يقول ما رأيت الله عز وجل جعل لبقا الا لأبغض خلقه اليه وهو ابليس وكذلك كان العلما يقولون لا ترغبوا في البقاء في هذه الدنيا فان شرار الخلق أطولهم بقا وهم الشياطين والغنا انما يراد للبقاء وأقول ان من فضل حال الغنى على الفقر فانه لم يذق مرارته الا حلاوته فهو حينئذ شديد فاقة حلاوته لانه لو ذاق مرارته من الصبر والم لفضله ولو ذاق حلاوته من الرضا والزهد لما فضل عليه الغنى ويقال ان للجنيد باهله في هذه المسئلة ودعا عليه أنكر قوله أشد الانكار وكان رحمه الله يقول الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وان تناوبا في القيام بحكم ما ليهما لان الغني التقي يمتع نفسه وينعم صفته والفقير الصابر ادخل عليه صفته الالام والمكاره فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيئا وكان يفضل حال الفقر ويعظم شان الفقير قال المروزي وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه ويكثر السؤال عن خبره فقلت له يحتاج الى علم فقال اسكت صبره على فقره خير من كثير من العلم ثم قال هو لا خير منا

المراد بذلك تحقيق النهي عن التكبر والتجبر اذ ليس ذلك مما يسوغ للعبيد وقصمه بمعنى اهلكته قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة

إليه يا يحيى آثر على الدنيا فبكى ونزع الصوف وزد مدرعة الشعر على جسده وكان
الحسن يقول أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا
قط كأنه اذا أراد النوم باشر الأرض بخده وجعل ثوبه فوقه واعلم أني رأيت جملة النعيم ثلثة وما
بالزهد ودلك إن أصل النعيم كلها الاسلام لأن من ورائه مقامات كثيرة أخطأوا فيها حقيقة الزهد
النعمة الثانية السنة اذ من ورائها بدع كثيرة كلهم أخطأوا حقيقة السنة ٥ والنعيم الثالث
العلم بالله تعالى لأن من ورائه جهلا كثيرا بعظمة الله وقدرته ثم الزهد في الدنيا فمن اعطيه مع الثلث
تمت عليه النعم فكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين أي تمت نفسه والصديقين
الله عليهم لأن من ورائه حرص كثير على الشهوات ورغبة عظيمة في الشهوات وقد كان سهل
يجعل الزهد من شرط السنة والاتباع لقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال فمن السنة اتباع
الرسول وقد كان زاهدا في الدنيا وقد وصف الله قوما باتباع الشهوات فقال تعالى فخلف من بعدهم
ما تشابه منه وبقيت أخرى بين الشهوات ففال تعالى زين للناس حب الشهوات فمن كفاه الله تعالى
الشهوات بموهبة الزهد فيها وقاه الشبهات بنور اليقين وكشفها فمن هو أعلى مقاما منهم
الزاهدون لأي شئ زهدوا مقامات على نحو علو المشاهدات فمنهم من زهد اجلالا لله ومنهم
من زهد حياء من الله ومنهم من زهد خوفا من الله ومنهم من زهد رجاء هو عود الله ومنهم من زهد
منه لأمر الله ومنهم من زهد حبا لأمر الله ومنهم من زهد حبا لله وهو أعلاهم وأدناهم من
مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهمين يوم القيمة أشد حسابا من ذي الدرهم
وان طريق المقربين لا يسلكه من ملك الدنيا زوجين من شئ وما احد يعطى من الدنيا شيئا الا أخذه
له أخذه على ثلثة اثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الأغنياء ليوقف للحساب بما
لو وزد عليه مائة بعير عطاشا على عرقة لصدرن رواء وانه ليرى منازله من الجنة فلما وقع الحساب
قلوب الورعين أشفقوا من طول الحساب فزهدوا في الجمع والمنع ففارقوا فضول الأملاك طلبا لخفة
السؤال وسرعة الوقوف من الأهوال ومن الزهد في الدنيا حب الفقر وأهله ومجالسة
المساكين وأوطانهم والتذلل لهم كما كان مطرف يجالس المساكين في بزته يتقرب بذلك
الى الله عز وجل وكان محمد بن يوسف الاصبهاني عالما زاهدا كان من يعرفه يفضله على الثوري

الا انه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعرفه الا القليل وكان من حسن رعايته وشدة يقظته يعمل في
كل وقت أفضل ما يقدر عليه في ذلك الوقت فلما طلبه ابن المبارك بالمصيصة قال له بعض من يعرف
شأنه ان ذلك لا يكون في المصر الا في أفضل موضع فيه قال فهو اذا في الجامع فطلبه فقيل له انه لا يقعد
الا في أفضل مكان قال فطلبه عند الفقراء فاذا هو قد درس راسه وأخمل نفسه مع المساكين
فكان عنده أن أفضل وطن في المصر الجامع لأنه يقال ان الصلاة فيه خمسون صلاة وأن أفضل
الأماكن موضع الفقراء من الجامع وأن أفضل الأحوال الخمول فلذلك أخمل نفسه فيما بين الفقراء في
الجامع ليحوز فواضل الأحوال عنده ومن الزهد أن يكون فقرهم مغتبطا مشاهدا لعظيم نعمة
الله عليه به يخاف أن يسلب فقره ويحول عن زهده كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر
ثم وجود حلاوة الزهد حتى يعلم الله من قلبه ان القلة أحب اليه من الكثرة وأن الذل أحب اليه من
العز وأن الوحدة أثر عنده من الجماعة وأن الخمول أعجب اليه من الاشتهار فهذه من خلاصة في
زهده وروينا عن عيسى وعن نبينا عليهما السلام اربعة لا يدرك من لا يعجب الصمت وهو أول العبادة
والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وقال بعض العلماء لا يفقه العبد كل الفقه حتى يكون
الفقر أحب اليه من الغنى والذل أثر عنده من العز وقلة الشئ أحب اليه من كثرته وكان سهل
يقول لا يصح التعبد لأحد ولا يخلص له عمل حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة اشياء الجوع والعري والفقر
والذل وروينا عن سعيد بن عامر بن حذيم لما بعثه عمر رضي الله عنه واليا على حمص اشتدت فاقته
حتى تحدث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل اليه باربع مائة دينار وكتب اليه يعزم عليه
لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين ذلك عليه ففطنت امرأته فقالت
ان اراك مهتما أبلغك موت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت أبلغك عن ثغور المسلمين شئ قال
أعظم من ذلك قالت وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
ابتل بها وصحبت أبا بكر رضي الله عنه فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر الا وشر أيامي أيام عمر قالت
وما ذاك بأبي وأمي أنت قال اني أخافك قالت اياي تعني قال نعم قالت فأنت آمن من هذا قال فان أمير
المؤمنين أرسل الي باربع مائة دينار وعزم علي أن أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم باربعين خريفا والله ما أحب أني أخرج

النعم وانى احبس عن الفوج الاول قالت فدونكما فاصنعا بها ما شئت قال ووافق ذلك جشاء نارا فقال
هل من خرق فأعطنه دزعا لها محرقا فمزقه ثم صر الدنانير فيه ما بين أربعة الى العشرة ثم طرحها فى
الى باب الرستق من حمص فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة فى الخلاة فدفعها والخلاة الى رجل
فذهب غمه واستراح وروينا شبيها بهذه الحكاية القصة مع عمر رضى الله عنه فى عمير بن سعد الا انه قيل
أرسل اليه مائة دينار وذكر فى الخبر الاول ان عمر كتب الى أهل حمص اكتبوا لى فقراءكم فكتبوا
اسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعد فلما قرأ اسمه قال من عمير بن سعد قالوا أميرنا قال
هو قالوا لا بيت أهل بيت افقر منهم قال فأين عطاؤه قال نخرجه كله لا يمسك منه شيئا قال فوجه
اليه بمائة دينار فقالت له امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتنى فعلت
كان طريق السلف الصالح فى تفضيل الفقر على الغناء لا يعدلون الفقر شيئا كما روى ان ابراهيم
النخعى دفع اليه خمسون ألف درهم فردها فقيل له لم رددتها فقال أكره ان أمحوا اسمى من ديوان
الفقراء بخمسين ألفا ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلم التى معلوماتها تؤول
الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه فى الآخرة ولا قربة به عند الله ويشغل
يشغل عن عبادة الله ويفرق الهم عن اجتماعه بين يدى الله ويقسى القلب عن ذكر الله ويحجب
التفكر فى الآيه وعظمته وقد أجد شتى علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما
البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا نستطيع ذكرها
أهلها الا ان نسئل عن شئ منها اعلم هو أو كلام أم حق أم تشبيه أم صدق وحكمه أم زخرف
فحينئذ نخبر بصواب ذلك ومن أفضل الزهد الزهد فى الرياسة على الناس فى المنزلة والجاه
عندهم والزهد فى حب الثناء والمدح منهم ان هذه المعانى هى من أكبر أبواب الدنيا عند الخلق
فالزهد فيها هو زهد الاتقياء بالله وقد قيل ما وجدنا الزهد فى شئ أقل منه فى الرياسة وقال
رأينا من زهد فى الدنيا كثيرا وقل ما رأينا زهد فى الرياسة وذلك ان طايفة قد تزهد فى الدنيا
للرياسة فاذا زهد فى الرياسة فهو زهد الزهد كما نقول الزهد فى النفس حقيقة الزهد
قد تزهد لنفسه فاذا هو زهد فيها فهو الزهد فى الزهد أى لا ينظر فى زهده ولا يدل به قال الثورى
الزهد فى الرياسة ومدح الخلق اشد من الزهد فى الدينار والدرهم لان الدينار والدرهم قد يتركه

فى طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره الا سراة العلماء وقد قال فضيل لقى الصخر من
الجبال أيسر من ازالة رياسة قد تمكنت فى قلب جاهل وذهب أويس القرنى رضى الله عنه ان
الزهد هو ترك الطلب للمضمون قال هرم بن حيان لقيته على شاطئ الفرات يغربل كسرا وخرقا من
المنبوذ فكان ذلك اكله ولبسه قال فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال فى أى شئ خرجت قلت
أطلب المعاش فقال اذا وقع الطلب ذهب الزهد وقد قال أبو سليمان الدارانى من طلب معاشا
أو تزوج أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا وكان يقول الزهد فى النساء ان تختار المرأة
الدون والمرأة اليتيمة على الجميلة والمرأة الشريفة وذهب الى هذا مالك بن دينار وقال سهل الزهد
الزهد فى الدنيا لا تمس قد خير بين الى سيد المرسلين والزاهدين وافقه ابن عيينه فقال ليس فى كثرة
النساء دنيا لان زهد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية
وقد كان جنيد يقول أحب للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلث وان لا يغير حاله الكسب وطلب
الحديث والتزويج وقال أحب للصوفى ان لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه وفى الخبر انما الزهد
أن تكون فى يد الله أوثق منك بما فى يدك فهذا مقام التوكل وذهب قوم الى ان الزهد ترك
الاختيار فكأن الدنيا عندهم هى الجمع وقال آخرون الزهد قصر الأمل وما لابه الثورى فكأن
الدنيا عندهم طول الأمل وقال بعضهم الدنيا ما شغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك
الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الاحكام وهذا هو التفويض والرضى وهو مذهب الدارانى
وقال أحمد قلت له ان ملك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التى كنت أهدتها
الى فقال العدو يوسوس الى ان اللص قد أخذها فقال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قذرها
الدنيا ما عليه من أخذها فاراد أبو سليمان منه حقيقة الرضى بحكم الاحكام واراد ملك من نفسه
حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وقال بعض علمائنا الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول فالزهد
انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذه طريقة أهل الحديث وسئل حاتم الاصم صاحب شقيق البلخى عن
الزهد فقال أوله الثقة وأوسطه الصبر وآخره الاخلاص فاذا كان الاخلاص المغيب عندهم هو
آخر الزهد فكيف يصح لعبد آخر الزهد قبل أوله أم كيف يجاوز الاخلاص الى مقام المعرفة فقد
صار آخر الزهد عندهم أول المعرفة وذهب طايفة الى ان الزهد فى الدنيا فريضة على المؤمنين

لأن حقيقة الاخلاص عندهم حقيقة الزهد فأوجبوه من حيث وجب على المؤمنين الاخلاص وقال
إلى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الأسود وأهل الشام وقد رويناه معناه عن أحمد بن حنبل قيل
لأحمد بأي شيء نذكر القوم وصاروا إليه فقال بالصدق قالوا ما الصدق قال الاخلاص قيل وما
الاخلاص قال هو الزهد قيل وما الزهد يا أبا عبد الله فاطرق ثم قال سلوا الزهاد يشرح
الحرث وقال قوم الزهد في الدنيا طلب الحلال وانه لواجب مفترض في مثل زماننا هذا لقلة
الأشياء وغلبة الشبهات قال فقد تعين فرض الزهد وهذا مذهب ابرهيم بن أدهم وفضيل
الورد وسليمن الخواص وجماعة من أهل الشام وقد قال سهل أزهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعما وقال
أقصى مقام من الورع أدنى مقام من الزهد وقد روينا عن يوسف بن اسباط ووكيع قالا لو
زهد عبد في زماننا هذا حتى يكون كأبي دردا وابن الدرداء ما سميناه زاهدا لأن الزهد عندنا
الحلال المحض ولا نعرف الحلال المحض اليوم وقال الحرث المحاسبي انما الزهد استفراغ فقه
القلب وأن لا يكون لشيء عاجل في القلب وزن فاذا استفرغت قيم الأشياء واستوت في القلب فهو
الزهد وقال علماء الظاهر الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام باحكام الشرع وأخذ الشيء
وجهه ووضعه في حقه وما خالف العلم فهو جهل وهوى كله وقال بعض علمائنا ليس الزاهد
لا يملك شيئا انما الزاهد من لا يملكه شيء وقال عالم قوة الزاهد من لا يملك الأشياء ولا يسكن اليها كما
يقول الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما أواه وحاله وقته وقال بعض العارفين
انما هو ترك التدبير والاختيار والرضى والتسليم لاختيار الله بشدة كان أو رخاء وهذا مذهب
الخواص وإلى الحسين النوري وقد كان ذلك مقاما لشقيق البلخي وذي النون وقال بعضهم
انما الزاهد من لا يملك شيئا ولا يملكه شيء وقال حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة
لا بصحة زهده وهو أن يعطيه كنز ويطلعه على الاسم ويقدره على الأشياء باظهار الكون فيرفضها
حيا من الله ويتركه زغبة في الله وكان يستعيذ بالله من أربعة وعشرين مقاما من اظهر
وقال لأبي موسى عبد الرحيم في اي شيء تكلم قلت في الزهد قال في أي شيء قلت في الدنيا فنفض
ثوبه وقال لم تكلم في شيء الدنيا لا شيء أي شيء نزهد فيه وذهب الى هذا القول سهل وقال شبهه
المعيقد أدناها المشي على الماء وفي الهواء وظهور كنوز الأرض وهذا كله من زخرف الدنيا وقد

معنى هذا عن جنيد قال اجتمع أربعة من الأبدال في جامع المنصور ليلة العيد فلما أتجروا قال الجائع أما
أنا فقد نويت أن أصلي العيد ببيت المقدس وقال الآخر أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بمكة وسكت
الرابع وكان أعرفهم فقيل اي شيء نويت فقال أما أنا فقد نويت اليوم ترك الشهوات كلها الا في هذا
المسجد الذي بت فيه فقال أنت أعلم منا بالله فقعدوا معه وقد سئل الجنيد عن الزهد فقال هو عنيان
ظاهر وباطن فالظاهر نفض ما في الأيدي من الأملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن
القلب ووجود العروف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق ذلك رزقه الله الاشراف على
الآخرة والنظر اليها بقلبه فيهين بحق في العمل بتقصير الأمل وتقريب الأجل لأن الاسباب على قلبه
منقطعة والقلب منفرد بالآخرة وحقيقة الزهد قد خلصت الى قلبه وامتلأ من الذكر
الخالص لربه وهذه كلها مقامات في الزهد وكل من جعل الدنيا مبلغ علمه وعلو مشاهدته جعل
الزهد ضده وقد نوع أهل المعرفة الايمان في القلب على مقامين فجعل لها زهدا فقال اذا تجلى
الايمان بظاهر القلب أحب العبد الدنيا وأحب الآخرة وجعل لها فاذا بطن الايمان في سويدا القلب
وباشرة أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وقد كان أبو سليمن يقول من شغل نفسه بشيء من
الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل من ربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين وقد ذهب
المفاضلين دليل من السنة عن النبي عليه السلام سئل اي الناس خير فقال من يشتغل الدنيا بحب الآخرة فاوقع
الشأن للدنيا لوجود ضدها من حب الآخرة والمقام الأعلى دليله من جعل الهم هما واحدا كفاه
الله أمر آخرته ودنياه والهم الواحد بوجود واحد بن رب واحد هو وصف عبد متوجه لواحد متأله
الى واحد منفرد الهم مجتمع القلب وانفراد الهم بكون بعد محو الهوى واجتماع القلب بكون مع طيب
النفس وطمأنينتها بالايمان مواظبة للقلب لمشاهدة اليقين وقال وهب بن منبه وجدت فيما أنزل
الله على موسى عليه السلام من احب الدنيا أبغضه الله ومن أبغضها أحبه الله ومن أكرم الدنيا اهانه
الله ومن أهانها أكرمه الله ومن أقرب ما قيل في الزهد وادخله في أخوال عموم المسلمين قول
الزهري الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولم يغلب الحلال شكره تفسيره ان صبر العبد
عند وجود الحرام يغلب شهوته من أن يستهويه الحرام ويكون شكره أظهر وأكثر فلا يقطعه
للمباح ويغلبه بالذة عن الشكر بل يكون شكره أغلب على ما هو فيه من نعيم المباح أي لا تشغله النعمة عن

ملحق اصلا

طاعة المنعم بها فهذا هو عند الظاهري ونظرائه من علماء الظاهر زاهد وهو قول شديد فاضد والله اعلم
أبي يزيد وشقيق وسهل ونظرائهم من علماء الباطن زاغب وقد روي عن سفين نحو قول الزهري قيل له
يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر وقال ابن أبي
الحواري قلت لابي سليمن الداراني أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه وزن من بيت مال
دينارا فأنفقها في عشرين سنة فكيف يكون زاهدا وهو يملك الدنانير فقال اردت منه أن يبلغ حقيقة
الزهد وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للمرء الصالح والمال الصالح هو
الحلال والمرء الصالح هو المنفق ماله بالليل والنهار سرا وعلانية في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله
وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر هو الذي يستحق بطعمته على ذلك
مولاه فيكون ذلك شكرا منه على نعمته اياه والحمد لله رب العالمين

بمنزلة الصائم الصابر والطاعم الشاكر

لخر الجزء الثاني من الأصل

كتاب وصف مقام التوكل واحكام المتوكلين

التوكل أعلى مقامات اليقين واشرف احوال المقربين قال الله سبحانه ان الله يحب المتوكلين يحبهم
المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته وقال سبحانه وعلى الله فليتوكل المتوكلون فرفع المتوكلين
اليه وجعل مزيدهم منه وقال جلت قدرته ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحسب من الله يحب
اي كافيه مما سواه فمن كان الله كافيه فهو شافيه ومعافيه فلا تسأل عما هو فيه فقد صار التوكل
الله من عباد الرحمن الذين اضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم الكفاية
الذين وصفهم في الكتاب بقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الآية وهم الذين كفاهم
الدارا لمهمات ووقاهم بتفويضهم امورهم اليه السيئات بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وفوض
وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وليس هو الا من
العدد قط الذين قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم
وقال بعض الصحابة وغيره من التابعين التوكل نظام التوحيد ودعامة الايمان وحدثونا عن
السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي
الجنة قلت فأي الاعمال وجدت هناك أفضل قال التوكل وقصر الامل فعليك بهما وقال

الزراد ذروة الايمان الاخلاص للتوكل والاستسلام للرب وقال بعض علمائنا ليس في المقامات اعز من
التوكل وقد ذهبت الانبياء بحقيقته وبقي منه صبابة انتشفها الصديقون والشهداء فمن تعلق بشيء منه فهو
صديق أو شهيد وقال بعض العارفين في كل المقامات مقام ما في هذا التوكل المبارك فما من مقام
الا مشام الريح وقال لقمان في وصيته لابنه ومن الايمان بالله التوكل على الله وان التوكل على الله يحبب
العبد الى الله وان التفويض الى الله من هدى الله ويهدي الله يوافق العبد رضوان الله وموافقة العبد رضوان
الله يستوجب العبد كرامة الله وقال لقمان أيضا ومن توكل على الله وسلم لقضاء الله وفوض
الى الله ورضي بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يديه ورجليه بكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة
التي تصلح للعبد أمره وقال بعض علمائنا الابدال العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من
الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل ليس للتوكل حد ولا غاية ينتهي
اليه وقال ايضا في قول الله عز وجل ليبلوكم أحسن عملا قال أصدق توكلا وقال التقوى واليقين مثل
كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان وسئل عن قول الله عز وجل فاتقوا
الله ما استطعتم قال باظهار الفقر والفاقة اليه وسئل عن قول الله عز وجل اتقوا الله حق تقاته
فقال اعبدوه بالتوكل وقال أبو يعقوب السوسي لا تطمعوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله الذين
خصوا بالخصوصية فتكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال
من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد احب الله تعالى قال
التوكل المعرفة بالوكيل وانه عزيز حكيم يعطي بعزته ويمنع بحكمته فيعز الصبر بعزته ويرضى
بحكمته كذلك أخبر عن نفسه ونبه المتوكلين عليه فقال سبحانه ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز حكيم فاذا شهد العبد الذليل الملك الجليل قائما بالملك والتدبير والتقدير عنده خزائن
كل شيء وكل شيء عنده بمقدار لا ينزله الا بقدر معلوم وشهد التوكل قابضا على نواصي الملك
لخزائن السموات من الاحكام والاقدار الغايات وله خزائن الارضين من الابدي والقلوب والشاب
المشاهدات فخزائن السموات ما قسمه من الرزق وخزائن الارض ما جعله على أيدي الخلق وفي التنزيل
وما توعدون وفي الارض ايات للموقنين ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون فأيقن العبد
أن في يده ملكوت كل شيء وأنه يملك السمع والابصار ويقلب القلوب والابدي يقلب الليل والنهار وأنه حسبه

التدبير والأحكام للمؤمنين وانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون
ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد إذنه عند ها نظرا لعبد الذليل إلى سيده العزيز فيرى
اليه وعزبقوته به واستغنى بقربه منه وشرف بحضوره عنده وكذلك جاء في الخبر كفى باليقين غنى
فحينئذ نظر اليه في كل شيء ووثق به واعتمد عليه دون كل شيء وقنع منه بأدنى شيء وصبر عليه وارضى عنه
اذ لا بد منه فتم لا يطمع في سواه ولا يرجو الا إياه ولا يشهد في العطاء الا يده ولا يرى في المنع الا علته
ولا يعاين في القبض والبسط الا قدرته هنالك حققت عبادته وخلص توحيده فعرف الخلق من معرفة ظاهره
وطلب الرزق من معبوده ورازقه وقام بشهادة ما قال الله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد
أمثالكم لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وعندها لم يحمد خلقا ولم يمدحه لانه أعطاه اذ كان
الله هو الأول المعطي ولم يشكره الا لان مولاه مدحه وأمره بالشكر له تخلقا باخلاقه واتباعا لسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد مفرد لا ينبغي الا لله وهو الاعتراف بأن النعمة من
الله عز وجل وحسن المعاملة بها لوجه الله لا شريك له فيها ولذلك قال تعالى الحمد لله رب العالمين أي
الحمد كله لا يكون ولا ينبغي الا لله لأنه رب العالمين وفي الخبر الحمد رداء الرحمن عز وجل والشكر
اظهر ثناء واسرار الدعاء الا واسطة فهذا مشترك يدخل فيه الوالدان وهو ايضا مخصوص لمن هو اهل
أن يشكر من الناس حدثونا عن يوسف بن اسباط قال قال الثوري لا شكر الا من عرف موضع
الشكر قلت وكيف ذاك قال اذا أوليتك معروفا فكلت به استر منك وكنت منك أشد استحياء
فاشكروا الا فلا وسأل ابرهيم رجل من أصحابه درهمين فلم يكن معه فأخرج رجل في مجلسه
كيسا فيه مائتا درهم فعرضه عليه فلم يقبله فقال أوكل من بذل لنا شيئا قبلناه لا نقبل الا ممن يرى نعمة
الله عليه فيما أعطى أعظم من نعمته علينا فيما نأخذ وحدثونا عن الحسن في قصة طويلة له ان رجلا بذل
له من المال فردده فلما انصرف قال له هاشم الأوقص عجبت منك يا ابا سعيد رددت على الرجل
كرامته فانصرف حزينا وأنت تأخذ من مزكي بن دينار ومحمد بن واسع الشيء بعد الشيء فقال له ويحك
ان مالكا وابن واسع ينظران الى الله فيما أخذ منهما فعلينا ان نقبل وان هذا المتكين ينظر
الينا فيما يعطي فرددنا عليه صلته وعندها لا يذم أحدا ولا يبغضه لأجل انه كان سببا للمنع
اذ كان الله هو المانع الأول وادله في المنع من الحكمة مثل ما له في العطاء من النعمة ولكن بذله

ان الذين تعبدون من دون الله

جملة

ويبغضه وبيغضه ان كان استوجب ذلك من مولاه فيكون موافقا له والله تعالى يشهد بذلك في
العطاء ويمدح المنفقين بما به في كرمه ويشهد في المنع والمكروه مشيته ويذم الباخلين والقابضين
قدره من حيث حكمته وحكما من تقديره لاظهار الأحكام وتفصيل الحلال والحرام وعود الثواب والعقاب
على الأنام فقد أظهر الأمر واستأثر بسر القدر ففعل المؤمن ما أمر وسلم له ما استأثر وروي بعض
العلماء عن الله تعالى لو أن ابن آدم لم يخف غيري ما أخفته من غيري ولو ان العبد في قبره مثل له كل
شيء كان يخافه من دون الله يفزعه في قبره الى يوم القيمة وقال الفضيل بن عياض من خاف
الله خاف منه كل شيء ومن خاف غير الله أخافه الله من كل شيء ويقال ان الخوف من المخلوقات عقوبة
نقصان الخوف من الخالق وان ذلك من قلة الفقه عن الله وقد قال الله احسن القائلين في معناه الأنتم
أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون فكأن العبد اذا تم خوفه من الله تعالى ازال ذلك
الخوف خوف المخلوقين عن قلبه وحول ذلك في قلوب المخلوقات فصارت هي تخافه اذ لم تخفها هو كما
اذا كملت مشاهدة العبد وقام بشهادته وغيبت تلك المشاهدة وجود الكون مع الله عز
وجل فلم يرها وقام له القيوم بنصيبه من الملك لما تفرغ قلبه لمعاينة الملك وقال سنيد عن يحيى
بن أبي كثير مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقال سنيد يعني أن يقول لولا فلان
هلكت لولا كذى ما كان كذى ويقال ان قول العبد لولا كذى كان كذى ولم يكن كذى من
الشرك وقال في الخبر اياكم ولو فانه يفتح عمل الشيطان وقال بعض العلماء شوف جند من جنود
ابليس وقد جاء في تفسير قوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قالوا كان الملاح فارها
ومثله في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلاب وزقا
الديكة لأخذنا السرق وزوينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من
أعشر بالعبد اذلة الله وقد جاء في الخبر لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقد كان عيسى عليه السلام يقول
انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزق يوما بيوم فان قلتم نحن أكبر وطوانا من
الطير فانظروا الى الأنعام كيف قيض الله لها هذا الخلق ويقال لا يدخر من الدواب الا ثلثة
النملة والفأرة وابن آدم وقال أبو يعقوب التوهي المتوكلون على الله تجري أرزاقهم بعلم

يرزقها الهاء ضمير البطون ومنه قيل لشدة الجدب والمجاعة مخمصة وبطانا ان شبعت امثلات بطونهم

اللهِ واختيارِهِ على خصوصٍ من عبادِهِ لا أشغلَ ولا أتعبَ وغيرُهم مكدودون مشغولون وقال أيضًا
المتوكلُ إذا رأى السببَ أو ذمَّ أو مدحَ فهو مدَّعٍ لا يصحُّ له التوكلُ وأولُ التوكلِ تركُ الاختيارِ
والمتوكلُ على صحةٍ قد رفعَ أداءَه عن الخلقِ ولا يشكو ما به إليهم ولا يذمُّ أحدًا منهم لأنه رضيَ بالمنعِ كرضاه
من واحدٍ فقد شغلَه عمَّا سواه وقيل لسهلٍ ما أدنى التوكلِ قال تركُ الأمانيِّ وأوسطُه تركُ الاختيارِ
قيل فما أعلاه قال لا يعرفُ الآنَ من شرطِ التوكلِ وتركِ الاختيارِ فذكرَ كلامًا طويلًا وقال بعضهم
أهلُ هذهِ الطائفةِ العبيدُ كلُّهم يأكلون أرزاقَهم من المولى ثم يفترقون في المشاهدِ فمنهم
من يأكلُ رزقَه بذلٍ ومنهم من يأكلُ رزقَه بامتهانٍ ومنهم من يأكلُ رزقَه بانتظارٍ ومنهم من
يأكلُ رزقَه بعزٍّ بلا مهنةٍ ولا انتظارٍ ولا ذلةٍ فأما الذين يأكلون أرزاقَهم بذلٍ فالسؤالُ يشهدون
أيدي الخلقِ فيذلون لهم والذين يأكلون بامتهانٍ فالصناعُ يأكلُ أحدُهم رزقَه بمهنتِه وكدِّه والذين يأكلون
أرزاقَهم بانتظارٍ فالتجارُ ينتظرُ أحدُهم نفاقَ سلعتِه فهو متعوبُ القلبِ معذبٌ بانتظارِه والذين يأكلون
أرزاقَهم بعزٍّ من غيرِ مهنةٍ ولا انتظارٍ ولا ذلٍّ فالصوفيةُ يشهدون العزيزَ فيأخذون قسمتَهم من يدِه
بعزٍّ وسُئِلَ بعضُ العلماءِ عن الخبرِ المأثورِ الخلقُ عيالُ اللهِ فأحبُّهم إلى اللهِ أنفعُهم لعيالِه فقال هذا
مخصوصٌ وعيالُ اللهِ خاصَّتُه فقيل كيف قال الناسُ أربعةُ أجزاءٍ تجارٌ وبحارٌ وصُنَّاعٌ وزُرَّاعٌ
فمن لم يكنْ منهم فهو من عيالِ اللهِ فأحبُّ الخلقِ إلى اللهِ أنفعُهم لهؤلاءِ وقال عامرُ بنُ عبدِ اللهِ قرأتُ
أيَّاتٍ من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ استغنيتُ بهنَّ عما أنا فيه فاستغنيتُ بقولِه سبحانَه وإن يمسسْكَ اللهُ
بضرٍّ فلا كاشفَ له إلا هو وإن يردْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لفضلِه فقلتُ إن أرادني أن يضرَّني لم يقدرْ أحدٌ
أن ينفعَني وإن لم يقدرْ أحدٌ أن ينفعَني وقولُه فاذكروني أذكرْكم فاشتغلتُ بذكرِه عن
ذكرِ من سواه وقولُه تعالى وما من دابةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزقُها فواللهِ ما اهتممتُ برزقٍ بعدَ
قراءتِها فاستراحَ وقد كان سهلُ بنُ عبدِ اللهِ يقولُ المتوكلُ إذا رأى السببَ فهو مدَّعٍ وقال
مع الإيمانِ الأسبابُ إنما الأسبابُ في الإسلامِ معناه ليس في حقيقةِ الإيمانِ رؤيةُ الأسبابِ والسكونُ
إليها وثوقُها والطمعُ في الخلقِ يوجدُ في مقامِ الإسلامِ ومن ذلك ما قال لقمانُ لابنِه للإيمانِ أربعةُ أركانٍ
الأبدانُ كما لا يصلحُ الجسدُ إلا باليدينِ والرجلينِ التوكلُ على اللهِ والتسليمُ والتفويضُ إلى اللهِ والرضى
باللهِ فحالُ التوكلِ سكونُ القلبِ عن الاستشرافِ إلى العبيدِ والتطلعِ وقطعُ الهمِّ عن الفكرةِ فيما

أيدهم من الطمعِ عاكفُ القلبِ على المقلبِ المدبرِ مشغولُ القلبِ بقدرةِ المصرفِ المقدرِ لا يحملُه علمُ
الأسبابِ على ما حظرَه العلمُ عليه وذمَّه ولا يمنعُه أن يقولَ الحقَّ وأن يعملَ برٍّ أو يتوالى في اللهِ ويعادي
فيه جريانُ الأسبابِ على أيدي الخلقِ فيتركُ الحقَّ حياءً منهم أو طمعًا فيهم أو خشيةَ قطعِ المنافعِ
المعتادةِ ولا يدخلُه نوازلُ الحاجاتِ وطوارقُ الفاقاتِ في الانخراطِ في أهوائِ الناسِ والميلِ إلى الباطلِ أو الصمتِ
عن حقٍّ لزمَه أو توالي في اللهِ عدوًّا أو يعادي وليًّا لبرٍّ حالَه بذلك عندهم أو يشكرُ بذلك ما أسدوه إليه
بالكفِّ عنهم لأنه يرى الصنعةَ التي قد عرفَ بها لنظرِه إلى الصانعِ ولا يتصنعُ لمصنوعٍ دخيلةَ العلمِ بسببِ
الصنعِ لدوامِ مشاهدتِه ولا يتركُ إلى عبادةٍ من خلقٍ ولا يبتغي بمعتادٍ من مخلوقٍ اعتقادَ أن برزقِه ونفعِه
وضرِّه من وجدَ فهذه المعاني من فرضِ المتوكلِ فإن وجدتَ في عبدٍ خرجَ بها من حدِّ التوكلِ دونَ
فضائلِه وتدخلُه في ضعفِ اليقينِ وقد كان الأقوياءُ إذا دخلَ عليهم شيءٌ من هذه الأهواءِ المفسدةِ
لتوكلهم قطعوا تلك الأسبابَ وحسموا أصولَها واعتقدوا تركَها وعملوا في مفارقةِ الأمصارِ والتغربِ
عن الأوطانِ وتركِ الآلافِ والإيلافِ فاخرجوا بذلك من حيثُ دخلَ عليهم ووضعوا عليه دواءَه ووضعةَ
من حيثُ تطرقَ إليهم حتى زكَّا فازوا ظاهرَ العلمِ وخالفوا علمَ أهلِ الظاهرِ إلى علومِ الباطنِ وحكمِ مشاهدتِهم
وقيامِهم بحقِّ أحوالِهم إذ ليس أهلُ الظاهرِ حجةً عليهم في نفيِ الهوى عنهم حجةً في مثلِه لأن الإيمانَ ظاهرٌ وباطنٌ والعلمَ
محكمٌ ومتشابهٌ ولأن أهلَ الحقِّ أقربُ إلى التوفيقِ وأوفقُ لإصابةِ الحقيقةِ كلَّ ذلك رعايةً لصحةِ توكلهم
ووفاءً بحسنِ عهدِهم وعملًا بإحكامِ جالهم لئلا تسكنَ قلوبُهم لغيرِ اللهِ ولا تقفَ همومُهم مع سوى اللهِ ولا
تضيقَ نفوسُهم عن عفوِه ولا تحدثَ نفوسُهم سواه وتسكنَ إلى أهواءِ النفوسِ ويحدثوا بسكونِها عن سكونِ
القلبِ فتسبي ذلك عقولَهم ونورَ إيمانِهم الذي هو الأصلُ ويتناصلَ قلوبُهم الذي هي المكانُ للكشفِ
والشهودِ فيحضروا رأسَ المالِ فيفوتَهم حقيقةُ المآلِ فما داموا يجوزون وبأيِّ شيءٍ ذهبوا يفوتون وهذا لا يفوتُ إلا
الجاهلون ولا تشهدُه العيونُ وقال بعضُ المفسرين في حقيقةِ التوكلِ لما سئلوا عنه قال هو
القيامُ من التوكلِ بعينِ التوكلِ إلى المقامِ من التوكلِ أن يتوكلَ ولا ينظرَ إلى توكلِه أنه
لأجلِه يكفي أو يعافي أو يوفقُ فيجعلُ نظرَه إلى توكلِه علةً في توكلِه يلزمُه الفرارُ منها حتى يدومَ نظرُه إلى
التوكلِ وحدِه بلا خللٍ ويقومَ له بشهادتِه بلا ملالٍ فلا يكونَ بينه وبين الوكيلِ يبطلُ إليه أو يتعللُ
عليه فيدلَّ به حتى التوكلُ أيضًا الذي هو طريقُه وكذلك قال فلة بعضُ العبادِ في معنى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ

لمن يجب المضطر اذا دعاه فقال المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع اليه يديه بالمسئلة فلا يزيد على ان يقول
الله جهنمية يستحق بها شيئا فيقول هب لي يا مولاي بلا شئ فهذا هو المضطر فهؤلاء القوم من الذين وصفهم
الله عز وجل بالتقوى والمخافة وجعلهم أهلا للدعوة والنذارة وأخبر انهم لا يزدون بينهم وبينه شيا يمنعهم
ولا شفاعة فقال تعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بانذارهم بكلامه فجعلهم وجهه لخلقه ومكانا
لكلامه كما جعل رسوله وجهه ومكانا لتكليمهم فقال تعالى وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ثم قال تعالى في وصف أمثالنا من أهل اللعب واللهو والغرة
والسهو متمددا نائما متوانيا لاه وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وقيل لبعض
علمائنا ما التوكل قال التوكل النبري من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعني بالحول الحركة
والقوة الثبات على الحركة وهو أول الفعل وقال منه التوكل ترك التدبير وأصل كل تدبير من
الرغبة وأصل كل رغبة من طول الأمل وطول الأمل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعني انك شاركت
الربوبية في وصف البقاء وقال ان الله سبحانه خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم بتدبيرهم
قلت قول رحمه الله في ترك التدبير وينبغي أن نعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك
التصرف فيما وجه العبد فيه وابيح له كيف وهو يقول من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن
طعن في ترك الكسب فقد طعن على التوحيد انما يعني ترك التدبير أي ترك الأماني وقول لم كان كذا
اذا وقع فلم لا يكون كذا ولو كان كذا فلم يقع لأن ذلك اعتراض وحمل لسبق العلم وذهاب عن
القدر وشهادة للحكمة وشغل عن المشية وجزبان للحلم ويعني ترك التدبير فيما يغني وما يأتي
بعدا ي لا تشتغل بالفكر فيه فيقطعك عن حالك في الوقت الذي هو ألزم لك وأوجب عليك حتى
يكون فيما يأتي من الأحكام والتصريف في ترك التدبير والتقدم لها بالزيادة والنقصان أو نقلها
من وقت الى غيره أو من عبد الى آخر بالتقديم والتأخير يكون في ذلك كما قد كنت فيما قد مضى
الآن ان الانسان لا يدبر ما قد مضى قال فينبغي أن يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير له تاركا
للأماني فيه بمعاني ما ذكرناه كتركه اياه فيما قد مضى فيستوي عنده الحالان لأن الله أخبر
الصادقين لأن الله مسلم الاحكام والأفعال راض عن مولاه في الأقدار مع جهله بعواقب الأمور
وكان يقول يا مسكين كان ولم تكن وتكون ولا تكون فلما كنت اليوم فلتا أنا وأنا كن فيما

رويه ص

أنت الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان وقد يقول أيضا الزهد انما هو ترك التدبير فهذا يعني
به ترك الاسباب التي توجب التدبير واخراج السبب الذي يجب تدبيره لا انه يكون مسببا مقتنيا
الأسباب وهو يترك تدبيرها لأن التدبير في هذا الموضع انما هو التمييز والقيام بالأحكام ووضع
الأشيا مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الأشيا وهو عاقل مميز وانما يقول اترك
الأشيا المذمومة وازهد في الأسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير والتقدير فتكون بتركها
تاركا للتدبير بسقوط احكامها عنك واستراحتك من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل جملة
قوله في ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين والمتوكل لا يهتم بما قد كفي كما لا يهتم الصحيح
بالدوا اذا دعي ولكن قد يحتمي قبل الزلل كما يحتمي المعافى قبل ورود العلل قال الله سبحانه وما
من دابة في الأرض الا على الله رزقها وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وايا كم فالمتوكل قد علم
بيقينه ان كل ما ينال من العطا من درة فما فوقها انما ذلك رزقه من خالقه وأن رزقه هو له وان
ماله واصل اليه لا محالة على أي حال كان وأن ماله لا يكون لغيره أبدا وكذلك ما لغيره من
القسم والعطا لا يكون لهذا أبدا فقد نظر الى قسمه ونصيبه من مولاه بعين يقينه الذي به تولاه من
احد ثلث مشاهدات ان دنت مشاهدته نظر الى قسمه من العطا في الصحيفة التي كتبت له عند تصوير
خلقه فكتب فيها رزقه وأجله وأثره وشقي أو سعيد فما لا يقدر أحد من الخلق أن يجعله سعيدا
ان كان قسمه شقيا ولا يقدر أحد أن يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا كذلك لا يقدر أحد
أن يمنعه ما أعطاه مولاه من القسم فيجعله محرومًا ولا يعطيه ما منعه من الحكم فيجعله مرزوقا
لأن ذلك قد كتب كتبا واحدا وجعل مجعلا سوا فان ارتفعت مشاهدته نظر الى هذا في اللوح
المحفوظ مقدرا وغاله منه وهو ام الكتاب الذي استنسخ منه هذه الصحيفة فكان يقينه بكتب
رزقه في اللوح وأنه لا يزاد فيه حول ولا يحيله ولا ينقص منه لعجز ولا سكينة يقينه كيقينه بما كتب فيه من
انه من أهل الجنة فهو داخلها لا محالة وان عمل اي عمل بعد أن يكون قد كتب اسمه في اللوح المحفوظ
وجعل له فيها أثر كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي
الصالحون فقد كتبت الآثار والأرزاق من كل شئ كتبا واحدا في مواضع ثلثة توكيدا للعلم
وتسكينا للقلوب في القسم كتب ذلك في الذكر الأول وهو اللوح المحفوظ ثم في الزبر الاولى هي

الصحف ثم ان الله في كتابنا هذا الذي عرفنا ما سلف من ذلك وان علت مشاهدته الى العلي الأعلى
لعلو مرتبته ونفوذ علمه وقوة يقينه اذ مشاهدة كل عبد عن مقامه من معبوده ومن مكانه بحسب
دنوه وعلوه شهد هذا الذي ذكرناه معلوما في علم الله قبل خلق اللوح فسكن قلبه واطمأن الى علم
الله وما سبق له منه ولهذا جاء في الأثر ان الزهد في الدنيا أن تكون ثقتك في يد الله أوثق منك بما في يدك وان
تكون في ثواب المصيبة أرغب منك لو انها بقيت لك أي فيفيل حرصك ويذهب الخلق طمعك فذلك
هو الزهد فقد جمع ذلك التوكل والزهد والرضى وما في يد الله عز وجل هو رزقك أو واصل اليك لانك
فيه على أي حال كان وهو الذي لك عند الله وهو معلوم في علم الله الذي لا ينقلب وذلك أن الله
اشياء ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فهذا هو الذي لك في الدنيا ومن
الآخرة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي فيعجب من جهل ابن آدم وغفلته
ثم قال انما لك من مالك فذكر هذه الثلثة واشترط مع كل واحدة اخرى غايتها فقال ما اكلت فأفنيت
أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فاشترط الافناء والابلاء والامضاء ثم قال بعد ذلك وما سوى هذا
فهو مال الوارث فهذه الثلثة على هذه الأوصاف هي رزق العبد وهي التي في يد الله لك وهي واصلة
اليه فاما ما جعل في يد العبد فقد لا يكون له مستودع اياه ومستخلف فيه وارث كما كد وجازه خمسين سنة
وانما للعبد ما فرغ منه وهو الذي فرغ له منه لما سبق له به فان تملك سوى ذلك وادعاه لأجل
انه في خزانته أو قبض يده فذلك لجهله بالله وقلة فقهه عن الله وغفلته عن حلم الله لأنه لو عرف حكمة
الله وقدرته علم أن صندوقه وخزانته ويده من خزائن الله في أرضه يودعها من شاء الى الوقت
الذي يشاء حتى تستقر الى من هي له كيف شاء فقد قال تعالى فمستقر ومستودع وقال تعالى لكل
نبإ مستقر وقال تعالى ولله خزائن السموات والأرض وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله وان لكل عبد رزقا هو آتيه لا محالة فمن قنع به ورضي به بورك
له فيه ووسعه ومن لم يقنع به ولم يرض لم يبارك له فيه ولم يسعه ويقال لو هرب العبد من
رزقه أدركه في وقته كما لو هرب من الموت لأدركه وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم
لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الخلائق لو جهدوا أن
ينفعوك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله تعالى

عليك لم يقدروا على ذلك طويت الصحف وجفت الأقلام فمن كانت هذه مشاهدته في القسم المعلوم سقط
عنه جملة من الهموم واستراح من النظر الى الخلق واستراح الخلق من اذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه
وكان قد فهم شيئا من الخطاب وممن أقبل الى الله بصالح ما دعاه اليه واستجاب كما روي أن رجلا لازم باب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل غداة فشهد عمر بحبه لأجل السبب فقال له يا هذا هاجرت الى عمر أم الى الله
اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل فغاب زمانا حتى افتقد عمر فسأل عنه
فدل عليه فأتاه فاذا هو قد اعتزل الناس واقبل على العبادة فقال له عمر رضي الله عنه اني قد افتقدتك حتى
اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قد قرأت القرآن فأغناني عن عمر وعن آل عمر فقال له عمر رحمك
الله فاذا وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وأنا
أطلبه في الأرض فبكى عمر وكانت موعظة له منه فكان عمر بعد ذلك ينتابه في الأحايين فيجلس اليه ويسمع
منه وجاء رجل الى بشر بن الحرث فقال له اني قد عزمت على سفر الى الشام وليس عندي زاد فما ترى فقال
يا هذا اخرج فيما قصدت له فان لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك ما لك وشكى رجل الى الفضيل حاله
فقال اما أمه براعيرا الله تريد وكان الحسن يقول التوكل هو الرضى وفي تفسير قوله تعالى وقدر فيها
أقواتها قال فيها الأرزاق قبل الأجسام بألفي عام فالمتوكل لا يطالب مولاه برزق غد كما لا يطالبه مولاه
بعمل غد فاما التوكل في المضمون من الرزق والمعلوم من القسم فهو توكل العموم يستحي الخصوص من
ذكره ويتكرمون عن نشره اذ كان الله تعالى قد اقسم بنفسه ان الرزق في السماء حق كما أنهم
بنفسه ان كلامه حق فجمع بينهما في الحقيقة القسم بالذات دون سائر الأفعال لتسكن بذلك نفوس
الخليقة عن النظر الى الأدوات ولترتفع الشكوك فيهما ويحصل اليقين بحقيقتهما فقال سبحانه فورب السماء
والأرض انه لحق كما قال تعالى ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق وليس في القرآن قسم
بالذات الا خمسة القسم الذي في سورة النساء على تسليم الأحكام فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فما شجر بينهم الآية وفي سورة التغابن على بعث الكافرين وانبائهم زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى
وربي لتبعثن وفي سورة الواقع من سأل سائل في تبديل الخلق خيرا منهم فلا اقسم برب المشارق والمغارب
انا لقادرون الى قوله بمسبوقين وهذان القسمان المتقدمان وسائر الاقسام بالأفعال ولكن العبد قد وكل
برزقه من يقوم له به من الخلق فان لم يرزق بكسبه وعن يده رزق من كسب غيره وبيده ولكن شغل

الخصوص بأعمال الآخرة وما يقربهم من الفرباب الى الله عز وجل بالخدمة للمولى الذي وكل اليهم فان لم يقوموا به لم يقم به غيرهم ولم ينب غيرهم منزلتهم منابه لقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ولقوله تعالى والآخرة خير وأبقى وقوله تعالى والله يزيد الآخرة وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ولم يقل هذا في أرزاق الدنيا ومعنى الزيادة أي بالحاسبة على ما يعطيه من الدنيا اذ لا زيادة في القسم وقد قيل ان الله يعطي الدنيا على النية والآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا هذا لعلو الآخرة ودناة الدنيا وكان علي رضي الله عنه يقول الا ان حرث الدنيا المال وحرث الآخرة العمل الصالح وقد قيل ان الزيادة في الآخرة رفعة الدرجات لمن كانت نيته وقصده ولها يعمل بشغل الخصوص عما وكل اليهم وما يعمله غيرهم لم يما تكفل به لم فاقيم غيرهم فيه مقامهم وناب أيضا عنه منابه من أسباب دنياهم كما روي عن داود صلى الله عليه وسلم اني خلقت محمدا للأجل وخلقت آدم لأجل محمد وخلقت ما خلقت لأجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته حجبته عني ومن اشتغل منهم بمن سقت اليه ما خلقته لأجله وتوكل الخصوص ايضا في الصبر على الأذى من القول والفعل اذ كان أمر ذلك الرسول في قوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون مع قوله صلى الله عليه وسلم ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وكذلك أمر نبيه عليه السلام لما قال تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأمرهم بأتباعهم وقال وداع أذاهم وتوكل على الله وقوله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقال بعض العارفين لا يتبين أحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقط ان وحتى يؤدي فيصبر على الأذى فيستخرج بذلك السكون الى الخالق والنظر الى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعاوضة حيا من الله واجلالا له وتحوفا منه وحيا له فقد وصفهم بذلك ظاهرا وباطنا فالظاهر قوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فلما عملوا صبروا على عملهم ثم توكلوا عليه في جميع ذلك فانهم أجرهم وأجزل ذخرهم والباطن في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطلب ففي قوله منكم وجه حسن غريب وهو باطن الآية قد يكون بمعنى لا نريد منكم كقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ليس أنه جعل من البشر ملائكة ولكن المعنى بدلا منكم وهذا

منه رفع ح

أحد الوجهين في الآية وهو أعلاهما والوجه الظاهر أن يكون الكاف والميم اسما المطعمين أي لا نريد من عندكم جزاء أي مكافاة ولا شكورا أي حسن ثناء فلما لم يطلبوا العوض من أفعلهم ولا المكافاة من عندهم وقالوا انا نخاف من ربنا جزاءهم أفضل الجزاء وأحسن لهم غاية العطاء قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اذ لم يطلبوا جزاء ولا شكورا جعل جزاءهم شرابا طهورا وجعل سعيهم لديه شكورا ثم التوكل عليه في تسليم الحكم والرضى به ومنه قول يعقوب عليه السلم حين سلم لهم توكلا على الوكيل الحاكم ان الحكم الا لله عليه توكلت لان العبد اذا كان مريدا لمراد نفسه من الأشياء وقد علم بوجد في كل شيء ارادته ثم هو على يقين من ارادة مولاه لكل شيء وان كل شيء مراد لوكيله فينبغي ان يريد ما يريد مولاه اذ لم يتفق له ما يريد لئلا يفوته أن يكون مراد مولاه أحب اليه وآثر عنده لأن ما أراده مولاه مما لا عقوبة على الصد فيه ولا سخطة لمولاه فانه محبوب لله مختار له فلتكن محبة الله مقدمة لديه على محبته هو واختياره إذ لله عاقبة الأمور وقد شرف المتقين ونزههم عن امور العاجلة الدنية بقوله تعالى والعاقبة للمتقين وكما ذري في اخبار موسى عليه السلم اذا لم يكن ما تريد فاذ ما يكون فان أبيت الا ما تريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد وروي عن الحسن وددت ان أهل البصرة في عيالي وأن جبة بدينار وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الأحكام والرضى بها كيف جرت بهم لان هذا كلام قد جاوز المعقول وقد كان وهيب بن الورد المكي يقول لو كانت النساء جواري والأرض رصاصا واهتممت برزقي لظننت أني مشرك ويقال من اهتم برزق غد وعنده اليوم قوت غد فهي خطيئة وقال سفين الصايم اذا اهتم في أول النهار بعشائه كتب عليه خطيئة وقد كان سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال أعرف بالبصرة مقبرة عظيمة يعدي على موتاها برزقهم من الجنة بكرة وعشيا يرون منازلهم من الجنان وعليهم من العموم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل وكم قال كانوا اذا تغدوا قالوا بأي شيء نتعشى واذا تعشوا قالوا بأي شيء نتغدى وقال مرة أخرى لم يكن لهم من التوكل نصيب وهذه المقامات من فضايل التوكل وفوقها ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاهم كنز باطلاعه اياهم على الاسرار فزهدوا في كنز لأجل كان توكلا عليه وحيا منه

أن يعارضوه في قدرته أو يرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه لأن تدبيره عندهم أحكم وأتقن
وهو أعلم بالعواقب وأخبرهم له أشد اجلالا وإعظاما مما نقدر نحن ونعلم فأما التوكل عليه في
القوت فانه عندهم فرض التوكل يستحيون من ذكره مع الوكيل وكذلك التوكل عليه في تسليم
الأقدار حلوها ومرها خيرها وشرها من الله حكمة وعدلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وكما قال تعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن ما أصابك لم
يكن ليخطئك وكذلك قال الله عز وجل وكل شئ فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
فالعلم بهذه الاشياء طمأنينة القلب بها وسكينة العقل عند ورودها وأن لا يضطرب بالرأي والميل
وأن لا ينازع بالتشبيه والتمثيل فإن هذا عندهم من فرايض الايمان لا يصح إيمان عبد حتى يسلم ذلك كله
اليه وليس هذا من التوكل في شئ ومنه قول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب
بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضا لتوحيده فجعل الايمان بالأقدار كلها إنها مشية من الله وحكم
بمنزلة الخيط الذي ينظم عليه الخرز وإن التوحيد منتظم فيه يقول اذا انقطع الخيط تساقط
الخرز كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل فرضه منوط بالايمان
وهو تسليم الأقدار كلها للقادر واعتقاد أن جميعها وقدره ألم تر الى ربك كيف أقسم بنفسه في
نفي الايمان عمن لم يحكم الرسول فيما اختلف عليه من حاله فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فكيف بالحاكم الأول والقاضي
الأجل فما فضل التوكل فانه يكون عن مشاهدة الوكيل لأنه في مقام المعرفة بنظر عين اليقين كما قال
العبد الصالح فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فظهرت منه قوة عظيمة بقوي وأخبر عن عزرين بعزيز
فكأنه قيل وكم ذاك وانت بشر مثلنا ضعيف فقال اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو
آخذ فكأنه سئل عن تفسير توكله كيف سببه فأخبر بمشاهدة يد الوكيل آخذة بنواصي دواب الأرض
فقال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ثم أخبر عن عدله في ذلك وقيام حكمته وانه وان كان آخذ بنواصي
العباد في الخير والشر والنفع والضر فان ذلك مستقيم في عدله فقال ان ربي على صراط مستقيم
وقال تعالى في فرضه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى في مثله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين وقال تعالى في فضله وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين ٥

قضاء وقدر

ذكر اثبات الأسباب والوسائط ونفي انتهاكهم وتجعل

اعلم ان الله عز وجل ذو حكمة وقدرة فأظهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء عن معاني
الحكمة فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لأجل ما شاهد من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمة
صفته ولا يثبت المتوكل الأشياء حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك في توحيده من قبل أن الله
تعالى قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل ضار نافع لا شريك له في اسمائه ولا ظهير له في احكامه
كما قال تعالى ومالهم فيهما من شرك ومالهم منهم من ظهير الشرك الخلط والظهير المعين على
الشئ فالمتوكل مع شهادته قدرة الله تعالى على الأشياء وانه منفرد بالتقدير والتدبير وقايم بالملك
والملكوت ايضا هو عالم بوجوه الحكمة في التصريف والتقليب واظهار الأسباب والأواسط لاظهار الاشخاص
والأشباح لايقاع الأحكام على المحكوم وعود الثواب والعقاب على المرسوم من حيث كان التوكل قايما
بأحكام الشريعة في تكسبه ملتزما لطالبات العلم مع تسليمه الحكم الأول لله واعترافه أن لا يقدر
الله تعالى اذ سمع الله يقول لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأن الله في جميع ما أظهر اخفى قدرته في حكمه
فظهرت حكمته في الاشياء لرجوع الأمر كله اليه ولاتقان الصنعة الظاهرة لصنع الباطن فلذلك
قال عز وجل صنع الله الذي أتقن كل شئ أي صنعه الباطن أتقن صنعته الظاهرة ثم قال تعالى واليه
يرجع الأمر كله من الظاهر والباطن فاعبده وتوكل عليه في جميع ذلك فلا عارف المتوكل من الصنع
الباطن شهادة هو قايم بها وله في الحكمة الظاهرة علم شرع وتسليم اسم ورسم هو عامل به وهذا هو شهادة
التوحيد في عبادة التفصيل وهو مقام العلماء الربانيين وكل مؤمن بالله متوكل على الله ولكن توكل
كل عبد على قدر يقينه فتوكل الخصوص ما قدمناه من ذكر المشاهدة ومعاني الرضى وتوكل
العموم ما عقباه من الايمان بالأقدار خيرها وشرها وقد أخبر تعالى ان الله هو الرزاق كما هو
الخالق كما هو المحيي المميت فقرن بين هذه الأربع في قرن واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة فكيف تخالف
حكمها أو يتبعض وصفها الظهور الأسباب ووجود الأواسط فقال سبحانه الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فما ليس في الثلث الأخر جاعل ومظهر الا الواحد فكذلك ليس في الرابعة من الرزق
الا هو ألا ترى انك لا تقول خلقني أي وكان سبب خلقك ولا تقول أحياني وأماتني فلان وان كان

أواسط في الاحياء والفضل لأن هذا شرك ظاهر اشترك قبحه فترك وإذلك قال أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فأضاف الإمناء والحرث الينا لأنهما أعمال ونحن عيد عمال ولأنها صفاتنا وأحكامها عائدة علينا أو أضاف الخلق والزرع اليه لأنهما إبانة عن قدرته وحكمته والله هو الفاعل الحكيم وكذلك كلما ذكره في كتابه من الأعمال والاكتساب أضيف الى الجوارح المتحركة ونسب الى الأدوات المكتسبة وما كان من القدرة والإرادة وصف نفسه به لأنه المزيد الأول والفاعل الأعلى فافهم عن الله خطابه كي لا يزيغ قلبك فتنشأ به ثم قد يقول العبد أعطاني ومنعني فلان لأن هذا الأمر خفي ولأن الأسباب تظهر على أيديهم وتجري بأوامرهم فحجبوا بها عن المسبب واستتر عنهم المعطي المانع ويقبح هذا ايضا عند الموقنين كقبح ذلك لأن الله تعالى نفى الرزق عن سواه كما نفى الخلق عن سواه فقال تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ولم يرد اللفظ على اللفظ وإن حسن فيقال خلقكم لأنه اذا دار ان يفيدنا فضل بيان ويعلمنا اقتران الرزق بالخلقة وانهما شيئان عن القدرة فالمتوكل قد أيقن انه لم يكن على الله ان يخلقه فلما خلقه كان عليه ان يرزقه وهكذا روي عن الله تعالى أني أخلق خلقا ولم أرزقه وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ردا عليهم حين قالوا جدي في كذا وجدي في كذا يعنون تشوف الأسباب ففي ذلك بقوله هذا في صلاته وأسمعه اياهم خشية دخول الشرك عليهم أي جد العبد لا ينفعه منك شيئا فهذا كما قال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال بعض العلماء في معنى ذلك من جده الطلب وحرص وجد منك المنع لم ينفعه جده في طلبه وحرصه شيئا وقال ايضا في معنى قول الله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو الأسباب من قلوب العارفين ويثبت القدرة ويمحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الأسباب في صدورهم وقال أيضا هذا خلق الله النفس متحركة ثم أمرها وهذا هو البلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا خصوص وان تركها تحركت بطبعها وجبلتها وهذا هو الخذلان وفي وصية لقمان لابنه يا بني اردد رغبتك الى الله ان شأ أعطاك وان شأ منعك وإن جبلتك لن ترديك ولن تفصك شيئا من قسمة الله التي قسم لك واعتبر رزقك بخلقك فان استطعت أن ترى في خلقك حيلتك فانك اذا ترى في رزقك والا فاعلم ان الله هو الذي عدل الخلق وقسم الرزق فلا تستطيع أن ترى في واحد منهما فان منهم المبتلى الجلد البطش ولا يزداد الا فقرا ومنهم الضعيف الغبي الواهن المهين ولا يزداد ماله الا كثرة ولو كان من الحيلة لسبق القوي الضعيف الى كل شيء ولكن

الموقنين والغافلين

الله خلق ورزق ولا يملك العباد من ذلك شيئا وهكذا يرى ان بعض الأكابر ترى احكيما في زمانه فقال ما بالي أرى العاقل محروما والأحمق مرزوقا فقال ان الصانع أن يدل على نفسه ولو كان كل عاقل مرزوقا وكل أحمق محروما لما وقع في العقول ان العقل يرزق صاحبه وان الحمق حرم صاحبه فلما رأوا الأمر بخلاف هذا علموا ان الصانع هو الرازق وروينا عن ابن مسعود ان في اعطاء هذا المال فتنة وفي امساكه فتنة ان اعطيه عبد مدح غير الذي اعطاه وان منعه عبد ذم غير الذي منعه وقد روينا معناه في حديث مطرف عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطب فقال ألا ان في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة يغدو الرجل الى ابن عمه فيسأله الحاجة التي قد كتبها الله له فلا يملك منعه فيعطيه ما كتب له فيظل يشكره ويثني عليه بها خيرا ثم يعود اليه العام المقبل فيسأله الحاجة التي لم يكتبها الله له فلا يملك أن يعطيه كما لم يملك في العام الأول أن يمنعه ما لم يكتب له فيرجع يحتقبها عليه دينا ويثني عليه بها شرا ألا ان في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة واللفظ للخبر ولم يعن بالفتنة الاختبار وصدق صلى الله عليه وسلم تختبر بذلك الموقنون والغافلون لينظر كيف يعملون فاما اهل اليقين فيعتبرون بالأسباب ويحجبون من التسبيب فيزدادون بذلك هدى وايمانا لشهودهم المانع والمعطي والمنع والعطاء ولمعرفتهم بحسبان الحكمة فيما جاءت به الشريعة فثبت لهم مقاما الشكر له والصبر عليه واما الغافلون فيضطربون لذلك ويتشتتون لنظرهم الى الأسباب والأيدي فيمدحون المعطين ويذمون المانعين عندهم فينقصون بذلك فقد صار المال فتنة للفريقين يكشف ايمانهم ويمحص للتقوى قلوبهم وكذلك جاء في الخبر ان العبد ليهم من الليل بالأمر من امور الدنيا من التجارة وغيرها الذي لو فعلها كان فيه هلكته فيظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح حزينا كئيبا يتطير بجاره وابن عمه من سعى من دهاني وما هي الا رحمة رحمه الله بها وعن ابن مسعود قال من الاخلاص أن لا تحب أن يحمدك الناس على عبادة الله وان لا تمدحهم على ما رزقك الله وقد روينا عن عيسى عليه السلام وعن ابن مسعود وغيره ان من اليقين أن لا تحمد أحدا على ما أعطاك الله ولا تذمه على ما لم يؤتك الله وقال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وفي حديث الإفك الذي رواه معمر عن أيوب عن حماد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت فقام الي أبواي فقبلا بين ثدي

فقالت بغير حمد كما واحمد صاحبكما احمد الله الذي عزني وبرأني وفي حديث عيسى فقال لها ابو بكر رضي
الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا اجمد الا الله فقال النبي صلى
الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر فقد عرفت الحق لاهله فهذه المعاني التي قدمناها تكون من ضعف
اليقين ونقصان المعرفة فاذا انطوت في سر العبد وخلده وكثرت من قوله وفعله أذهبت حقيقة
الايمان كما قال عبد الله ان العبد ليخرج من منزله ومعه ايمانه ويرجع الى منزله وليس معه من
ايمانه شيء يلقى الرجل لا يملك له ضرا ولا نفعا فيقول له انك لذيت وذيت ويلقى الاخر كذلك حتى يرجع
الى منزله ولعله لم يخل منهم بشيء وقد اشتط الله عليه وسئل بعض علمائنا عن معنى الخبر المنقول من
التوراة من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه فقال لان الايمان عقد وفعل وقول فاذا تواضع للغني لاجل
دنياه بالثنا والحركة اليه ذهب ثلثا ايمانه وبقي الثلث وهو العقد فان جعلت الواسطة في الرزق
او البخل في الجعل لشبوتها قال الله قد اظهرها اسبابا واثبت نفسه فيها فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت
الذي وكل بكم ثم رفعه واظهر نفسه فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
افرأيتم ما تحرثون فذكر الواسطة ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وقال تعالى في التفصيل
فارسلنا اليها روحنا ثم قال في التوحيد فنفخنا فيه من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلم كما
قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال اهل التفسير اذا قرأه عليك جبريل فحذه عنه بعد قوله تعالى لا
تحرك به لسانك لتعجل به وكذلك قال جبريل لاهب لك غلاما زكيا ان الله تعالى وهب له ان نسب
الهبة لنفسه فقد ذكر نفسه وهو يشهد ربه ثم قال في الحرف الاخر ليهب لك يعني الله تعالى قال ومثله قول موسى عليه
السلم انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ان الله تعالى وهب له ان نسب
لا يملك نفسه ولا اخاه اذ لا مالك الا الله عز وجل وهذا على احد الوجهين اذا كان واهب في موضع نصب
والوجه الاخر ان يكون قوله واهب في موضع رفع فيكون المعنى واهب ايضا لا يملك الا نفسه وكذلك قال
الله تعالى في التفضيل والامر اقتلوا المشركين وقال في مثله من ذكر واسطة الامر قالوا يعذبهم
الله بايديكم ثم قال في التوحيد فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال في اثبات الاسباب ورفع حقائقها
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال تعالى في ذكر الاواسط فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ان يعذبهم بها وقال في مثله الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال في تثبيت الاملاك

وبيعها منه بالاعواض ذكرها منه وفضلا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فاورد لك الملكهم
ماله لقوله تعالى الا ما ملكت ايمانكم وعند اهل المعرفة الافاعيل حقيقة لله تعالى لان حقيقة
الفاعل هو الذي لا يستعين بغيره بآلة ولا سبب وعندهم ان فعلا لا يأتي من فاعلين واذا كان شركة لان
الفاعل الثاني المظهر الذي فعل بيده واجرى الفعل بواسطته هو ثان ومحدث والاول القديم هو
الفاعل الاصل كما ان عندهم ان حقيقة الملك هو خالق الشيء ومن جعل في يده فهو مملك لانه لم يخلقها
بيده كما اجرى على يده الفعل مفعول ان الله هو الاول القيوم بنفسه لا يستعين بغيره وقد جعل
الله ايضا كلمته للخلقة والحياة واسطة وهو ملك الارحام في الخبر انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في
يده ثم يصورها جنينا فيقول بعد ذلك يا رب ذكرا ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويصور
الملك ثم ينفخ فيها الروح بالشقاء او بالسعادة ويقال ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يعالج
الارواح في الارحام ويقال انه ينفخ بوجهه فيكون كل نفس من انفاسه زوجا لي في جسم ولذلك
سمي الروح فصار العبد يظهر بين اربعة وهي جلود لكلمة ظاهرين وباطنين ويحال بامرين ملكان الارحام
وملك الارواح وقال الله تعالى في وصف نفسه الباري المصور كما قال لملائكته الباري وقال خلق
الموت والحيوة وقد جعل الاحياء واسطة كما جعل الموت وهو اسرافيل صاحب الصور نفخ فيه
النفخة الثانية فيحيي كل ميت ثم رفعه الله تعالى فقال يوم ننفخ في الصور ووصف نفسه بانه المحيي
المميت وفي بعض الاخبار ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء
وقال ملك الحيوة انا احيي كل ميت فاوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع فانا
المميت وانا المحيي ولا ممیت ولا محيي سواي وكذلك ايضا قيل عن الله تعالى انا الدليل على نفسي ولا
دليل على الا دليل ميت ولم يمنع وجود هذه الاواسط ان يكون الله سبحانه هو الاول في كل شيء فان
الكون كله مكان لجريان افعال الارادة اوله والقدرة من ورائه ولم يقل احد من المسلمين ان
الملك خلقني ولا عزرائيل اماتني ولا اسرافيل احياني وكذلك ايضا لا يصح ان يقول الموقن المشاهد للتوحيد
فلان اعطاني او منعني كما لا يقول فلان رزقني ولا فلان قدر علي وان جعل واسطة في ذلك واجرى
على يديه ذلك لان العطاء هو الرزق والمنع هو القدر ولا كان عندهم مشتركا في انها الله غير انه كان
الله هو المعطي المانع النافع الضار كما هو المحيي المميت لا شريك له في ملكه ولا ظهير له من عباده في

خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح في حقيقة التوحيد للعبد وهو من الشرك الخفي الذي جاء في الأثر
الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء وقد قال بعضهم في معنى قول الله تعالى وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون قال مؤمن بالأقدار أن الله هو المقدر المدبر ومشرك في الاعتماد على
الأسباب وزد الأفعال إليها ومن الإخلاص عند الخاصين فلا إله إلا الله التي هي أصل التوحيد
أن تشهد واكذلك لا نافع ولا ضار إلا الله ولا معطي ولا مانع إلا الله ولا هادي ولا مضل إلا الله كما
لا إله إلا الله هذا عندهم في قرن واحد ومشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وإن كان قد جعل هادين
ومضلين ومعطين وما نعين ولكن من بعد إذنه ومن بعد مشيئته وقدره وحكمته كما قال تعالى
أحسن الخالقين خير الرازقين لأنه خلقهم وخلق خلقهم ورزقهم ورزق رزقهم وكذلك هداهم
وهدى بهم وأضلهم وأضل بهم فمن هدايته هدوا به ومن إضلاله ضلوا به بعد إرادته كما من
خلقه خلقوا ومن رزقه رزقوا كيف وقد فسرنا ما ذكرناه بقوله تعالى خلق من الطين كهيئة الطير
بإذني وبقوله لو هدانا الله لهديناكم فأغويناكم إنا كنا غاوين فمن شاهدة العبد ما ذكرناه نخرج
العبد من الشرك الخفي وهو تحقيق قوله لا إله إلا الله بعد التصديق أي ليس من آلهة القلوب والله
إليه إلا الله ثم يقول معها وحده لا شريك له في ملكه من خلقه ثم وكذلك بقوله له الملك أي جميع ما أظهره له
الحمد في جميع ما أعطى ومنع يستحق الحمد كله فهو له لا يستحقه غيره وهو على كل شيء قدير أي ما الملك والأمر كله
كله له والملك كله له يحكم في خلقه بأمره ما شاء كيف شاء ومثل الأواسط من الأول مثل الآلة بيد الصانع الأمر
الله يقال للشفرة جذ بالنعل ولا للسوط ضرب العبد إنما يقال لهذا اجذ بالنعل وفلان ضرب عبده بالسوط وإن كانت هذه
الأواسط مباشرة للأفعال إلا أنها آلة بيد صانعها كذلك الخليفة يباشرون الأسباب في ظاهر العيان
والله من وراءهم محيط القادر الفاعل بلطائف القدر وخفايا المشية ألم تر إلى قول الصبي الأمير أعطاه كذا
على كذا وإن لم يكن له بيده ولا يصح أن يقال خادم الأمير أعطاه لأجل أنه جرى على يديه وإن كان أشد
العطاء نفسه إذ قد علم أن الخادم لا يملك ولا يتصرف في ملك الأمير إلا بأمره إلا أن يسأل الإنسان سيد من
أعطاك الأمير أو على يد من وجه إليك بالعطاء لبغية تكون للسائل من معرفة أي عبد جاء به فيحسن
أن يقول حينئذ بيد عبده فلان فأما أن يمدي المعطي من غير أن يسأل إذا أراد أن يظهر العطاء فيقول
الأمير أعطاني على يد عبده فلان فإن هذا لغو لا يحتاج إلى ذكر العبد مع ذكر الملك لأن البغية

العطاء من الملك المعطي فلا معنى لذكر العبد الذي جرى العطاء على يديه فافهم ومن ذلك قول النبي صلى الله
عليه وسلم للرجل الذي ناوله التمر خذها ولو لم تأتها إلا منك والتمرة لا تأتي ولم يقل جاءك بها رجل إذ لا بغية فذلك
ذلك ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد فقال عرف الحق
لأهله وإنما ذكر الله تعالى الأسباب لأن الأسباب متعلقة بها والأحكام عائدة على الاسم بالثواب
والعقاب فلم يصلح إلا بذكرها فتعود الأحكام على الحاكم تعالى عن ذلك إنه يبدئ ويعيد بدئ الأجسام من
الحاكم ويعيدها على المحكوم عليه وهذا هو سبب إظهار المكان من الحيوان والموات ليلا يكون تعالى
محكومًا وهو الحاكم ولا يكون مأمورًا وهو العزيز الأمر فعادت الأحكام منه على الحيوان والموات
الأوامر منه قبل المأمورات فهذا كقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وجميعًا عنده وفي
خزائنه إلا أنه أضاف الدنيا إلينا لرجوع الأحكام علينا ولينزهنا فيها وأضاف الآخرة إليه تخصيصًا
وتفضيلًا ليرغبنا إليها وكما أخبر عن عيسى صلى الله عليه وسلم وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير ومثله
فانزرقوم فيها فسماه خالقًا إذ خلق الله على يده وسماهم رازقين لما أجرى على أيديهم رزق أهليهم فهو عندي كقوله
لمريم وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا وقد علمنا أن الرطب لم يتساقط لهزها ولا جعل ولا فعل
لهزها في الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها وتجعل الآية منه بيدها مثله اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فركض برجله فنبعت عينان أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل فشرب من أحدهما واغتسل من
الأخرى فغسل ما في جوفه وباطنه من البلاء واغتسل من الأخرى فأزال ما في جسده وما في ظاهره من السقم
والأذى ولا فعل لرجله في إظهار العينين ولكن الله تعالى أجرى ذلك بيده وأجراه بواسطته تكرمة منه
إليه وأنه هيأها له ونحو ذلك قوله سبحانه لإبراهيم عليه السلام ثم ادعهن يأتينك سعيًا فجعل كيفية إحياء
الموتى بيده بدعوة إبراهيم وكان ذلك جوابًا لمسألته وقد نفى ليبدو ما سوى الله في قوله
ما أكل ثمر
ما خلا الله باطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنشد ذلك صدق وفي لفظ آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أصدق بيت قاله الشاعر ألا كل شيء ما خلا الله باطل فهو يعلم صلى الله عليه وسلم أن في الأشياء أوائل
حق وأسباب صدق ثم لم يمنعه ذلك أن قال أصدق بيت قاله الشاعر كذا إيثارًا منه للتوحيد وتوجيدًا
للموجد هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وإبطال الكتب ولكن لما كانت الأشياء بعد أن لم تكن ربما يكون
بعد أن كانت شبهت الباطل الذي لا حقيقة له أولية ولا بناء آخرته وكان الله تعالى الأول الذي لا آخر

الأبدي فهو الحق وكذا سواه ومثل الأسباب أيضا في توابعها واواسطها اجتنب الأول المسبب مثال ما تقولون القرآن قال الله كذا وكذا أن تقول قال نوح وقال يوسف كذا فكل صواب فاذا قلت قال الله فهو القائل الأول قبل القائلين متكلما بوصفه مخبرا عن علمه بغير وقت ولا حد محدود ولا حدثان وان قلت قال صالح وقال شعيب فقد قالوه بأنفسهم توان في القول واواسط به قالوا ذلك عنه بحدوث أوقات وظهور أسباب كذلك الأسباب في أواسطها هي توان عن الأول المبدي ومن هنا ورد في مثله دخلت الشبهة على المبتدعين فقالوا الخلق القرآن فلم يدخل عليهم الا أنهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله أحكم الحاكمين فأثبتوا قبل قوله قيلا وهو القول منهم لنفسهم قدم الكلام فوقعوا بجهلهم في أعظم مما هربوا منه لأنهم هربوا من اثبات قديم آخر بزعمهم فوقعوا في اثبات حدث أولا واحداث قديما تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وسبحانه بكرة وأصيلا ولم يعلموا بجهلهم أنهم مما قالوه بعد قوله فصار قولهم عن قوله فمحنا وكان هو الأول في القول من حيث كان هو الأول في القدم والسابق في العلم وصاروا هم توانا في المقال من حيث كانوا حوادث في الأفعال فكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين من ضعفاء اليقين لشهود المانعين والمنفقين أوائل الفعل من قال ان الله تعالى اظهر العطاء والمنع بايديهم فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم وأشركوا في اسماء الله كما اشركت المبتدعة في صفات الله عز وجل اذ حجبوا عن شهادة علم الله كما حجب الزائغون عن حقيقة توحيد الله الا ان شرك الزائغين ضلال ينقل عن الملة وهو شرك جلي وشرك ضعفاء اليقين خفي وجهل لا ينقل عن الملة لأنه شرك خفي وحكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل فلما سلم الامام نظر اليه في زي مكتسب فقال يا شيخ ما من أن تأكل فقال اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيئك وعلموا أن آخر في معناه انه لزم العكوف في مسجد ولم يكن ذا معلوم فقال له الامام الذي يصلي بالناس لو تكسبت وتعيشت كان أفضل لك فلم يجبه فأعاد عليه وقتا آخر بحو ذلك فقال له مودعا في جواز المسجد قد ضمن لك رزقين فقنعت بذلك وتركت التكسب فقال الامام ان كان صادقا في ضمانه فان عكوفك في المسجد خير لك فقال الرجل يا هذا انت لو لم تكن اماما للمسلمين تقوم بينهم وبين الله لنقص توحيدك كان خيرا لك فلو طلبت توحيدك كان خيرا لك وجدت ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين اذرك بي لطف القطنة وخفي اللطف فاني أحب ذلك قال يا رب وما لطف القطنة وخفي اللطف قال ان وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني أن أرفعها قال وما خفي اللطف قال ان تتركه فوله مشوشا

فاعلم اني قد ذكرت لك بها وهذا الذي ذكرناه من ان الله سبحانه هو المعطي المانع النافع من حيث كان هو الخالق الرازق كيف شاء ومتى شاء وبمن شاء هو في عقود عموم المؤمنين وفي علمهم لما ان فيهم جملا بالحكمة وغفلة عن الحاكم يحيلون ذلك الى عاداتهم ويريدون أن يكون رزقهم من حيث معتادهم أو من جنث معقولهم باختيارهم ومعقولهم وبالعز والفخر والتطاول والأنفة لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة ولا يكلون أمورهم الى الله ويرضون بتدبيره وتقديره أن يرزقهم كيف شاء ويد من شاء فيوثرون اخلاق الجبابرة على اخلاق المؤمنين ليعدهم من شهادة اليقين ولا تبتلاه اخلاق لتنقش عليهم ثم ان نفوسهم مع علمهم أن الخلق والأمر كله لله عز وجل وأن الحمد والملك له قد يطمع في غير الله ويرجو انواله وقد تضطرب بحيلتها عند اثقال الجفاين وقلوبهم لا تطمئن بل تنزعج عند الابتلاء بالمصاب والآفات ولا تصبر للخالق وان استنتهم بالذم والأسى على فوت العطاء لوجود الغفلة وذهابهم عن مشاهدة ما يعلمون فهذا دليل نقص توحيدهم وعلامة ضعف يقينهم وان معرفتهم معرفة سمع وخبر لا معرفة شهادة وخبر وقد شركهم الموقنون بتسليم ذلك لله في العلم والقدرة واثبات الأواسط والأسباب لمجاري الحكمة وعود الثواب والعقاب على الخليقة ولكن زادوا عليهم بحسن اليقين وقوة المشاهدة وجمل الصبر وحقيقة الرضى فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس وثبتوا في الابتلاء لشهود المبلي يدبر الأمر في الملك كيف شاء فحصل لهم مقام اليقين وحال التوكل ونصب من الرضى وخرج أولئك من حقيقة هذه المعاني ودخلوا في عمومها ودخل عموم المؤمنين مع الموقنين في فرض التوكل عليهم الموقنون فارتفعوا عليهم وعلوا في فضله ووقف العموم وتكسوا عن العلو لقعود اليقين بهم ووجب الأسباب لهم وسبق المقربون الى الفضل وبوئت كل ذي فضل فضله هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون

وقال بعض العلماء احتجب عن العموم بالأسباب فهم يزرونها ولا يرونه وحجب الأسباب نفسه عن الخصوص فهم يرونه ولا يرونها وحدثونا عن سري السقطي قال ثلث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في مواطن الهلكة والتسليم لأمر الله عند نزول البلاء والرضى بالقضاء عند روائع النعمة وقال يوسف بن اسباط قبله كان يقول ثلث من كن فيه استكمل ايمانه من اذا رضي لم يخرجه رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وقد رويناه مسندا

ذكر التكسب والتصرف في المعاش

ولا يضر التصرف والتكسب من صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله اذا احكم معنيين النظر
الى الوكيل في اول الحركة فيكون منخرقا بابه والرضى بالحكم بعد التصرف فيكون مطمئنا اليه قال الله تعالى
وجعلنا النهار معاشا وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
افضل ما اكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور وقد كان الصانع بيده احب اليهم من التاجر
والتاجر احب اليهم من البطال وقال ابن مسعود اني اكره ان يكون الرجل بطالا ليس في عمل دنيا ولا في عمل
اخرة ولان التوكل من شرط الايمان ووصف الاسلام قال الله تعالى ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين فاشترط للايمان به والاسلام له التوكل عليه فان كان حال المتوكل التصرف فيما وجه
فيه ودخل في الاسباب وهو ناظر الى المسبب في تصريفه معتمد عليه واثق به في حركته متسبب فيما
يقلبه فيه مولاه متعيش فيما يتسببه له ويوجهه فيه عالم بان الله قد اودع الاشياء منافع خلقه وجعلها
خزائن حكمته ومفاتيح رزقه ويكون ايضا متبعا للسنة والاثار تاركا للترفه والتنعم فهو في تكسبه
وتصرفه افضل ممن دخلت عليه العلل في توكله فسماكها وقد ذكر لنا عن بعض العلماء انه راى بطن رجله
وقد كان ترك العمل اربعين سنة فقيل له دخلت في التكسب بعد ان كنت تركته فقال انا هذا اذا عدنا
عن التوكل لم نصبر على ذل الاستشراف فكذلك الامر من دخلت عليه الافة في ترك التكسب فليخرج منها
الى الحرفة ومن دخل عليه اليقين فاقطعه فليقعد عن الاكتساب فالتكسب خير من التشرف الى
الخلق واعتياد المسئلة وسالكه على طريق فهو يصل وان كان في طريقه يعدل والتوكل لمن اقعدته ناظرا
الى الوكيل افضل لمن صح له لفراغ قلبه من الخلق وشغله بالخالق وهو طريق قريب فصاحبه مقرب والاكل
للتكسب طمعا في الخلق وترفيها للنفس وحبا للمسئلة واتباعا للهوى سالك على غير طريق لا قريب ولا اصل
وهو عن الحجة جابر وعن القصد جائر كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم فاسه
وحبله فيذهب الى الجبل فيحتطب فياكل ويتصدق خير له من ان يسئل الناس وقال استغنوا عن الناس
ولو بشوص السواك يعني بمضغه وقال من ضمن لي خصلة واحدة اضمن له الجنة لا يسئل الناس شيئا
وقال بعض علمائنا من انكر التكسب فقد طعن في السنة ومن انكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد
وقال بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم اصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والفاعل وقال
الناس فقال للتاجر اترك تجارتك ولا للقاعد اكتسب واصنع بل جاءهم بالايمان واليقين في جميع

احوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعلمه في حاله وقد كان بعض المتوكلين يقول من لم يصبر
على جوع ثلثة ايام اخاف ان لا يسعه ترك العمل اذا وجده وقال ايضا من قطع الاسباب فضعف قلبه او ترك
وجودها اسكن لقلبه من علمها لم يصح القعود عن المكاسب لان فيه انتظار لغير الله وقال بعض العلماء
من طرقته فاقة سبعة ايام فتصور في قلبه طمع في خلق او استشراف الى عبد فالسوق افضل له من
المسجد وقال ابو سليمان الداراني لا خير في عبد لزم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب من
يطرق بسبب وقال بعض علمائنا اذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكنا مطمئنا
عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همته فترك التكسب والقعود هذا افضل لشغله بحاله
وتزوده لمعاده وقد صح له مقام في التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد التوكل فقال
اذا دخل عليه الضر في جسده والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلا بحاله وبنظر
الى قيام الله عليه وقال ابراهيم الخواص وهو امام المتوكلين من المتاخرين ثلثة مواطن جمل
الزاد فيهن من ادب التوكل القعود في مسجد والركوب في سفينة وصحبة القافلة وقال سفيان الثوري
العالم اذا لم تكن له معيشة صار وكيلا للظلمة والعابد اذا لم تكن له معيشة اكل بدينه والجاهل
اذا لم يكن له معاش كان سفيرا للفساق وقال بعض اهل المعرفة الناس ثلثة رجل شغله معاده
عن معاشه فهذه درجة الفاسقين ورجل شغله معاشه عن معاده فهو صفة الهالكين وروينا عن علي رضي الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق تطلبه
فسره بعض العلماء فقال الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذي تطلبه هو رزق
التمليك وهو طلب فضول القوت وقال ابو يعقوب السوسي وقد كان له مقام مكين في التوكل
التوكل على ثلث مقامات عام وخاص وخاص خاص فمن دخل في الاسباب واستعمل العلم
وتوكل على الله ولم يتحقق باليقين فهو عام ومن ترك الاسباب وتوكل على الله وتحقق باليقين
فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في الاسباب فتصرف لغيره
فهو خاص خاص وهذا وصف الطبقة العليا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم
جردهم اليقين من الدنيا فادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم واستعملوا بالعلم على حقيقة اليقين
وكذلك كان الخواص يقول دخول الخصوص في الاسباب لغيرهم واستعملوا بالعلم ردت عليهم

أحوال الغير وجعلوا ازارقين لهم فتصرفوا فيها لأجلهم وهم يرون من التعلق بها وقد كان أبو جعفر
الحداد شيخ الجنيد أحد المتوكلين وقال أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق الا
كل يوم دينارا وعشرة دراهم لا أبيت منه دانقا ولا أستريح فيه الى قيراط أدخل به
الحمام بل أخرجه كل يوم قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل لحضرة أبي جعفر وقال
أستحي من الله أن أتكلم في مقامه وهو حاضر وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك
المسألة والاستشراف تنزيها للفقراء وزادهم الى الله تعالى لأن في مسألة العبد الفقير ذلا
وحرصا على الدنيا جليلا وفي الاستشراف الى العبيد طمع في غير مطمع ونظر الى غير الله وابتذال
البيوت من غير أبوابها ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أجل
الله من الفواحش غيرها وقال من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن فتح على نفسه
باب مسألة فتح الله عليه باب فقر فكأن الفقراء الصادقين جعل لهم أخذ العطاء بل ندبوا الى قبوله
عوضا لهم من ذلك لما منعوا من الاستشراف والسؤال تنزيها لهم وتفضيلا فمثلهم في ذلك مثل
أهل البيت جعل لهم خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تفضيلا لهم وتشريفا وقد كان
أحمد بن حنبل أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئا فيه فضل عما استأجره عليه فرده عليه
فلما ولى قال له أحمد الحقه فادفعه له فانه يأخذه قال فلحقه المروزي فدفعه اليه فأخذه فقال له
أحمد عن ذلك كيف رددته في الأول وأخذته في ثان فقال انه كان قد استشرف لذلك فرددته وقد أخذ
فلما انصرف أيست نفسه منه فلذلك قبل ◦ وقد كان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء أو خاف
أعياد النفس له لم يقبل منه شيئا وكان يقول صوفي لا يكون بحريف وهذا كله يحسن في حال
المنفرد فأما ذو العيال فالأمر عليه أوسع من ذلك ولا بأس أن يأخذ لعياله كما يأخذ لنفسه
من الناس لأن عيال الله عنده فقد وكلهم وأجرى أرزاقهم على يديه فان طلب لهم وحث على
استخراج حقهم مما أوجب الله لهم لم ينقص ذلك من حاله ◦ وفي الخبر ما من عمل أفضل من أن يأمر
بالمعروف في ذوي رحمه أو قام بهم فقام بحال غيره من المسلمين وقد كان من السلف من يقوم ذو الستة
بأهل بيت من المسلمين وأكثر الى العشرة أهل أبيات وذلك قد قام بأهل بيت من الأنصار
الا انهم قد أجمعوا عليه وآخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف

فقال له سعد انشاطرك مالي وأهلي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق
فعمل يومه فرجح بشيء من سمن وأقط فلو كان التكسب في الأسواق ينقص لبطل خبر عبد
الرحمن بن عوف في سعد بن الربيع وهو امام الأئمة ما ينقص توكله ولكنه أحب ادخال
الشفقة على أخيه وأحب هو ادخال المشقة على نفسه وكره المنع كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمعاذ اياك والمنع فان عباد الله ليسوا بالمنعمين ورأى فضالة بن عبيد الله
شعث أغبر حافيا وهو أمير مصر فقيل له لم أنت هكذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهانا عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا ثم اختار عبد الرحمن أيضا ايثار أخيه بما آثره به رغبة في
أخوته ولأن الله تعالى قد ندب الى الايثار ووصف به الأحباب والأخيار وأعلى من عبد الرحمن مقام
امام الأئمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أخذ الأثواب تحت حضنه ودخل السوق
ينادي هذا في أتم أخوانه حين أهل الخلافة وأقيم مقام النبوة حتى اجتمع المسلمون فكلموه في ذلك
فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من
المسلمين لا مكسر ولا شطط فلما رضوا جميعا بذلك وانقطعوا عليه ترك السوق لشغله بأمرهم
ألا تراه كيف أثر القيام بحكم حاله مما أوجب الله عليه لأهله وتواضع لله في حال رفعته وأنفق
الخلق عن عبيه حتى كره المسلمون ذلك فتركه بحكم ثان فكذلك المتوكل لم يزل مع الحكم
الأول حتى سمح الله له طريقا آخر فيسلكه بحكم ثان وقد كان بعض علماء السلف يجمع اليه الناس
للكلام عليهم فكان يقول لو أعلم ان أهلي يحتاجون الى باقة بقل ما تكلمت عليكم في هذا أبدا
وبرهان لمن لم تنته هوه الأهوى في انكار التكسب على أهل التوكل احتجاجا لنفسه واعتذارا من
بطالته ولا يسع العلماء في الدين الا البيان وكشف حقيقة العلم بالبرهان فالتكسب والأسباب
ظروف أودعها الله العطاء والأرزاق لا هي تعطي وترزق بمنزلة الأواني من الأشخاص فالمتوكل
المسبب موقن ان الله هو المعطي والمانع وان الله هو المسبب الرازق وانه هو الأول في التصريف
والآخر في التقليب فقلبه ناظر الى القسام فنفسه مناجية الى القسم وقلبه زاهر قانع بالمقسوم
وجسمه متحرك في المعلوم الذي وجد فيه وسبب له وهو عارف بمقامه والمراد منه زاهر في
حاله وما قد استسعى فيه والزم اياه والذي ينقص المتوكل فخرجه من حد التوكل الكتاب

الشبهات للإستكثار أو التغني بالتكسب للجمع والافتخار والحرص على ما حضره العلم أو لطلب ما يكره
المكان منه أو التسخط للاقدار إذا لم تواته على مراد ما قدر أو ترك النصح لمن عامله بأن يحتال عليه
أو يداريه أو التشرف إلى خلق أو الطمع في سبب فهذا كله لا يصح معه التوكل وقد قال بعض العلماء
إذا دخل الشوق للتكسب فإن درهمه أجنبي له من درهم غيره لم يبح للمسلمين في المبايعة وهذا
عنده يخرجه من التوكل ودخول الآفات ومساكنتها لقصور علم أو غلبة هوى يخرج العالم من الزهد
أن يكون متوكلا على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلا
على صحته وقوته ودوام عوافيه وأنه لا يرزق إلا من كده أو يكون متوكلا على ماله بأن يثق به ويطمئن
إليه ويحسب أنه إن افتقر انقطع رزقه وعلامة ظنه به وإعداده له عدة لكن هذه المعاني تخرج عن
التوكل فقد تخفى دقايقها وتدق خفاياها إلا على جهابذة العلماء الراسخين في العلم المتطلعين بالفهم
القايمين على الدوام بالمشاهدة الناكبين عن مألوف التفويض والاعادة فمن نظر إلى هذه المعاني من
الأسباب والأشخاص أو سكن سكون أنس فيقوى قلبه بوجوده فإنه يضطرب ويستوحش ويضعف
قلبه لفقدها فهي علة في توكله وروينا عن بشر بن الحرث قال إن العبد ليقرأ إياك نعبد وإياك
نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما إياي تعبد ولا إياي تستعين فيقول الله تعالى لولست تعبد
إياي لم تؤثر هواك على رضاي ولو كنت بي تستعين لم تسكن إلى حيلتك وقوتك ولا إلى مالك وقد علم
أن التارك للتكسب والتصرف في الأسواق إذا كان في أدنى كفاية وأعين بالصبر والقناعة
في مثل زماننا هذا فهو أفضل وأتم حالا من المتكسب إذا خاف أن لا ينال المعيشة الا بمعصية
الله من دخول له في شبهة عيانا أو خيانة لإخوانه المسلمين ولأنه قد تعذر القيام بشرايط العلم من
مباشرة الأسباب وكثرة دخول الآفات والفساد في المكاسب فترك ملابسة أهل الأسواق
ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب إلى السلامة لبعده من رؤية الأسباب وفقد مباشرتها
لأن الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر إذا لم تره سقط عنك وليس الخبر كالعيان
ولا المجاورة كالمباشرة ولا المعاينة كالمخبر وذلك كمن زل عن حقيقة الكعبة على البعد
إلا أنه متوجه إلى الشطر فصلاته جايزة ولو زل عنها أئمة مع المعاينة لها لبطلت صلاته
والتكسب ليس بفرض وقد يفترض باحدى معنيين بوجود العيال وعدم كفايتهم من وجه

دلك

الوجوه المباحة أو بأن يقطع على مهنة عن فرض ويضعف عنه مع فقد ما يقوم به الفرض مما لا بد منه وقد
كان بشر بن الحرث ترك التكسب وكان يتكلم في الحلال والحرام ويشتد فيه فقيل له يا أبا نصر كنت
ابن تأكل فقال من حيث نأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يتلى مثل من يأكل وهو يصلي ولا من يحتجم
كمن يكتم وقال مرة ولكن يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهذا ترك للصنعة أن
الهلول عاتبه فقال بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت لو أن الله بعث أصبعك وبصرك
الرزق على من فأثر ذلك بقلبه بشاهد منه فاخرج المغازل ويقال يا ترك لها ما هذه شهوة فبعد
لأجلها وطلبت لأجله فأي هذين كان فهو أنمح له طريقا إليه سلكه بعد الطريق الأول فكان
للتوري حسنون دينارا انجر له فيها ثم أخذها في آخر عمره فقرقها على إخوانه وترك التكسب وقال
إنه فعل ذلك لما مات عياله وليس للعبد أن يحمل حال عياله على حاله إلا أن يكون أحبابهم كحبه وصبرهم
على فقره كصبره ومعرفتهم بفضله كمعرفته فحينئذ أن يسير بهم سيره ويسقط عنه التكسب
لأجلهم لأنهم كهو في الحال مع سقوط المطالبة منهم له بحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من
السلف وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهو لا يرون ترك التكسب أفضل
لأنه معلوم وبعده هو لا يكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن إذا استكن قلبه مع خبر معلوم
واجتمع همه وانقطع طمعه في حال المعدوم فهذا هو المقام وتفصيل هذا في التوسط من المقال عند
والله أعلم أن العبد لا يفضل بنفس عدم المعلوم كما لا يفضل بنفس القعود عن المكاسب وإنما يفضل
بحاله من مقامه فإذا كان ذو المعلوم أحسن معرفة وأقوى يقينا فضل على من لا معلوم له ولا يكون
سكون القلب وطمأنينة النفس أيضا مع وجود المعلوم علة في الحال على قدر المقام ولكن لا يكون
مقاما يرفع به ولا حالا يفضل فيه إلا أن الطمع في الخلق وتشتت القلب مع وجود معلوم الكفاية
نقصان عند الكل وعند ذي وقطع الطمع في الخلق واجتماع القلب مع العدم أفضل وأعلى عند
الجماعة فأما سكون القلب واجتماع الهم وفقد التشوف إلى الخلق مع العيال فهو أفضل وأشرف
لمن قوي عليه وهذا حال الأقوياء وطرق الأنبياء وأما اضطراب القلب مع العدم أفضل وأعلى عند
الجماعة وتفرق الهم مع وجود العيال فإن كان من أجل القيام بحكم الله تعالى فيهم فلا نقص فيه
وقد يوجر عليه ضعفا اليقين وأما شتات القلب مع حال الوحدة فنصيب من الرغبة موفور

وتعلق طمعه

الا أن يكون عند الفاقة فمعذور وفي حديث حيه وسواد ابني خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهزز رؤوسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه
الله بعد وقال للرجل الذي ناوله التمرة لولم تأتها لأتتك ويقال ان العبد لو هرب من رزقه لأدركه
رزقه كما لو هرب من الموت لأدركه الموت وان الرزق لا ينقطع عن العبد حتى تظهر له ملك الموت
فحينئذ ينقطع عنه رزق الدنيا فيدخل في رزق الآخرة ولا آخر لهذا الرزق لقوله تعالى لهم أجر غير
ممنون وقال تعالى عطاء غير مجذوذ وقال لهم مغفرة ورزق كريم وقال كلها دائم وقال الله
سئل عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل
سألناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقيل انما سألناك عن طعام الجسد فقال مالك وللجسد
الجسد مع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فردّه الى صانعه اما رأيت الصنعة
اذا فاتت ردّوها الى صانعها حتى يصلحها وقال سهل بن عبد الله لو ان العبد سأل الله أن لا يرزقه
لم يستجب له وقال له يا جاهل أنا خلقتك ولا بد من أن أرزقك أبدا وقال الخواص وقد رؤيناه على مثل
ان الله تعالى يلقي على الخصوص الفاقة ونحوجهم الى الخلق بالطمع فيهم ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم
يحوجهم ما في أيديهم ليردّهم اليه فاذا رجعوا اليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لا يحتسبون
ومن علامة الخصوص أنهم اذا استشرفوا الى شيء حرموا ذلك الشيء واذا سكنوا الى عبد
سلط عليهم ليرفع سكونهم اليه وقد كان بعضهم اذا جاءه السبب بعد تطلع اليه ردّه وبعضهم
من كان يحرجه ولا يتناول منه شيئا عقوبة لنفسه وكان ذو النون تكلم على خواطر
في علم التوحيد والمعرفة فسأله غلام شاب عن الخمر من أين هو فقال خذوا بيده واذهبوا به الى
الصوفية حتى يعلموه الأدب وقد حكي عن معروف الكرخي انه ذكر له انقباض شيء من
الأسباب التي تفتح له فقال ان أخي بشرا قبضه الورع وأنا بسطني المعرفة الا ان معروفا كان
لا يأخذ السبب الا عند الحاجة ويأخذ منه ما لا بد منه ويرفع يده مع الكفاية ويعمل في كل وقت بما
ما يوجب الوقت وما لا بد له منه في وقته وكان لا يدخر وكان قصير الأمل لم يكن يأمل
البقاء من وقت صلاة الى صلاة أخرى كان اذا صلى الظهر قال للجيران اطلبوا لكم من يصلي لكم العصر
وكان يقول انما أنا ضيف في دار مولاي ان أطعمني أكلت متى أطعمني وان أجاعني صبرت حتى يطعمني

ومن كان أبو محمد سهل يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر والله ولي التوفيق وصلى الله على محمد

ذكر الادخار مع التوكل

ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخرا لله وفيه وكان ماله موقوفا على رضى مولاه
لا مدخرا لحظوظ نفسه وهواه فهو حينئذ مدخر لحقوق الله التي أوجبها عليه فادارها بذل
ماله والقيام بحقوق الله لا ينقص العبد بل يزيدها علوا وشرفا وحدثونا عن بعض أصحاب بشر بن
الحرث قال كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر فقال
وما رأيته قام لأحد قط غيره قال ودفع الى كفا من دراهم فقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من
الطعام والطيب قال وما فال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته بين يديه فأكل معه
وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حتى بقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل فجعله
تحت يده وانصرف قال فعجبت من فعله ذلك وكرهت له أذلم يأمره بشر بذلك ولا هو استأذنه فيه
فقال لي بشر بعد وقت لعلك انكرت فعله ذلك قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال بعرفه
قلت لا قال ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر
معه الادخار وترك الادخار انما هو حال من مقامه قصر الأمل وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء ان
كان أمله للحياة لطاعة مولاه وخدمته والجهاد في سبيل الله فضل بذلك وهذا طريقة طائفة من
الراجين والمستأنسين وان كان أمله للحياة لأجل متعة نفسه وأخذ حظوظها من دنياه نقص
ذلك من زهده في الدنيا فسترى النقص الى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل بحسابه وليس
ما زاد في الزهد يزيد في التوكل ان الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم
الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد في مقام متوكلا لأن التوكل
مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والأحوال لأصحاب اليمين لأن من أعطى
حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لأن حقايق الأحوال وثبوتها ودوام استقامة أهلها
فيها ولزومها لقلوبهم هي مقامات فاذا جاز للمتوكل تأميل البقاء لشهر أو شهرين جاز
الادخار لذلك الا أن طول الأمل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من اثنين يوما يخرج

من حدّ التوكل عند الخواص ولا يخرجه من حدّه عندهم وأكره للمتوكل الادخار لأكثر من أربعين يوماً كما يكره له تأميل البقاء لأكثر من أربعين يوماً ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد وعند الخواص لا يخليه عندهم من مقام فيه ومن ادخر لصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشوفه الى الناس إذا كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له أفضل ومن قوي يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخار له أفضل فأما من ادخر لعياله ليسكن قلوبهم ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولسقوط الحلم عنهم لينفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتقوا عليه ولأنه في ذلك قائم بحكم ربه راع لرعيته التي هو مسئول عنها وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليس ذلك وقد نهى أمته وغيرها أن تدخر شيئاً لغد وكان بلال أيضاً عن الادخار ليقتدي به أهل المقامات كما روي انه قبض صلى الله عليه وسلم وله بردان في الحجر ينسجان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقصر املاً من ذلك كان يول فيتيمم قبل أن يصل الى الماء فيقال له في ذلك ان الماء منك قريب فقال وما يدريني لعلي لا أبلغه ولكن يعلمه ليلا يهلك من طال أمله من امته فهذا يدلك ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبل ان الشريعة جاءت بالرخصة والعزيمة فالعزيمة من الدين للأقوياء الحاملين والرخص من الدنيا للضعفاء المحمولين وقد كان أبو محمد يقول في تأويل الخبر ان الله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه قال فما كان من أمر مخوف بالأوسع وما كان من نهي محذور بالأدنى فيه وقد كان الخواص يدقق في أحوال المتوكل ويذكر ان الادخار يخرج من حد التوكل ولم نفارقه أربعة أشياء كان يقول ادخارها من تمام أحوال المتوكل لأنها من أمر الدين الزاد والحبل والابرة والخيوط والمقراض وكان سهل يضرب للمدخر مثلاً في قصر الأمل وطوله فيقول مثل من ترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الأبلة فيقال له خذ زعيفاً فان قال أريد أن أخرج الى عباداذ قيل له خذ زعيفين فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قيل له خذ أربعة أرغفة قال فكذلك ترك الادخار على قدر قصر الأمل وطوله وأعجب ما سمعت في انقطاع الأمل ما حكي ان موسى والخضر عليهما السلام اجتمعا فشكى موسى الى الخضر الجوع فقال قعد فقعد فتكلم الخضر بشيء فأقبل طير مخيف حتى وقف بينهما فوقع بضعين بضعه الى الخضر مشويا وبضعه الى موسى نيئا فقال له الخضر قم فاقدح نارا واشو

نصيبك وآخذ الخضر يأكل ففعل ذلك موسى ثم نام له لم وقع بضعه اليك مشويا فقال ألم يبق الى الدنيا أمل وعلى ذلك فان الادخار يمنع من فضائل الزاهدين بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الا الزاهدين العارفين لأنهم على حقيقة من اليقين أقيموا بشهادة عين التوحيد ينظرون نور الأولية الأحدية والموجودات عندهم عنده اذ كانت أيديهم بيده قبضهم قبضه فهو وكلهم وهم وكلاه وهو مريدهم لأنه فوق الزهد وقد جاوزوه وكيف يعتبر به وهو لاء يوصفون بغيبه فيكون الزهد معيباً لهم وفي حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة في ذكر الفقير الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا واسامة فتلاه وكفنه بيرديه فلما دفنه قال لأصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولو أخصله كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلت وما هي يا رسول الله قال ان كان ليصوم قواما كثير الذكر لله عز وجل غير أنه كان اذا جاءه الشتاء ادخر جلة الصيف من قابل لضيفه واذا جاءه الصيف ادخر جلة الشتاء لشتائه من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وحدثونا عن بعض العارفين قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات قال فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلاهم مرتقى وأسرعهم سبقا فقلت لهذه أفضل أكون فيهم قال فذهبت لأخطو البهم وأدخل معهم في طريقهم فاذا بملائكة حولهم قد منعوني وقالوا قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم فقلت تمنعوني أن أكون مع هؤلاء السابقين فقالوا لهذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الا قميص واحد ومن كل شيء واحد وانت لك قميصان ومن الأشياء زوجان قال فاشتهيت باكيا حزينا فجعلت على نفسي أن لا أملك الا قميصا واحدا وكان كثير من السلف اذا استجد ثوبا أو شيئا أخرج الأول منهما وكانوا يستعملون الشيء الواحد من الأشياء الكثيرة وهذا كله داخل في التحقق بالزهد وهو من فضائل المتوكلين والخبر المشهور ان رجلا من أهل الصفة توفي فما وجدوا له كفنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبيه قال فوجدنا في داخل ازاره دينارين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت وتخلف عدة من الدنانير فلا يقول له ذلك لأن هذا كان حاله الزهد واظهاره الفقر فهابه الادخار ومن صفة التوكل ترك الادخار

باب ذكر التداوي وتركه للمتوكل وتفصيل ذلك

ولا ينقص التداوي أيضا توكل العبد لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به وفعله وأخبر به عن حكمة الله فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقا هل يرد من قدر الله قال هي من قدر الله وفي الخبر المشهور ما مرزئ ملا من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة وفي الحديث انه أمر بها فقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم وفي ذكر تبيغ الدم دليل على توقيت هذا العدد من الأيام للحجامة الا أنه أريد به هذه الأيام من الشهر وفيه وصف الأسباب التي جعلت حتوفا وسببا للموت واحسب هذا القدر من العدد لأهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي الله عنه في المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك في أرض الحجاز خاصة وكان من سيرة السلف أن يحتجموا في كل شهر مرة الا أن يجاوز الرجل الأربعين وكانوا يستحبون الحجامة في أخر الشهر وقد يروى في خبر منقطع من احتجم يوم الثلاثا لسبع عشرة كان له دواء من داء سنة وقد روينا حديثا من طريق أهل البيت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة والتداوي رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقد قال الله سبحانه وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق وإنما كان المتداوي فاضلا في ذلك لمعنيين أحدهما ان سوى اتباع السنة والأخذ برخصة الله وقبول ما جاءت به الحنيفية السمحة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لبعضهم عرقا وكوى أخر وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك يعني صلقا قد طبخ بلد قبق أو شعير وقال لصهيب وراءه يأكل تمرا فقال له تأكل تمرا وأنت رمد فقال اني أكل في ناحية الذي ليس برمد فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث مثل العرق وغيرها وروى انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يتلفه بالحناء وفي الخبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وكان أعلى

يتبيغ أي يثور وقيل يتردد فعال يتبع المائي في الوادي اذا تردد فيه

المتوكلين وأقوى الأولياء فإن قيل انما تداوى لغيره وليس ذلك قلنا فلا نرغب عن سنته ولا نزهد في بعضه إذ كان فعل ذلك لئلا يكون فعله لغوا وتكون الرغبة في سنته الى توهم حقيقة التوكل طعنا في الشرع وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهرا للخلق ليقفوا به اثاره من ذلك أنه صام في السفر في شدة الحر فكان يصب على رأسه الماء ويستظل بالشجر ليس بذلك الرخصة بالتبرد بالماء للصائم فقيل له ان قوما صاموا وقد شق عليهم فدعا بقدح فيه ماء فشرب فأفطر الناس فترك حاله صلى الله عليه وسلم لأجلهم فقيل ان قوما لم يفطروا فقال أولئك العصاة والمعنى الثاني الذي يفضل به المتداوي انه يحب سرعة البرء للطاعة ولخدمة مولاه والسعي في أوامره اذ كانت العلل قاطعة عن التصرف في العمل ومشغلة للنفس عن الشغل الأخر وقد ذكر بعض علمائنا ان موسى عليه السلام اعتل علة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له تداويت بكذا البرأت فقال لا أتداوى حتى يأتي هو من غير دواء قال فطالت علته فقالوا له إن دواء هذه العلة معروف مجرب وإنا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى فلما تمت علته فأوحى الله اليه وعزتي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله اليه يا موسى أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء وفي بعض الأخبار شكى نبي من الأنبياء الى الله علة حلها فأوحى الله تعالى اليه كل البيض وفي خبر أخر ان نبيا من الأنبياء شكى الى الله الضعف فأوحى الله تعالى اليه كل اللبن فان فيهما القوة وقال الشيخ أحسبه الضعف عن الجماع وذكر وهب بن منبه ان ملكا من الملوك أعتل علة وكان حسن السيرة في أهل مملكته فأوحى الله تعالى الى نبي عليه السلام قل له يشرب ماء التين مطبوخا فانه شفاء من علتك وقد رأينا أعجب من ذلك ان قوما شكوا الى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله اليه مرهم أن يطعموا أنعامهم التين الجبلي فانه يحسن ألوانهم فهذا والله أعلم يكون في الشهر الثالث والرابع من حملها لأن الولد يصور فيهما وعلى ذلك فان ترك التداوي أفضل للأقوياء وهو من عزائم الدين وطريقة أولي العزم من الصديقين لأن في الدين طريقين طريق مثل وعزيمة وطريق توسع ورخصة فمن قوي سلك الطريق الأشد وهو أقرب وأعلى وهذا للمقربين وهم السابقون ومن ضعف سلك الطريق الأرفه وهو الأوسط الا انه أبعد وهو أصحاب اليمين وهم المقتصدون وفي المؤمنين أقوياء وضعفا وليتون وأشدا وزوينا عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن

القوي احب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وروى عنه صلى الله عليه وسلم في المؤمنين من هو
اشد في الله عز وجل من الجان ومنهم من هو ألين من اللبن وقال في وصف الاتقياء مثل المؤمن كمثل
النخلة لا يسقط ورقها وقال الله تعالى في معنى ذلك اصلها ثابت وفرعها في السماء وقال صلى الله عليه
وسلم مثل المؤمن كمثل السنبلة تفيئها الرياح يميناً وشمالاً وقال صلى الله عليه وسلم في صفة المؤمن
المطعم مثل المؤمن كمثل النخلة اكلت طيباً ووضعت طيباً وقال في وصف المؤمنين منافع تكون في
الضعف والقوة وفي الجبن والشجاعة وفي الصبر والجزع وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً
ومدحهم أنهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وذكر أنهم يدخلون الجنة بغير
حساب فقال بالتوكل وأخبر انهم تركوا ذلك توكلاً ثم سأل له عكاشة أن يدعو الله عز وجل
أن يجعله منهم فعلل لأنه رأى ذلك طريقه ورأى معه زاده وشهد فيه القوة فأهله لذلك
فلما قال له الآخر ادع الله أن يجعلني منهم والمقامان لا يفتدى بهما ولا يمتثل فيهما كما لا تدعى
مواجيد قلوب بإيجاد قرب ومشاهدات غيوب بإشهاد حبيب فلم يزد ذلك طريقه ولم
يشهد معه زاده لم يؤهله لذلك فأوقفه على حده وحكم عليه بضعفه فرده رداً جميلاً لأنه كان
حبيباً كريماً فقال سبقك بها عكاشة فهذا كما يقول الحاكم الحكيم اذا اضعف احد الشاهدين
رد الى شاهداً آخر ولا يصرح بجرح الشاهد ولو عدله لقبله ولم يطلب الزيادة فالمقامان لا تنبغي
لمن سبق اليهما والرسوا غير نخل مع قوله تعالى شاهداه وما هو على الغيب بضنين ولكن لم يرفيه ذلك
من القوة وتبين فيه الضعف عن الحمل فلم يخاطر به وقد نهى عن الكي في غير حديث وقال لمن
اراد أن يداوي اخاه الا انه ما من علة فقال اما انه لو انا لقلت اجر انه لعلة بما يحسن في بعض الفور
ان الشفاء والنفع من قبل الدواء وذلك من الشرك فكره التحقق بالتوحيد التداوي خشية دخول
ذلك عليهم وروى عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الدواء والشفاء قال مني قال فما بال
الأطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي او قبضي وقد كان
ابن حنبل يقول لو جبت لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من الاشربة وغيرها
واعتل عمران بن حصين فاشاروا عليه أن يكتوي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه زياد بذلك وكان
أميراً حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نوراً واسمع صوتاً واسمع تسليم الملائكة علي فلما

فيها الى ان يعلمها
قال الله عن شفيتها
خلا له

من يدخل الجنة بغير
حساب هم الذين لا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم
يتوكلون

اكتويت انقطع ذلك عني وفي خبر آخر كانت الملائكة تزوره فيأتيهم حتى اكتوى فكان يقطع
اكتوى كيات فوالله ما افلحنا ولا انجحنا ثم تاب من ذلك وتاب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يعرف
امر الملائكة وقال المطرف بن عبد الله ألم تر أن الكرامة التي كان الله اكرمني بها قد ردها الله علي بعد
أن كان اخبره بفقدها فلولا أن ذلك كان عنده ذنباً لما ندم عليه وتاب منه ولولا ان ذلك كان
نقصاً ما صرف الملائكة عنه ومرض ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل له لو دعوت لك طبيباً
فقال قد نظر الي الطبيب فقال اني فعال لما اريد وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي
قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قيل أفلا ندعو لك طبيباً قال الطبيب أمرضني وقيل لأبي ذر وقد رمدت
عيناه لو دأويتها قال ان عيني لمشغول قيل فلو سألت الله أن يعافيك قال أسأله فيما هو أهم الي منه
وقيل لأبي محمد مني يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت الله
شغل لا يحاله وينظر الى قيام الله عليه وقد كان اصاب الربيع بن خثيم الفالج فقيل له لو تداويت
فقال قد هممت بذلك ثم ذكرت عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً كانت فيهم المداوي والمداوى
الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقاشي وقد كان اصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فسأل
عن القيام فسأل الله أن يطلقه في أوقات الصلوات ثم يرده الى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة
فكأنما سقط عقال فاذا قضى الصلاة رجع اليه الفالج كما كان قبل ذلك كحل تداوى من الصديقين والسلف
الصالحين أكثر من أن يحصى الا انه محصوص لخصوصين ألم تر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكر
السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ثم وصفهم بأنهم لا يكتوون ولا يسترقون وقام
اليه عكاشة بن محصن الاسدي فقال ادع الله أن يجعلني منهم ففعل فلما قال له الرجل الآخر ادع الله
أن يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة فلم يمنعه من الدعاء له الا أن طريق الخصوص لا يقوى لا
يسلكه العموم الضعفاء كما ان طريق العموم قد زهد فيه الخصوص واعجب ما سمعت قال بعض
الكفار فين أصفى ما أكون ذكراً وأطيب ما أكون قلباً اذا كنت مهموماً وقد كان من ذهب يسأل
ان ترك التداوي وان أضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات
وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وقد كان يداوي الناس منها وكان اذا رأى
العبد يصلي من قعود أو لا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام في الصلاة والنهوض

الى الطاعة يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع رضاه بحاله أفضل له من التداوي للقوة ويصلي من
قيام وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل إلى شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله لأهل
الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لأنه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان الماء البارد سئل عنه
لم أخذت ومن لم يأخذ فليس عليه سؤال وقال من لم يأخذ الماء البارد على سبيل الدواء سئل عنه وأصله في
أن عنده من أفضل الأعمال أن يضعف العبد قوته حتى لا يكون في نفسه حراك لأجل الله تعالى وإن ذلك من
أعمال القلوب مثل التوكل والرضى والصبر أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وهذا مذهب
البصريين في إسقاط القوة بالتجوع الطويل والطي الكثير لتضعف النفس لأن عندهم أن في قوة
النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وفي ذلك وجود المعاصي وكثرة الهوى وطول الرغبة والحرص على
الدنيا وحب البقاء يقول فاذا أدخل الله عليها الأمراض من حيث لا تحتسب فلا يتعالج لدفع الأمراض
عنها فإن الأمراض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما تنقص به الشهوة وقد كان يقول علل الأجسام
الذنوب عقوبة وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وقد كان ابن مسعود يقول يجد المؤمن أجري
قلبا وأمرضه جسما ويجد المنافق أصح شيء جسما وأمرضه قلبا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون
أن تكونوا كالحمر الصيالة لا تمرضون ولا تسقمون وفي الخبر لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي
الأرض كالبركة ما عليه خطيئة وقد قيل لا يخلوا المؤمن من علة في جسمه أو قلة في ماله وقيل لا يخلوا
المؤمن من علة أو ذلة وللعبد إذا تداوى بأعمال حسنة منها أن ينوي الصبر على بلاء الله والرضى بقضائه
والتسليم لحكمه اذ قد حسن عنده لأنه موقن اذ قد عرف الحكمة في ذلك والخيرة في العافية لأنه
حكيم ومنها أن مولاه أعلم به منه وأحسن نظرا واختيارا وقد جسه وقيده بالأمراض عن
المعاصي كما حدث عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحب من خلقي فالعبد
من تداوى فعونه في أن تقوى النفس وتنتشر هواها لأن المعاصي في العوافي وعلة سنة خير من
واحدة لقي بعض الناس بعض العارفين فقال له العارف كيف كنت يا عبد فقال في عافية فقال الذي
تعصي الله فأنت في عافية وان كنت قد عصيته فأي داء أدوى من المعصية ما عوفي من عصى الله قط
علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي أظهروه فقالوا يا أمير المؤمنين
يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو يوم عيد لنا وقال الله تعالى وهو أصدق القائلين

ثم ان الحمى اذا جاءت على الناس
بالدواب والمواشي فهلكت فانه
والمليلة مرض مشهور وهو من النوع
الحمى الوقتية وقيل حمى ذات العلم

من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافي والغنا وقال يعضهم اتما حمل فرعون ان قال أنا ربكم الأعلى طول
العوافي والغنا لبث أربع مائة سنة لم يتصدع له زائر ولا لحم له جسم ولم يضرب له عرق فادعى الربوبية
ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة والمليلة في كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية واعلم أن
الانسان قد يطغى بالعوافي كما يطغى بالمال لأنه قد يستغني بالعافية كما يستغني بالمال وقد قال
الله تعالى كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكل فيه فتنة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والعصمة في حال العافية نعمة ثانية كالعصمة في
الغنا نعمة النعمة وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ومنها أن
الأمراض مكفرة للسيئات فإذا كثرة الأمراض بقيت ذنوبه عليه موفورة وفي الخبر أن البلاء لا يزال
بالحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على وجه الأرض وما عليه خطيئة وفي خبر حمى يوم كفارة سنة
وأحسن ما سمعت في معناه قال لأن حمى يوم تهدم قوة سنة وقيل في الإنسان ثلثمائة وستون
مفصلا تدخل حمى يوم في جميع المفاصل فيكون له بكل مفصل كفارة يوم ولما ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما فلم يكن للحمى تفارقه في كل
يوم حتى مات وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تفارقهم وكذلك لما ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد رأيت الأنصار تتمنى
العمى ولما جاءت الحمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستأذن عليه قال اذهبي إلى أهل قبا وهذا أحد
الوجهين في قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أي بالأمراض من الذنوب وعيسى عليه السلام
لا يكون عالما من لم يفرح الأمراض والمصائب على جسده وماله بما يرجوا في ذلك من كفارة خطاياه
والصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بأمراض القلوب لأن في أمراض الأجسام
صفحها عن الآثام والطغيان وفي أمراض القلوب صفحها عن أعمال الآخرة والايمان في معنى
قوله اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنه البلايا لأتمها بنعم الآخرة وروي
ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فأوحى الله عز وجل اليه كيف ارحمه بكشف
بلائه ارحمه وقد قال الله أصدق القائلين في تصديق هذا المعنى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من
الضر لتوا في طغيانهم يعمهون فأخبر ان في ترك الرحمة لهم رحمة وأطفا وزوى عن عبد الواحد بن زيد

انه خرج مع إخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فآواهم المسير الى كهف جبل فإذا فيه عبد مقطع
بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا لا اطاح به فقالوا يا هذا لو دخلت البصرة فنعالجك من هذا
الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال سيدي بأي ذنب سلطت هؤلاء علي يستخطونني عليك ويكرهون
الي فصاك سيدي أستغفرك من ذلك الذنب لك العتبى اني لا أعود فيه أبدا ثم أعرض عنا وتركنا
فانصرفنا وتركناه وفي الحديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد
على قدر إيمانه فان كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وان كان في إيمانه ضعف خفف عليه
البلاء وفي خبر آخر ان الله تعالى يحن عنده بالبلاء كما يحن أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من
يخرج كالذهب الإبريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسودا محترقا وقد رد وناجيا
طويلا من طريق أهل البيت اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وفيها
ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التي كان يعملها في صحته وأنه يجري له من الحسنات مثل ما كان
يجري له على أعماله فكتب الملك له أعمالا صالحة خيرا له من أعماله لأنه قد يدخلها الفساد واختار
الله له أن يستعمله بالأوجاع خير من اختيار نفسه فاختيار لنفسه أن يتنفل لله تعالى بالأعمال الصالحة
أحد المعنيين وفي الخبر أفضل الأعمال ما اكرهت عليه النفوس قيل ما دخل عليها من المصايب في
الأنفس والأموال فهي تكرهه ذلك وهو خير لها ومن هذا المعنى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم فقد يكره العبد الفقر والعيلة والضر والحمول
وهو خير له في الآخرة وأحمد له عاقبة وقد يحب الغنا والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله وأسوء
عاقبة وفي الخبر أيضا يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل في صحته
في وثاقي ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي
فابدال صفته بحسن اختيار الله خيرا له من الدنيا والآخرة ومن شهوته والأصل في التداوي
وتركه فان المتوكل على الله قد علم في توكله ان للعلة وقتا إذا انتهت اليه برأ العليل بإذن
الله لا محالة ولكن الله تعالى قد حكم أنه ان تداوى شفاه في عشرة أيام وان لم يتداوى شفاه في
عشرين يوما ليترخص العليل باباحة الله له فيطمع في تعجيل البرء في عشرة أيام ليكون أتم
لشفائه وأقرب الى عافيته على انه معتقد ان الدواء لا يشفي وأن التداوي لا ينفع بصنعة

الله هو الشافي وهو النافع فالشفاء فعله بيده وجعله في الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواء ولا
يفعله الا اياه اذا كانت العقاقير مطبوعة مجبولة على خلقها فجاعل الأسباب فيها هو جاعلها أن
الجعل فيها والخاصية منها ليس من عمل المتطبب وان كان يعمل بها وبجمع بينها وبين العليل بأنه طريق
على يديه سببا لرزقه فالله تعالى خالق جميع ذلك وفاعله وكذلك قال الله تعالى والله خلقكم وما
تعملون وكذلك أيضا عند العارفين ان الخبز لا يشبع وان الماء لا يروي كما ان المال لا يغني والعلم
لا يفقر لأن الله هو المطعم المشبع وهو المغني المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل
الشبع والري في المطعم والمشرب وفي النفس بالغنا والفقر بحكمته وحجته كما ان الله تعالى هو
الجميع المظمي فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش الذين جعلهما فيهما بما أدخل عليهما كما
يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهبه وسوب
هذا عند الموحدين من وصف الليل والنهار ومن العلل والأدوية بتسليط الشيء على ضده فيزيله وغلبة
قهره باذن الله والشرك في هذه الأشياء اليوم تخفى من دبيب النمل على الصفا والموفون التصحيح
التوحيد من جميع ذلك براء وعلى هذه المعاني أحد الوجهين في قوله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى
أي أعطى كل لون وجنس خلقته وطبعه أي صون الشيء ووصفه للضر والنفع فان يجعل العليل
البرء بالتداوي فبرء كان ذلك بقضاء الله وقدره على وصف الشرعة من المعافاة فان كان ناويا
في تداويه واستعجال شفائه الطاعة لمولاه والقيام بين يديه للخدمة كان مثابا على ذلك فاضلا
فيه غير منقوص في مقام توكله وان زاد بذلك صحة جسمه لنفسه والتنعيم بالعوافي كان ذلك
بابا من أبواب الدنيا ودخولا فيما يتبع له منها وهو مخرجه من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما
نقص من الزهد في الحياة والتنعيم وان زاد باستعجال العوافي قوة النفس لأجل الهوى وللسعي في
مخالفة المولى كان مأزورا لسوء نيته ووجود غير تمته ومخرجه من المنهج إلى المحظور وهو خروجه
من حد التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا وممقوتها وان كانت نيته في تعجيل العوافي في
التصرف في المعاش والتكسب للانفاق والجمع نظرا في شانه فان كان يسعى في كفاف وعلى عياله
ضعاف وعن حاجة واجحاف لحق هذا بالطبقة الأولى وهذا باب من أبواب الآخرة هو مأجور عليه
ولا يخرجه من التوكل وان كان يسعى في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من أين كسب ولا فيما أنفق الحق

هذا في الطبقة الثالثة من العاصين وهذا من أكبر أبواب الدنيا المبعدة عن الله عز وجل فهذه بيان
التأني في التداوي المحمودة والمذمومة فإن لم يتداوى المتوكل تسليما للوكيل وسكونا تحت حكمه
ورضى باختياره وصنعه اذ قد أيقن أن للعلة وقتا اذا جاء برأ باذن الله تعالى الا انها بعد عشر
يوما فيصبر ويرضى ويحمل على نفسه الم عشرة أيام ورضى بقضاء الله وصبرا على بلائه وحسن ظن
باختياره له وبانه في قضائه عليه فهذا هو أحد الوجوه في حسن الظن باختيار الله لانه تم في قضائه لك
وقد روي فيه نص ان رجلا قال يا رسول الله أوصني فقال لا تتهم الله في شيء من قضاه عليك وقال
في معنى هذا خبر فيه شدة يقول الله عز وجل من لم يصبر على بلائي ويرض بقضائي ويشكر نعمائي
فليتخذ ربا سواي وهذا باب من الزهد في الدنيا بمقدار ما نقص من الرغبة في نعيم النفس وباب من
الصبر بقدر ما صبر عليه من النقص كما قال تعالى وبشر الصابرين ومع هذا فهو لا يأمن في تحمل
العوافي من المعاصي فإذا انتهى وقت العلة برأ من غير دواء باذن الله تعالى وله في الأمراض تحديدا
التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار منها وحسن التذكرة وقصر الأمل وذكر الموت
الموت وفي الخبر أكثروا من ذكر هادم اللذات ومن أبلغ ما يذكر به الموت ويتوقع نزوله الأمراض قيل
للحمى تزيد الموت وفي قوله عز وجل أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين الآية قيل بالأمراض
والآسقام يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافلا جاءك
مني رسول بعد رسول فلم تجب وكانوا يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس
أو مال ويقال لأطول المؤمن في كل أربعين يوما أن يزوج بزوجة أو يصاب بنكبة فقد كانوا
يكرهون ذلك في ذهاب هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشيء وروينا ان عمار بن ياسر تزوج
امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وأن النبي عليه السلم عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم
أن يتزوجها فقيل له فانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الأوجاع من الصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم الكلة
من زاد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا الأن في الخبر أن الحمى حظ المؤمن من النار
وفي حديث أنس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم ذكر
الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الأخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه وان ترك

التداوي وبرأ بغير دواء كان هذا من قضاء الله وقدره على وصف البطيء وقد اختلف رأي الصحابة
في مثل هذا المعنى عام خرج عمر رضي الله عنه بهم الى الشام فلما بلغوا الجابية انتهى اليهم خبر الشام
انه وبأ عظيما وموتا ذريعا فوقف الناس وافترقوا فرقتين فمنهم من قال لا ندخل على الوبا فنلقى بأيدينا
الى التهلكة فنكون سببا لأهلاكنا أنفسنا وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا
نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم ألوف حذر الموت فرجع الجميع الى عمر فسألوه عن رأيه فوافق عمر الذين قالوا نرجع ولا ندخل على
الوبا فقال له أخرون أنفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا
فقال أرأيتم لو كان لأحدكم غنم وله أرضان أحدهما مجدبة والأخرى مخصبة أليس ان رعى
المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله فسكنوا ثم دعا عمر بعبد الرحمن بن عوف
يسأله عن رأيه فقيل هو غائب قد تأخر في المنزل الذي نزلنا فيه فثبت عمر وأصحابه على ذلك الرأي وعلى
أن يسأل عبد الرحمن عن رأيه فلما أصبحوا أتى عبد الرحمن بن عوف فسأله عمر عن ذلك فقال عندي في
يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه الله أكبر فقال يعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوبا في أرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا
تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله اذ وافق رأيه فرجع بالناس من الجابية

بيان أعز التوكل في التداوي وتركه

ومثل التداوي وتركه في أنهما مباحان وان أحدهما طريق الأقوياء الصابرين وهو تركه مثل التكسب وتركه
ان التكسب عند الجوع الذي هو علة الجسم ليستعمل الدواء بالخبز والماء جائز له ان يمدح في توكله
لأنه مباح له مأمور به فإن نوى بالتكسب القوة على الطاعة والسعي في سبيل الله والمعاونة على
البر والتقوى كان فاضلا به وان نوى بالتكسب الأكل للشهوات والقيام بحظوظ النفس من الرفاهات
نقص ذلك من توكله وأخرجه من حقيقته فكان طريقا من طرق آفات الدنيا الا انه مباح وان قصد
بتكسبه التكاثر والحرص للجمع والمنع كان عاصيا بكسبه مخالفا لربه وهذا من أكبر طرق الهوى ثم
ان لم يتكسب وصبر على الجوع ورضي بالقلة والفقر فإن رزقه يأتيه لا محالة بحق وقته ولكنه ناقص

يحتاج الى فضل صبر وحسن رضى وسكون نفس وطمأنينة قلب فإن وجد هذه المعاني المتوكل كان
فاضلا في ترك التكسب بحسن يقينه وتقيه برازقه وشغله بما هو أفضل وأنفع له في عاقبته وإن تشتت
همه واضطربت نفسه وتكرهه قضاء ربه فأخرجه ذلك الى الجزع والقلق والتبرم والشكوى فالكسب
لهذا أفضل وهو منقوض بتركه كذلك أيضا من أكثر الشكوى من علته وتسخط حكم ربه وتبرم
وضجر وسطا على الناس وتأخطه بمرضه فإن الأفضل له أن يتداوى وهو ناقض بتركه وروينا
عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ضعف اليقين
أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا
يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره ان الله بحكمه وعدله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين
وجعل الهم والحزن في الشك والتسخط ٥

باب استواء اشباه المتوكلين مع اختلاف ظواهر الاسباب

ويستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسبابهم كسببهم وما جاءهم بأيدي غيرهم
بغير كسبهم اذ كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا واذا كانت الأيدي ظروف العطاء
وسواء كان الظرف يدك او يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب غيرك لك اذ جميعه رزقك
لأن لكل شيء حكما وفي كل شيء حكمه وبكل شيء نعمه قال الله تعالى إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في
البلاد فأضافها اليه في الخلق بعد أن بوأها بأيديهم وقرعوا منها ومثل هذين أيضا يستوي عندهم
ما ظهر بيد القدرة لا حظ فيه ولا واسطة وما ظهر بأيديهم عن الحكمة وترتيب العرف والعادة لأن
القدرة ايضا بمنزلة ظرف للعطاء ظهرا لعطاء بها فهي كأيدي العباد من يد الإنسان نفسه أو يد غيره وإذا
القدرة والحكمة خزانتان من خزائن الملك والملكوت فهذه المعاني الثلاث أعني ما ظهر عن يدك وبكسبك وما
ظهر بيد غيرك وعن كسبك لك وما أظهرته القدرة من غير عرف معتاد ولا واسطة ولا واسطة مؤثرة
هذا كله عند الموقنين سواء لا يترجح بعضه على بعض لرجحان ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم
اذ كله حكمة بالغة وقدرة نافذة عن حكيم واجد وقادر واحد وهما يدلك على استواء ما ظهر بيد الا واسطة
أظهرته القدرة عند العلماء أن جميع كرامات الأولياء واجابات الصديقين ذكر فيها ما ظهر لهم عن

القدرة فيما اظهر لهم على أيدي الخلق من الإنفاق عند وقت الفاقات عن غير مسئلة ولا استشراف نفس
فسوى بينهما في الكرامات وجعلوهما واحدا من الإجابات وحسبوا كل ذلك من الآيات على ان
العارفين يشهدون ما يوصل اليهم من أقسام رزقهم اتما ودائع لهم عندهم وانه حق لهم بأيديهم
يؤدونه اليهم قليلا قليلا ويوفونهم اياه شيئا شيئا الا أنهم لا يسألونهم اياه ولا يطالبونهم به وان كان
لهم عندهم حسن أدب فيهم وحسن اقتضاء لأن من حسن الإقتضاء ترك الطلب ولقوة يقينهم بأن رقهم
أنه يوفيهم نصيبهم غير منقوص فقد سكنوا الى قديم وعده كما نظروا الى بسط يده وكذلك
مشاهدة العالمين من الموصلين اليهم قسمهم الدانيين اليهم حظوظهم يشهدون أنهم قد خرجوا
اليهم من حقهم وأدوا اليهم ودايعهم فيستريحون الى الخراج ذلك ويفرحون اذا يئسوا الى
أربابه ويشكرون الله على حسن توفيقه واعانتهم على سقوط ذلك عنهم كما يفرح من عليه
الدين الثقيل اذا أداه فسقط عنه حكمه واقتضاؤه وهذا مقام للموصلين في
المعرفة وحال لهم من اليقين حسنة وهو مشاهدة عياله للآخرين المتوكلين

ذكر تشبيه التوكل بالزهد

إعلم أن التوكل لا ينقص من الرزق شيئا ولكنه يزيد في الزهد ويزيد في الصبر وكذلك الزهد في
الدنيا لا ينقص من الرزق شيئا ولكنه يزيد في الفقر ويزيد في الجوع والفاقة فيكون هذا رزق المتوكل
ورزق الزاهد من الآخرة على هذا الوصف المخصوص من حرمان نصيب الدنيا وحمايته عن التكاثر
منها والتوسع فيها فيكون التوكل والزهد سبب ذلك فيكون صارفا عنه من الدنيا زيادة في
الآخرة من الدرجات العلى كذلك روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم نقصان الدنيا زيادة في الآخرة
وزيادة الدنيا نقصان الآخرة ومن اعطي من الدنيا شيئا نقص ذلك من منزلته في الآخرة وان كان على
الله كريما وقد قيل أن الدنيا والآخرة مثل ضرتين من أرضى احداهما أسخط الأخرى وقال رجل
لبعض العلماء كنت في محلة قوم ليس فيها بقال عيرت فتحي الى جنبي بقال آخر فيخاف
أن ينقص ذلك من رزقي شيئا فقال ليس ينقص من رزقك شيئا ولكن يزيد في بطالتك تقعد كثيرا
لا تبيع شيئا وقد غلط في هذا الطريق قوم ادعوا التوكل والزهد واشتهوا في المآكل

والملابس على ان ذلك لا ينقصهم من مأكلهم شيئا نووا على من دونهم ممن لا يعرف طريق الزهد في التوكل

ذكر كثير الامراض وجواز اظهارها

الأفضل لمن لم يتداو ان يخفي علته لأن ذلك من كنوز البر ولأنهما معاملتان بينه وبين خالقه فستره أفضل له وأسلم له الا أن تكون له نية في الاظهار أو يكون لما ما يستمنح اليه ويقتبس منه الآثار ويكون مكينا في المعرفة بخبر بقلته وقلبه راض عن الله فيما قدر أو يكون ممن يشهد البلاء منه فيكون اخباره بمثابة التحدث بنعمة الله والا فاظهار العلل لمن لم يتداو ينقص لحاله ودا خل في الشكاية لمولاه لأن في الشكوى استراحة النفس من البلوى كالاستراحة بالدواء وهذا لا يفعله عالم لأن استراحته بالدواء الذي أباحه الله له خير من استراحته للعبد بالشكوى على انها قد دخل الآفات عليه من الاجازة بالتصنع والتزيد في العلة وغير ذلك وقد قيل في قوله عز وجل فصبر جميل قيل لا شكوى فيه وقال بعضهم من بث فلم يصبر وقيل ليعقوب عليه السلم ما الذي أذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فأوحى الله اليه تفرعت تشكوني الى خلقي فقال يا رب أتوب اليك وعن طاوس ومجاهد يكتب على المريض أنين في مرضه قال وكانوا يكرهون أنين المريض لأنه اظهار معنى بك على الشكوى وفي الخبر اذا مرض العبد أوحى الله الى الملكين انظروا ما يقول لعواده فان حمد الله وأثنى عليه يخبر دعواله وان شكى وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الرياء وفي القول أن يخبر عن العلة بأكثر منها فيكون في ذلك كفرا للنعمة بين البلائين وكان بعضهم اذا مرض غلق أبوابه فلم يدخل عليه حتى يبرأ فيخرج اليهم منبسم فصيل ووهيب وبشر كان يقول اشتهي أن أمرض بلا عواد وقال الفضيل ما أكره العلة الا لأجل العواد وقد رأينا من الصالحين من فعل ذلك وهو امام وقدوة ولا ينقض توكل المتوكل اخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات التقويل اذا كان قلبه شاكرا لله راضيا بقضائه او يكون بذلك مظهرا الافتقار والعجز بين يدي مولاه أو راغبا في دعاء اخوانه المؤمنين ويشهد ذلك نعيا فيحدث بذلك نشرا للشكر وقد حكي ان بشر بن الحرث كان يخبر عبد الرحمن المتطبب بوجاعه فيصف له اشياء وقيل لأحمد بن حنبل انه كان يخبر بأمراضه ويقول انما اصف قد

الله تعالى به وروى عن الحسن البصري رحمه الله اذا حمد المريض الله عز وجل وشكره ثم ذكر علته لم يكن ذلك شكوى وقد كان أحمد بن حنبل يخبر بأمراضه اذا سئل عنها ثم رجع الى قول الحسن هذا فكان بعد ذلك يحمد الله ويثني عليه ويقول اجدني كذا واجدني كذا وروي ان قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في مرضه كيف أصبحت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك فقال أتجلد على الله كأنه أحب أن يظهر اتقيان الى الله وأراد ان يعلمهم أنه لا بأس بذلك لأن من يقول خيرا اذا سئل كبرا قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل احد يحسنه فكأن عليا رضي الله عنه أراد أن يحقق تأديب النبي صلى الله عليه وسلم له ونهيه له عن اظهار القوة لأنه روي انه مرض فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء ولكن سل الله العافية ومن هنا قال مطرف لأن أعافى فأشكر أحب الي من أن أبتلى فأصبر لأن البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي القوي العزيز وقد حكي أن الشافعي مرض مرضة شديدة بمصر فكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاك فرد ني منه فكتب اليه بعض العلماء من القفص وهو اذريس بن يحيى المغافري يا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبعد هذا والله أعلم ما حكي عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيرتي فيما أحب

ذكر فضل التارك للتكسب وبيان فضله في تركه

قد يفضل التارك للتكسب شغلا بالعبادة على المتكسب من حيث فضل المتقدمون الزاهد في الدنيا على كاسب الحلال ومنفقه في سبيل الله وسئل الحسن عن رجلين أحدهما مجتهد والآخر مشغول بالتعبد أيهما أفضل فقال سبحان الله ما أعتد الرجلان المتفرغ للعبادة أفضل وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وباليقين غنى وبالعبادة شغلا وقد علم التارك للتكسب توكلا على الله وثقة به ورعاية لمقامه وصونا على نفسه وشغلا بمعاده عن معاشه ومقاساة الفتنة أن مولاه قد تكفل له برزقه في الدنيا وقد وكل اليه عمل الآخرة وأنه ان اشتغل بما وكله اليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته

مِنْ دُنْيَاهُ فلوْ لَمْ يَتَصَرَّفِ الْمُتَوَكِّلُ تَصَرَّفَ لَهُ غَيْرُهُ وَإِنْ عَمِلَ لِخَزِينِهِ الَّذِي وَكَّلَهُ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يَعْمَلْهُ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهُ سِوَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَكَّلَ إِلَيْهِ هَذَا فَلَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ مَقَامَهُ وَأَنَّ اللهَ قَدْ تَكَفَّلَ لَهُ بِعَمَلِ الدُّنْيَا فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ لَهُ سِوَاهُ كَيْفَ شَاءَ فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَا تَكَفَّلَ بِهِ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا وَكَّلَهُ بِهِ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي رِزْقِ الدُّنْيَا الَّذِي تَكَفَّلَ بِهِ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَقَالَ فِي رِزْقِ الْآخِرَةِ الَّذِي وَكَّلَ بِهِ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ثُمَّ قَدْ عَلِمَ الْمُتَوَكِّلُ بَعْدَ تَوْحِيدِهِ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مُنْتَظِمَةٌ فِي سِلْكٍ وَاحِدٍ كَشَيْءٍ وَاحِدٍ يَقَعُ وَقْعَةً وَاحِدَةً رِزْقٌ مَقْسُومٌ لَا يُزَادُ فِيهِ فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ بِسَبَبٍ مَحْكُومٍ لَا يَنْقَلِبُ عِنْدَ أَثَرٍ مَكْتُوبٍ لَا يَتَغَيَّرُ فَالرِّزْقُ بِفَضْلِ الرَّازِقِ وَالْوَقْتُ الَّذِي يَظْهَرُ ظَرْفُ الْعَطَاءِ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ظَرْفٍ وَالسَّبَبُ حِكَمُ الْقَاسِمِ وَالْأَثَرُ حَدُّ الْمَرْزُوقِ فَأَيْقَنَ الْمُتَوَكِّلُ بِهَذَا كُلِّهِ أَنْ تَصَرَّفَ تَصَرَّفَ بِحُكْمٍ وَأَنْ فَعَدَ فَعَدَ بِعِلْمٍ فَاسْتَوَى قُعُودُهُ وَتَصَرُّفُهُ لِأَنَّهُ قَامَ بِحُكْمِ مَا يَقْتَضِي مِنْهُ فِي عِلْمِهِ عَالِمٌ بِحُكْمِ مُصَرِّفِهِ وَمُقْعِدِهِ فَإِنْ شَغَلَهُ مَوْلَاهُ مُخْدِمُهُ عَنْ خِدْمَةٍ مِنْ سِوَاهُ فَفِي مُعَامَلَةِ الْعَبِيدِ سَاقَ اللهُ رِزْقَهُ كَيْفَ شَاءَ مِنَ الْوُجُوهِ وَبِيَدِ مَنْ شَاءَ مِنَ الْعَبِيدِ يَحْفَظُهُ لَهُ عَلَى مِقْدَارِ وَزْنَةِ الْحَدِّ وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى إِحَاطَةً لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَتَوَلِّيهِ لَهُ وَعِصْمَتِهِ إِيَّاهُ عَنِ التَّوَرُّطِ فِي مَحْظُورٍ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَكَانَ الْعَبْدُ فَاضِلًا فِي قُعُودِهِ لِشُغْلِهِ عَنِ الْعَبِيدِ بِمَعْبُودِهِ وَانْقِطَاعِهِ إِلَى مُعَامَلَةِ الْمَلِكِ دُونَ مَا يَطْعَمُهُ عَنْ مُعَامَلَةِ الْمَمْلُوكِ وَهِمَّتُهُ الْآخِرَةُ عَنِ الدُّنْيَا وَكَانَ دَاخِلًا فِيمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ كِفَايَةِ اللهِ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ هَمَّ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ وَخَارِجًا عَنْ وَصْفِ مَنْ قَطَعَهُ اللهُ بِهِمِّهِ غَيْرَهُ وَعَرَّضَهُ لِلْهَلَكَةِ فِي أَوْدِيَةِ الْهُمُومِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ فِي غَيْرِ اللهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ وَفِي قَوْلِهِ مَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ فَإِنْ كَانَ حَالُ الْمُتَوَكِّلِ أَنْ يَحْرِزَ رِزْقَهُ عَلَى يَدَيْ نَفْسِهِ وَكَسْبِ جَارِحَتِهِ فَهُوَ خِزَانَةٌ مِنْ خَزَائِنِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ يُوصِلُ إِلَيْهِ عَنْ يَدِ نَفْسِهِ بِمَا يُوَصِّلُهُ إِلَيْهِ عَنْ يَدِ غَيْرِهِ وَسَوَاءٌ سَاقَ إِلَيْهِ الرِّزْقَ أَمْ سَاقَهُ إِلَى الرِّزْقِ بَعْدَ أَنْ يَرْزُقَهُ لِأَنَّ مَا لَقِيتَهُ فَقَدْ لَقِيَكَ وَالْعَبْدُ مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ فِي الْحَالَيْنِ نَاظِرٌ إِلَيْهِ فِي الْمَعْنَيَيْنِ فَإِنَّهُمْ بِحُكْمِ حَالِهِ فِي الْإِيمَانِ عَارِفٌ بِحُسْنِ اخْتِيَارِ اللهِ لَهُ فِي الْحُكْمَيْنِ وَمَنْ تَرَكَ التَّكَسُّبَ لِأَجْلِ اللهِ نَفَقَةً مِنْهُ بِهِ وَسُكُونًا إِلَيْهِ أَوْ لِدُخُولِ الْآثَامِ وَتَعَذُّرِ الْقِيَامِ بِالْأَدَبِ فِيهِ كَانَ مُحْسِنًا مَنْ عَمِلَ شَيْئًا لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَى لِأَنَّ التَّرْكَ عَمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَأَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ

عن

التوائط للحصول غلبة مشابه واصله من الوقوع في الوائطة وهي حفرة تحفر في الماء ليقع فيها الصيد

اللهِ أَتْقَاهُمْ لَهُ وَأَتْقَاهُمْ لَهُ أَعْرَفُهُمْ بِهِ مُتَصَرِّفًا كَانَ أَوْ قَاعِدًا هَذَا هُوَ فَصْلُ الْخِطَابِ وَزَوَيْنَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حِينَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَنَظَرَ إِلَى خَلْقِهِ عِبَادِي أَنْتُمْ خَلْقِي وَأَنَا رَبُّكُمْ أَرْزَاقُكُمْ بِيَدِي فَلَا تَعْنَوْا أَنْفُسَكُمْ فِيمَا تَكَفَّلْتُ لَكُمْ بِهِ وَاطْلُبُوا أَرْزَاقَكُمْ مِنِّي وَانْصَبُوا أَنْفُسَكُمْ لِي وَارْفَعُوا أَجْسَامَكُمْ إِلَيَّ أُصَيِّبْ عَلَيْكُمْ أَرْزَاقَكُمْ أَتَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ عَبْدِي انْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ وَوَسِّعْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ وَلَا تَضَيَّقْ فَأُضَيِّقَ عَلَيْكَ أَنَّ أَبْوَابَ الرِّزْقِ بِالْعَرْشِ لَا تُغْلَقُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا فَأَنْزَلَ الرِّزْقَ مِنْهَا لِكُلِّ عَبْدٍ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ وَعِيَالِهِ وَصَدَقَتِهِ وَنَفَقَتِهِ فَمَنْ أَكْثَرَ أَكْثَرَ لَهُ وَمَنْ أَقَلَّ أَقَلَّ عَلَيْهِ وَمَنْ أَمْسَكَ أَمْسَكَ عَلَيْهِ يَا زُبَيْرُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْإِنْفَاقَ وَيُبْغِضُ الْإِقْتَارَ فَكُلْ وَاطْعَمْ وَلَا تُقَتِّرْ فَيُقَتِّرَ اللهُ عَلَيْكَ وَلَا تُعَسِّرْ فَيُعَسِّرَ اللهُ عَلَيْكَ اطْعَمْ إِخْوَانَ وَأَقْرِ الْأَحْيَازَ وَصِلِ الْجَارَ وَلَا تُمَاشِ الْفُجَّارَ وَأَدْخِلِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَهَذِهِ وَصِيَّةُ اللهِ لِي وَوَصِيَّتِي لَكَ يَا زُبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَالْأَسْوَاقُ مَوَائِدُ الْأَنَامِ يُطْعِمُ الْمَوْلَى مِنْهَا مَنْ أَبْقَى مِنْ خِدْمَتِهِ وَهَرَبَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ وَوَهَنَ عَنْ مُعَامَلَتِهِ وَجَبُنَ عَنْ مُنَاجَزَتِهِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْقُدَمَاءِ أُرِيدُ أَنْ يَرْزُقُوا خَلْقِي أَيْ لَهُمْ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ وَقَالَ لَا يُطَالِبُهُمْ أَنْ يَرْزُقُوا أَنْفُسَهُمْ إِذَا خَدَمُوهُ فَذَكَرَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْوُجُوهَ الثَّلَاثَةَ مِنْ تَصَرُّفِ الْعَبِيدِ الَّتِي أَبَاحَهَا لِلْمَوْلَى ثُمَّ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَجَدَّهَا وَهِيَ الْخِدْمَةُ وَعَلَيْهِ الْكِفَايَةُ وَاخْتَارَ مِنَ الْعَبِيدِ أَجَدَّهُمْ فَجَعَلَهُ عَابِدَهُ وَنَزَّهَهُ عَنْ أَجَدِّهَا وَتَعَالَى عَنْهُ وَهُوَ الْإِطْعَامُ مِنَ الْعَبِيدِ لَهُ وَصَرَفَ عُمُومَ الْعَبِيدِ فِي الْوَجْهِ الثَّالِثِ مِنَ الْإِطْعَامِ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّكَسُّبِ وَضَرَبَ هَذَا مَثَلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَبَقِيَ الْعَبِيدُ مَعَ اللهِ تَعَالَى بِحُكْمَيْنِ أَحَدُهُمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَهِيَ الْمُعَامَلَةُ وَعَلَيْهِ الرِّزْقُ كَيْفَ شَاءَ مَتَى شَاءَ وَهَؤُلَاءِ عِبَادُ الرَّحْمَنِ لَا عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالثَّانِي صَرَفَ الْعَبِيدَ فِيهِ مِنَ التَّكَسُّبِ لِأَنْفُسِهِمْ جَعَلَ ذَلِكَ رِزْقًا مِنْهُ لَهُمْ بِجَوَارِحِهِمْ وَكَدِّهِمْ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ وَهَؤُلَاءِ عُمُومُ الْعَبِيدِ مِنْهُمْ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَعَبِيدُ الْهَوَى وَبَقِيَ الْمَوَالِي مَعَ الْعَبِيدِ عَلَى الْأَحْكَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَبَاحَهَا لَهُمْ وَضَرَبَهُ الْمَثَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَنَّهُمْ إِنِ اخْتَارُوا كَانَ ذَلِكَ لَهُمْ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ أَنَّ لِلْمَوْلَى مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَقُولَ لِلْعَبْدِ اذْهَبْ فَاطْعَمْنِي لِأَنَّكَ عَبْدِي وَمِلْكُ يَدِي فَأَنَا أَمْلِكُ كَسْبَكَ كَمَا أَمْلِكُ نَفْسَكَ وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ

الذي ذكرنا ان الله منزه عنه وتعالى علوا كبيرا فقال تعالى وما اريد أن يطعمون كما يريد
الموالي من عبيدهم هذا ثم يقول المولى منا لعبده اذهب فاطعم نفسك واسع في قوتك فقد اخذت لك
ذلك ووهبت لك كسبك فهو رزق مني لك وتفضل مني عليك وبهذا صار المكاتب لعبده يسعى في
فكاك عنقه كالمعتق له بأن كان له الولاء وقد يكون له الميراث في حال لانه ممنوع عليه بالكتابة له
كالمعتق وان كان العبد هو الذي يسعى في فكاك رقبة نفسه بكسبه من قبل أن المولى يستحق عليه
كسبه وبملك رقبته فلما ملك رقبته عبده ذلك صار محسنا اليه فهذا حال عموم العبيد مع
الله تعالى لانه مولاهم الحق وهم عبيده قن فقال اذهبوا وتكسبوا واطعموا نفوسكم فقد رزقتكم
ذلك ووهبته لكم وهذا هو الوجه الثاني الذي نزه الخصوص عنه تفضلا عليه وتفضيلا لهم فلم
يستشعرهم وافتطعهم فشغلهم بخدمته عن خدمة نفوسهم وخليقته وتكفل لهم بكفايتهم ولم
يكلهم فيها كما وكل غيرهم بأرزاقهم من شاء من عبيده وهو معنى قوله تعالى ما اريد منهم
من رزق اي لنفوسهم بدليل قوله تعالى ان الله هو الرزاق اي لهم بإقامة عزهم وباظهاره في قوله وما
اريد أن يطعمون فكانت هذه الآية مكية بهما وهذه ارادة مخصوصة لا عامة لكل مراد فهي
ارادة ابتلاء ومحبة بمعنى ما أحب ومخصوصة لمخصوصين من عباده كما كان قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وان كانت هذه الآية مخصوصة لمخصوصين لمن عبده منهم معنى هو من
الانس والجن لا عامة لجميع خلقه والوجه الثالث أن يقول المولى منا لعبده اخدمني وعلي
طعمتك تقوم خدمتك لي مقام كسبك لنفسك وهذا هو الوجه الاعلى الذي اختاره الله تعالى واجبه
من يحب واختاره لمن عبده من العبيد من خصوص العاملين له وهم القائلون له وهم العارفون به دون من
صرفه في رزق نفسه بنفسه وهو قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق
اي أن يرزقوا نفوسهم بكسبهم الذي اتخذه لهم فيكونوا كغيرهم ممن قلت لهم اذهب فاكتسب فقد
اردت منك الرزق لنفسك بكسبك وقد وهبته لك اي انا اريد من هو لاء العباد ولها خلقتهم
فكل ميسر لما خلق له فمن كانت صنعته العبادة وخلق لها يسرت له ومن كانت صنعته الدنيا
وخلق لها يسرت له وفي الخبر أن الله تعالى خلق كل صانع وصنعته ويقال ان الله تعالى
لما خلق الخلق في العدم اظهر لهم الصنائع كلها ثم خيرهم فاختار كل واحد صنعته فلما أبداهم في

الوجود اجرى على كل واحد ما اختار لنفسه قال وانفرد طايفة فلم تختر شيئا فقال لها اختارين
فقالت ما أعجبنا شيء رأيناه فخيرنا قال فاظهر مقامات العبادات فقالت قد اخترنا خذ منا فقال
وعزتي وجلالي لآخذن منهم اياكم ولانتخمنهم لكم وفي الخبر اوحى الله تعالى الى الدنيا
اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك فالعبادة هي الخدمة ومن ذلك قولهم اياك نعبد ولك نصلي
ونسجد واليك نسعى ونحفد اي اليك نعمل ونخدم مثل قوله تعالى بنين وحفدة أي خدم والعبادة هي
الخدمة بذل وتواضع العرب تقول طريق معبد اذا كان مذللا ممهدا وموطأ بالاقدام ويقولون
بعير معبد اذا كان ممتهنا بالكد ضوا من السير والحمل عليه ومنه قول القبط أتؤمن لبشر
مثلنا وقومهما لنا عابدون يعنون بني اسرائيل خولنا نستذلهم ونمتهنهم بالكد والعمل وقال بعض
العارفين ان الله سبحانه اطلع على قلوب طايفة اخرين من عباده فلم يرها تصلح لمعرفته ولا موضع
لشاهدته فرحمها فوهب لها العبادات والاعمال الصالحة ثم اطلع على قلوب طايفة اخرين من خلقه فلم يرها
تصلح لخدمته ولا موضعا لمعاملته فمقتهم فاستعملهم للدنيا وعبدهم لها ومن هذا قوله تعس عبد
الدينار والدرهم تعس عبد الزوجة وعبد الخميصة أي الذين يذلون لهذه الاشياء ويسعون لها وفي
اخبار داود عليه السلام أني خلقت محمدا لاجلي وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت ما خلقت لاجل ولآدم فمن
اشتغل منهم بما خلقته لاجلي حجبته عني ومن اشتغل منهم بي شغلته بما خلقته لاجله الحديث بطوله

ذكر حكم المتوكل اذا كان ذا بيت

فان كان المتوكل ذا بيت فليعلقه اذا خرج اخذا له لاجل الامر بالحذر ولاتباع السنة والارفاق
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
اعقلها وتوكل ولا ينقض ذلك توكله اذا كان ساكن القلب الى الله لا الى عقاله ناظرا الى احسن
تدبيره في بقيه رحله أو اذهابه لا الى احرازه غير مختار لبقائه في بيته على اختيار الله الحسن
احكامه عنده لان الله تعالى اذا رفع عبدا الى مقام التوكل عليه في شيء اعطاه التوكل على كل شيء
ولا يكون العبد متحققا بالتوكل على التمام حتى يتوكل على الله في كل شيء كما لا يكون توابا
الى الله حتى يتوب من كل شيء ويتوب الى الله من كل شيء عن كل شيء وفي كل شيء أي يرجع اليه بالاشيا

جميع

انتهى

وفيها فلذلك قال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين أي ليتوكل عليه في كل شيء من توكل عليه في شيء ما
أحسن وجوهه والوجه الآخر وعليه فليتوكل في توكله من توكل عليه في الأشياء لأن الوكيل أكل
شيء واحد فينبغي أن يكون التوكل عليه واحدا في كل شيء فالتوكل مقام رفيع من مقامات الأنبياء وأعالي
درج الصديقين والشهداء من تحقق به فقد تحقق بالتوحيد وكمل ايمانه وانتفى عنه دقائق الشرك
وخفايا تولي الشيطان فانقطع سلطانه عنه قال الله سبحانه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه يعني العدو والذين هم به مشركون يعني
الله سبحانه فلم يشترط نفي سلطان العدو بالايمان مجردا حتى يقيمه في مقام التوكل في اليقين فلذلك
فصلنا شرحه وأطلنا تفصيله لأن من أعطى مقاما من التوكل على حقيقته مشاهدة الوكيل
انتظم له جمل مقامات اليقين وأحوال المتقين كما قال عبد الله بن مسعود التوكل جماع
الايمان وقد يبتلى المتوكل في توكله بالأسباب والأشخاص والأعراض وضروب المعاني كما
يبتلى سائر أهل المقامات وسقي عليه من العدو نزغ وطيف لا عن يدون الاقتران والاستيذاء
تختبر بذلك صدقه في توكله ويرد في جميع ذلك نظره إلى وكيله ليجزي أجر الصادقين بصدقهم
أو ليكشف له دعواه فيعلم كذب نفسه فيكون مردودا إلى التوبة كما قال الله تعالى ليجزي
الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم فأحسن حال المدعين التوبة بها
يخرجون من ظلمهم وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون ثم
اخبر بسنته التي قد خلت في عباده ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا فليقل المتوكل عند خروجه من منزله معتقدا لذلك
بعد علقه به ممتثلا للأمر والسنة اللهم ان جميع ما في منزلك ان سلطت عليه من يأخذه فهو
في سبيلك صدقة مني على من يأخذه فان أخذ ما في منزله كان له في ذلك سبع معاملات احدها
قبول توكله على الله بتدبير الله تعالى أمره كيف شاء واختيار الله له نقصان الدنيا واذهابها
لعله يفتن بمصيبته والثانية اختبار الله تعالى لعبده وابتلاؤه اياه بفقد محبوبه ليظهر صدقه ومسألته
أولية سببين للعبد كذبه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه ولم تضطرب نفسه اعطي ثواب

الشاكرين الراضين كما جاء في العلم المكتوب عن بعض أنبياء بني اسرائيل قيل يا رب من أولياؤك قال
الذين اذا أخذت منهم المحبوب سالمني والثالثة ان اضطربت نفسه وجزعت جاهدها بالصبر
والكتمان وحسن الثناء على الله وترك الشكاية الى عبيده فأعطى ثواب الصابرين المجاهدين والرابعة
ان لم يكن في هذا المقام ولا في المقام الأول انكشف له بطلان دعواه وظهر له خفي كيد نفسه
وخفايا مكر الشيطان فانقطع سلطانه عنه قال الله سبحانه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه يعني العدو والذين هم به مشركون يعني
الله سبحانه فلم يشترط نفي سلطان العدو بالايمان مجردا حتى يقيمه في مقام التوكل في اليقين فلذلك
فصلنا شرحه وأطلنا تفصيله لأن من أعطى مقاما من التوكل على حقيقته مشاهدة الوكيل
انتظم له جمل مقامات اليقين وأحوال المتقين كما قال عبد الله بن مسعود التوكل جماع
الايمان وقد يبتلى المتوكل في توكله بالأسباب والأشخاص والأعراض وضروب المعاني كما
يبتلى سائر أهل المقامات وسقي عليه من العدو نزغ وطيف لا عن يدون الاقتران والاستيذاء
تختبر بذلك صدقه في توكله ويرد في جميع ذلك نظره إلى وكيله ليجزي أجر الصادقين بصدقهم
أو ليكشف له دعواه فيعلم كذب نفسه فيكون مردودا إلى التوبة كما قال الله تعالى ليجزي
الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم فأحسن حال المدعين التوبة بها
يخرجون من ظلمهم وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون ثم
اخبر بسنته التي قد خلت في عباده ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا فليقل المتوكل عند خروجه من منزله معتقدا لذلك
بعد علقه به ممتثلا للأمر والسنة اللهم ان جميع ما في منزلك ان سلطت عليه من يأخذه فهو
في سبيلك صدقة مني على من يأخذه فان أخذ ما في منزله كان له في ذلك سبع معاملات احدها
قبول توكله على الله بتدبير الله تعالى أمره كيف شاء واختيار الله له نقصان الدنيا واذهابها
لعله يفتن بمصيبته والثانية اختبار الله تعالى لعبده وابتلاؤه اياه بفقد محبوبه ليظهر صدقه ومسألته
أولية سببين للعبد كذبه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه ولم تضطرب نفسه اعطي ثواب

الأرض والأنفس فقد سبق قبل الخلق وهو قوله تعالى من قبل أن نبرأها قيل من قبل أن نخلق الخليقة وقيل من قبل أن نبرأ الأرض وقيل من قبل أن نبرأ الأنفس وقيل من قبل أن نبرأ المصيبة فجميع ذلك قد سبق ثم قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم فالأسى على فقد الشيء على قدر الفرح بوجوده فلا ينبغي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاه فيأسى على ما ليس له ويحزن على ما أخذه منه واستودعه أو يفرح بما ليس له لأنه لا يعلم هل وهب له فيبقى عليه أو قد أعيرة فيوخذ منه فلما استرجع من يده التي هي يده سبحانه وقبضته أيقن أنه لم يكن له وأنه كان وديعة عند فتاه وحزن لما أيقن شكه ولما علم جهل ورغب فأي شرك في الملك أعظم من هذا ثم مع ذلك يتوهم المتوكل على الله ويدعي منازل الأقوياء الأغنياء بالله المشاهدين لمجاري قدر الله في تصاريف حكمه فإذا علم العبد أنه كاد استكان استكانة الكذابين وناب توبة المدعين ولم ينطق بكلام الصادقين ولم يدل إدلال المحقين فيكون تعريف الله إياه هذه المعاني تأديبا ومزيدا لمثله وهذا من بديع النافعين والمعاملة للغائبة أن يكون له بكل درهم يلقاه سبع مائة درهم كأنه قد أنفقه في سبيل الله حسب له ذلك لأنه قد كان نواه والشاهد أنه لا يأثم أخوه الذي أخذ رحله إذ قد كان جعله صدقة عليه فيوجر أجرا ثانيا لإشفاقه على أخيه وحسن نظره للعصاة من حيث لا يعلمون تخلقا بأخلاق مولاه وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين ويتحقق بمقام المتقين ويكون ممن وقع أجره على الله فيخفى له ما لا تعلم نفس من قرة العين لا عيرا ولا نذيرا وأنه قد علم كيف جزى الأمر وإن الآخر مبتلى بسوء القضاء وأنه قد عوفي هو إذ لم يكن هو ذلك العبد فيرحم أهل البلاء حينئذ ويحمد الله على العافية فيشغله الشكر لله عن الدعاء على ظالمه قال بعض العارفين لبعض أصحابه لم أسقط أهل المعرفة اللائمة عن الظالمين لهم فقلت لا أدري قال ليعلموا أن الله قصدهم بذلك وابتلى الظالمين بهم فرحموهم وذلك داخل في نصر أخيه الظالم لنفسه وطاعة الأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما أي تمنعه من الظلم فإذا عفى عنه فقد منعه من الظلم لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم بمغفرته مقام رؤيته والمعاملة السابعة تحققه بالزهد فيما ذهب قال أبو سليمان الداراني لما بلغه عن ملك بن دينار أنه قال للمغيرة اذهب فخذ ذلك الركوة من البيت فلا حاجة لي بها وكان قد أهداها إليه وقبلها منه فقال ولم قال يوسوس إلي العدو أن اللص قد أخذها وكان

فهذا

منعه

وكان مالك لا يعلق بابه أنى كان يشده بشريط وكان يقول لولا الكلاب ما شددته أيضا قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد في الدنيا فما عليه ممن أخذها وهذا كما قال لأن الزاهد إذا تحقق دخل الرضى فيه ولقول الآخر أيضا وجه لأنه كره أن يعصى الله به فيكون هو سبب معصيته لله وأكثر قول أبي سليمان أعلى لأجل مقام التوكل والرضى وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لكل من ذهب له مال في سفر أو حضر ولكل من أصيب بمصيبة أو أهل أو مال فإن المعاملات كلها إذا اعتقدها بقلبه وكانت في خلده ووجده وإن لم ينطق بها وبظهرها فأكثر الناس إيمانا وأحسنهم يقينا أقلهم غما وأيسرهم أسى على ما فات من الدنيا وأحسنهم رضى وأنفذهم شهادة من رأى ذلك نعمة أوجبت عليهم شكرا وأقل الناس إيمانا وأضعفهم يقينا أشدهم أسى وأكثرهم غما على ما فات وأطولهم شكوى وأقلهم شكرا فالمصايب محنة تكشف الزهد في الدنيا والرغبة ألم تسمع إلى الحديث الذي جاء فيه هذا الدعاء واسلك من اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا فشدة الغم على ما فات من الدنيا دليل على حبها وعلامة ضعف اليقين بحسوبه وسهولة الغم على فوتها دليل على الزهد فيها وقوة اليقين بربه فإن وجد المتوكل رحله بحاله لم يضره بتقيته شيئا وكان له أجر ما قد نوى من المعاملة ولا أعلم هذا القول والاعتقاد عند خروج العبد من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفره نقصه شيئا ولا يضره ولا يفقده ضياع شيء به له ولا يوخر ترك العقل لهذا بتقيته ما حكم الله بذهابه ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقامات في المعاملات لا شيء أجل منها بنقصان الدنيا وهو من طريق الورع فهو ينقصه وهو أنه إن أخذ ما توكل على الله فيه وفوض إلى الله أمره به ثم رده عليه لم يستحب له في الورع أن يتملكه ولا أن يرجع فيه في حسن الأدب لأنه قد كان جعله صدقة في سبيل الله فإن رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لأنه قد صح تفويضه إلى الوكيل في الحالين معا فيكون رده إياه عليه لأنه قد كان وهبه له وبمنزلة ابتداء عطاء منه ولكن قد روينا أن ابن عمر شردت ناقته فطلبها حتى أعيا ثم قال في سبيل الله فدخل في المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم تنزعها ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله تعالى وحدث عن بعضهم قال رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وأدخلني الجنة وعرضت علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو في

ذلك كتب حزنك فقلت له قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس صعدا ثم قال نعم اني لا أزال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم ذلك قال اني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فما زأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى منادٍ من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن أمضى التسبيل فقلت وما امضاء التسبيل قبل لي قد كنت تقول للشيء إذا ذهب منك في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت التسبيل لأمضيتها لك وقد حدثونا ان الربيع بن خثيم شرق وثه وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال أما اني قد كنت رأيته وهو محله قبل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب الي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا او قولوا خيرا اني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما احب أن أكون عونا للشيطان عليه قال فأين لورد إليك سرقتك أكنت تأخذها قال لا ولكنت أنظر اليها اني كنت قد أحللته منها وقيل لأخر ادع الله على من ظلمك قال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه أفلا يكفيه المشركين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا ؟ وذهب لبعض المسلمين مال فجاء قوم يعزونه عليه فقال على ما تعزونني أعلى أمر الدنيا فوالله ما حزنت على ذهابه قيل له ولم قال شغلني الشكر عليه عن الحزن به وقد كانوا يقولون اذا ظلموا من الغصب والسرق وغيره ثمة الله علينا اذ لم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما فانا من الظلامة وقد كانوا يخافون أن يذكروا الظالم بالسب له والدعاء عليه فيكون ذلك زيادة على مظلمتهم وفي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فقال له لا تعرض في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم وقال بعض العلماء لرجل وقد كان شكى اليه قطع الطريق واخذ ماله ان لم يكن غمك أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك هما نصحت للمسلمين وشرفت لعلي بن الفضيل رضي الله عنه دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه يبكي وهو يحزن فقال له أعلى الدنانير تبكي ويحزن قال لا والله يا أبتي ولكن أبكي للمشركين الله يسئل يوم القيمة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم في هذا المعنى ادع على من ظلمك فقال اني

مشغول بالحزن عليه من الدعاء عليه فان رد علي المتوكل كلما اخذ منه فالأفضل له ان لا يتملكه ان كان جعله في سبيل الله وليمض التسبيل فان كان قد جعله صدقة على الآخذ نظر في ذلك فان كان فقيرا جعله على السرقة والخيانة للحاجة أمضى صدقته عليه وان كان غير ذلك صرفها الى فقير وقد كان بعضهم اذا اخذ له شيء يشترط فيقول ان كان فقيرا فهو صدقة عليه وان كان محتاجا فهو منه في حل وحدثني بعض المشايخ عن شيخ كان بمكة من العباد انه بعض الحجاج بسرقة هميانه لأنه كان قائما إلى جنبه فقال له كم في هميانك فأخبره فحمله الى منزله فوزن له المال ثم ان أصحابه أعلموه أنهم خرجوا معه وحملوا هميانه وهو نائم فجاء هو وأصحابه اليه فردوا عليه ماله فقال ما كنت لأعود في مال بعد أن أخرجته لكم فقلنا لا حاجة لنا فيه قال خذوه فأبينا قال فدعا والداله وجعل يصره ويعتق الى قوم حتى فرقه وهذا كانت نيته اخراجه لله تعالى فلم يعد فيما أخرجه كما لو أخرج زكاته للسائل وأعدد زهما لفقير فلم يصادفه انه يستحب له ان لا يرجع الى ملكه بل بمنزلة لسائل آخر ولم يزل هذا من أخلاق المؤمنين وقد رأينا من كان بهذا الوصف وهذا طريق قد عفى أثره ودرس خبره فمن عمل له فقد أحياه وأظهره وقد كان قديما طريقا الى الله تعالى عليه السالكة من الأولياء

ذكر بيان أقسام أحكام التوكل

اعلم ان التوكل على الله تعالى في الأسباب لا يوجب بقاءها للعبد ولا إيثاره بها واحفظها عليه ولا يقدم شيئا عن شيء ولا يؤخر شيئا عن شيء لصلاح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الإذهاب والإتلاف أقرب ان التوكل والزهد هكذا هو عند الخصوص وأجل اختيار العبد وحقيق صدقه محنه له وان من بقاء الشيء من الدنيا قال الله سبحانه وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا فان ذهب ماله فصبر أو شكر أو رضي كان صادقا في توكله وهذه أحوال المتوكلين في التوكل ان كانوا صادقين فان جزع واضطرب كان كاذبا في توهمه للتوكل ويلزمه من مجاهدة النفس عند اضطرابها بعد عدم الأسباب ما يلزمه من مجاهدتها ونفي الآفات في سائر الأحوال فان حفظ عليه ماله فقد رفق به في ذلك وشرهله عن تشفح حقيقة حاله بتلف ذلك وجعل له كرامة من الدنيا له ليطمئن بذلك في حاله ويسكن به قلبه في طريقه وهذا مقام الضعفاء وان نقص من الدنيا فقد أقيم مقام أهل البلاء الأمثل فالأمثل

الاسباب ولولا الامتحان اكثر الصادقون وعند ذلك التوكل على الله فى ترك الدواء لا بحسب
النعم فى ولا بحلها ولا نقص من الامرين ولا بد منها بل هو الى الازدياد منها اقرب للتمحيص والابتلاء ومنه
قوله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين فمن لم يشهد نقصان الدنيا من النفس والمال
نعمه من الله توجب عليه الشكر وبين المنع عطاء فقد جعل تلك النعمة باضاعة شكرها فانه من
جعل النعمة ونزع النقمة اعظم ممن اخذ من جميع الدنيا واخاف عليه لطيفة من المحق والمحق نقصان
الشرع الى ذهاب جملته عند الكفر بنعمته لقوله تعالى ويمحق الكافرين فالله اعلم اى شئ بحقه وينقصه
بعد ذهاب ما كفر شكر نعمته وقد قال الله سبحانه وتعالى ولنبلوكم بشئ من الخوف
والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين فهذا النقص من هذه الخمس التى
المزيد منها هو جملة الدنيا هو المزيد من الاخرة لانها ضد الدنيا كما قال تعالى وما عند الله خير
وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون بعد قوله وبشر الصابرين الى قوله الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون فصبروا على مصابهم توكلا على ربهم ثم توكلوا فى صبرهم لشهادة وكيلهم ثم صبروا
على توكلهم ليتم بذلك حالهم فالصبر اول مقام فى التوكل وهو عند مشاهدة القضاء بلا واسطة
اعلى من ذلك وهو شهود البلاء نعمة والرضى فوق ذلك كله وهو اعلى التوكل وهو مقام المحبين من
المتوكلين فان الله عز وجل وتعالى وتقدس فى وصف عموم المتوكلين وما عند الله خير للذين يتوكلون
افلا يعقلون فمن اتقى الله وعقل خطابه توكل عليه فيما اصابه فلم يأس على ما فات ولم يفرح فى
الدنيا بما هو آت وهذا اوسط الزهد واول التوكل وقال تعالى فى وصف الخصوص وما عند
الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فاهل العقل عن الله والمتقون له هم المتوكلون عليه
وقد زهدهم فيما يفنى بترغيبه اياهم فيما يبقى حين فهموا الخطاب اذ هم اولوا الالباب وذلك انه اضاف
ما عنده اليه ووصفه بالبقاء ليرغبوا فيه لانهم قد توكلوا عليه واضاف ما عندهم اليهم ليزهدوا
فيه ووصفه بالفناء لانهم قد زهدوا فى نفوسهم اذ قد باعوها منه فكيف يتملكون ما عندها والعبد وماله
لسيده وهو تعالى قد اشتراها منهم لترغبتهم فيه وعوضهم منها ما يبقى لهم فقد قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ٥

باب ذكر بيان اعز من فضيلة المتوكل

العلم بان الله تعالى الذى جعل الخلايق كلهم من اهل السموات والارض على علم اهليهم به وعقل اخلهم
عنه حلم اجلهم عنده ثم لو زاد كل واحد من الخلايق مثل عدد جميعهم واضعافه فيها وجله وجلا
ثم كشف لهم ابعد اقرب واطلعهم على السرائر واعلمهم بواطن التبع وعرفهم دقايق العقوبات
واوقفهم على خفايا اللطف فى الدنيا والاخرة ثم قال لهم دبروا الملك بما اعطيتم من العلوم والعقول عن
مشاهدتكم عواقب الامور ثم اعانهم على ذلك وقواهم لما ازاد تدبيرهم على ما يراه من تدبير الله تعالى من
الخير والشر والنفع والضر ولا نقص جناح بعوضة ولا اوجب العقول المكاشفات ولا العلوم
المشاهدات غير هذا التدبير ولا اقتضت بغير هذا التقدير الذى تعاينه وتشاهد فيه ولكن لا بصر ولا بانة
اجراه على ترتيب المعقول وعلى معانى العرف والمعتاد من الامور وبالاسباب المعروفة والاوساط
المشهودة على معيار ما طبع العقول فيه وجبل المعقول عليه ثم غيب مع ذلك العواقب وجب
السرائر واخفى المثاوب فغاب بعضها حسن التدبير وجميل التقدير فجهل اكثر الناس اكثر
الحكم الا المتوكلين وما يعقلها الا العالمون ويقال اصغر ما خلق الله من الموات والحيوان البعوضة
والذرة وفى كل واحد منهما ثلثمايه وستون حكمة ثم تتزايد الحكم فى المخلوقات على قدر تفاوتها فى
العظم والمنافع ومزيد اخبرنى ممن اهل النهى من اولى الالباب نهاية امانيهم فكونت امانيهم على ما
تمنوا لكان ذاهم من الله فى تدبيره ومغبر فتهم بحسن تقديره الم خيرهم من كون امانيهم وافضل لهم
عند الله من قبل ان الله احكم الحاكمين وقد قال الله تعالى موبخا للانسان مجهلا المتمنى لقلة الايقان
ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى اى يحكم فيهما بترك الامانى لانه قال تعالى ولو اتبع الحق
اهواءهم يعنى امانيهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن فالمتوكل يحب الله تعالى وهو مسرور
بربه فرح له بملكه بان له الاخرة والاولى يحكم فيهما كيف شاء والعبد عاجز لا يقدر على شئ فهذا
اول مقام فى المحبة فقد كفى اللايق هذا كله حسن تدبير الخالق العليم الخبير وانما يحتاج
الى معرفة بالحكمة ومشاهدة للعلم والرحمة والى بصيرة ويقين تتمكن عنده قلوبهم ما يضرب هذا
الذى ذكرناه عند الموقنين وسيطلع اليوم على سر ما ذكرناه من لطيف التدبير وبالغ التقدير وهو
القدرة ولطايف المقدر فى الاخرة عند المعاينة وقت كشف الغطاء وظهور ما تحته من خزاين
الغيب فى السموات والارض وقد اطلع الله على ذلك العالم به فى الدنيا وهو محمود مشكور فى ما

جون

أظهر وأخفى في كل واحدة منهما بعده ومع كل واصف منهما حكمه ورحمه ولكن قد خلق الله العلماء بأخلاقه فليس يكشفون من علله إلا بقدر ما كشف وليس يعرفون من سر قدره إلا بمقدار ما عرف وقد قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم فقد نادوا بهذا الخطاب ووقفوا عنده وقال أبو سليمان الداراني إذا لاحظت الأشياء من فوق وجدتها طعاما أحمر وقال بعض العارفين إذا رأيت الأشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد رأيت ما لم تر قبل ذلك وسمعت ما لم تسمع وفهمت ما لم يفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى عجبا فإن لم تر عجبا رأيت العجب ٥

ذكر بيان أعز وصف المتوكلين

إعلم أن العلماء بالله سبحانه لم يتوكلوا عليه لأجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لأجل تبليغهم مرادهم ولا يشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جزيا بأن أحكامه بما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيته إلى ما لا يعقلون ولا ليحول عنهم سنة الله التي قد خلت في عباده من الابتلاء والاختبار هو أجل في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا لو اعتقدوا ذلك بالله أجل هذه المعاني مع الله في توكله كان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وإثما أخذ وا نفوسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضى عنه كيف أجرى قال رجل لمالك يا عبد الله التي تعلقت بأستار الكعبة قلت من كل ذنب وحلفت أن لا أعصي الله فيما أستقبل فقال ويحك ومن أعظم معصية منك سؤالا على الله أن لا ينفذ حكمه فيك وأنشد بعض العلماء لبعض الحكماء

ولما رأيت القضا كائنا ولا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقي وألقيت نفسي مع الجرية

وإنما توكل العلماء به عليه لأجل أنه يحب المتوكلين ولأجل أنه يستحق التفويض إليه ويستوجب التسليم له إذ كان هو الوكيل الأول والكفيل الأجل حين سمعوه يقول والله على كل شيء وكيل استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه وحين فقهوا قوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ولما عقلوا من خطابه ألیس الله بأحكم الحاكمين أو لأجل أنه أمر بالتوكل وندب إليه وحقق الإيمان به إذ سمعوه تعالى يقول أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أمن هو مالك السمع والأبصار الآية ومن يدبر الأمر وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وفي السماء رزقكم وما توعدون ثم أقسم عليه بنفسه إنه لحق فتوكلوا عليه استحبابا له لوجود اليقين الذي رفع خفايا الشك وحل رمز التهمة له وتوثقه بالاعتماد عليه فمنهم من توكل عليه لأجل هذه المعاني كلها ومنهم من توكل عليه لمشاهدة بعضها فكل عبد توكله على الوصف الذي به عرفه وكل عرفه على التجلي الذي عرفه وكل يطبعه على قدر قربه منه وكل يقرب على قدر علمه بقربه إليه وكل يعلم قربه منه بقدر ما يعرفه من كيفية كينونته في مكون كائنه وكل يعرفه ذلك بقدر نسبة شاهديه وجزاؤه ونحو معاملته والله يضاعف لمن يشاء ودرجات عند الله والله بصير بما يعملون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون فدار السلام جامعهم لهم وهم متفاوتون في درجاتها كتفاوتهم في الدنيا بحسبهم وهو يرفعهم لديه في ملكوته بتخصيص التولي وحسن الجزاء عن تحسين المعاملات الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ومن الخصوص من توكل عليه تعظيما له وإجلالا ومنهم من توكل عليه ثقة منه وتنزيها له عن سوء الظن به تعالى ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده ليحقق صدقه به كأنه قد أخذ الموعود بيده إذ يقول تعالى ومن أوفى بعهده من الله إنه كان وعده مأتيا ومنهم من توكل عليه جنانه ومنهم من توكل عليه استسلاما لما شهده من قهر عزته وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له ٥ ومنهم من توكل عليه خوفا منه ومنهم من توكل عليه ليحفظ له ما استحفظه ويعصمه فيما له عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته ومنهم من توكل عليه تسليما له عن جميل معاملته ومنهم من فوض إليه حسن تدبيره عنده وتحكم تقديره ومنهم من توكل عليه لأن توحيده له شهادة فهذه كانت مواجيد أوليائه ومنابع اجتبائه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضهم أعلى من بعض وبعض هذه المشاهدات أقرب وأرفع فاعلاها منهم مقاما من توكل عليه للإجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليما له وتجنبا إليه وقد ذكرنا أيضا من توكل العموم ما يستحي العارفون من ذكره وينزهون قلوبهم عن فكره وهو التوكل عليه في القوت وقد طوينا توكل الخصوص من صدر بقي المقربين لأنه لا يحتمله عقل عاقل ولا يسع أن يستودع في كتاب التاقل إذ ربما نظر فيه منكر جاهل والله المستعان

فدخل من عرفه فيما به المولى حسن ثناء ينالون به قربة منه ومحبته لديه ٥

ذكر بيان أمر بالتوكل وما لا ينقص التوكل

ولا ينقص المتوكل على الله سبحانه مسئلة مولاه فيما أحبه من صالح الدنيا ومزيد الآخرة إذ لم يقصد غير مطلوب وكان مفوضا إلى الله الأمور ولكن يحتاج إلى معرفة الإجابة فقد يكون المنع إجابة وقربا إذ كان العطاء مشغلا عنه وبعدا لأن الخيرة فيما لا يعلم العبد وقد يكون فيما يكره مما يعلم الله حسن عاقبته لا فيما يعقل العبد عاجل منفعته فعليه التسليم لحكم الحاكم والرضى بقسم القاسم فإن سأل كثيرا من الدنيا وما لا يحتاج إليه وما ليس فيه صلاح قلبه ولا قربه إلى ربه أخرجه من حقيقة التوكل بمقدار ما أخرجه من الزهد وإن انقطع بالذكر عن المسألة أعطاه فوق عطاء من سأله وإن سكت حياء من الوكيل إذ هو حسبه فشهد الكفاية ورضي بجميع التصريف فهذا مقام من المواجهة عز مشاهدة القيومية وهو حال المقربين ولا يقدح في التوكل تشوف المتوكل إلى رزقه لأنه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه والمعلوم مقسوم فتشرفه إلى القسم تشرف منه إلى القاسم ومن تشرف إلى مولاه شرفه وتولاه ولكن إن تشرف إلى الزيادة وخرج من القناعة وطلب العادة أو أراد الشيء قبل وقته أو كره أخره عنه إلى وقت مقدر فإن هذا يقدح في توكله وينقص من زهده فلو كان التشرف إلى الرزق منها والتطلع إلى الرازق عملا ينقص التوكل لعد لنا من باع واشترى وجعلنا من تعالج من علله بالدواء لأن في ذلك تشرفا إلى الرزق وتطلعا إلى الدواء فجامع ذلك تضعيف السابقين وطعنا على المتداوين من السلف الصالح وإخراجهم بذلك من التوكل والزهد ولم منها مقاما ولا يخرجه من التوكل مطالعته للعوض على معاملته من جزاء الآخرة لأنه قد شرق إلى ذلك وندب إليه ولكن لا يدخله ذلك في حقيقة الإخلاص ويرفعه إلى علو درجة الصديقين من المتوكلين ولا يصح التوكل إلا بزهد في الدنيا وأول الزهد ترك الرغبة في الحرام وأول أحوال المتوكلين التوكل في القوت ثم الصبر بالحي الذي لا يموت وأعلى التوكل التوكل عليه في الاستسلام للأحكام والرضى عنه بالمسابقة بين الإقدام وهو المراح النفس ونسيانها شغلا منه عنها وجمالا له وحقيقة التوكل بعد مشاهدة يد الوكيل فإذا ظهرت يده

غابت الأيدي فيما فعند ما توكلت عليه بتذلل فقيل توكلك واستسلمت إليه فذلك فانه يتولى لك بوصف يلزمك حكما يضطر الملك إلى الحكم وتجري لك وعليك ما شاء من القسم فأما على توكل حي فيما منه وإشهاده إياك توكلا لك بحسن التدبير فلم يكلك إلى سواه ولم يوكلك إلا إياه وأن يقتضيك تعبرا له وأما أن يقتضيك تقربا إليه وأما أن يقتضيك رضى عنه وتسليما له واستدعاه من تدبيرك لنفسه ويسقط عنك اهتمامك بتقدير ك وأمانيك ومن توكل على الله فهو حسبه أي التوكل حبس من تدبير المقامات وقيل الله حسبه أي يكفيه مما سواه ثم قال تعالى معرفا للكافة مثلا إلهيا إن الله بالغ أمره أي منفذ حكمه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه إلا أن من توكل عليه يكون الله حسبه أي يكفيه ايضا مهم الآخرة والدنيا وهو أعلى الوجهين ولا يزيد من لم يتوكل عليه خلخ بعوضة في قسمه كما لا ينقص من توكل عليه ذرة من رزقه ولكن يزيد من توكل عليه مددا إلى هداه ويرفعه مقاما إلى اليقين على تقواه وينقص من لم يتوكل عليه من اليقين ويزيده من التعب والألم ويشتت قلبه ويشغل فكره والمتوكل عليه يوجب له بذلك تكفير سيئاته ومضاعفة رضاه ومحبته والكفاية فقد ضمنها الله تعالى لمن صدقه في توكله عليه والوفاية فقد ضمنها لمن أحسن به الظن إلا أن الاختيار وعلم الاستبداد إليه والكفاية والوفاية بحسب ذلك ما شاء وكيف شاء ومتى شاء من أمور الدنيا وأمور الآخرة ومن حيث يعلم العبد ومن حيث لا يعلم لأن العبد موجود يجري عليه الأحكام في الدارين وفقير يحتاج إلى اللطف والرحمة والرفق في المكانين والله هو الغني الحميد المبدئ المعيد وقيل لأبي محمد سهل متى يصح للعبد التوكل قال إذا علم أن تدبير مولاه خير من تدبيره لنفسه وأن نظر مولاه أحسن من نظره لنفسه فيترك التفكر فيما كان والتمني لما يكون بترك التدبير ولله عاقبة الأمور وهو على كل شيء قدير

ذكر أحكام مقام الرضى ووصف أهله وشرح أحوالهم

الرضى عن الله سبحانه من أعلى مقامات اليقين بالله وقد قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فمن أحسن الرضى عن الله جازاه الله بالرضى فقابل الرضى بالرضى وهذا غاية الجزاء ونهاية الكرم وهو من قول أحسن الرضى عن الله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد رفع الله الرضى في جنات عدن وهي من أعلى

الحكم الإلهي الذي لا يرد ولا يحول ولا يزول

الجنان كما فضل الذكر على الصلاة فقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله
أكبر كما قال تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والذكر عند الذاكر في
المشاهدة فمشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة وهو احد الوجهين من الاية والوجه
الثاني ذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد لله وقال أبو عبد الله الباجي من خلق الله عبادا يتحرون من
الصبر يتلقون مواقع أقداره بالرضى تلقفا وكان عمر بن عبد العزيز يقول أي سبحت ومالي سرور
الا في مواقع القضاء الراضون عن الله عز وجل هم الذاكرون الله حقا
وبحث وبرضى فالرضوان الاكبر جزاء
أهل الذكر الاكبر فهذا أحد المعاني في قوله من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته افضل ما أعطي
السائلين أي الرضى عنه لان السائلين سألوه لهم فاعطاهم العفو والذاكرين ذكروه له فاعطاهم
الرضى عنه عز وجل ويكون أيضا معناه أعطيته النظر الى اليوم لان الذكر يدخل في المشاهدة فالنظر
النظر اليه اليوم بالنظر اليه غدا كما قابل الوصف بالوصف في قوله عز وجل وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة وقال الرسول عليه السلام تجلى لنا ربنا ضاحكا وهو يتعالى عن التشبيه والذكر بـ
السمع والسمع يخرج الى النظر والرضى هو حال الموقن واليقين حقيقة الايمان والى هذا ندب النبي صلى
الله عليه وسلم ابن عباس في وصية له فقال اعمل لله باليقين في الرضى فان لم تفعل ففي الصبر خير كثير فارفعه
الى أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال لابن عمر اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فنده الى
المشاهدة وهو الاحسان لانه سئل ما الاحسان فقال تعبد الله كانك تراه ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو
الايمان وهذا مكان العلم بان الله يراه وليس بعد هذا مكان يوصف وقد رفع الله تعالى الرضى منه فوق ما
أعطى من النظر ففي الخبر ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضى بعد
النظر مفصل عظيم الرضى وأبان الرضى دام لهم النظر فلما كان الرضى موجب النظر سألوه دوام الرضى ليدوم
القرب والنظر فسألوه تمام النعمة من حيث بدايتها ولا يصلح أن يظهر في معنى قوله لمسرضاك
أكبر من ذلك ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر لانه عن كشف وصف من صفات الذات يوجب على
العبد هيبة الربوبية وهذا في الدنيا ثواب لاهل القربة عن معرفة خاصية قال الله سبحانه لاهل
الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قال بعض المفسرين في قوله تعالى ولدينا مزيد قال هي لاهل
الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله ليس عندهم في الجنان

مثلها وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على
الهدية فهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله اني عنكم راض فيكون أفضل من
الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي أكبر من النعيم الذي هم فيه وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لطائفة من المؤمنين ما أنتم فقالوا نحن المؤمنون فقال ما علامة ايمانكم
فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي
خبر آخر انه قال لهما علما كادوا من فقههم أن يكونوا انبياء فشهد لهم بالايمان بعد وصف
الرضى وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضى من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال في وصيته الايمان
أربعة أركان لا يصلح الايمن كما لا يصلح المسند الا باليدين والرجلين ذكر منها الرضى بقدر
الله والرضى مقتضى التوكل الذي هو مجمع الايمان وشاهد اليقين والرضى ايضا وصف المحب ودليل المحبة
التي هي أعلى ذرى الايمان وأهلها الاعلون من المؤمنين حال الموثق والمتوكل والمحب هذا مبلغ علمي
وشهادة وجدي وقد جعل الربيع بن أنس وابو سليمان الداراني الرضا حال الشاكر وحفنا بالرضى الشكر
فجعلاه وصفا له وفسر الشكر بالرضى والمعنى في تفسيرهما الشكر بالرضى وجعلهما حقيقة
الشكر هو الرضى غامض يحتاج الى اظهار والذي روينا عن الربيع بن أنس انه قال علامة حب الله
تعالى كثرة ذكره فانك لا تحب شيئا الا اكثرت ذكره وعلامة الدين الاخلاص لله تعالى
وعلامة الشكر الرضى بقدر الله تعالى والتسليم لقدره كانه اذا رأى اذا رضيت بمقدار نعمته عليك في
كل شيء وقنعت بعطائه ولم تطلب الزيادة فقد عرفت حسن اختياره لك كما لا يحسن لحمان لنفسك
فلما لقدره ورضيت بفعله فذلك علامة شكر نعمته ووافقه أبو سليمان بمعناه فحدثنا عن
أحمد بن ابي الحواري قال ذاكرت أبا سليمان في الخبر اول ما يحشر الى الجنة العباد فقال لله على كل حال
فقال ويحك اليس هو أن يحمد على المصيبة وقلبك يتعصر عليها اذا كنت كذلك فارجع الى الصابرين
انما الحمد ان تحمده وقلبك مسلم راض فقد صار الشكر الذي هو سبب المزيد من كل نعمة وفرضه
الله بالايمان به الذي ضمن معه النجاة في قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فجعل
العذاب بعدم الشكر كعدم الايمان وكان الشكر مقترنا بالايمان الذي هو سبب رفع العذاب
معه فصار الشكر من أحوال الراضي وتحقق بالرضى عاقل هو لاء وجدتونا في الاسرائيليات ان عابدا عبد

الله دهرا طويلا فأرى في المنام فلانه الراعيه رفيقتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلثا
لينظر إلى عملها فكان بيت قايما وتليت نايمة ويظل صايما وتظل مفطرة فقال أما لك عمل غير ما رأيت
قالت ما هو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في
ان كنت في شدة لم أتمن أني في الرخاء وان كنت في مرض لم أتمن أني في صحة وان كنت في الشمس لم أتمن
اني في الظل قال فوضع العابد يده على رأسه فقال لهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها
العباد وقد رويناه عن ابن مسعود رضي بما انزل من السماء الى الارض عفر له وقال ابو الدرداء
ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر وروي عن محمد بن جويط عن النبي صلى الله عليه وسلم
من خير ما اعطي العبد الرضى ما قسم الله له وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا من طرق
اهل البيت اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه فالرضى عن الله عز وجل
والرحمة للخلق وسلامة القلوب والنصيحة للمسلمين مقام الابدال من الصديقين من خلق
بهذه الاخلاق اعطي ثواب صديق نزل على نبي او مرسل وقد روينا حديثا اسرائيليا سأل موسى
اسرائيل موسى عليه السلم ان سل ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد تسمع ما
يقولون فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا الخبر الخبر الذي عن نبينا صلى
الله عليه وسلم من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد منه بحيث انزله
العبد من نفسه وقد روينا حديثا حسنا كالمسند عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك ان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة انبت الله لطايفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم
الى الجنان يسرحون فيها فيتنعمون كيف شاؤا قال فتقول لهم الملايكة هل رأيتم الحساب فيقولون
ما رأينا حسابا ويقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقال هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا
شيئا فتقول لهم الملايكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشتهي
ان نحمد ربنا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كنا فيها فبلغنا هذه المنزلة بفضله
ورحمته يقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا استحيى ان يعصيه ونرضى باليسير مما قسم الله لنا
فتقول لهم الملايكة حق لكم هذا فعل هؤلاء من صاحبه من خلقه واهل معافاته من عباده في
دنياه واخرته كما روينا في حديث ابن عمر مسندا ان لله تعالى ضنابين من خلقه يضن بهم

عن القتل والفتن بعدهم برحمته ونجاهم في عافيته جعلنا الله واياكم منهم برحمته هكذا كان في
كتاب شيخنا عن انس وقال فيه لطايفة من امتي ففيه دليل على المستند وقد جاء في الاثر من رضي من
الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وقال بعض علمائنا اعرف في الموتى عالما تقول
ان منازلهم من الجنان يغدى عليهم ويراح برزقهم من الجنة بكرة وعشيا وهم في غموم وكروب في
البرزخ لو قسمت على اهل البصرة لماتوا اجمعين قيل وما كانت اعمالهم قال كانوا مسلمين موحدين
الا انهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضى نصيب وقد جاء في فرض الرضى قول النبي صلى الله عليه وسلم
اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقرن لقمن الرضى بالتوحيد فقال
في وصيته لابنه او صيك بخصال تقربك الى الله وتباعدك من سخطه الاول ان تعبد الله ولا تشرك
به شيئا والثانية الرضى بقدر الله فقد اقام الايمان وفرغ يديه ورجليه للكسب الخير واقام
الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد امره فمن الرضى سرور القلب بالقدر وفي جميع الامور وطيب
النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مفلع من امور الدنيا وقناعة
العبد بكل شيء واغتباطه بقسمه من ربه وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلام العبد لفعل
المولى في كل شيء ورضاه منه بأدنى شيء وتسليمه له الاحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال
التقدير فيها وتسليم العبد الى مولاه ما في يديه رضى بحكمه عليه وان لا يشكو الملك المتيد
الى العبد المملوك ولا يتبرم بفعل الحبيب ولا يتقدى في كل شيء حسن صنع القريب ومن الرضى عند اهل
الرضى ان يقول العبد هذا يوم شديد الحر وامس يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ولا يضيق
والعيال هم وتعب والاحتراف كدر ومشقة ولا يعتقد بقلبه من ذلك ما لا يفوه به بل يرضى
القلب ويسلم ويسكن العقل ويستسلم بوجود حلاوة التدبير واستشعار ان في كل التقدير وهذا
درجة طايفة من العارفين يسمى حسن الثاني مع الله تعالى بترك الاعتراض عليه في ملكه ويذهب
فضول الكلام بالشكاية ملكه كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت وما لي سرور
الا في اتظار مواقع القدر وقال ابن مسعود الفقر والغنا مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان الغنا
الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنا فان فيه البذل قال ابن ابي الحواري قلت لابن سليمان
ان فلانا قال ودت ان الليل اطول مما هو فقال قد احسن وقد اسيء احسن حيث تمنى

ن

طولَه للعبادة وآساءَ إذا أحبَّ ما لم يحبَّ الله وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أبالي على
أي حالٍ أصبحتُ وأمسيتُ من شدةٍ أو رخاءٍ وقال يوماً لامرأته عاتكة أخت سعيد بن زيد وكانت
من أعقل الناس وقد غضب والله لأسوأنك فقالت أتستطيع أن تصير في عمر الإسلام بعد إذ هلك
الله له قال لا قالت فأي شيء تسوءني به إذاً وقال جعفر بن سليمان الضبعي قال سفيان الثوري
يوماً عند رابعة اللهم ارضَ عنا فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضى وأنت غير راضٍ عنه قال
استغفر الله قال جعفر فقلت لها متى يكون العبد راضياً عن الله فقالت إذا كان سروره بالمصيبة
مثل سروره بالنعمة وقال فضيل بن عياض إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي وفي
أخبار داود ما لأوليائي وألهم بالدنيا ألهم يذهب جلاوة مناجاتي من قلوبهم وفي بعضها
يا داود إياك والاهتمام بالدنيا فإن محبتي من أوليائي أن يكونوا زواجين لا تمتم للخبز وأنت
تريدني ويقال أكثر الناس في الدنيا أكثرهم همّاً في الآخرة وأقلهم هماً في الدنيا أقلهم هماً في
الآخرة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن واعلم
أن الفرج بالدنيا يخرج هم الآخرة من القلب وألم على الدنيا يحجب عن الحزن على فوت الآخرة
وذكر عند رابعة عابد له عند الله منزلة وكان قوته ما يتقمم من منزلة لبعض ملوكهم فقال
رجل عندها فما يضر هذا إذا كانت له عند الله منزلة أن سأله فيجعل قوته في غير هذا قالت له
اسكت يا بطال أما علمت أن أولياء الله هم أرضى عنه من أن تخيروا عليه أن تنقلهم من معيشة حتى يكون هو
الذي يختار لهم وقد قال أويس القرني بمثل هذه القصة فيما روينا عنه وقال أحمد بن أبي
الحواري قال لي أبو سليمان إن الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من موالهم
قلت وكيف ذلك قال أليس من مراد العبد من الله أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن محبة
الله من عبيده أن يرضوا عنه وقال الأعمش قال لي أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو
أطعناه ما حصانا وقال الله تعالى في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يطيعهم
ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة كقوله تعالى فليستجيبوا لي فلما استجابوا له استجاب لهم
أطاعوه فيما أجبت فأطاعهم فيما يحبون وهذا أحد وجهي الآية كقوله تعالى أوفوا بعهدي أوف
بعهدكم وهو على تأويل من قرأ هل تستطيع ربك أي يطيعك وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول

لحواريون أعلم بالله تعالى من أن يشكوا أن الله تعالى يقدر على ذلك وإنما معناه هل تستطيع لك
أن يطيعك وروينا أيضاً عن عائشة معناه وقال فضيل من أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ومن
خاف الله خاف منه كل شيء وفي أخبار موسى عليه السلام يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى
فأوحى الله إليه أن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكرهه فقال يا رب دلني عليه قال
فإن رضاي في رضاك بقضائي وقدري وهذا على وجه آخر أن بني إسرائيل سألوا موسى فقالوا لو علمنا
أي شيء رضى ربنا لفعلناه فأوحى الله إليهم قل لهم رضاي في رضاهم بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام
يا رب أي خلقك أحب إليك قال من إذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فأي خلقك أنت عليه ساخط
قال من يستخيرني في أمر فإذا قضيت له سخط قضائي وقد روي أشد من هذا كله أن الله تعالى قال
أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ويرض بقضائي فليتخذ رباً سواي وقد أسنده بعض الرواة
وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق مثله في الشدة يقول الله تعالى قدرت المقادير ودبرت
التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حين يلقاني ومن سخط فله السخط مني حين يلقاني وفي
الخبر أول ما كتب الله لموسى عليه السلام إني أنا الله لا إله إلا أنا من لم يرض بحكمي ولم يصبر
على بلائي كتبته صديقاً وحشرته مع الصديقين يوم القيامة وروينا في الخبر المشهور بمعناه
يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته الخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته
للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الأخبار السالفة أن بعض
الأنبياء شكى إلى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشرين سنين كل ذلك لا ينظر في مسألته ثم أوحى
الله إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض
وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك
تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد فوعزتي وجلالي
لئن تخالج هذا الصدر منك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة في مفهوم الخطاب وإلى الألباب
أن من أراد تغيير شيء واحد مما أظهره الله تعالى عليه أو رتبه فقد أراد انقلاب الدنيا وإعادة
خلقها على غير ما أظهره الله تعالى عليه من سابق علمه وأرضها لقوله أفتريد أن أعيد خلق الدنيا لتقدير
الكون بأسره كتقدير شيء واحد منه إن نقص تدبير شيء واحد نقص التدبير كله وإن غير أمراً واحداً

عله ... عاصمة في الحاشية ...
... سبب جعله للقضاء الذي ...
... ع ... ص ... صنعها ... له ...
... عاصمة ... تقضيم لذا ...
... له ... من

منه أوقع التغيير بالدنيا كلها ففي شهادة هذه الحكمة والمشية الاغتباط بالحرص والاستشعار له
وكذلك ورد ذكرنا في قصة الملكة لبجانة كانت في بني إسرائيل تؤدي الأنبياء وتجليهم من الأرض وتقتل
الأولياء أعمارا طويلة من الزمان قال فضج الأنبياء والصديقون إلى الله تعالى وكثرت شكايتهم إليه فلم
يجابوا بشيء ولا شفعوا فيها سألوا بره ثم أوحى الله تعالى إليهم لما كثرت شكايتهم كم تشكون
وإلى متى تضجون منها إن لها مدة معلومة فاصبروا عليها حتى تنقضي مدتها وأكفيكم شأنها فسكت
الأنبياء والصديقون وروي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على
جسده وينزلون يجعل أحدهم رجله على أصلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه
كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت الا ترى ما
يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة
واحدة فأهبط إلى الأرض من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف
ان تحركت بحركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم وفي بعضها إن الله ضمن لي ان حفظت لساني أن يردني
إلى الدار التي أخرجني منها وقال أبو محمد سهل حظ الخالق من اليقين على قدر حظهم من الرضى وحظهم من
الرضى على قدر حظهم من اليقين مع الله وروي عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
الله تعالى وجل جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ومن
الرضى أن لا يذم شيئا مباحا ولا يعيبه اذا كان ذلك بقضاء مولاه منشاهدا للصانع في جميع
الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان يخرج ذلك على معيار المعقول والعادة بعض
العارفين يجعل هذه الأشياء في باب الحياء من الله عز وجل ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع
الله تعالى ومنهم من جعله من باب الأدب بين يدي الله تعالى فاذا كان هذا كذلك كان ذم الأشياء
التي ابتحت وعيبه من سوء الخلق مع الله وكانت من سوء الأدب بين يدي الله وقد ذكرنا قبيل
أن منهم من صيره في باب حسن الخلق مع الخالق وأعظم من ذلك أنها ندخل في باب قلة الحياء من الله
اعني ذم من لا يذمه الله عز وجل من المباحات والخلق وينبغي أن يكون هذا أحد معاني الخبر
الذي جاء قلة الحياء كفر يعني كفر النعمة بأن يذم بعض ما قد أنعم الله به عليك من
الأرزاق والآلات فاذا كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواك منها فيكون

ذلك كفرا بالنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدل الشكر كفرا الا ترى لو
اصطنع لك طعاما فجئته وذممته لكرهه ذلك منك فكذلك الله تعالى يكره ذلك منك وهذا
داخل في معرفة معاني الصفات وفي معنى ما قيل أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه لأنك اذا عرفت صفات
نفسك في معاملة الخالق عرفت منها صفات خالقك وبعض الراجين يجعل ذم الأشياء وعيبها من
الغيبة لصانعها لأنها صنعته ونتاج حكمته ونفاذ علمه لأنه أحكم الصانعين وخير الرازقين وأحسن
الخالقين لعبد في كل شيء حكمة بالغة وفي كل صنعة صنع متقن وأنك اذا عبت صنعة أحد ودممتها
سرى ذلك الى الصانع لأنه كذلك صنعها وعن كنهه أظهرها اذ كانت الصنعة مجهولة لم تصنع
نفسها ولا صنع لها في خلقتها وكان الورع لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له فمثل هذا
اذا دخل على المؤمن من غفلة وسهو وفرط منه تذكر سببا أوجبه على نسيان فهذه ذنوب
المتقين وسيئات العارفين تابوا الى الله تعالى واستغفروه وذلك ان الراضي عن الله متأدب بين
يدي الله يستحي أن يعارضه في ذلله أو يعترض عليه في حكمه فصاحب الدار يصنع في داره ما يشاء
ولا يكلم بأمره كيف يشاء والعبد زارع يصنع سيده مسلم الحكم حاكمه ألم تر الى ما روي ان عيسى عليه
السلام مر في نفر من أصحابه بجيفة كلب ميت فقطعوا أنوفهم وقالوا أف أف ما أنتن ريحه فلم يخمر
عيسى عليه السلام أنفه وقال ما أشد بياض أسنانه اذا دأن ينهاهم بذلك عن الغيبة ويعلمهم
ترك عيب الأشياء كيف هو وهو يشهد بعين يقينه ان الصنعة بيد صانعها لم تخرج من يده
فهو يقلبها بيده ويصرفها عن معاني نظره وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاما
قط ان اشتهى أكله والا تركه وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ولا قال في شيء كان
ليته لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان يقول لو قضي شيء لكان هذا لفظ ثلثة أحاديث
جمعناها على المعنى وروينا لفظة مجملة في شيئين متضادين ما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم
في حاجة قضيت أو لم تقض الا قال لو قضي شيء لكان فهذا اذا كان اللفظ راجعا على الوصفين فالذي
في قوله اذا قضي ايضا لو قضي شيء لكان أي لو قضي أن لا يقضى لم يقض كما أنه قد قضي أن يقضى
لكان فاستوى عنده في القضاء ما قضي وما لم يقض لأن ما لم يقض فقد قضي قضاء أن يقضى كما

لئن ما قضى فقد سبق قضاؤه أن يكون وقد يصلي في هذا الوجه ان لكل حاجة تقديرا في النفس أن يكون على
صفة الواقع في نفس الوهم فكأنها وإن قضيت على غير ما قدر وغير ما وقع في وهمه سلم ذلك ورضي قال
ايضا فيما قضى لو قضي لكان يغني على ما قدرت فهذا مجاز قوله فيما قضى أن لو قضى لكان فإن كان لا لفظ عايدا
على ما لم يقض وجرم أن ما قضى فقد ظهر وبان فلا مسئلة فيكون ذلك بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم
في قصة ذي اليدين لما قال له اقصرت الصلاة أم نسيت فقال كل ذلك لم يكن وقد كان احدهما
النسيان وهذا أيضا فيه لطيفة يحتملها التأويل ان يريد كل ذلك يجمعوا عما لم يكن فهذا يرجع
بمعنى قوله فيما قضى أو لم يقض لو قضي لكان رجع معنى القضاء عليهما ان ما قضى أيضا فانه قد قضى
ان يقض أي فلو قضى أن لا يقضي لم يقض فكان يرضى صلى الله عليه وسلم بما قضى كيف قضى عما لفوز
الوهم أو خلافه ويرضى بما لم يقض في علم الله تعالى فصار القضاء بينهما سواء فينبغي أن يكون
الراضي بهما سواء وهذا وصف الراضي الموفق القايم بشهادته فبالنظر في هذه الرقايق والوقوف
عندها تغلت القلوب فسدت حتى لم تصلح للمحبة والرضى وهذه المعاني من الاعتراضات والتخير
وهو تقدم بين يدي الله وذلك التدبير الذي يشير اليه سهل في قوله ان تدبير الخلق جرهم عن
الله - وحكي له أن بعضهم صحب بعض العارفين في طريق فعبث بشيء فنحاه من مكان إلى مكان
آخر فقال له العارف ما داصنعت أحدثت في الملك حدثا عن غير ضرورة ولا سنة لا تصحبني
أبدا فلو لم يكن لنا من الذنوب الا هذه الأشياء لقد كان كافيا وفوق ذلك تماونا بها وأعظم من
ذلك ترك التوبة والاستغفار منها فأما ان ذم عبدا ما دمته الله ورسوله وعاب ما عابه الله ونهى عنه
ومقته وجاء السنة بذمه ونقصه لم يخرجه ذلك عن حد الرضى لأن ذلك حينئذ لأجل الله تعالى وفيه
فهو مطيع لله وأعمال طلاب الرضى من الله تعالى مضاعفة على أعمال المجاهدين تضاعف إلى سبع مائة ضعف
وتضعيف طالبي الرضى لا يحصى قال الله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وقال تعالى فيضاعفه له أضعافا كثيرة
قيل الحسنة إلى ألفي ألف حسنة وقد قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة
أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال تعالى ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله
وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة فكم في هذه الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء هم الذين قال الله
تعالى والله يضاعف لمن يشاء هم أهل الرضى عنه وهم الذين أقرضوا الله قرضا حسنا لأجله فضاعفه

الله فيما حكم مسلما له ما شهد لأنه سبحانه باختيار أسماء الأشياء ومشيته أبدا هما وعنه يتصرف المقدور
واليه عاقبة الأمور لا مع نفسه فيما تهواه ولا مع معتاده وعرفه فيما يعقل بل هو مع الله تعالى فيما
يحب قد عرف حكمته فيما يولي ويبلي اذ بحسن نظر الله تعالى له قد يولي وقال بعض العارفين قد نلت
من كل مقام حالا الا الرضى فما منه للامتشام الترجيح وعلى ذلك لو أدخل الملائكة كلهم الجنة
وأدخلني النار لكنت بذلك راضيا وقيل لعارف في وقفة بلغت غاية الرضى عنه فقال الغاية لا والله مقام
من الرضى قد نلته حتى أو جعلني حسرا على جهنم يعبر الملائكة على إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم لحلة
لقسمه وبدلا من خليقته لأجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وجدتونا عن الرضى ما زلت
قال قلت لابن الجلا الدمشقي قول فلان ودت ان جسدي قرض المقاريض وان هذا الخلق ألطاعوا
ما معناه قال يا هذا ان كان من طريق الاشفاق على الخلق والنصح لم أعرف وان كان من طريق
التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فلبث
لقي في ظهره ثلثين سنة سطيحا لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سترة من جريد كان يتحدث
فابطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكي ابن من حاله فقال ألم تبكي
فقال لا إني أرى على هذه الحال العظيمة فقال لا تبك فإن اجبته إلى ما احبه الى الله ثم قال أجبتك شيئا فسل
الله يشفعك واكتم علي حتى أموت ان الملائكة تزورني فأنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها ازداد
بصرا ان زجه الله ان يشفيه لأنه قد كان حزن عليه فاذا دبذلك أن يطلعه لأن مثل هذه الآية انما هي
وجهه وذلك ان بلا العقوبات لا تكون معه الآيات ولا توجد عنده الملاوات ولا مزيد القلوب
من نسيم نجاز الغيوب ولا مذكر الحبيب لاجت لقا الطيب أنشد بعض المحبين

ياحبيبا بذكره يتلذى وصفوه لكل داء عجيب
من زاد الحبيب صار اليه قلبي الى القرب
من زاد الطبيب شرا ذا اعتل قلبي الى الطبيب
ليزدا المحب أيدوني ما تمنعه لقا الحبيب

قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأيا ثوبا ملقى فقالت أن تحته شيئا حتى كشف فإذا

امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالب الصحة ... حريف وسايسرني أن نقضي من
هذا فلامه ظفر واعتل جليفه علة الموت فجعل يقول أخنقي خناقك فوعزتك انك لتعلم أني أحبك
فلما حضرة الموت جعل يقول حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وروى أيضا مثل هذا عن ابي هريرة ٥
ولما قدم سعد بن أبي وقاص الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون كل واحد
يسأله أن يدعو له فيدعو الهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك قال عبد الله بن السايب فأتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل
مكة قلت نعم فذكر قصته قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو الناس فلو دعوت لنفسك لرد
الله عليك بصرك فتبسم ثم قال يا بنيّ قضاء الله عندي أحسن من بصري ويقال أن بعض هذه الطايفة
ضاع ولده وكان صغيرا لثمانية ايام لا يعرف له خبرا فقيل له لو سألت الله أن يرده عليك فقال
اعتراضي عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدي وقد روينا عن بعض العباد أنه قال أذنبت ذنبا
وأنا ابكي عليه ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو
قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب
الي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وحكينا عن بشر الحافي قال رأيت بعباد ان رجلا قد
قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر فقال وإذا
هو قد ضرع من جنة به فقال فوضعت راسه في حجري وجعلت أسأل الله عز وجل كشف ما به
وأدعو له فأفاق فسمع دعائي فقال من هذا الشغول الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه
في نعمه علي فقال ويحك راسه فقال بشر فاعتقدت أني لا أعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء
وقيل لعبد الواحد بن زيد هذا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قبعت
به قال لا قال فهل لبست قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فما مزيدك منه الصوم والصلاة
قال نعم قال لولا اني استحي منك لأخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة اراد بذلك أنه لم
يقربه فيجعله في مقام المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك له به أعمال القلوب
التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان الغاية جمال الموقن والانس بمقام المحب والرضى وصف
النخل انما أنت عندي طبقات أصحاب اليمين فيزيدك منه مزيد العموم من أعمال الجوارح وقوله

ان معاملته ... جرى حتى بها دون المعرفين وعند
مقامه وان كان فوقه فوق ... وجد الموجبين ولطف معرفة العارفين فانه تعالى بفضله تمم الموجبة شهادته وقطع عنه همة معرفته
فدخل عليه نقصان المعرفة اذ لم يردها ولم يطلبها فلم يرفع إليها ولم يقرب وذلك من حيث لم يعلم
فلم يواخذ به ولم يلم والا فالرجل مجتهد في حاله فاضل موجب معرفته ومقامه في الابرار ثابت ولكن فوقها
مقامات رفع اليها الصديقون وقد رويناعن بعض المحبين كلمة غريبة المعنى دقيقة في معناها
المخالفة لله عز وجل وان كان قد فسرها فانه لم يكشف معناها لفهم الناس عنه ولا حاضر
عنده فيحتاج تفسيرها إلى تفسير ورويناعنه انه قال كلكم يلقى الله عز وجل ولعله قد كذبه وذلك
أن أحدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل نوادبها يعني بذلك أن
الذهب من زينة الدنيا وقد ذم الله الدنيا وان البلاء من زينة أهل الآخرة أي فلبث اذا أعطاك
الله زينة الدنيا أظهرتها وفرحت بها واذا أعطاك زينة الآخرة وهي المصايب والبلاء كرهتها وأخفيتها
ليلا تثاب بذلك فحسب عليه حب الدنيا والغنا والتزين بها وكراهة البلاء تكريما لله وزدا عليه
ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد في باب الرضى ويدخل على من أخفى الفقر والبلا حياء من الناس
ليلا يثاب به فذلك من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق ويدخل فيه من اظهر الغنا من غير تيه ولا عجب
بنعمة الله فذلك أيضا من قوة شاهد الحب للدنيا ولذلك قال أبو سليمان الداراني ثلث مقامات بجملها
الزهد والورع والرضى وتالفه سليمان ابنه وكان عالما وكان من الناس من كان يقدمه على أبيه فقال
بل من تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شيء فقد بلغ الزهد ومن رضي عن الله في كل
شيء فقد بلغ حد الرضى وهذا لان عندها ان حد الشيء نهايته وأعلاه على ما يجري الجاري ولا اشتباه كأنهما
حسبا الحد من آخر الشيء والحد عندي أول الشيء وبدايته فحد كل شيء أوله ونهايته آخره قال
أبو طالب كان سليمان بن أبي سليمان الداراني يفضل على أبيه وكان عالما فلما قال تلك مقاماتي جعلها
فقد بلغ حد الورع وانما قال ذلك كالزاهد لها بعينه فالزهد والورع والرضى
فقال هو لكل شيء حد أوله ونهايته آخره ونهاية أعلاه وما ينقض الراضي من مقام الرضى مسئلته
مولاه لصلاح دينه ودنياه من مزيد الآخرة وصلاح المتعبد به بذلك وانقطاعه في كل

ومعهم المقربون هو على دوام مشاهدة الراضي عن معرفته ومقتضى حاله لأنه سأل عن علمه
بعمله في وقت من أحواله كما يسأل عن حملة أعماله بعلومه في مدة عمره وهذا أصل فاعرفه فعليه عمل
الموقنين وهو طريق العارفين من السلف فلم يكن بضرهم عندهم خلاف من خالف وإن كان دعاؤه
تجديد السيد وثناء عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره ولما يجبه لأنه مستوجب لذلك بوصفه ولأنه
واجب عليه فقد استغرقه وجوب ما عليه عما له فهذا أفضل وهو مقام المحبين وهو من القيام بشهادة
وقد دخل فيما ذكرناه من مقتضى حاله بالعمل بعلمه في وقته وللعلماء مسألة قد اختلفوا فيها في أهل مقامات
ثلاثة أيهم أفضل عبد يحب الموت شوقا إلى الله وعبد يحب البقاء للكد والخدمة للمولى وعبد لا اختار
شيئا بل أرضى ما يختار لي مولاي إن شاء أحياني وإن شاء أماتني غدا قال فيها كما إلى بعض العارفين فقال صاحبهم الراضي
أفضلهم لأنه أقلهم فضولا وهذا كما قال فالاعتبار للترك لا عن اعتراض لأنه دخل في الدار بغير اختيار
كذلك ينبغي خروجه منها كمعنى دخوله فيها لأن مقام الرضى أعلى من مقام الشوق الذي هو
الفضل الذي يحب الموت شوقا إلى لقاء الله وهذا مقام في المحبة وفيه حقيقة الزهد في الحياة وفي
الخبر من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة المعاملة هو فاضل
بعد هذين بمقامه قوة الرجاء وحسن الظن في العصمة وله أيضا مطالعات من الأنس وملاحظات في القرب
طاب مقيله وعنده سكنت نفسه وقصرت عليه أيامه وقال صلى الله عليه وسلم أفضل المؤمنين
إيمانا من طال عمره وحسن عمله وهذا لأن الأعمال مقتضى الإيمان إذ حقيقة الإيمان إنما هو قول وعمل وليس
بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط صاحبه عليه ولا يوصف بمدح إنما هو حب البقاء لمنعة النفس
وموافقة الهوى وقد تسرق الهوى والنفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق وتخفى فيما علة وهو أن حب
البقاء لأجل النفس وللمنعة بروح الدنيا وما طبعت عليه من حب الحياة وكره الموت لمنافرة الطبع وطول
الأمل فيتوهم أنه ممن يحب البقاء لأجل الله وطاعته وهذا هو من الشهوة الخفية التي لا يخرجها إلا حقيقة
الزهد في الدنيا ولا يفصل في هذا الطريق الثالث ويشكله إلا عارف زاهد دائم المشاهدة باليقين
فأما المعلل بوصفه وهواه فليس يقع به اعتبار في طريق ولا مقام واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد

إذ مات فقال له يوسف وما
ولم تكره الموت قال لعلي أصا
أختار شيئا أحب ذلك إلي
به يعني مقام
المحبة والرضوان كما قال تعالى فروح وريحان
الروحانيين وهم المقربون وروح
وجنة نعيم يعني روحا من نسيم القرب وريحان من طيب المحبة وهكذا قال بعض الصوفية سر العارف في
الأشياء واقف مثل الميزان إن أخرج خرج ومثل لسان الميزان في وقوفه وإعتداله
بين كفتين أيهما مال مال به وقال أخرقلبي مثل المرآة ينخ ثم يتردد أي لا يقف على وصف يعني ما قيل في
وصف العاقل صحة اعتباره وتقفي أوطاره فإن ذم هذا الراضي ما ذمه الله وكره ما كرهه
الله لم ينقص ذلك رضاه وكان محسنا في فعله لموافقته مولاه وإن لم يرض حاله كان نقصا في
دينه وآخرته أو كره مزيد الدنيا من الكثرة والجمع والادخار لم يقدح ذلك في رضاه لأنه من
الزهد وهو في جميع ذلك موافق للعلم والله تعالى أعلم بأحكامه من العبيد وأغير على نفسه من
أعلى مشاهده من الخلق له المثل الأعلى في السموات وهو على ذلك يشهد احكامه ويذم المحكوم
عند جدود أمره وينفذ علمه بمشيته ويمقت العاصين له باجتراح نميمة حكمه منه وعلا كما
يده في العطاء ويمدح المنفقين ويمضي إرادته للقضاء لتوفيقه ويشكر العاملين كرما منه
محبة منه وابتلاء وكذلك الراضي عنه موافق له فيما حكم ومتبع له فيما رسم ومسلم له فيما برز
وزارض مدبر ومشتغل لما شرع وموالط لرسوله فيما سن فالراضي متحقق بإطلاق مولاه بما
له وتولاه سالك منهاج رسوله يذم ما ذمته مولاه ويمدح ما مدحه العلم ودلت عليه
وذلك كله لأجل مولاه لا لأجل تفعله إياه ولأنه لرسوله أتبع لا لأجل ما ضر أو نفع والتحدث
والإخبار عن المصايب لا ينقص حال الراضي إذا ذاقها نعمة من الله عليه وكان القلب مسلما
لهم ولا متبرما بمر القضاء وأول الرضى الصبر ثم القناعة ثم الزهد ثم المحبة ثم التوكل
بحال المتوكل والتوكل مقام الراضي والرضى حال المحب والمحبة مقام الراضي وقال فضيل
في المنع والعطاء عند العبد هو الرضى حينئذ وقال غيره إذا لم يختلف قلبه في العدم والوجود

مصادير ومصاريب احكام وتدابير جلو ومر ولطف وعنف وشدة ورخاء وموافقة للنفس
ومنافر ومخالفة لما تهوى مما لطبعها لا يوافق فالصبر على الاحكام مقام المؤمنين والرضى بها مقام
الموقنين ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واعلم ان
الرضى من مقامات اليقين واحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل في كل افعال الله
تعالى لانها عن قضائه لا يكون في ملكه الا ما قد قضاه فعلى العارف به الرضى بالقضاء ثم يرد ذلك
الى تفضيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر امر به او ندب اليه رضي به العبد واحبه
شرعا وفعلا ووجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتمدد عليه فعلى العبد ان يرضى به عدلا
وقدرا ويسلم للمولاه حكمه وحكما وعليه ان يصبر عنه ويقر به ذنبا ويعترف به لنفسه ظلما ويرضى
بعود الاحكام عليه بالعقوبات وانه اجترحه فجوارحه اكتسابا منه ويرضى بان لله الحجة البالغة
عليه ولا عذر له فيه ويرضى بانه في مشية الله عز وجل من عفو عنه او عقوبة له وفصل الخطاب انه يرضى
بسوء القضاء عقدا لا من نفسه فعلا ويرضى به عن الله تعالى ولا يرضى به من نفسه لان الموقنين والمحبين لا
يسقطون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون ان كان المقام وكراهته بالالسنة
والقلوب من قبل ان الايمان فرضها والشرع ورودها والان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما
كانوا معه فيما احب ومقام اليقين لا يسقط فرايض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرايع
الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على الموقنين والمحبين
الم تر ان الله تعالى ذم قوما رضوا بالدنيا ورضوا بالمقام وتخلف عن السوابق فقال سبحانه
ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فذمهم بذلك وقال تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون فعابهم به وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف

المبتدع والفاجر المجاهر والظالم المتعدين وترك موالاتهم ونصرتهم واجبة على المؤمنين ولاجل ذلك صارت
الموالاة لاولياء الله والمعاداة لاعدائه من اوثق عرى الايمان لانك قد تعصي وتخالف مولاك لتسليط
العدو عليك وغلبة هواك الا انك تبغض العاصين ولا تتولاهم على المعاصي ولا تجتمع لاجلها من اجل ان
العدو لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما
سلط على حل المراقبة والخوف منك ولم يسلط ايضا عليك في استحلال المحارم ولا استحسانها ولا
التدين بها ولا في ترك التوبة منها ولا بالرضى بها كما سلط عليك باقترافها فان سلط على مثل الا من ذلك
العدو حتى بحبت الفساق وتوليهم ونصرهم على فسقهم او تستحل ما ارتكب من المحارم او ترضى
او تدين به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منهم في كثير ولا قليل لان عقد
العقود منوطة بعرى الايمان وهي وهو في قرن واحد مقترنان فهذا من كبائر الكبائر التي تحل عقد
الايمان معها وتنتقض عراه بها من قبل ان الموالاة والمحبة لاعداء الله تعالى تعمل في اصل الدين ولا
ثبت اليقين ولا يبقى معه نور الا انه ليس من عصى امامه فيما امره مثل من قتل وليه وخرج بالسيف
عليه وليس من وافق هوى نفسه فيما نهى الله عنه مثل من وافق الله تعالى فيما كتب وارسل فبذل
نبذه ظهريا وردته في افواه الرسل تشكيكا فان تلك مقامات هؤلاء الظالمين والفاسقين توجب
عليهم الرضى باحوالهم والشكر عليها فرضوا وشكروا لزمهم ايضا ان يثبتوا ويصبروا على ما شكروا
عليه ورضوا به فيصير ذلك مقاما لهم في الشكر والرضى عند الفاعل هواه وجب عليه
ايضا لم ان يحبهم عليها ويوالهم فاذا وجب ذلك عليه لزمه ان يعينهم عليها ويامرهم بها وفي هذا
تكذيب الكتب وزد الرسل كلهم نعوذ بالله من رضى ما لا ينفع ومن حب ما لا يضر ولا ينفع
كما نعوذ به من عمل لا يرفع وعلم لا ينفع الم تسمع الى قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين ومن يفعل فليس من الله في شيء وما شبهته تعالى يقول لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء الى قوله ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي حجة قاطعة ان يجمعكم واياهم في النار وكذلك قال تعالى وان
الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون ثم قال تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا

وقد روينا في خبر أن الله تعالى أخذ على كل مؤمن في الميثاق أن يبغض كل منافق وأخذ على كل منافق
أن يبغض كل مؤمن وفي الخبر المشهور المرء مع من أحب وله ما احتسب وروينا عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وعن أبيه عبد الله دخل لفظ أحدهما في الآخر لو أن عبدا طف بين قدميه عند
الركن والمقام يعبد الله عز وجل عمره بصوم نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله يوم يلقاه وليس في
قلبه محبة لأوليائه ومعاداة لأعدائه لما نفعه ذلك شيئا وقد جاء نحوه بمعناه مسندا
عن عمر وغيره أن أحدهم ليشيب في الإسلام فما يوالي فيه وليا ولا يعادي فيه عدوا وذلك
نقص كثير وفي معنى قوله أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وفيه وجه خفي هو أن تحب
المومن ويبغضك المنافق فيكون ذلك علامة وثيقة إيمانك لأن قوله الحب في الله يصلح أن تحب
أنت ويصلح أن يحبك المومنون وكذلك البغض في الله يصلح أن يبغضك المنافقون كما يبغضهم أنت
فكأنك تحب المومنين حتى يحبوك وتبغض المنافقين حتى يبغضوك بإظهار التباعد عنهم
وترك المبالاة لهم ومنصبك إياهم فبذل ذلك على قوة إيمانك لأنك لم تأخذك في الله لومة لائم منهم
كما وصف تعالى بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك بعدك من المداهنة والنفاق وأقرب
إلى الورع والصدق والإخلاص فإذا فعلت ذلك بهم بغضوك ومقتوك فهذا على معنى ما قال
الله أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المومنين أعزة على الكافرين وهو المأمور بخفض
الجناح للأتباع ولين الجانب والعفو والمساهلة للأصحاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم لطيف
اللسان غير فظ لهم رقيق القلب غير غليظ كما أمره الله تعالى بالشدة والغلظة للأعداء قال
تعالى جاهد الكفار بيدك وأغلظ على المنافقين بلسانك وقلبك وكذلك القول على من كان على شعبة
من جرهم وعلى ديقة وجانب إلى شقهم من الفسوق والعصيان وجهاده بالقلب بالغلظة كما فعله
صحبنا مع المنافقين دون من جاهده بالسيف من الكافرين الذين قال تعالى يخادعون الله يشاقون
الله أين يكونون في حد وشق والله ورسوله في شق آخر وحد وهولاء قد صاروا في حدهم وشقهم
أي جانبهم وناحيتهم فنحن كذلك على سبيل صاحبنا ونصرته لأمن أتباعه وشيعته وذلك هو داخل
في حبك للأولياء وبغضك للأعداء لا محالة لأنك إذا أظهرت للأولياء المحبة واقتضتهم محبتك لهم
محبتهم لك في غير دهم لأن ذلك عليهم لك كما هو عليك لهم فكيف بهم إذا رأوه منك وكبر لك

وترك تبجيلهم

من جرهم شعبة من الكفر وجانب ديقة هو الفسوق واللسان غلظة صح

إذا أبغضت الأعداء أبغضوك لا شك لأن نفوسهم وأهواءهم تقتضيهم ذلك وكما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم
في قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فكذلك أمر المؤمنين في قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار وليجدوا فيكم غلظة وروي عن عيسى عليه السلام أن الله عز وجل قال إن أحببت عبادي إلى
الذين ذكروني بالاستحمار ويبغضون إلى الفجار ومعناه أن يظهر لهم البغض ونا بذهم العداوة حتى يبغضوه
فإذا أبغضوه أبغضهم الله فيكون قد بغضهم إليه بهذا المعنى من قبل أن الله تعالى يبغض من يبغض
أولياءه كما يودي من آذاهم لأنه يحب من أحب أولياءه كما يسره من سرهم كما روينا
عن بعض الجبابرة من العتاة في فرط كرم الله وغاية حلمه أن جبارا من الجبابرة قحطت رعيته سنين فشكوا
ذلك إليه فخرج ذلك إلى الصحراء فرفع رأسه إلى السماء وقال يا شاكي السماء أسقينا الغيث أو لوريتك
فقال أو ليائه كيف تؤذيه وأنت في الأرض وهو في السماء فقال أقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك
أذاه فأرسل الله السماء بالغيث بكرمه وروينا في الأخبار ومن أكرم مومنا فإنما أكرم
الله ومن سر مومنا فقد سر الله تعالى ومن أهان وليا فقد بارز الله تعالى بالمحاربة وكذلك
في تدبير الأوصاف أن من أهان عدو الله تعالى فقد والى الله تعالى ومن ضرب كافرا فقد تقرب إلى
الله تعالى ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا وقد كان الثوري يقول
إذا رأيت الرجل محبا إلى جيرانه فاعلم أنه منافق وقال كعب الأحبار لابن ذريس الحولاني وكان
من علماء الشام كيف أنت في قومك قال يحبوني ويكرموني قال له كعب ما صدقتني التوراة
إذا قال وما في التوراة قال أجد في التوراة أن الرجل العالم لا يحبه جيرانه فقال أبو مسلم لم أصدقك
التوراة وكذبتني نفسي لأن العالم يأمر جيرانه بالمعروف وينهاهم عن المنكر وينصح لهم ولكن
لا يحبون الناصحين وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة إني كثير الغفلة عن الله فقليل
المسارعة إلى مرضاته أو ضيني بشيء أعمله أدرك به ما يفوتني من هذا فقال أخي إن استطعت أن تحبب
إلى أولياء الله وتقرب من قلوبهم فافعل لعلهم يحبوك فإن الله عز وجل ينظر إلى قلوب أوليائه في كل
يوم سبعين مرة فلعله ينظر إليك في قلوبهم ليحبتهم لك فيجبروك خيري الدنيا والآخرة إذا كان
ممن ينظر إليه كفاحا وكذلك يقال إن الله عز وجل ينظر إلى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة
وهم الذين عرفوه لقربه منهم ولدوام نظره إليهم فهو وجههم ثم ينظر إلى قلوب قوم في قلوب قوم

مِنْ قُلُوبِ قَوْمٍ آخَرِينَ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَفُوهُمْ وَأَحَبُّوهُ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ وَأَوْلَاهُمْ عَلَيْهِ فَيُعْطِيهِمْ
نَصِيبًا مِنْ نَصِيبِهِ كَمَا أَعْطَاهُمْ شَهَادَةً عَلَى شَهَادَةٍ مِنْ خَزَائِنِ عِلْمِهِ وَذَلِكَ عِنْدِي مِنْ عَزَائِمِ الدِّينِ وَسَبِيلِ
الْوَرَعِ أَنْ تُبْغِضَ إِلَى أَعْدَائِهِ وَتَمَقَّتَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُبْتَدِعِينَ وَالظَّالِمِينَ لِيُبْغِضُوكَ وَيَمْقُتُوكَ فَيَكُونَ ذَلِكَ
الْقُرْبَةَ بِكَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ لَكَ وَحُبُّكَ لَهُمْ فَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ وَلَايَةِ اللَّهِ وَمِنْ وَثَائِقِ عُرَى الدِّينِ وَقَدْ رُوِّينَا عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدًا فَيُحِبَّهُ قَلْبِي وَوَصَلَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ بِاثْنَيْ عَشَرَةَ
أَلْفِ دِينَارٍ وَعَشَرَةِ أَثْوَابٍ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ وَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَقْبَلَ مِنْهُ يَأْخُذُ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَيُعْطِينِي
فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدُّ وَاهِدِيَّةَ الْفَاجِرِ عَلَيْهِ لَا بَرَّ
أَنَّكُمْ تُوصُونَ عُمَّالَكَ وَأَقَلُّ مَا لَكَ فِي هَذَا الزُّهْدِ فِي بَابٍ كَبِيرٍ مِنْ أَبْوَابِ الدُّنْيَا إِذَا كَانَتِ الدَّاهِيَةُ وَالْوَلَاءُ
مِنْ أَكْبَرِ أَبْوَابِ الدُّنْيَا لَا تَرَى بِذَلِكَ بَسْتَوِي عَيْشُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَتَتِمُّ سَلَامَتُهَا لَهُمْ فَهَذَا هُوَ الطَّرَفُ
الْآخَرُ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِيهِ وَهُوَ وَجْهٌ غَامِضٌ وَمَعْنَاهُ إِذَا كُوشِفَ جَلِيٌّ ظَاهِرٌ
وَهُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ مَوَارِدُ طُرِقِهِمْ إِلَيْهِ وَمُعْتَدَّ زُهْدِهِمْ عِنْدَ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا لَا يَقْدِرُونَ
عَلَيْهِ لِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ حُبِّهَا وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَأْمَنَ فِيهِمْ وَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ
الْفَاسِقُونَ وَيَأْمَنَ فِيهِمْ وَجَعَلَ مَنْ سَارَعَ بِالْإِدْهَانِ وَإِظْهَارِ الْمُتَابَعَةِ لِلظَّالِمِينَ خَشْيَةَ دَرْكِ
الدَّائِرَةِ عَلَيْهِ عَلَمَيْنِ مِنْ أَعْلَامِ النِّفَاقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا
قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا وَقَالَ تَعَالَى فِي الْمَعْنَى الثَّانِي فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ يُسَارِعُونَ فِي مُوَاطَاةِ الْكَافِرِينَ سِرًّا يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا
دَائِرَةٌ أَيْ نَخَافُ أَنْ تَكُونَ الدَّوْلَةُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ الْآيَةَ فَيَنْبَغِي لِمَنْ آمَنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِذَا أَجْبَرُوهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ
وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَأَنْ يَتَّقُوهُ وَيَنْبَغِي لِمَنْ سَارَعَ فِي مُوَاطَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنِيَ وَيُبْطِئَ فِي مُدَاهَنَةِ
الظَّالِمِينَ وَمُتَابَعَتِهِمْ حَتَّى يُخَلِّصَ إِيمَانَهُ مِنَ النِّفَاقِ وَيَسْتَقِيمَ طَرِيقُهُ مِنَ الضَّلَالِ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى
الْإِيمَانَ عَمَّنْ أَحَبَّ مَنْ حَادَّهُ وَأَثْبَتَ الْإِيمَانَ وَالتَّأْيِيدَ بِرُوحِهِ وَهُوَ الْيَقِينُ لِمَنْ أَبْغَضَ فِيهِ
أَعْدَاءَهُ فَقَالَ تَعَالَى لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ الْآيَةَ
فَأَمَّا مَنْ قَالَ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِأَنَّ الرِّضَى قَدْ يَكُونُ بِالْمَعَاصِي مِنْهُ أَوْ مِنْ سِوَاهُ كَمَا يَكُونُ فِي

الطَّاعَاتِ فَقَدْ جَعَلَ الْمَعَاصِيَ وَالْمُخَالَفَاتِ مِنَ الْقُرُبَاتِ وَسَوَّى بَيْنَهُمَا وَفِي هَذَا هَدْمُ شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ
وَإِبْطَالُ تَفْضِيلِ اللَّهِ مَا أَحَلَّ لَنَا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ مِمَّا نَهَانَا عَنْهُ وَنَحْنُ نَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ
بِبُغْضِهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ وَبُغْضِ مَا أَحَبَّهُمْ وَوَالَاهُمْ وَقَدْ رُوِّينَا فِي خَبَرٍ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ
اللَّهِ مَنْ يَقْتَدِي بِسَيِّئَةِ الْمُؤْمِنِ وَيَتْرُكُ حَسَنَتَهُ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَمَلَ شَاذَّ الْعِلْمِ فَقَدْ
حَمَلَ شَرًّا كَثِيرًا وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْمُعَامَلَةِ إِذَا عَمِلْتَ صَالِحًا فَقُلْتَ أَنْتَ أَسْتَعْمَلْتَنِي وَبِحَوْلِكَ
وَقُوَّتِكَ وَحُسْنِ تَوْفِيقِكَ أَطَعْتُكَ لِأَنَّ جَوَارِحِي جُنُودُكَ وَإِذَا عَمِلْتُ سَيِّئًا فَقُلْتُ نَفْسِي وَهَوَايَ
وَشَهْوَتِي اجْتَرَحْتُ جَوَارِحِي وَهِيَ صِفَاتِي ثُمَّ تَعْتَقِدُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ بِقَدَرِهِ وَمَشِيَّتِهِ كَانَ مَا قَضَى
فَيَكُونُ بِالْمَعْنَيَيْنِ قَدْ وَافَقْتَ مَرْضَاةَ مَوْلَاكَ وَتَكُونُ فِي الْحَالَيْنِ عَامِلًا بِمَا يُرْضِيهِ بِالْقَوْلِ وَالْعَقْدِ
وَيَنْتَفِي عَنْكَ الْعُجْبُ فِي أَعْمَالِ بِرِّكَ وَيَصِحُّ مِنْكَ الْمَقْتُ لِنَفْسِكَ وَاعْتِرَافُكَ بِظُلْمِكَ وَقَدْ تُقْلَبُ هَذِهِ
الْمُشَاهَدَةُ عَلَى الْجَاهِلِ فَإِذَا عَمِلَ حَسَنًا شَهِدَ نَفْسَهُ وَنَظَرَ إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فَهَلَكَ بِالْكِبْرِ وَبَطَلَ
عَمَلُهُ بِالْعُجْبِ وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئًا لَمْ يَعْتَرِفْ بِالذَّنْبِ وَلَمْ يَقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالظُّلْمِ فَلَمْ تَصِحَّ لَهُ تَوْبَةٌ وَلَمْ يَرْضَ
لَهُ عَمَلٌ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الضَّلَالِ وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ سَهْلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً فَقَالَ
يَا رَبِّ أَنْتَ اسْتَعْمَلْتَنِي شَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ أَنْتَ عَمِلْتَ وَإِذَا نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ أَنَا عَمِلْتُ يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَنَا اسْتَعْمَلْتُكَ قَالَ وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَقَالَ أَنْتَ قَدَّرْتَ وَأَنْتَ أَرَدْتَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْتَ
ظَلَمْتَ وَأَنْتَ عَصَيْتَ بِشَهْوَتِكَ وَهَوَاكَ فَإِنْ قَالَ الْعَبْدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَصَيْتُ بِعَمَلِ اسْتَحَقَّ اللَّهُ مِنْهُ
فَقَالَ بَلْ أَنَا قَدَّرْتُ وَأَنَا قَضَيْتُ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ بِاعْتِرَافِكَ بِالظُّلْمِ عَلَى نَفْسِكَ فَهَذِهِ أَدَبُ الْعَامِلِينَ
وَمُشَاهَدَةُ الْعَالِمِينَ وَهَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ أَيُّكُمْ بَرَّ أَعْرَفُكُمْ بِرَبِّهِ أَعْرَفُكُمْ بِنَفْسِهِ فَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ
مِمَّنْ عَامَلَهُ الِاعْتِرَافُ وَالتَّوَاضُعُ وَهَذَا أَيْضًا أَحَدُ الْمَعَانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا قِيلَ هُوَ الِاعْتِرَافُ عَقِيبَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فَكَانَ
الصَّالِحُ بَعْدَهُ اعْتِرَافَهُ وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنِفًا أَنَّهُ قَالَ
مَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ وَمَنْ دُونَهُ فِي الدُّنْيَا كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا شَاكِرًا وَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ
دُونَهُ فِي الدِّينِ وَمَنْ فَوْقَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا شَاكِرًا فِيهِ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ حِسَانٍ
إِذَا تَدَبَّرَهَا الْعَبْدُ وَتَفَكَّرَ فِيهَا لَمْ يَعْدِمْ أَنْ يَرَى أَهْلَهَا لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَنْ يَرَى بِعَيْنِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ

بسيرة المتقدمين فيرى من فوقه في باب الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع منه برزقه فيكون
صابرا شاكرا، معرفة ما قنع به ورضي باختيار ما صرف عنه من الفضول وزوي عنه من الحساب
الطويل ولا يحلوا أن يرى من فوقه في أمر الدنيا فينازع اليه ويسابقه اذ قد ندب الى ذلك
فيكون حظاله وحثا على افتعال الخيرات وأعمال الصالحات وأقل ما يفيده ذلك الازراء على نفسه
والمقت لها في تقصيرها ثم ينظر في الأمرين الآخرين من وجه آخر فلا يحلوا ان يرى من هو دونه في
الدنيا من ذوي الفاقات ولهاجات فيحمد الله على تفضيله عليه وحسن صونه له ويشكر نعمته لفضل
احسانه وكفايته له ويجد ايضا في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين واهل
البدع والزائغين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما
ابتلى به غيره فيكون ايضا صابرا شاكرا فيكون للعبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات
لما وهب الله تعالى له من البصيرة والاعتبار ويشهد لما ذكرناه قوله لاحسد الا في اثنين رجل
آتاه الله حكمة فهو يقضي بها في الناس ويعلمها ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ حديث
آخر ورجل آتاه الله تعالى القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار فيقول رجل لو اني اتاني الله ما
آتى هذا فعلت كما يفعل فندب الى الحسن على أعمال البر وفضل الحاسد لما ندب الله تعالى اليه من
المنافسة في أعمال البر فهو حسد على هذه المعاني من أعمال الخير كان ذلك مزيدا له في مقام
الرضى للغبطة به والطلب له فما من قلبت عليه هذه المعاني فحمل عواقب الأمور وغلبت عليه
الفضلة واستحوذت عليه البهالة فجعل نظره الى من فوقه في الدنيا فيغبطه على حاله ويتمنى مكانه
أو يدخله نظره اليه في استصغار نعمة الله عليه وبزدري يسير ما قسم الله له ثم ينظر الى من هو دونه في
الدين من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويجعل ذلك معدنة وجحة وناسيا به ويثبطه عن
المنازعة الى القربان ولعله أن يداخله العجب والكبر حتى يفضل عنه بحاله أو ينظر ان نفسه
بأعماله لتقصيره غيره عن مثل فعاله فهذا اذا يكتب جزوعا عن الصبر كفورا للنعمة باضاعة
الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكر على ضد الوصف الذي رويناه قبيلا من نعت الصابر والشاكر
وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين واذ الصبر والشكر من صفات
المؤمنين وهما حالا المتقين وفي حديث ابن ذر أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب

المساكين والدنو منهم وأن انظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقي فذلك أجدر ألا أزدري
نعمة الله علي وقد وصف هذا العبد بمثل هذا المعنى فالله المستعان قد حدثونا عن عبد الله بن
المبارك انه قال طفت الشرق والغرب فما رأيت شرا من بغداذ قيل وكيف ذلك قال تزدري فيه
النعمة وتصغر فيه المصيبة وحدثونا عنه أنه قيل له لما قدم خراسان كيف رأيت الناس ببغداذ
قال ما رأيت الا شرطيا غضبانا أو ناجرا لصانا أو قارئا مرائيا وقيل انه كان يتصدق كل
يوم بدينار لأجل مقامه ببغداذ الى أن خرج الى مكة فبلغني انه كان يتصدق بستة
عشر دينارا كفارة لمقامه وقد وصفه الشافعي فقال انه هو الدنيا فروينا عنه أنه قال
الدنيا كلها باديه وحاضرتها بغداذ وروينا عن يونس بن عبد الأعلى قال قال لي الشافعي
يا يونس رأيت بغداذ فلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وقد دخل العراق جماعة منهم عمر بن عبد
العزيز وكيع الأحجار فروينا عن عمر انه قال لمولى له أين تسكن قال العراق فقال ما تصنع هناك
بلغني ان ما من أحد سكن العراق الا قبض له قرين من البلاء وذكر كيع الأحجار العراق يوما
فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الا العضاض وقال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنهى عمر
الخروج الى العراق وهكذا يقال يد) ثم الشر عشرة أجزاء فجعل تسعة أعشاره بالعراق وعشره
بالشام وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض في بعض الصوفية متدرعا
بعباءة فسلم عليه الفضيل وأجلسه الى جنبه وأقبل عليه بوجهه ثم قال أين تسكن فقال ببغداذ ثم
أعرض عنه الفضيل ثم قال يا أنيسا أحدهم في زي الرهبان فاذا تاه ابن تسكن فقال في عرش
الظلمة وكان بشر يقول مثل التعبد ببغداذ مثل التعبد في اللحش وكان يقول لا تقلدوا
بي في مقامي ببغداذ فمن اراد ان يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لو انعلق موار
الصبيان بي كان الخروج من هذا البلد أثر في نفسي قلنا فأين تحب السكنى فقال في الثغور وأما معروف
الكرخي فكان يفصح بها ويقول أما انا فأثرت أن أموت ببغداذ فهو لاء من خيار هذا البلد وهم من ابدال
الصديقين ومن سكن البلد الكثير المنكر ظاهر المعاصي فلم يخرج عافيه غير مطمئن الى ربه
الى الله عز وجل في اخراجه منه بحسن اختيار له وكان مضطرا الى المقام فيه لعيلة ثقيلة
أو قلة ذات يد خفيفة لا يستطيع حيلة في الخروج ولا يعرف طريقا هو على يقين من سلامة

دينه فيه فانه معذور عند الله بحسن تفضل من الله وهو أقرب إلى العفو والسلامة ممن اغتبه
مقامه واطمأن ورضي بحاله أو كان مقامه على هوى والجلاب أسباب الفتنة والدنيا قال
الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وفي التفسير إذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي
فتحول منه لغيره وقيل إذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر والمعاصي وقل من يأمر
بالمعروف فلم ينكروا ذلك عمهم الله بالعقاب ثم قال تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم
وأرجا إلى العفو أمرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من
هذه القرية الظالم أهلها الا ترى كيف خبر الله تعالى بترك رضاهم بالمقام وبانزعاجهم وطلبهم
الخروج فبذلك عذرهم وقال تعالى في تمام وصفهم واستثناء بهم من غيرهم لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم ولا يصح الرضى بالمعصية من جميع الوجوه
وأول الرضى القناعة وقال بعض العلماء لا يكون العبد قنوعا حتى لو جا الى باب
منزله جميع ما يرغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والتنعم فرس عليه لم ينظر الى ذلك ولم
يفتح بابه قناعة منه بحاله والعصمة حال الى عن الله عز وجل وهي ظاهرة التوبة والرحمة أو الرضى
من الله قال الله تعالى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من
رحم فالعصمة من الله لعبده دليل على الرحمة منه ثم تدخله الرحمة في مقام المحبة وهذه رحمة
المحبوبين ثم ترفعه المحبة الى الرضى فتكون المحبة مقامه عن شاهد محبوب ويكون حالي جميع
تصريف المحبة والمطلوب تم كتاب الرضى وبتمامه تم الجزء الأول
من كتاب قوت القلوب والحمد لله حمدا نستوجب به المزيد مما لديه وهو حسبنا ونعم الوكيل
يتلوه في الجزء الثاني ان شاء الله كتاب المحبة ووصف أهلها وهو التاسع من شرح مقامات
اليقين وأحوال العارفين ذكر أحوال المحبة ووصف أهلها قال أبو القاسم أخبرنا أبو طالب
وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

الى غيره

قابلته باصله حسب الامكان
وشرحت الفاظه ومعانيه
بعض ما تيسر والله
الموفق
كتبه عبد الله رحيم عفى
عنه محمد حمويه الجوبكي
غفر له ولصاحبه ومستعيره